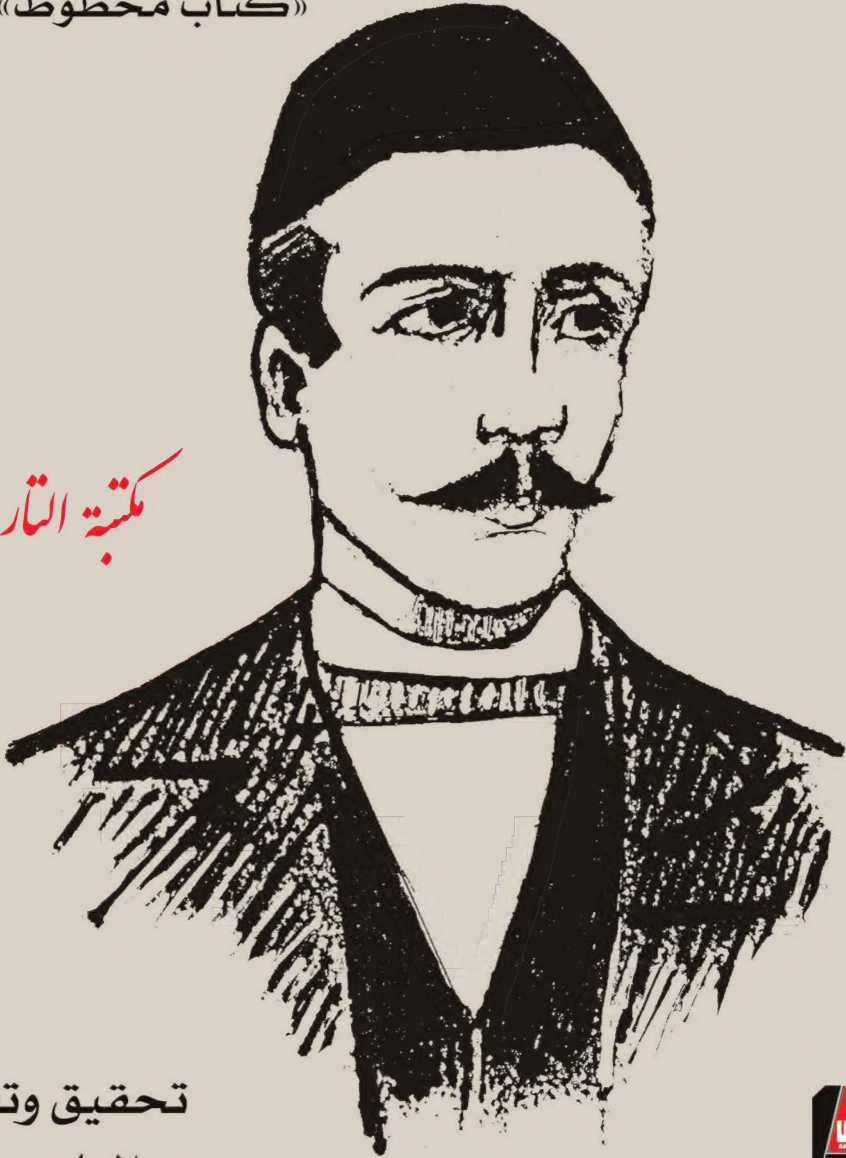


الياس صالح اللاذقي

آثار الحقب في لاذقية العرب

«كتاب مخطوط»

مكتبة التاريخ العثماني



تحقيق وتقديم
د. الياس جريج



آثار الحقب في لاذقية العرب

مكتبة التاريخ العثماني

الياس صالح اللاذقي

آثار الحقب في لاذقية العرب

كتاب مخطوط

حقّقه وقَدّم له وأعدّ ملاحقه وخرائطه

د. الياس جريج

دار الفارابي

الكتاب: آثار الحقب في لاذقية العرب (مخطوط)
المؤلف: الياس صالح اللاذقي
لوحه الغلاف: صورة المؤلف (1885-1839)
قدّم له وحققه وأعدّ ملاحقه وخرائطه: د. الياس جريج

الناشر: دار الفارابي - بيروت - لبنان

ت: 301461 (01) - فاكس: 307775 (01)

ص.ب: 3181/11 - الرمز البريدي: 1107 2130

e-mail: info@dar-alfarabi.com

www.dar-alfarabi.com

الطبعة الأولى: كانون الثاني 2013

© جميع الحقوق محفوظة

ملاحظات لا بد منها

«آثار الحقب في لاذقية العرب»، مخطوط جديد يقع في جزئين لمؤلفه «العلامة الياس صالح اللاذقي»⁽¹⁾، تنشره «دار الفارابي»، إيماناً منها بأن العلم الذي يحفظ على القراطيس المخبأة، يبقى النفع منه مقتصراً على قلة قليلة جداً ويبقى مهدداً بالضياع في أية لحظة. والدار بعملها هذا، تخرجه إلى النور العذب الجميل، فتغني المكتبة العربية عامة، والتاريخية منها خاصة، وينتفع جميع القراء بما يحتويه من علم.

يتناول مؤلف هذا المخطوط، تاريخ مدينة اللاذقية، بالارتباط مع لوائها من جهة، ومع ما حولها من جهة أخرى، منذ أقدم العصور إلى أواخر القرن التاسع عشر، وما يحتويه له أهمية بالغة لاعتبارات كثيرة، أهمها:

1 - إن المؤلف هو ابن اللاذقية، والمنطقة التي يكتب عنها حدد بنفسه إطارها. فهي تمتد من شمال طرطوس جنوباً، إلى حدود الجبل الأقرع شمالاً، ما يبلغ طوله سبعين ميلاً؛ ومن الغرب إلى الشرق نحو خمسة وعشرين ميلاً، أي ما مساحته 1750 ميلاً مربعاً⁽²⁾. وهذا التحديد ليس أمراً شكلياً، فتحديد المكان واحد من مستلزمات البحث العلمي الرصين.

2 - إن المنطقة المشار إليها، هي جزء من الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وقد شكل عبر التاريخ - في مختلف مراحل - ممراً طبيعياً، يصل قارات العالم القديم بعضها ببعض.

(1) «العلامة الياس صالح اللاذقي»، هو عنوان اعطاه سامر عوض للمقالة التي كتبها عن الياس صالح اللاذقي، في مجلة «العربية»، العدد الثالث من السنة العاشرة عام 2010. والعربية، هي نشرة غير دورية، تصدر عن مطرانية بصرى حوران وجبل العرب الجولان للروم الارثوذكس؛ صدر العدد الأول منها عام 2001. ولمزيد من الايضاح يراجع عدد المجلة المشار إليه اعلاه، ص 33-38.

(2) لمزيد من الايضاح حول حدود وموقع هذا اللواء، تراجع الخريطة رقم 1 المرفقة ربطاً بهذا البحث.

ومن هذا الساحل ومما هو حوله في جهاته الأربع، نشأت امبراطوريات كبرى، في التاريخ القديم والوسيط والحديث. فهذا الساحل، كان وما زال وسيبقى ممراً للتجارة الدولية في كل اتجاه. كما أنه سيبقى من أهم ممرات العالم إلى مختلف أنحاء هذا العالم على الإطلاق. ومن أجل السيطرة عليه، أو لإبقائه حراً محايداً سيتزايد عليه الصراع أكثر فأكثر، بين أهله من جهة، ودول العالم من جهة أخرى، وفيما بين هذه الدول من ناحية ثالثة. ولا سيما عندما يقرر أبنائهم أن تكون مقدراته بين أيديهم بدون منازع. خاصة بعد الكشف عن أن سواحله غنية بالبتروول والغاز الطبيعي والمياه العذبة.

3 - إنَّ صاحب المخطوط، قد حدد الزمان الذي يكتب فيه عن هذا اللواء. وهذا أيضاً واحد من مستلزمات البحث العلمي. وفي صياغته لهذا التاريخ، فقد جمع بين ما هو مطلوب منه - على حد تعبيره - كمؤرخ من جهة، وبين إحساسه كمواطن عادي بما يحتاج إليه من معارف تاريخية عن مدينته ووطنه وما هو حوله من جهة أخرى. هذا الشعور، قد عبر عنه بشكل واضح في مقدمة مؤلفه. وهو بشعوره هذا لا يمكن أن يكون إلا صادقاً، لسبب بسيط، وهو أن المعارف التي سعى وراءها وساقها لمواطنه، كان هو بحاجة إليها قبل غيره. علماً أن ما كتبه، لم يكن هدفاً بحد ذاته، بقدر ما هو محاولة لصياغة ذاكرة مواطنه وتزويدها بالمعارف الصحيحة عن المنطقة التي يعيش فيها.

4 - إنَّ الياس صالح اللاذقي، لم يكن ذلك الإنسان العادي، عندما كان يكتب هذا التاريخ. فهو أكثر من شخصية في رجل واحد، بحكم ما كان يتقنه من لغات وما شغله من مناصب، وما قام به من مهام. هذا بالإضافة إلى ما كان يتمتع به من حضور سياسي واجتماعي ورسمي في الوسط الذي كان يعيش فيه.

5 - إنَّ القسم الأكبر من المخطوط، يتعلق بفترة الحكم العثماني. وتتميز كتابته عن هذه الفترة بدقة استثنائية لسببين: الأول، لأن المؤلف يتقن اللغة التركية. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان عضواً في محكمتها الابتدائية، وبحكم موقعه هذا، كان مطلعاً عن كثر، على ما كان يرد إليه من الإدارات الرسمية من تعليمات وأوامر عليّة؛ وما كان يصدر عن

هذه الإدارات من مقررات واستفسارات، وما كان يفعله الولاة والموظفون من أجل الحفاظ على مصالحهم الخاصة. والثاني، وهو أن المؤلف قد ولد في مرحلة تداعيات النظام العام للسلطنة؛ وعاش في قلب مرحلة المحاولات، التي قامت بها من أجل إصلاح ذاتها؛ كما أنه شهد بعض الحروب التي شنت عليها من قبل الروس، وبعضها الآخر الذي شنته هي على رعاياها في لواء اللاذقية؛ كما أنه كان في قلب مرحلة انتقالها من «نظام الایالت» المتداعي، إلى «نظام الولاية»، الذي شارك في تطبيقه من موقعه الوظيفي.

6 - إن الفترة التي كان الياس صالح اللاذقي، يكتب فيها تاريخ لواء اللاذقية، كان الروس يعملون على تضمينه جزءاً من خطتهم العاملة لوصولهم إلى المياه الدافئة، بالاستيلاء على القدس، والعبور منها باتجاه الشمال، نحو اللاذقية عبر وادي البقاع وجبل لبنان فحمص؛ معتمدين في ذلك أسلوب استمالة وجذب أبناء الطائفة الأرثوذكسية إلى جانبهم وادعاء حمايتهم. ويبدو أن هذه الخطة، لم تكن حتى ذلك الوقت قد تبلورت بشكل واضح. بدليل أنه لم يشر إلى هذه المسألة بسوى أن للروس - كغيرهم من الدول - وكالة قنصلية في اللاذقية⁽¹⁾.

سيرة الياس صالح اللاذقي 1839 - 1885

كتب صاحب هذه السيرة اسمه وتاريخ ولادته بخط ريشته على صفحات مخطوطة. فهو «الياس بن موسى بن سمعان صالح»، ولد في 26 كانون الثاني من العام 1839. أما بالنسبة لتاريخ وفاته، فهو 15 أيلول 1885، دونه ابنه رفيق، تحت الصورة التي أعدها لوالده، بمناسبة مرور ربع قرن على وفاته⁽²⁾. ومع ذلك، هناك من أشار - بدون أي سند - إلى تواريخ أخرى

(1) لمزيد من الايضاح حول الخطة الروسية، يراجع: الياس جريج، ولاية بيروت التاريخ السياسي والاقتصادي 1887-1914، مكتبة عكار، حلبا بدون تاريخ طبع، ص 76 - 77.

(2) ترك الياس صالح اللاذقي مجموعة كبرى من القصائد الشعرية. وبمناسبة مرور ربع قرن على وفاته، جمعها ابنه رفيق في ديوان اسماه: «مراثي وديوان المرحوم الياس صالح» وطبعه على نفقته عام 1910، في المطبعة الوطنية باللاذقية. وقد وضع صورة والده في صدر الديوان وكتب فوقها: «المرحوم الياس صالح صاحب الديوان» ولد في 26 كانون الثاني 1839 وتوفي في 15 أيلول 1885.

مختلفة لولادته ووفاته، غير تلك التي أشرنا إليها⁽¹⁾. لادقي⁽²⁾ المولد (نسبة إلى اللادقية)

= أما تحت الصورة، فقد كتب ثلاثة أبيات من نظمه، وهي:

إذا ما نظرنا إلى رسم بكينا الأجل الأعز الاحب
إذا ما اطلعنا على نظمه نثرنا دموعاً لثري الأدب
إذا ما سألناه رحمة اجاب السميع الرحيم الطلب.

وبالإضافة إلى قصائد الديوان، فقد ضمنه الكلمات التي القيت يوم تشييع جنازته، وما كتب عنه من مقالات وقصائد وأشعار، وما كتبه عنه بمناسبة وفاته جريدة «الأهرام» و «المحرسة».

ولمزيد من الايضاح حول تاريخ الولادة والوفاة، وما تضمنه هذا الديوان، يراجع: الياس صالح صاحب الديوان، مراثي وديوان المرحوم الياس صالح اللادقي، المطبعة الوطنية، اللادقية 1910. الديوان موجود في المكتبة الشرقية، بيروت. حول هذه التواريخ، لا بد من ابداء ملاحظتين: الأولى، وهي أن اسعد داغر، الذي قدم لديوان الياس صالح اللادقي، أشار إلى أن الوفاة كانت نهار الثلاثاء 3 - 15 ايلول 1885 (الديوان ص 6). وهنا يمكن القول بأن صاحب السيرة قد دخل إلى المستشفى وهو فاقد الوعي وتوفي بدون أن يستفيق من غيبوبته. الثانية: وهي أن لويس شيخو اليسوعي، قد أشار - بدون أي سند - إلى أنه ولد في اللادقية في عام 1829، أي قبل عشر سنوات من التاريخ الذي حدده صاحب السيرة بنفسه، وأنه توفي في أواخر تشرين الأول 1885، أي بعد شهر ونصف من التاريخ الذي ذكره ابنه رفيق. ولمزيد من الايضاح، يراجع: لويس شيخو اليسوعي، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، الجزء الثاني، ص 118؛ وأشار في مكان آخر إلى أنه توفي في تشرين الأول 1885. لويس شيخو اليسوعي، المخطوطات العربية لكعبة النصرانية، منشورات دار المشرق، بيروت طبعة ثانية 2000، ص 130؛ وفي هذا المجال أيضاً، وبالاستناد إلى لويس شيخو، أشار عمر رضى كمال، إلى أن الياس صالح اللادقي، قد ولد في عام 1245 هـ وتوفي في عام 1302 هـ الموافق لعامي 1829 و 1885 م. عمر رضى كمال، معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة بيروت 1993، ص 829.

(2) اللادقي، نسبة اضافها صاحب هذه السيرة إلى اسمه بخط ريشته لاحقاً. أي عندما بدأ بكتابة الجزء الثاني من مخطوطه «آثار الحقب في لادقية العرب». بدليل أنه كتب اسمه على هذا المخطوط مرتين: الأولى، على الصفحة الأولى من الجزء الأول وهو كما يلي: «الفقير الياس صالح عفي عنه؛ أما على الجزء الثاني فهو «الياس صالح اللادقي عفي عنه»، أي باضافة «اللاذقي». وهنا لا بد من الإشارة، إلى أن لويس شيخو اليسوعي قد أوضح أن هذه النسبة هي من أجل التمييز بينه وبين سمي له يحمل أيضاً نفس الاسم الياس صالح؛ وهو من نفس ملته الارثوذكسية ومن أقربائه واشتهر بعده بقليل؛ وهو من مواليد بيروت 1869 وقيل 1870؛ وأنه كان شاعراً أيضاً وله قصائد كثيرة؛ وقد قصفته المنية غصناً رطباً في 2 حزيران 1895. ولمزيد من الايضاح حول هذه المسألة، يراجع: لويس شيخو اليسوعي، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، الجزء الثاني 1870-1900، طبع في مطبعة الآباء اليسوعيين 1910، ص 119-120.

والمنشأ والرقاد، «غزاوي» (نسبة إلى غزة في فلسطين) الأصل والفرع. سليل أسرة وجيهة، خدمت السلطنة العثمانية وولاتها في سلك الوظيفة العامة في غزة، ويافا، واللاذقية. لكنها لم تسلم من أذية وكيد وبلص ولاتها.

صالح، كبير العائلة من غزة بفلسطين، ولد وترعرع فيها (1730-1790)، عمل في سلك رجال الحكومة ووصل إلى مكانة مرموقة ولقب «بالمعلم صالح»؛ وبوصفه كبير العائلة أعطى اسمه كنية لها⁽¹⁾.

سمعان بن صالح، اقتفى خطى والده فقد عمل في غزة، ثم انتقل إلى يافا ليصبح رئيساً للكتاب فيها، وهو ما سمح له بإعلاء كلمته ومكانته. غير أنه قتل عام 1825⁽²⁾. وبذلك كان مصيره كمصير حميه «حنا كبه» في اللاذقية، فقد صودرت أمواله وضبطت موجوداته⁽³⁾.

(1) لمزيد من الايضاح حول هذه المسألة، تراجع: اسعد داغر، مقدمة ديوان الياس صالح اللاذقي، ص 1؛ وسامر عوض، العلامة الياس صالح اللاذقي، العربية، مرجع سابق، ص 33.

(2) سماعيل صالح 1760-1825، ولد في غزه، استقدمه محمد أبو مرق إلى يافا ليكون رئيساً لكتّابها. وشاء القدر أن تتوفى زوجته، وأن يعقد قراناً ثانياً - بطلب من محمد ابي مرق - على «ايرين» ابنة «حنا كبه» عندما كانت مع والدتها تنزلان عنده أثناء زيارتهما للقدس؛ علماً أنه لم يكن راغباً بالزواج منها. ولمزيد من الايضاح حول هذه المسألة، تراجع: اسعد داغر، ديوان الياس صالح اللاذقي ص 2-3، وحول شخصية سماعيل، أشار صاحب كتاب «بربر آغا» أن اليهودي «حاييم فارحي»، كان يدير شؤون أيات عكا كلها في عهد الجزائر، ثم في عهد خليفة هذا الأخير سليمان باشا. وأن سماعيل هذا كان عميلاً لحاييم في ديوان «أبي نبوت» متسلم يافا بشخص امين خزانة، في الوقت الذي كان بين «أبي نبوت» و «فارحي» عداوة وبغضاء. فهل كانت هذه الحالة بين الرجلين هي السبب الذي ادى إلى قتل سماعيل؟ ولمزيد من الايضاح حول هذه المسألة، تراجع: عبد اللطيف كريم، بربر آغا، الطبعة الأولى، طرابلس 2004، ص 272 - 275. سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً: عبد اللطيف كريم، المرجع السابق، ص...

(3) حنا كبه، والد ايرين زوجة سماعيل، كان رئيس الكتاب في اللاذقية وملتمزاً أموال اللواء، حنق عليه أحمد باشا الجزائر لاستقباله في بيته باللاذقية محمد أبو مرق، عندما كان الجزائر غاضباً عليه. وعندما رفض حنا كبه ان يسلمه للجزار غضب منه وحرض عليه عدده آغا، صاحب المرقب. وانتهت مؤامرة الجزائر على حنا كبه بقتله عام 1803. اسعد داغر، مقدمة الديوان، ص 2. وقد أشار إلى هذه المسألة الياس صالح اللاذقي، في الجزء الأول من مخطوطه.

أما موسى، فعندما رأى ما حلّ بوالده، غادر بصحبة والدته وخاله إلى اللاذقية عام 1831، حيث تزوج. وكان الياس بن موسى بن سمعان صالح ثمرة من ثمار هذا الزواج، وكبير ثلاثة أخوة من أصل خمسة رزق بهم والده⁽¹⁾، الذي تركهم مع زوجته في اللاذقية وعاد إلى فلسطين، حيث توفي⁽²⁾. ولذلك، انكبت الزوجة على تربيته، واضطر الياس، كبير الأبناء، أن يعمل باتجاهين: انكبابه على العلم والمطالعة من جهة، وإلى تعلم صنعة تقيه وعائلته من الفقر وذل السؤال. وبات في سن المراهقة يعرف شيئاً من مبادئ القراءة في كل من العربية والإيطالية والفرنسية ويتقن كتابة الخط، وفي هذا المجال بلغ شأواً يقصر عنه أمهر الخطاطين. وبهذه الصنعة، دخل باحة الكسب، ليسعف أخوته ويشد من أزر أمه.

في عام 1859، أنشأ المرسلون الأميركيون مدرسة للعلوم في اللاذقية وبذلك، انفتح أمامه باب لتعلم اللغة الإنكليزية وقواعد اللغة العربية. وفي عام 1866 عيّن ترجماناً لقنصلية أميركا في اللاذقية. عندها ترك كتابة الخط وتشارك مع الياس وجبران صوايا في عمل تجاري، لكن الحظ لم يحالفه بالنجاح. وكان في أثناء ذلك، قد التزم أعشار قضائي جبله واللاذقية ولقي في هذا المجال نجاحاً، كان من جرائه تحسين أوضاعه ومستوى معيشته. وفي عام 1869، سأل المرسلون الأميركيون في اللاذقية أن ينظم لهم المزامير فأجاب طلبهم. وفي عام 1871 تزوج باحتفال عظيم⁽³⁾.

(1) بعد وصول موسى ووالدته «إيرين» وخاله جرجس كبه إلى اللاذقية، تزوج مرتين: الأولى، كانت ابنة مخايل جرجي. وقد توفيت بعد أربعين يوماً من زواجها؛ المرة الثانية كانت من «مناشه»، ابنة المقدسي الياس نعمة، رزق منها بخمسة أولاد ذكور، خطف الموت منهم اثنين؛ أما الباقيون فهم الياس موسى صالح صاحب هذا المخطوط، الذي أشرنا إلى تاريخ ولادته ووفاته؛ وسليم موسى صالح، الذي ولد بتاريخ 29 كانون الأول 1844؛ ويوسف موسى صالح، الذي ولد في 23 أيلول 1847. ولمزيد من الايضاح، يراجع صاحب هذا المخطوط في الجزء الأول.

(2) توفي موسى صالح في عام 1867. صاحب المخطوط، الجزء الأول.

(3) عقد الياس صالح اللاذقي قرانه، على «لوكنيا»، ابنة «تيودوري سبتروفيتش» اليوناني الإسمبولي في اللاذقية. وقد أتى بها من عند عدليه في بيروت نقولا الروماني. وأجرى مراسم الزواج «ملاتيسوس الدوماني» مطران اللاذقية. اسعد داغر، مقدمة الديوان، ص 5؛ وسامر عوض، العربية، مرجع سابق، ص 34.

في عام 1872، تولى إدارة قنصلية أميركا في اللاذقية إثر غياب نائب القنصل. وفي عام 1873، بدأ بكتابة مخطوطه «آثار الحقب في لاذقية العرب». وعندما أكمل نظم المزامير، سافر إلى مصر بطلب من المرسلين من أجل مقابله بالنسخة الأصلية وطباعته هناك. كان ذلك في أيلول 1874 وبقي في مصر إلى حزيران 1875. وإثر عودته إلى اللاذقية استقال في شهر تموز من الترجمة لقنصلية أميركا، ودخل في خدمة الحكم العثماني. وفي هذا المجال انتخب عضواً للمحكمة الابتدائية. وأثناء ممارسته لهذه المهمة بات متمكناً من اللغة التركية بعد أن كان قد أَلَمَّ بها وتعلم قواعدها، وراح يعرّب تأليفها كالدستور العثماني وقوانين السلطنة العلية⁽¹⁾. وظل انتخابه لهذه المهمة يتجدد إلى نهاية حياته. وخلال المدة 1875 - 1878، كتب مذكراته اليومية. أصيب بداء أعياء وعجز الأطباء عن مداواته وشفائه فتوفي في صباح الثلاثاء الواقع فيه 15 أيلول 1885، عن صبي وأربع بنات؛ وشيّع إلى مثواه الأخير بمأتم مهيب، حضره جمع غفير، كتبت عنه الصحف⁽²⁾؛ ورثاه عدد كبير من الشعراء.

(1) لويس شيخو اليسوعي، الآداب العربية في القرن التاسع عشر، مرجع سابق، ص 119.

(2) قال اسعد داغر في وصف الجنازة: «عصر ذلك اليوم سير بجنازته وحولها السواد الأعظم من مأموري الحكومة ووكلاء القناصل وسراة البلدة؛ وعلى وجوههم شارة الكدر واللهف وعلى رؤوسهم طائر الحزن والاسف حتى جيء به إلى كنيسة المار سابا. وهناك، بعد أن صلي عليه، وقف لتأبينه الدكتور سليم جريديني واسعد داغر وسامي أفندي كومين». ومما قالته جريدة الأهرام في نعيه: «نعت إلينا أخبار اللاذقية وفاة المرحوم الياس صالح، احد أعيانها وخيرة ابنائها، احد أعضاء محكمتها وريس جمعية الروم الارثوذكس الخيرية... وكان رحمه الله كاتباً لبيباً وشاعراً متفنناً وعارفاً باللغة التركية وملماً باللغتين الفرنسية والإنكليزية، وتمكناً من الأصول النظامية وقوانين الدولة العلية وله مؤلفات عديدة...» ومما قالته جريدة المحروسة: «نعت إلينا أخبار اللاذقية وفاة الأديب البارع والنحرير الكاتب، المرحوم الياس صالح وهو بالغ من العمر 46 عاماً، قضاها بين التحرير والتخبير، وكان رحمه الله من عيون اعيانها، فهو أحد رؤساء مجالسها واحد أعضاء الجمعية الخيرية...» اسعد داغر، مقدمة الديوان، مرجع سابق، ص 6 و12-13.

من أمثال: أسعد أفندي داغر، حنا أفندي نقاش، سامي كومين، الياس أفندي نوفل، ابراهيم أفندي رزوق واسحق أفندي شيبوب⁽¹⁾. وبالإضافة إلى المخطوط المشار إليه، فقد ترك لنا مجموعة كبيرة من القصائد جمعها ونسقها وطبعها ابنه رفيق بمناسبة مرور ربع قرن على وفاته كما أشرنا عام 1910⁽²⁾. أما أعماله غير المنشورة، فلم يبق منها أي أثر⁽³⁾. وأخيراً، إنَّ أفضل ما نختم به سيرة هذا المؤرخ، الباحث والشاعر الرقيق، الياس صالح اللاذقي بما قاله في مدحه صاحباً كتاب ولاية بيروت: «يجب على اللاذقيين عامة والمسيحيين خاصة، أن لا ينسوا اسمه، لأنه استطاع تحريك الإحساسات التي تخفق لها قلوبهم وتقريها. واقتدر على نقل حالتهم الروحية وتثبيتها»⁽⁴⁾.

آثار الحقب في لادقية العرب - مخطوط وكتاب

نتناول تحت هذا العنوان - من حيث الشكل - مسألتين أساسيتين:

أ - آثار الحقب في لادقية العرب بحلّة المخطوط، قد أبصر النور في عام 1881، ليعود بعدها إلى الظل، بحيث تقتصر رؤيته والاطلاع عليه على الخاصة من الناس دون سواهم، بانتظار خروجه إلى النور خروجاً دائماً، شأنه في ذلك، شأن كل المخطوطات العربية في ذلك الزمن. وهو يتألف كما أشرنا من جزئين.

-
- (1) للاطلاع على قصائد هؤلاء الشعراء الذين رثوه، يراجع: ديوان الياس صالح اللاذقي، مرجع سابق، ص 13 - 33.
 - (2) أشار سامر عوض في «العربية»، ان طبع الديوان كان في عام 1900، وأنه يقع في 164 صفحة؛ وان توقفه عن الكتابة في تاريخه «آثار الحقب في لادقية» قد يكون في العام 1883. أما الحقيقة فهي أن الديوان قد طبع عام 1910 في المطبعة الوطنية باللاذقية، وأنه يقع في 168 صفحة، تضم بالإضافة إلى أبوابه السبعة: ترجمة صاحب الديوان، مراثي الأدباء لصاحب الديوان، بيان بأهم الأغلاط المطبعية. أما توقفه عن الكتابة في كتابة تاريخ اللاذقية فهو في العام 1881. وللمقارنة بين ما أشار إليه سامر عوض وما أشرنا إليه من تصحيح، تراجع: العربية، ص 34 والديوان ولا سيما صفحة الفهرس والصفحة الأخيرة من آثار الحقب في لادقية العرب، حيث يبدو توقفه واضحاً عام 1881.
 - (3) سامر عوض، العربية، مرجع سابق، ص 37-38.
 - (4) رفيق التميمي ومحمد بهجت، ولاية بيروت، دار لحد خاطر، بيروت 1679، الجزء الثاني، ص 298.

1 - الجزء الأول منه، يبدأ بصفحة غلاف خطّ عليها: أثار الحقب في لاذقية العرب، تأليف الفقير الياس صالح عفي عنه، الجزء الأول، يليها فهرس موضوعات، فمقدمة قصيرة تفي بالغرض الذي أراده من هذا الكتاب. ويقسم هذا الجزء من المخطوط إلى قسمين: القسم الأول جغرافي، بعنوان: في جغرافية اللاذقية ووضعتها الحالي (1873 عندما بدأ بكتابة هذا التاريخ). وقد اعتمد المؤلف في كتابة هذا القسم نظام الفصل، فقسمه إلى أربعة عشر فصلاً. تناول في خمس منها جغرافية مدينة اللاذقية. أما في الباقي من هذه الفصول، فقد تناول جغرافية لواء اللاذقية. وأقل ما يقال في هذه الفصول بأنها غير متوازنة. أما القسم الثاني من هذا الجزء، فهو تاريخي، بعنوان: في تاريخ اللاذقية. يتخلّى في هذا القسم عن نظام الفصل، ليعتمد نظام المحطات المهمة - حسب رأيه - في تاريخها، بدءاً من مرحلة ما قبل التاريخ، حتى عام 1831، عندما قام محمد علي باشا والي مصر (1769-1849)، بحملته العسكرية المعروفة ضد السلطنة العثمانية واحتل اللاذقية عام 1832. وهنا لا بد من الإشارة، إلى أن الياس صالح اللاذقي، قد صاغ لهذا القسم عن تاريخ اللاذقية تسعة وأربعين عنواناً أشار إليها في الفهرس الذي وضعه لهذا الجزء، أما في المتن فقد ترك أمرها ليشير في المتن إلى أفكارها فقط.

2 - الجزء الثاني منه، يبدأ بصفحة غلاف خطّ عليها: الجزء الثاني من كتاب أثار الحقب في لاذقية العرب، تأليف الياس صالح اللاذقي عفي عنه. أي بإضافة «اللاذقي» إلى اسمه. ويلي صفحة الغلاف فهرس يتضمن 109 عناوين بدون أن يشير إلى هذه العناوين في متن المخطوط. بمعنى أنه أكمل صياغة هذا الجزء بنفس الطريقة التي كتب بها القسم الثاني من الجزء الأول. ومن الجدير بالذكر هنا، أن نشير إلى مسألتين: الأولى، وهي أن هذا الجزء تاريخي، يستكمل به تاريخ اللاذقية بالكتابة عن تاريخ لواء اللاذقية من عام 1831-1881؛ الثانية، وهي أنه اعتمد النظام الحولي في التأريخ، مشيراً إلى السنين على هامش صفحات المخطوط.

ب - أثار الحقب في لاذقية العرب بحلّة كتاب، وحول هذا الشكل الذي أصبح عليه

المؤلف، لا بد من القول بأن المخطوط الذي كان يتألف من جزئين، قد بات بعد طباعته كتاباً واحداً موحداً. وبات أمراً طبعياً أن يكتب عنوانه مرة واحدة «أثار الحقب في لاذقية العرب»، وأن يكتب اسم مؤلفه مرة واحدة أيضاً وهو «الياس صالح اللاذقي»، الاسم المحبب لديه.

غاية ومراجع ومنهج آثار الحقب في لاذقية العرب

لقد حدد المؤلف بنفسه الغاية والهدف الذي أرادته من كتابة مؤلفه، بأنه من أجل أن يكون لهذه المدينة تاريخ مكتوب ومجموع في كتاب واحد، يتناول أخبارها منذ القديم إلى اليوم الذي كتب فيه هذا التاريخ، من أجل أن يستغني أبناء الوطن عن كثرة المراجعات ومشقة البحث والتفتيش. وبذلك، فهو يساهم في توحيد رؤية أبناء وطنه حول ماضيهم وحاضرهم لتتوحد رؤيتهم وتوجهاتهم نحو المستقبل.

أما بالنسبة للمصادر التي اعتمد عليها في كتابة هذا التاريخ، فهي من ثلاثة مصادر:

1 - من القليل الذي وجدته عرضاً هنا وهناك في بطون الكتب عن اللاذقية، ولا سيما تاريخها القديم، لأنه لم يعثر على مصنف خاص بها.

2 - مما رواه له أبناء جيله الحاضر، الذين شهدوا الوقائع أو نقلوها عن شهدوها.

3 - مما جد في أيام عصره من أخبار، ومما رآه وعاصره من أحداث. معتمداً في ذلك على سمعه وبصره.

وبالنسبة لمنهجه في الكتابة، فيمكن القول بأنه استند في تقديم معارفه ومعلوماته على عدد من القواعد:

الأولى، توجه بها إلى المؤرخ نفسه. فقد أوجب عليه «الابتداء بالأخص لينتقل منه إلى الأعم».

الثانية، تقوم على ربط المكان بالزمان وبالإنسان.

الثالثة، توجه بها إلى مواطنه العادي، فأوجب عليه «أن يعرف تاريخ مدينته ووطنه، قبل أن يعرف تاريخ المدن والأوطان الأخرى».

وعلى أساس هذه القواعد، بدأ بالكتابة عن مدينة اللاذقية أولاً، بوصفه من مواليدها وأحد أبنائها الميامين، ليتوسع بعدها باتجاه لواء اللاذقية. وعزا هذا التوجه في الكتابة إلى سببين: الأول، وهو أن المدينة واللواء مرتبطان ببعضهما البعض منذ القديم. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فهما مرتبطان بمحيطهما في طرابلس وصيدا وعكا وبيروت ودمشق وحلب. الثاني، وهو أنه لم يخطر بباله يوماً، أن يرى اللاذقية منفصلة عن اللواء، منطقتها الحيوية، أو أن تكون هذه الأخيرة مرتبطة بمركز آخر غير اللاذقية.

ولذلك، فعندما حصل الفصل بين اللاذقية ولوائها، اعتبر أن من قاموا بهذا الإجراء، لا يتمتعون بالرأي السديد. لأنه مخالف لطبيعة الأشياء، ويعملون على تحويل الأحوال عن مجاريها الطبيعية.

اللاذقية في منهج الياس صالح اللاذقي موقع من مواطن الإنسان القديم، لجأ إليها واختبأ في مغاورها المحفورة في الصخر جنباً إلى جنب مع الحيوان. وما اكتشف فيها من آثار أثناء عملية الحفر في عام 1849^(*)، يدل على أن عملية الاستقرار هذه، قد ساعدت الإنسان القديم أن يخطو في العصر الحجري خطوة هامة على طريق التقدم والرقى. وبذلك، فهي تتماثل مع مواقع أوروبية ترقى إلى تلك الحقبة، ولا سيما في فرنسا وإسبانيا، حيث عثر على تماثيل ترمز إلى الأمومة والخصب وتجدد الحياة ورسوم نافرة على جدران المغاور بعضها على شكل رؤوس بقر وبعضها على شكل رؤوس بشر، ترمز إلى السحر والشعبة⁽¹⁾.

(*) أثناء عملية حفر جرت في اللاذقية عام 1849، في بستان «مار تقيلا» في الشمال الغربي من المدينة، عثر على مغارة محفورة في الصخر، طولها ثمانية أذرع وعرضها خمسة أذرع. على حيطانها الأربعة صور نافرة، بعضها على شكل رؤوس بقر، وبعضها على شكل رؤوس بشر وغير ذلك؛ وفي إحدى زواياها سرج كثيرة من الخزف. كما عثر على انتيكات مختلفة، منها ما عليه صورة امرأة عريانة جالسة على صخر. وهذا هو رمز اللاذقية في الزمن القديم. هذا ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي.

(1) من المغاور التي سكن فيها الإنسان في مرحلة ما قبل التاريخ، واكتشفت فيها آثار مماثلة لتلك التي اكتشفت في اللاذقية، نذكر: مغارة «دوردوني» (Dordogne)، ولاسكو (Lascaux) في جنوب غربي فرنسا؛ ومغارة «التاميرا» (Altamira) في إسبانيا؛ ومغارة «جرجس» (Gargas) في اعالي جبال «البيرينيه» (Pyrénées)؛ ومغارة «مونتسبان» (Montespan) في اعالي نهر «الغارون» (Garonne). ولمزيد من الايضاح حول هذه المغاور وما وجد فيها يراجع:

René Huzghé, *l'Art et l'Homme*, Paris 1957, pp. 21., 23, 27.

Michél de Barilleau et François Giboulet, *Histoire de la peinture*, Paris 1998, p. 5.

وهكذا يتسلسل تاريخ اللاذقية، في مؤلف «آثار الحقب في لاذقية العرب»؛ فهي في التاريخ القديم جزء من فينيقية، الممتدة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط من «جبل الأقرع» في سوريا شمالاً، إلى جبل الكرمل في فلسطين جنوباً⁽¹⁾. وفي أيام الفرس، هي جزء من الامبراطورية الفارسية، التي امتدت من السند في آسيا شرقاً، إلى غرب قبرص وسراديس في آسيا الصغرى غرباً⁽²⁾. بدليل أن أحد جبال مقاطعة «بيت الشلف»، في لواء اللاذقية يدعى «جبل دريوس» (Mont Darios)⁽³⁾. وفي عهد الاسكندر الكبير، امبراطور اليونان (336 - 331) ق. م، كانت جزءاً من الامبراطورية اليونانية، الممتدة: من مقدونيا في أوروبا غرباً، إلى السند في آسيا شرقاً وإلى مصر في افريقيا جنوباً⁽⁴⁾. وفي عهد السلوقيين، خلفاء الاسكندر، كانت اللاذقية جزءاً من حصتهم التي ورثوها عنه، وكانت مدمرة بفعل الزلازل، وأعاد سلوقس (Seleucus) بناءها، وسماها «لادوكية» باسم أمه وقد عرّب العرب هذا الاسم «اللاذقية». ومن الجدير بالذكر هنا، أن المنطقة التي بنيت عليها مدن: اللاذقية، وسلوقية، انطاكية وأفاميا⁽⁵⁾،

(1) تراجع خريطة رقم 1، حيث يبدو رأس اللاذقية جنوب اوغاريت.

(2) تراجع خريطة رقم 2، حيث يبدو رأس اللاذقية قبالة شرق قبرص مقاطعة رقم 5.

(3) دريوس الكبير أو دريوس الأول، امبراطور الفرس 486-522 ق. م.

le Petit Robert des noms propres, paris 2000, p. 595.

le Petit Larousse illustré, Paris 2008, p. 1267.

(4) تراجع خريطة رقم 3، حيث تبدو حملة الاسكندر مارة في منطقة اللاذقية وهي في طريقها إلى مصر.

(5) قبل أن يبنيتها سلوقس، كان اسمها «راميتا» أي المرتفعة، وكانت خربة بسبب الزلازل التي كانت تضربها باستمرار. وعندما أعاد بناءها، غير اسمها إلى «لادوكية» اسم امه. علماً أنه قد بنى أكثر من لاذقية نذكر منها: لاذقية فيرجيا، لاذقية بسيدا ولاذقية لبنان. وكانت هذه الأخيرة، بين حمص وبلعبك. وغير أن «لاذقية على البحر»، كانت اعظمهن. وبالإضافة إلى هذه اللاذقيات التي بناها، فقد بنى مدن: سلوقية باسمه، وهي قريبة من موقع السويدية الآن؛ وانطاكية العظمى باسم ابيه «انطيوخوس»؛ وافامية على نهر العاصي باسم امرأته. هذا ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي. أما وليم، رئيس اساقفة صور في عهد عموري ملك القدس خلال الحروب الصليبية، فقد أشار إلى أن انطيوخوس بن سلوقس، هو الذي بنى اللاذقية، وافامية. كما انه أشار إلى لاذقية أخرى تعدّ بين المدن السبع لآسيا الصغرى وهي: سميرنا، وبرغامس، وتياتير، وسرادس، ولادوكية، وفيلادلفيا وافسس. وليم رئيس اساقفة صور 1130-1185، تاريخ الحروب الصليبية، الجزء الثالث، نقله إلى العربية وقدم له سهيل زكار، دار الفكر ودار نوبليس، الطبعة الأولى 1990، ص 507. سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً، تاريخ الحروب الصليبية، الجزء...

كانت في عهد السلوقيين إقليماً مميزاً، سمي تترابوليس، ومعناها المدن الأربع. وفي عهد الرومان، الذين استولوا على سوريا بعد السلوقيين عام 64 ق.م، دخلت اللاذقية تحت سلطتهم وباتت تابعة لروما. وفي هذا العهد، راحت تناظر انطاكية وتسمت باسم «سبتيما السيفيرية» نسبة إلى «سبتيμος سيفيروس» وأعطى اللاذقية الحقوق التي كانت للمدن الرومانية. وفي عهد الرومان شهدت ظهور المسيحية منذ البداية الأولى وقد آمن بها أهلها وقدموا في سبيل إيمانهم شهداء كثيرين؛ وشارك أساقفة من اللاذقية وجبله في المجمع المسكونية السبعة⁽¹⁾. كما أنها عاشت حالة الجدل والصراع الذي نشب بين أنصار الطبيعة الواحدة وأنصار الطبيعتين للسيد المسيح، وعندما خرج العرب المسلمون من الجزيرة العربية لنشر الدين الإسلامي وتوسيع رقعة دولتهم، استخلصوها من أيدي الروم البيزنطيين عام 637 وأسموها «لاذقية العرب».

وعندما زحفت أوروبا في الحملات التي اصطلح على تسميتها «الحملات الصليبية»

مكتبة التاريخ العثماني

(1) المجمع المسكونية السبعة هي: مجمع نيقية الأول سنة 325 م، ومجمع القسطنطينية الأول سنة 381 م، ومجمع

افسس سنة 431 م، مجمع خلقيدونية سنة 451 م، ومجمع القسطنطينية الثاني سنة 553 م، مجمع القسطنطينية الثالث

سنة 680-681 م، ومجمع نيقية الثاني سنة 787 م. ولمزيد من الايضاح حول هذه المجمع المسكونية والاحبار الذين

حضرها والمقررات الكنسية التي اتخذوها، يراجع حنانا الياس كساب، مجموعة الشرع الكنسي، منشورات دار

النور، بيروت لبنان 1998 صفحات كثيرة نذكر منها الصفحات المفصلة 40، 241، 288، 364، 446، 486، 761.

(les Croisades) قاصدة الاستيلاء على سوريا والأماكن المقدسة، جرى استخلاصها من أيدي حكامها البيزنطيين، وتم الاستيلاء عليها في عام 1103 م⁽¹⁾.

وفي أيام المماليك، باتت جزءاً من سلطنتهم في عام 1287. وعندما استولى السلطان سليم العثماني على سوريا ومصر عامي 1516 و1517، صارت اللاذقية تحت سلطة السلطنة العثمانية كباقي المدن السورية. إننا إذ نشير إلى بعض تفاصيل هذا السياق التاريخي، فمن أجل التأكيد، على أن الياس صالح اللاذقي، قد عمل على الربط دائماً، بين التاريخ والجغرافيا والإنسان بما هو سلطة تفرض إرادتها ورغبتها. فاللاذقية كانت عنده دوماً جزءاً من الامبراطوريات الكبرى، التي تأسست على حوض البحر المتوسط؛ وبالتالي، فقد اعتبر تاريخها جزءاً لا يتجزأ من تاريخ هذه الامبراطوريات.

مضمون آثار الحقب في لاذقية العرب

يتضمن هذا الكتاب معلومات ومعارف لا حصر لها ولا عدّ. وهي تقسم إلى قسمين كبيرين: معارف جغرافية ومعارف تاريخية. هذه المعارف هي كل موحد لا يتجزأ. فبعضها يتعلق بواقع الأمور التي كان المؤلف يعيش فيها، وبعضها الآخر يساعد على فهم هذا الواقع. أما تقسيم هذه المعارف على هذا الشكل، فهو من أجل دراسة هذا الكتاب والتعرف إلى مضمون مادته.

أ - المعارف الجغرافية كثيرة جداً. ويمكن القول، بأنه لم يترك فرعاً من فروع الجغرافيا إلّا خاض فيه. وهذه المعارف هي الأخرى تقسم إلى قسمين: معارف جغرافية عن مدينة اللاذقية، وأخرى عن لواء اللاذقية.

1 - المعارف الجغرافية عن مدينة اللاذقية، وما دام هناك أكثر من لاذقية، فقد أراد

(1) تاريخ الحروب الصليبية، مرجع سابق، الجزء الثالث، ص 507 حاشية رقم 1؛ و

لمواطنه أن يعرف أن موقعه على الأرض، هو في «لاذقية العرب»؛ وحدد له موقعها بدقة، فهي على ريف البحر المتوسط في إقليم سوريا؛ كما حدد له بدقة أيضاً الدائرة الفلكية التي يدور في نطاقها⁽¹⁾.

ولما كانت اللاذقية مركز لواء وأكبر مدنه، فقد أراد لمواطنه أن يعرف عنها عدداً من المعارف الجغرافية، ليكون عارفاً وملماً - على الأقل - بالمكان الذي يقيم فيه ومن أهم هذه المعارف:

الأولى، وهي أن المدينة، كانت تتألف من قسمين منفصلين عن اسكلتها، شأنها في ذلك، شأن كل مدن الساحل الشرقي للبحر المتوسط. فالأسكلة هنا «متراس» (rempart) المدينة المتقدم عنها مسافة ليست بالقليلة، تسمح لسكانها - في ذلك الوقت - أن يخرجوا منها ويستعدوا للدفاع عن أنفسهم ومدينتهم في وجه الأعداء المهاجمين والطامعين. علماً، أن المماليك، كانوا في عهد سيطرتهم على هذا الساحل، قد لجأوا «إلى ردم الموانئ لمنع سفن الأعداء من دخولها»⁽²⁾. خاصة بعد أن هزموا الصليبيين وأجبروهم على الرحيل عن هذا الشاطئ.

الثانية، أراد لمواطنه أن يعرف شيئاً عن التجمع البشري الذي يعيش فيه؛ هذا التجمع هو عبارة عن مجموعات بشرية متعددة الأديان والطوائف والمذاهب والأجناس؛ وإن عدد

(1) حدد صاحب آثار الحقب في لاذقية العرب موقع اللاذقية على خطوط الطول وخطوط العرض، بإشارته إلى أنها تقع في الدرجة 35 والدقيقة 25 من العرض الشمالي؛ وعلى الدرجة 33 والدقيقة 42 من الطول الشرقي. غير أن مصادر السلطنة العثمانية، أشارت إلى أن قصبة اللاذقية تقع على الدرجة 35 والدقيقة 30 من العرض الشمالي؛ وفي الدرجة 35 والدقيقة 45 من خط الطول الشرقي. ولمزيد من الإيضاح حول هذه المسألة، تراجع: سالنامه ولاية بيروت لعام 1318هـ دفعة أولى، ص 252، عربها عن التركية العثمانية المهندس حسين محمد، من بلدة الكواشرة؛ وسكان هذه القرية من التركمان وما زالوا حتى اليوم يعرفون اللغة التركية العثمانية قراءة وكتابة ويعلمونها لابنائهم جيلاً بعد جيل من أجل الحفاظ على تراثهم.

(2) فيليب حتي، لبنان في التاريخ، تعريب انيس فريحة ومراجعة نقولا زيادة، بيروت - نيويورك 1959، ص 359.

أنفس هذا التجمع، حسب الإحصاء الرسمي لعام 1866، هو 11200 نسمة؛ وعلى الصعيد الديني فهم مسلمون ومسيحيون؛ أما اليهود فقد انقرضوا من هذه المدينة - لسبب أو لآخر - في أواخر القرن الثامن عشر. وعلى الصعيد الطائفي، فالمسلمون هم السنة، أما المسيحيون فهم من الروم الارثوذكس والموارنة والبروتستانت؛ وعلى صعيد الأعراق، فهم من العرب والأرمن، وهؤلاء بدأوا بالوفود إليها في القرن الثامن عشر؛ هذا بالإضافة إلى عدد قليل من اللاتين. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن السلطنة العثمانية كانت تعتبر أن المسلمين هم السنة، وأن المسيحيين هم الارثوذكس؛ وأن ما عدا هؤلاء أمسلمين كانوا أم مسيحيين فهم من أهل البدع⁽¹⁾.

الثالثة من هذه المعارف، التي أراد لمواطنه أن يعرفها، فهي تتعلق بالهيئة الاجتماعية العمومية في اللاذقية. فهي على حد تعبيره «كباقي مدن سوريا أو بالحري البلاد العثمانية، على غير ما يُحب ويرتضي. وعلة ذلك اختلاف المذاهب الحاجز للائتلاف فيما بين المسلمين والنصارى». إنَّ هذا الوضع - في ظل التماسك الاجتماعي الهش وحالة الجهل المتفشية - يؤدي برأيه إلى نتيجتين مضرتين بالجميع:

1 - زيادة التباعد وعدم الاختلاط وحرمانهما من منافع مشتركة من جهة، وتضييع حقوقهما من جهة ثانية.

2 - إنَّ هذا الوضع يَمَكِّن الباغين من الحكام أن ينفذوا مآربهم فيهم جميعاً.

وليكون مواطنه على بينة من الوضع الاجتماعي في اللاذقية، تحدث عن كل فئة من فئات مجتمعهما. والفئة هنا فئة دينية، وعلى الأصح - إذا استثنينا حديثه عن النصارى - فهي فئة طائفية تحتوي في داخلها مستويات اجتماعية متعددة. ومن أهم ما أشار إليه عن كل فئة من هذه الفئات:

فحول هيئة المسلمين الاجتماعية في اللاذقية وعوائدهم، أشار إلى الأعمال التي

(1) حول النظرة العثمانية إلى الطوائف الإسلامية والمسيحية، يراجع: رفيق التميمي ومحمد بهجت، ولاية بيروت، دار

لحد خاطر، بيروت 1979، القسم الجنوبي، ص 9-15.

يقومون بها، وإلى حالتهم العلمية المتأخرة بالنسبة للنصارى وإلى حالتهم المعشرية المتأخرة أيضاً، وإلى قلة ميلهم لرفاهية المعيشة والطرب والانشراح، وإلى طريقة تمضية أوقات فراغهم، وإلى طريقة تناول طعامهم، وإلى عدم ميلهم إلى الإكثار من أصناف الطعام. خلال الوجبة الواحدة، وإلى عدم تعيّرهم بالعمل مهما كان هذا العمل وضيعاً، وإلى تعاطي الكثيرين منهم المسكرات ومبالغة البعض منهم بالشراب إذا شربوا، وإلى ملابسهم التي يرتديها: العامة والعلماء، والمشايخ والأفندية، والآغاوات وغيرهم، وإلى النساء وطريقة حياتهن، وإلى وصف أعراسهم ومعالجة مرضاهم الموكولة عادة للطبيعة، وإلى حزنهم وسهولة عزائهم بعد دفن الميت.

وحول هيئة النصارى الاجتماعية في اللاذقية وعوائدهم قال: «لقد كان النصارى في الجيل الماضي في هيئتهم الاجتماعية وملابسهم وسائر عوائدهم لا يفترقون عن المسلمين». غير أنهم في أوائل هذا الجيل، «ابتدأوا بتغيير بعض تلك العوائد متنقلين شيئاً فشيئاً، حتى انتهوا إلى ما هم عليه الآن». (أي في عام^(*) 1873). وأشار إلى الوظائف والصنائع التي يقومون بها، وإلى حالتهم العلمية المتقدمة، وإلى معشرهم وميلهم الطبيعي للهو والطرب، وإلى اقتباسهم عوائد الافرنج في تناول طعامهم، وإلى ترفعهم عن تعاطي أي نوع من الأعمال الحظيطة، وإلى ملابس رجالهم الذين اعتمدوا فيها الزي المصري فالافرنجي، وإلى حياة نسائهم التي كانت في السابق كحياة النساء المسلمات إلى أن راحت تتطور مع كثرة الاحتكاك بعائلات الافرنج التي وفدت إلى المدينة واستوطنت فيها، وإلى تبادل الزيارات وتمضية أوقات الفراغ واللهو، وإلى حسنات ومساوئ الاختلاط بين النساء والرجال، وإلى اقتناعه بأهمية تعليم النساء وإلى ملابسهن التي باتت كملابس النساء الافرنجيات، وإلى العوائد في خطوبة وأعراس وزواج النصارى، وإلى عاداتهم في المرض والموت والحزن والحداد.

ورابعة هذه المعارف التي أراد لمواطنه أن يعرفها، عن مدينة اللاذقية، فهي دينية

(*) عام 1873، هو العام الذي شرع فيه الياس صالح اللاذقي بكتابة آثار الحقب في لاذقية العرب.

وسياسية في آن معاً. وفي هذا المجال، أعلمه أن مركز كرسي مطران الروم الأرثوذكس، تابع للبطريرك الانطاكي. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يوجد فيها لكل من دول: انكلترا، وفرنسا، وروسيا، والمانيا، وأميركا، والنمسا، واسبانيا، وإيطاليا، وهولاندا، والدانمارك، واليونان وإيران، «نائب قنصل» (Vice consul). وأشار إلى أن جميع هؤلاء وطنيون أو متوطنون في اللاذقية، وليس لأي منهم معاش من الدولة المنسوب من قبلها. إنما يتخذ كل منهم الوظيفة، للحصول على الشرف والاعتبار الذي توفره له هذه الوظيفة من جهة ولحماية نفسه وأشغاله وأملاكه من جهة أخرى. لكن ما فاتته قوله، هو أن مصالح هؤلاء، كانت في أكثر الأحيان تتطابق كلياً مع مصالح هذه الدول التي كانوا يمثلونها.

2 - المعارف الجغرافية عن لواء اللاذقية، في هذا المجال، يمكن أن تصنف المعارف الكثيرة، التي ساقها لمواطنه على صعد عدة.

أ - على الصعيد الاجتماعي، أشار إلى أن سكان اللواء، هم من النصيرية والإسماعلية، من المسلمين والمسيحيين. وقدم له «لائحة ديموغرافية» (Bordereau démographique)، بيّن له فيها أعداد كل طائفة، وتوزع كل منها على المقاطعات، مستنداً في ذلك، إلى الإحصاء الرسمي، الذي جرى لأول مرة في اللواء عام 1866. كما أعطاه لوحة عن مواصفات كل منها، مبتدئاً بالنصيرية بوصفهم الطائفة الأكثر عدداً وانتشاراً في اللواء. ومن أهم ما أشار إليه عن كل طائفة من هذه الطوائف:

بالنسبة للنصيرية، أشار إلى حالتهم التي يرثى لها، وإلى جهلهم وتأخرهم وقلّة من يعرف القراءة والكتابة بينهم، وإلى خشونتهم، وإلى عدد من صفاتهم غير الحميدة، وإلى عشائريهم وانقلابها على بعضها البعض، وإلى تمردهم على الحكومة وتخلفهم عن أداء الأموال المطلوبة منهم، وإلى تخلفهم عن أداء الخدمة العسكرية، وإلى غزوهم قرى الساحل والإخلال بالأمن والسلامة العامة، وإلى قيام السلطنة والحكومات المحلية بسوق الحملات العسكرية عليهم. وأشار إلى تركيب العشيرة عندهم؛ وفي هذا المجال توقف مطولاً عند هذه المسألة مشيراً إلى أن كل واحدة منها تتألف من ثلاث طبقات:

الأولى، طبقة المشايخ خدمة الدين. فهؤلاء يتفاوتون فيما بينهم في الغنى والعلم والنسب، ويتميزون عن غيرهم باعتماد العمام البيضاء التي يسمونها شاشاً. ويوجد في هذه الطبقة ثلاث رتب: الإمام، والنقيب والنقيب العامة من هذه الطبقة تطيع كل هؤلاء طاعة عمياء، ويقبلون كل ما يرسمونه من الطقوس، معتقدين بأنهم معصومون من الغلط وقادرون على منع الضرر عنهم، كمنع سريان الأمراض في جميع الناس والحيوانات مهما كانت، كما أنهم قادرون على إلحاق الضرر بهم. الدواء عندهم الأحراز والرقى، وهم يعيشون غالباً في هذه الشعبة، ومن الأوقاف النذور والزكاة وغير ذلك. ولا يتجاسر أحد من العامة أن يغيظ شيخاً منهم، لأنه إذا ألقى عليه الحرم يسمي بأسوأ حال، إذ لا يعود أحد من النصيرية يقترب منه أو يخاطبه أو يكلمه فيضطر إلى إرضاء الشيخ بما عزَّ وهان ليحله من رباط الحرم.

الثانية، طبقة المقدمين، وهؤلاء هم أصحاب الأرض والنفوذ. وهم أيضاً على تفاوت في الغنى والجاه والنسب.

الثالثة، طبقة الفلاحين، وهم من العامة المساكين. ويحسبون بالنسبة إلى أرباب الطبقتين الأوليين كالعبيد. إذ ليس لهم ملك ولا تقدم في طائفتهم. وعليهم الأتعاب والخدمة ومنهم أيضاً الأنفار العسكرية. وأشار إلى أنه لا يوجد فرق كبير بين المقدمين منهم والرعاة من حيث السكن والمأكل إلا نادراً. غير أن المقدمين هم أحسن لباساً، فإنهم يلبسون غالباً طرابيش بشرابات طويلة ولبادات ويتعممون بجملة عصابات أو بزناز حريز، ويلبسون سراويل أبيض أو من الجوخ أحياناً وزنازاً عريضاً ويشكون أسلحة في مناطقهم.

وتحدث عن وضع المرأة وقدرها عند هذه الطائفة، وعن قيامها بعمل المرأة في البيت وعمل الرجل في الأرض ولا سيما في الزراعة وخاصة زراعة التبغ. وأشار إلى بيوتهم الشبيهة بالأكواخ، وإلى طريقة ومستوى معيشتهم، وإلى الأعمال التي يقومون بها، كندف القطن وغزله وحيآكته، وإلى تعاطي صنعة السكافة. وأشار إلى دينهم على أنه فرع من الطائفة الباطنية؛ فمنهم من يعبد بعض الأجرام السماوية على أنها ظهورات للإمام علي بن أبي طالب، الذي ينتحلون فيه الألوهية؛ كما توقف عند طقوسهم الدينية، فأشار

إلى امتزاجها من طقوس النصارى والمسلمين واليهود والصابئين؛ وأنهم ينتسبون إلى اربع فرق: الكلازية، والشمالية، وعبد الشفق ويدعون مواخسة، وعبد الهواء ويقال لهم غيبية؛ كما أنهم يعتقدون بتناسخ الأرواح. وأشار إلى أعيادهم بأنها كثيرة وبأنها أعياد للمسلمين وللمسيحيين والوثنيين، وبذلك، فهي مزيج من طقوس كل الديانات التي عرفتها البشرية عبر التاريخ. كما أشار إلى أن من قواعد دينهم المحافظة على كتمانهم وعدم إباحته حتى لو أصبحوا في أعظم الخطر حتى الموت؛ وإلى عدم تسليمه إلى أي أحد من أولادهم ما لم يبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً أو عشرين؛ وإذا بلغ هذه السن وعولوا على تسليمه أسرهم الباطنية، يجتمع جمهرة منهم مؤلفة من عامة الناس وخاصتهم، ويجري ذلك وفق مراسم وطقوس؛ ويقتل من يبوح بسر الدين بعد أن يتسلمه؛ وأشار إلى أنهم يكتمون ديانتهم عن النساء لأسباب ليست خافية على أحد. كما توقف عند وضع المرأة في هذه البيئة الدينية، وإلى عاداتهم في الزواج، وإلى تعدد الزوجات وتبادل النساء، وإلى الاحتفال بأعراسهم؛ وإلى عاداتهم في الحزن وإلى مزاراتهم الكثيرة.

- وبالنسبة للإسماعيليين، فقد أراد لمواطنه، أن يعرف أنهم من بقايا الطائفة المشهورة، التي كانت منتشرة في بلاد الشام، وكان في يدها أشهر المعقل والحصون؛ وإنهم فرع من الطائفة الباطنية؛ التي تعتقد بشيء من ألوهية الإمام علي بن أبي طالب؛ وإن من جملة عقائدهم «عبادة الفرج»؛ وإنهم في الليلة الأولى من كل سنة يكون عندهم «عيد البقيشة»؛ وتجري من أجل هذا العيد مراسم خاصة⁽¹⁾.
- وبالنسبة للنصارى المنتشرين في لواء اللاذقية، أراد لمواطنه أن يعرف عنهم أمرين: الأول، أنهم قليلوا العدد، ومتفرقين بين النصيرية والمسلمين. ولذلك، ليس لهم عوائد مستقلة خاصة بهم. فمن هم بين النصيرية تتشابه عوائده بعوائدهم، ومن هم بين المسلمين تتشابه عوائدهم في الغالب منها بعوائد المسلمين. أما الأمر الثاني فهو أنه،

(1) لمزيد من الايضاح حول النصيرية والاسماعيلية والأفكار الأخرى التي طرحت، يراجع: رفيق التيمي ومحمد بهجت،

ولاية بيروت، مرجع سابق، القسم الشمالي، ص 78 - 100.

لكي يتمكن النصارى القليلون القاطنون بينهم أن يعيشوا غالباً بأمن واطمئنان، فإن كل فئة منهم، تشترك بالدم مع إحدى العشائر. وبالتالي يصير لها ما لهم وعليها ما عليهم.

- وعن مسلمي المقاطعات في لواء اللاذقية، فقد أعلم مواطنه عنهم عدة أمور، من أهمها: أنهم أقل جهلاً وأحسن عيشة من النصيرية. ولأكبرهم بيوت مناسبة وأثاث نظيف. وحيثما دخلت في قراهم، تجد منزلاً عند كبير القرية، خصوصاً إذا كان من «الآغاوات». ومن عاداتهم قري الضيف. غير أنهم منقادون للحكومة ولا يميلون للتشويش ولا للسرقة وقطع الطرق. لكنه يستثني من هذه الصفات مسلمي «مقاطعة صهيون». فقد ذكر عن هؤلاء أنهم مماثلون للنصيرية في معيشتهم وتعدياتهم وحبهم للفتن، وميلهم للسلب وقطع الطرق وسفك الدماء. ويضيف عنهم قوله: «ولطالما أضروا بأبناء السبيل وقرى الساحل، ومع أن لهم ما للنصيرية من الجرائم والذنوب، لم تشهر عليهم الحكومة قط عصا التأديب، التي طالما اشتهرت على النصيرية، وما ذلك إلا لتحزب مسلمي اللاذقية لهم ومحاماتهم عنهم المحاماة التي تبعثهم عليها العصبية والغيرة المذهبية». وأشار إلى أن هذه المحاماة تؤدي إلى أمرين: الأول، هو تمادي الصهاونة في الفجور وارتكاب المخالفات؛ والثاني، هو ما يلحقونه من ضرر بحق عباد الله ولا سيما الأبرياء منهم.

وهنا، في نهاية ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي، حول معتقدات النصيريين والإسماعيليين الدينية، بأن من قواعد دينهم المحافظة على كتمانهم وعدم إباحته ولو أصبحوا في أعظم الخطر حتى الموت؛ وحول أعيادهم بأنها كثيرة وهي إسلامية ومسيحية، يهودية وصابئية ووثنية، وفي ظل وجود كل ذلك، يطرح التساؤل التالي: هل هذا الأمر صدفة في هذه المنمطة بالذات؟ أم أن المسألة هي أبعد من ذلك بكثير؟

إننا نطرح هذا التساؤل، ليس من أجل الإجابة عليه إجابة وافية شافية. فالمجال هنا، لا يتسع لمثل هذا الأمر. لكن ما يمكن قوله - في هذا المجال حتى الآن - هو أن إحدى القبائل، وهي «قبيلة الحشيشة» (Tribu des Assassins)، كانت تقيم في هذه المنطقة؛ وتشارك

مع أهلها في السكن معهم، وهم من أتباع «شيخ الجبل» (Le veillard de la Montagne) يؤمنون به وينفذون أمره مهما بلغ من الصعوبة والخطورة والحاجة إلى الوقت من أجل تنفيذه. وقد وصل الأمر بشيخ هذه القبيلة، في فترة حكم عموري الأول (1163-1174) (Amoury 1st) وبالتنسيق معه وعبره مع ملوك أوروبا، أن يعمل بين قومه، من أجل أن يحملهم على اعتناق معتقد جديد، يكون محتويًا على شيء من المسيحية، وآخر من الإسلام، وثالث من المعتقدات الدينية الأخرى، التي ما زالت عالقة في نفوس الناس.

غير أن البابا، أفسد هذه الخطة، بقتل رسول «شيخ الجبل»، إلى الملك عموري أثناء عودته هذا الرسول من عند الملك، على يد أحد «فرسان الداوية»، الذين كان البابا قد حماهم بوضعهم تحت رعايته منذ عام 1154. وقد حصل مقتل هذا الرسول بالرغم من الحماية المشددة، التي كان الملك قد بعثها معه. وكان من نتيجة هذه الحادثة، ووقوف البابا موقف الحامي للقاتل^(*)، أن باتت مملكة القدس والملك والكنيسة في وضع لا يحسداهم عليه أحد. خاصة بعد أن قرر الملك أن يقتص من الجاني أيًا تكن النتيجة؛ وأن يرسل المبعوثين والرسول من ذوي المرتبة السامية إلى ملوك أوروبا وأمراء الأرض⁽¹⁾.

إننا إذ نشير إلى هذه المسألة، فمن أجل أن تولي العناية الكافية التي تستحقها من المؤرخين والباحثين، من أجل الكشف عن أسباب انتشار هذه المعتقدات الدينية الكثيرة في هذه المنطقة، وعن الغاية الحقيقية من النقاشات التي دارت بين رسول «شيخ الجبل» ومندوبي الملك عموري، ولمعرفة ما إذا كانت مسألة وضع دين جديد كانت مسألة جديدة

(*) أشار وليم، رئيس اساقفة صور، مؤرخ الحروب الصليبية، أن من قتل «عبدالله»، رسول «شيخ الجبل»، زعيم الحشيشية، إلى الملك عموري، هو واحد من فرسان الداوية، يدعى «وولتر دي ميسيلو». وأن هذا الأخير، هو رجل بعين واحدة وصاحب سمعة شريرة ويفتقر إلى التعقل تماماً. كما كان المدبر الحقيقي للجريمة. وعندما طلب الملك عموري من مقدم الداوية أن يرسل إليه «وولتر» ليقتص منه، أشار المقدم في جوابه على رسالة الملك بأنه حطّر نيابة عن البابا على أي إنسان القبض عليه أو الحاق الضرر به. تاريخ الحروب الصليبية، مرجع سابق، الجزء الخامس، ص 968.

(1) لمزيد من الإيضاح حول الأفكار التي طرحت، يراجع: تاريخ الحروب الصليبية مرجع سابق، الجزء الخامس، 965-969.

يجري البحث فيها منذ ذلك الوقت. لاسيما وأن هذه المسألة قد عادت إلى الظهور في أوروبا مع «أوغست كونت» (Auguste Comte) (1798-1857)^(*) وغيره من الفلاسفة. فقد رأى هذا الفيلسوف، «أن المجتمع يتدهور وتجب إعادة تنظيمه، لكنه لا ينتظم إلا بسلطة روحية توحد العقول» وينتهي به المطاف إلى رؤية الخلاص بتأسيس دين وضعي جديد يحل محل الدين التقليدي ويكون البديل الشرعي لسائر الأديان⁽¹⁾. فهل التقط «أوغست كونت» ذلك الخيط الذي وضعه ملك القدس مع ملوك أوروبا ببناء هذا الدين في الشرق بعيداً عن سلطة البابا؟

ب - على الصعيد الاقتصادي

قدم الياس صالح اللاذقي لمواطنه في هذا المجال معارف كثيرة في ميادين اقتصادية كثيرة. ففي الميدان الزراعي أشار إلى أن الزراعة في لواء اللاذقية ما زالت غير متقنة كما يجب. فهي ما زالت على الطريقة القديمة، بالرغم من محاولات البعض تغيير هذه الطريقة، مستعينين في ذلك بمزارعين ألمان من ذوي الخبرة. وأشار إلى أن الأرض متوسطة الخصب، يغل الواحد سبعة أمثال من القمح في السنة المعتدلة الموسم في الساحل؛ أما أراضي الجبال فهي أكثر خصوبة وتغل أكثر. ومن الشائع أن أصحاب الأرض هم من أبناء البلاد؛ لكن المزارعة⁽²⁾ هي الشكل السائد بين المالكين والفلاحين. أما في

(*) أوغست كونت، فيلسوف فرنسي، ولد في «مونبلييه» (Montpellier) بجنوب فرنسا عام 1791، وتوفي في باريس عام

1857، صاحب الفلسفة الوضعية Positivisme . ولمزيد من الإيضاح، يراجع:

le petit Robert des noms propres, Paris 2000, p. 493, et le petit Larousse illustré, Paris 2008, p. 1244.

(1) مخائيل عون، مقالة بعنوان «أوغست كونت بين العلم والفلسفة» منشورة في جريدة النداء، العدد 190 الصادر يوم الجمعة 6 تموز 2012، ص 32-33.

(2) المزارعة، «نوع شركة، على كون الأرض من طرف والعمل من طرف آخر»، يعني أن الأرض تزرع، والحاصلات تقسم بينهما. ومن مستلزمات المزارعة: الأرض، والبذر، والعمل والبقر. وتصح المزارعة في ثلاثة أوجه: لواحد أرض وبذر، وللآخر بقر وعمل - لواحد عمل فقط، وللآخر أرض وبقر - لواحد أرض فقط وللآخر عمل وبقر. وتبطل المزارعة في أربعة أوجه: إذا كانت الأرض والبقر لأحدهما، والبذر والعمل للآخر؛ إذا كان البقر والبذر لأحدهما والأرض والعمل للآخر؛ إذا كان البذر لأحدهما والباقى للآخر؛ إذا كان البقر من واحد والباقى من الآخر. أما أركان المزارعة فهي: الإيجاب والقبول؛ كون العاقلين عاقلين شرط، لكن أن يكونا بالغين ليس بشرط إذ يجوز للصبي المأذون عقد المزارعة؛ يشترط تعيين ما يبذر وإذا فقدت المزارعة هذا الشرط يزرع الفلاح ما يشاء؛ يشترط تعيين حصة الفلاح عند العقد جزءاً شائعاً من الحاصلات كالنصف والثلث؛ كون الأرض صالحة للزراعة عند تسليمها للفلاح. وإذا فقد شرط من هذه الشروط المذكورة، تكون المزارعة فاسدة. ولمزيد من الإيضاح عن المزارعة وشروطها وأركانها، تراجع: «مجلة الأحكام العدلية»، من اعداد: أحمد جودت، أحمد خلوصي، أحمد حلمي، علاء الدين ابن عابدين، خليل سيف الدين ومحمد أمين الجندي، عرّبها عن التركية العثمانية سليم بن رستم باز 1286هـ من المادة 1431-1440، ص 700-705. سنشير إليها لاحقاً: مجلة الأحكام العدلية، مصدر سابق.

عملية الغرس، فالسائد هو المساقاة أو المغارسة⁽¹⁾، وهي شكل آخر من أشكال العلاقات الزراعية. وفي الميدان الصناعي، أشار إلى أن الموجود من الصناعات هو في مدينة اللاذقية، وهو الضروري منها واللازم وجوده في أصغر المدن. وهي بمعظمها صناعات حرفية، كالصبغة والحياسة والعقادة والسكافة والحدادة والتكرية والنجارة والبناء وعمل الفخار وصناعة الطحين والخبز والصابون وعصر الزيتون والسمن وحلج القطن وكبس. هذه الصناعات جارية على الأصول القديمة، الموروثة عن الآباء والأجداد. وهي لم تبلغ بعد درجة الإتقان. وفي هذا المجال أكد مسألة مهمة، وهي أن صنعة الحياكة، كان يعيش منها كثيرون، رغم أنهم كانوا لا يحيكون سوى الأقمشة البسيطة كالخام والحريز، اللازمة للأقمصة؛ لكن بعد دخول

(1) المساقاة، «نوع شركة على أن يكون أشجار من طرف وتربية من طرف آخر، ويقسم ما يحصل من الثمر بينهما». وكانت تجري على الكروم والشجر وجميع البقول وأصول الباذنجان والنخل والحوار والصفصاف مما لا ثمر له؛ وتدعى أيضاً مغارسة. ومن أركانها: الإيجاب والقبول. فإذا قال صاحب الأشجار للعامل أعطيتك اشجاري هذه بوجه المساقاة على أن تأخذ من ثمرتها كذا حصة وقبل العامل الذي يربي الأشجار تنعقد المساقاة. ولانعقاد مثل هذه الشركة يجب أن تتوافر بين العاقلين شروط: أن يكون العاقلين عاقلين، أن تكون حصة العاقلين في عقد المساقاة جزءاً شائعاً كالنصف والثلث، تسليم الأشجار إلى العامل، تقسيم الثمر بين العاقلين ولمزيد من الإيضاح حول المساقاة وشروطها

راجع: مجلة الأحكام العدلية، مصدر سابق، المادة 1441 وشروحاتها، ص 705-706.

الأقمشة الأفرنجية إلى هذه البلاد، أخذ يتناقص رواج المحوكات البلدية حتى باتت نادرة. وفي مجال حديثه عن تجارة اللاذقية، أراد لمواطنه أن يعرف ما يصدر منها وما يرد إليها. فما تصدره هو: الحنطة، والشعير، والقطن، والسمن، والذرة، والاسفنج، والصوف، والأخشاب، والشمع، والسمن، والزيت، والصابون، وجلود الحيوانات، والخرق البالية وعظام الحيوان. غير أن التبغ هو أهم هذه الصادرات وهو جنسان: جبلي وجماد. وتبرز أهمية هذا المحصول من خلال الاهتمام الرسمي بزراعته وتجاره، من قبل السلطنة العثمانية نفسها. وأشار أيضاً إلى أن صادرات اللاذقية قسماً: منها ما هو من حواصل اللواء المحلية كالاسفنج والشرانق؛ ومنها ما هو مختلط من الحواصل المحلية، ومن حواصل جسر الشغور وإدلب كالقطن والصوف والحبوب. كما أشار إلى الجهات التي تصدر إليها هذه المحاصيل وإلى كمياتها وأثمانها بأرقام عام 1872. أما الأصناف التي ترد إلى اللاذقية، فهي تتألف من أقمصه الحرير والصوف والقطن الأوروبية المختلفة؛ والأرز الأفرنجي والمصري والسكر والبن وزيت البترول وغير ذلك. أما بالنسبة إلى جنسيات السفن التي ترسو في ميناء اللاذقية وتبحر منه، فقد أشار إلى أنها نوعان: بخاري وشراعي. البخارية منها: فرنسية وروسية وعثمانية وإنكليزية؛ أما الشراعية فهي عثمانية وإنكليزية ويونانية وبيرق أورشليم. كما أشار إلى أعداد السفن البخارية والشراعية لكل دولة؛ وإلى حمولة كل منها بالطن، وإلى حمولة جميع هذه السفن.

وعن حيوانات اللواء، فقد أشار إلى الأليف منها: الخيل، والحمير، والبقر، والغنم، والمعزى، والجمال والجاموس؛ وإلى البري منها: الغزال، والأرنب، والخنزير، والثعلب، وابن آوى، والضبع، والدب ونوع من النمر يعش في أعالي الجبال. كما أشار إلى طيور اللواء الأهلية والبرية. أما حواصل اللواء فهي: الزيتون، الزيت، التوت، الميس، الحور، الازدرخت، النخيل، الجميز، اللوز، الجوز، الصفصاف، السرو، الآس، القطن، الشرانق، العسل، الشمع، الاسفنج والصوف. ومن الفواكه: التين، العنب، التفاح، المشمش، الكمثرى،

الخوخ، الدراق، الليمون على أنواعه المختلفة الرمان والصبار. ومن الحبوب: الحنطة، الشعير، العدس، الكرسة، الحمص، الفول، الذرة البيضاء والسمسم. ومن الرياحين: شجر الحناء، الورد، الياسمين، القرنفل، الفل والنرجس. كما أشار إلى أنواع من التبغ تنتج في الجبال وأكثره التبغ المسمى «مدخوناً» أو «جبلية» ويقال له أيضاً «أبو ريحه». وذكر عدداً من المنتجات الصناعية التي تعتمد على منتجات زراعية كالخشب والتين، والخمر والزيت. وقدر قيمة حواصل اللواء السنوية بخمسة وثلاثين مليوناً من القروش.

وعن دخل السلطنة العثمانية وخرجها من لواء اللاذقية، أراد لمواطنه أن يعرف أن دخلها يتأتى من: ويركو الأملاك وتمتعات أهل المدينة، ويركو القرى مضروب على أهالي المقاطعات عن الذكور البالغين، بدل عسكرية مضروب على النصارى فقط، عشر المزروعات والاثمار، رسم الطابو الماعز والغنم، الرسومات الجمركية وتؤخذ على الصادرات والواردات من البضائع، رسم الطابو ويؤخذ على الأراضي لأجل إباحة التصرف بها وإثبات صحة التفرغ عنها وانتقالها من يد متصرف إلى آخر. أما الخرج، فهو يتألف من: معاشات المأمورين والكتّاب والضابطيين والعساكر النظامية والمصاريف النثرية. وأورد جدولاً عن عام 1872، بيّن فيه دخل السلطنة وخرجها من قضائي اللاذقية وجبله اللذين كان يتألف منهما اللواء آنذاك. وقدّر دخل قضاء اللاذقية في هذا الجدول من 4604670.5 غرشاً، وخرجه من 635638 غرشاً، فتكون الزيادة لصالح الدخل من 3969034.5 غرشاً. أما قضاء جبله، فقد قدر دخله من 2472590 غرشاً، وخرجه من 500000 غرش، فتكون الزيادة لصالح الدخل من 1973590 غرشاً. وهكذا يكون ربح السلطنة السنوي الصافي من اللواء 5942093.5 غرشاً.

ج - على الصعيد الإداري

قبل أن تقع اللاذقية، في قبضة الحكم العثماني عام 1517، إثر معركة مرج دابق⁽¹⁾،

(1) وقعت معركة مرج دابق بين المماليك والأتراك العثمانيين في 24 آب 1516.

نشير إلى هذا المرجع لاحقاً: Adel Ismail, Documents Diplomatiques et consulaires relatifs à l'Histoire du Liban, tome 1,

Beyrouth 1975, p. 328. Documents... tome... P

كانت المدينة قد تعرضت للتخريب جراء الحروب بين تيمورلنك المغولي وبين المماليك الجراكسة عام 1400. وبقيت اللاذقية مخربة وقليلة السكان. ولذلك، فمنذ بداية الحكم العثماني جعل مركز اللواء في «جبله». وبعد أن قضت السلطنة العثمانية على الأمير فخر الدين المعني⁽¹⁾، رجعت اللاذقية وطرابلس تحت سلطة والٍ واحد كما كان الأمر سابقاً. وفي عهد «أرسلان باشا المطرجي» الذي تولى على طرابلس عام 1696⁽²⁾، أعاد بناء بعض ما تخرّب^(*) منها وأعيد إليها مركز الحكومة. إلا أن السلطنة استمرت تطلق على اللواء «لواء جبله»؛ هذا بالاستناد إلى ما هو مقرر في قيودها الرسمية إلى حين دخولها تحت سلطة محمد علي باشا، حاكم مصر (1805 - 1849) عام 1832.

إذن، كان لواء اللاذقية جزءاً لا يتجزأ، من ممتلكات السلطنة العثمانية منذ بداية الحكم العثماني لبلاد الشام، حتى نهاية هذا الحكم ورحيله عنها عام 1918. وخلال هذه المدة غير القصيرة من التبعية، خضع للنظامين الإداريين اللذين اعتمدهما العثمانيون في إدارة امبراطوريتهم، هما «نظام الأيالت»، و«نظام الولاية»، تفصل بينهما مرحلة انتقالية. وقد أشار الياس صالح اللاذقي إلى هذين النظامين ليس من منطلق نظري، إنما من خلال ما رآه قائماً على أرض الواقع، والى ما شارك هو في تطبيقه.

لقد كانت رؤيته للأوضاع الإدارية رؤية دقيقة، لأنها تأتي من باحث، وُلد في آخر نظام الأيالت، وترعرع خلال المرحلة الانتقالية، وشارك من موقعه كموظف في تطبيق نظام الولاية. ومن المفيد هنا، أن نتوقف بشكل سريع عند هذين النظامين، لنتعرف إلى مضمونهما من جهة، وإلى الفرق بينهما من جهة ثانية. علماً أن بعض المؤرخين والباحثين يستعملون مصطلح الأيالت و «الأيالة» و «الولاية» كيفما اتفق، كأنهما مصطلح واحد ويحمل كل منهما مدلول الآخر.

(1) الأمير فخر الدين المعني الثاني أمير جبل لبنان 1590-1635.

Documents, tome 1, op. cit. p. 361

Documents, tome 1, op. cit. p. 368

(2)

(*) جعل الياس صالح اللاذقي ولاية أرسلان باشا المطرجي، عام 1693.

أ - نظام الأيالت⁽¹⁾، هو نظام إداري عسكري، اعتمدته السلطنة العثمانية لإدارة أراضيها من جهة، ولخدمة أغراضها العسكرية من جهة أخرى. كان ذلك، في عهد السلطان محمد الثاني (الملقب بالفاتح) 1451-1481 م. فبعد جلوس هذا السلطان على العرش، وتحقيقه لعدد من الانتصارات الهامة، التي أدت إلى توسيع رقعة السلطنة، أصدر إرادته عام 1476م/881هـ بتقسيم الامبراطورية إلى أياالت. وبالاستناد إلى هذه الإرادة، يمكن القول بأن هذا النظام، قد ارتكز على عدد من المبادئ، من أهمها:

- 1 - تطبيق أحكام الأراضي على منهج الشرع الشريف. وهذا يعني أنه يحق للناس الإفادة من منافع الأرض بدون امتلاك رقبته. فملكية الرقبة عائدة إلى بيت مال المسلمين.
- 2 - تحويل الضرائب والحاصلات، التي كانت قد وضعت قبلاً وتؤخذ من

(1) أياالت بفتح الهمزة وبتاء سكت طويلة، وإيالة بكسر الهمزة وبتاء قصيرة مصطلحان إداريان عثمانيان ساد استعمالهما في فترة تاريخية واحدة محددة 1476-1839 م. فالأياالت في هذه الفترة كانت أكبر وحدة إدارية، مقسمة إلى مقاطعات إقطاعية من كل الأنواع، على رأسها «بكلربكي» (Beglerbegi)، أي «بك البكوات»، وهو باشا «بطوغين» (مثنى طوغ)، وأحياناً بثلاثة أطواغ برتبة وزير، وهو بالإضافة إلى كونه مسؤول الأيالت، فقد خصص له مقاطعة من نوع خاص يتقاضى منها راتبه المخصص له. أما إيالة (بكسر الهمزة وتاء قصيرة)، فهي وحدة إدارية تتميز عن الأولى بعدة أمور: فهي أصغر من الأيالت، غير مقسمة إلى مقاطعات إقطاعية من أي نوع كان، على رأسها باشا أقل رتبة من باشا الأيالت، رايته تحمل طوقاً واحداً، يتقاضى مرتبه من خزانة السلطنة. وبلاد الشام (على سبيل المثال) كانت مقسمة إلى ثلاث أياالت من نوع «بكلربكويه» وهي: أياالت الشام أو بكلربكوية الشام، أياالت طرابلس الشام أو بكلربكوية طرابلس وأياالت حلب، أو بكلربكوية حلب. أما بالنسبة للإيالات العربية الأخرى، فكانت من نوع «إيالة»، فقالوا على سبيل المثال: إيالة الحجاز، إيالة طرابلس (لبيبا)، إيالة تونس، إيالة الجزائر، مملكة فاس. ولمزيد من الإيضاح حول هذين المصطلحين يراجع: عين علي افنديك، قوانين آل عثمان درمضامين دفتر ديوان، رسالة تركية كتبها امين «الدفترخاقاني» في السلطنة العثمانية، عام 1018هـ/1609م صفحات كثيرة: 24-26 و 53-55 والرسالة من محفوظات

«خراج المقاسمة» و«خراج الموظف»⁽¹⁾، إلى أقجة (Akje) عثمانية معينة⁽²⁾.

3 - تقسيم أراضي السلطنة إلى وحدات إدارية عسكرية، تدعى أكبرها «أيات» (Aayat)؛ وتقسّم الأيات بدورها إلى عدد من الوحدات الإدارية تدعى الواحدة منها «سنجقاً»؛ والسجنق يشتمل على عدد من المقاطعات الإدارية العسكرية أيضاً؛ وهذه المقاطعات الإدارية العسكرية حسب مقدار دخلها ثلاثة أنواع: أصغرها «تيمار» (Timar)، يقدر دخلها من ثلاثة آلاف أقجة كحد أدنى إلى حوالي عشرين ألفاً كحد أقصى؛ وأوسطها «زعامت» (Za'amet)، يقدر دخلها من عشرين ألفاً إلى حوالي مئة ألف كحد أقصى؛ وأكبرها «خاص» (khass)، يقدر دخلها من مئة ألف أقجة كحد أدنى إلى ما فوق هذا الحد⁽³⁾.

4 - تفويض هذه الوحدات إلى قادة عسكريين لإدارتها وتصريف شؤونها والدفاع عنها. وهم بحسب رتبهم ودرجاتهم التراتبية وسلطانهم من الأعلى إلى الأدنى كما يلي:

* الأيات، يعهد بتصريف شؤونها إلى «بكلربكي» (Beglerbegi)، أي «بك البكوات»؛ ونسبة إليه فقد دعيّت «بكلربكوية»، وهو برتبة «أمير أمراء»، أو باشا بطوغين وأحياناً بثلاثة أطواغ⁽⁴⁾ برتبة وزير، يتصرف بمقاطعة من نوع خاص.

(1) خراج المقاسمة: هو الشيء الذي تعين، على أن يؤخذ من حاصلات الأرض وقدره من العُشر إلى النصف بحسب تحمل الأرض؛ أما الخراج الموظف:

فهو مقدار معيّن من الدراهم توظف وتعين بوجه مقطوع على الأراضي. ولمزيد من الإيضاح حول هذين المصطلحين، يراجع: عبد الباقي الأيوبي وولده جلال، قاموس الحقوق، مج 3، ص 1211.

(2) أقجة عثمانية معينة: نقد عثماني من الفضة، يطلق عليه أيضاً أسبر (Aspre). ولمزيد من الإيضاح يراجع: Documents... tome 1, p. 298 et P. 300.

(3) لمزيد من الإيضاح حول إرادة السلطان محمد الثاني والوحدات الإدارية العسكرية التي نصت عليها هذه الإرادة، يراجع: عبد الباقي الأيوبي وولده جلال، قاموس الحقوق، مج 3، دمشق 1931، ص 1208-1209. سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً؛ قاموس الحقوق، مج 3، ص 300؛ وساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، ط 3، بيروت 1965، ص 30 - 31. وسنشير إلى هذا المرجع لاحقاً؛ ساطع الحصري، المرجع السابق، ص...

(4) اطواغ: جمع طوغ (tug)؛ وطوغ كلمة فارسية، تعني ذيل الحصان، يرمز إليه بخصلة شعر، قد تعلق تحت هلال سنجق الراية، التي تتقدم «موكب الشرف» (escorte) بمناسبة احياء الأعياد الرسمية في

* السنجق، يعهد بتصريف شؤونه إلى «سنجق بكى» أي «بك السنجق»، وهو برتبة لواء، وباختصار «ميرلوا»؛ ويتصرف بمقاطعة من نوع خاص، غير أن خاصه هو أصغر من خاص الباشا.

* الزعامت، يعهد بتصريف شؤونها إلى «زعيم» «Zaim»^(*).

* التيمار، يعهد بتصريف شؤونها إلى صغار القادة العسكريين، ويدعى الواحد منهم «سباهي»^(**) (Spahi)⁽¹⁾.

4 - إنَّ منح مقاطعة من المقاطعات، إلى شخص ممن أشرنا إليهم، لم يكن يعني تملكه القرى والأراضي والمزارع التي تتألف منها تلك المقاطعة؛ إنما يعني تفويضه حق جباية الأعشار والرسوم والضرائب المترتبة عليها. وكانت القرى والأراضي والمزارع تبقى تحت تصرف مالكيها، على أن يدفعوا الضرائب المترتبة عليها إلى متسلم المقاطعة، أو إلى من يوكله لتسلمها. على أن يتولى إعداد عدد من الخيالة والفرسان المحاربين وأن يجهزهم بكل ما يحتاجون إليه من أسلحة وخيول بنسبة فارس واحد عن كل ثلاثة ألف أفعجة عثمانية من حاصل المقاطعة.

5 - وبموجب «نظام الأيالت» هذا، كان يعتبر «بك اللواء» أمراً ومرجعاً لجميع عساكر «التيمارات» و «الزعامات» الداخلة في حدود لوائه. وإذا طلبت السلطنة أن تسافر الجيوش

= القسطنطينية. وحتى اليوم، ما يزال الغموض يلف مسألة نشأة هذا الشعار (insigne). غير أن بعض المؤرخين يربطون بين عدد «الأذيال» - إذا وجدت في الراية - وبين الرتبة العسكرية التي يحملها صاحب هذه الراية في الإمبراطورية العثمانية. «فسنجق بكى»، أمير السنجق يضع في رايته طوغاً واحداً؛ والبكربكي، أمير الأمراء يضع طوغين، والوزير ثلاثة أطواغ، والصدر الأعظم خمسة أطواغ، ويضع السلطان في وقت الحرب سبعة أطواغ أو تسعة. وعندما يُخلع باشا ما من وظيفته، يجرّد من رتبته وبالتالي من هذا الشعار. ولمزيد من الإيضاح حول هذه الأفكار يراجع: Documents...

tome 1, p. 270 et 321

(*) الزعيم يقود مجموعة من العساكر - يدعى واحد منهم «جبلي» - لا تزيد عن 33.

(**) السباهي، يقود مجموعة من العساكر - يدعى واحد منهم جبلي - لا تزيد عن خمسة.

(1) لمزيد من الإيضاح حول التيمار والسباهي، يراجع: Documents... tome 1, p. 321.

للحرب في أية جهة من الجهات، كان عليه أن يجمع الخيالة المترتبة على الخاص المخصص لمنصبه مع الخيالة المترتبة على التيمارات والزعامات التابعة للوائه، وأن يتوجه بهم إلى حيث يأمره «بك البكوات». وبدوره كان علي بك البكوات أن يتصرف بالخاص المخصص لمنصبه، فيعدّ ويجهز الخيالة المترتبة على خاصه، فضلاً عن أنه يأمر ويوجه الخيالة، الذين يجهزهم أمراء الألوية وأصحاب التيمارات والزعامات التابعة لجميع ألوية أياتله. وظلت السلطنة العثمانية تعمل بهذه الإرادة حتى العام 1255هـ/1839م⁽¹⁾.

وبموجب هذه الإرادة السلطانية، جرى تثبيت «القيود الخاقانية»^(*) فاتبع لواء جبله (لواء اللاذقية) بأبالت طرابلس الشام. وقد أوردت هذه القيود، أن هذا اللواء كان يتألف من: مقاطعة كبيرة من درجة خاص لأمير اللواء، يبلغ دخلها 214180 أفجة، وأن عدد الخيالة المفروض على هذا الخاص 42 خيالاً؛ ومن تسع مقاطعات متوسطة من درجة «زعامت»؛ ومن 91 مقاطعة صغيرة من درجة «تيمار»؛ وأن عدد الخيالة المفروضة على هذه المقاطعات هو 46 خيالاً⁽²⁾. ويبدو أن عملية الإحصاء في هذا اللواء قد جرت في عهد السلطان ابراهيم (1640-1648). بدليل أن ما خصص لهذا السلطان في عملية الإحصاء هذه، هو مجموعة من القرى في مقاطعة جبله دُعيت «قرى وقف السلطان ابراهيم».

لقد ظلت السلطنة العثمانية تعمل بهذا النظام إلى أن قام تابعها محمد علي باشا حاكم مصر (1805- 1849) بحملته ضدها واحتل بلاد الشام وهددها في عقر دارها ما بين عامي (1831- 1841). وحول هذا النظام، لا بد من التأكيد على ما يلي:

- إنَّ باشا الأيالت وأمراء سناجقها وسائر الموظفين العاملين فيها، ما كانوا يتقاضون رواتب مقننة من خزينة السلطنة. إنما كانوا يتقاضون الضرائب والتكاليف اللازمة لهذه الوظائف. علماً أن هؤلاء كانوا يعينون من قبلهم متسلمين يتولون جباية الضرائب باسمهم.

(1) قاموس الحقوق، مرجع سابق، مج 3، ص 1208-1209.

(*) القيود الخاقانية: سجلات الإحصاء الرسمية للسلطنة العثمانية.

(2) عين علي افنديك، قوانين رسالة سي سنة 1018هـ مرجع سابق، ص 25.

كما أن كل متسلم كان يستعين بخدمات طائفة من أهل البلاد وأعيانها في أمر توزيع التكاليف الضرائبية وتثبيتها وجبايتها.

- لقد دخل الأكابر من أبناء عشائر مقاطعات اللاذقية في خدمة هؤلاء المتسلمين خلفاً عن سلف. فالتزموا جباية الضرائب من حكام اللاذقية بمبالغ معلومة. وراحوا يحكمون أبناء جلدتهم حسب أهوائهم. وإن هذه الحالة استمرت منذ بداية الحكم العثماني إلى أن دخل الحكم المصري إلى اللاذقية عام 1832 م وراح يعزلهم وينكل بهم وولى بدلاً عنهم متسلمين غرباء.

ب - نظام المرحلة الانتقالية، التي امتدت من عام 1839-1864؛ وكانت السلطنة في هذه المرحلة تهدف إلى تحقيق عدة أمور:

الأول، أن تستعيد أراضيها من الحكم المصري وأن تسترد هيبتها حيال تابعيها، جراء الوضع الصعب الذي وضعتها فيه الهزائم التي ألحقها بها محمد علي باشا. الثاني، امتصاص الضغوط الخارجية والداخلية، التي تطالبها بأن تصلح ذاتها، لتكون في عداد الدول العصرية المتقدمة آنذاك.

الثالث، ترحيل الحملة المصرية الجاثمة على صدرها وإزالة آثار ونفوذ الحكم المصري من المناطق التي استولى عليها.

ومن أجل تحقيق هذه الأهداف، أعلنت عن نيتها بالإصلاح أمام ممثلي الدول، فألغت «نظام الأيالت»، عام 1839م/1255هـ مستغنية في ذلك عن الخدمات العسكرية لمتسلمي الاقطاعيات العسكرية، لكنها لم تضع أحكام قانون لإدارة أراضيها. كما أنها توكأت على عصا التحالف الدولي من أجل ترحيل الحكم المصري عن أراضيها واستعادة سلطتها عليها. وما أن أجبر التحالف الدولي القوات المصرية على الانسحاب من المناطق التي احتلتها، والانكفاء إلى الأراضي المصرية، حتى أعادت السلطنة العمل بنظام الالتزام الذي كان قائماً قبل مجيء الحملة المصرية. وبالتالي، فقد ردت إلى الملتزمين السابقين، ولاسيما إلى الذين وقفوا - منذ البداية وحتى النهاية - إلى جانبها ضد الحكم المصري اعتبارهم؛ لكن

هذه المرة، على شكل جباة بالمعاش وليس بالالتزام ولمدة سنة. وهذا يعني أن السلطنة قد شرعت للفوضى في ظل وجود التشكيلات العسكرية الخاصة. وهنا يمكن القول بأن لواء اللاذقية كان ما بين عامي 1840-1861 - كما جبل لبنان - حقل تجربة بالانفجارات الأمنية تارة، وطوراً بالتجارب الإدارية التي كانت السلطنة والدول الأوروبية تعملان معاً على اختبارها من أجل إرسائها على قاعدة «خط شريف كلخانه»⁽¹⁾ (Gulkhané) الصادر عام 1839 وخط «همايون»^(*) (Hamayoun) عام 1856.

بعد عودة السلطنة إلى بلاد الشام عام 1840، راح رجال الاقطاع السابقون - ولا سيما أولئك الذين شاركوها مع التحالف الدولي في التصدي لإبراهيم باشا - يعملون على إثبات وجودهم في الظروف الجديدة التي استجدت بعد الإعلان عن خط كلخانه وترحيل الجيش المصري إلى بلاده. وهنا - في معركة إثبات الوجود - لن نتوقف عند الحروب التي دارت بين رجال الاقطاع أنفسهم، وبينهم وبين الفلاحين. لكن ما يمكن قوله عن لواء اللاذقية أنه جرى تقسيمه إلى خمس عشرة مقاطعة، تضم 999 قسبة وقرية ومزرعة. وقد توزعت هذه القرى على هذه المقاطعات كما يلي:

(1) كلخانه: بيت الورود، هذا الاسم اطلق على القصر الامبراطوري الذي كان قائماً بين الحدائق التي كانت تمتد على طول بحر مرمرة. فمن هناك جرى الاعلان عن هذا الخط في 24 شعبان عام 1255هـ الموافق 3 تشرين الثاني عام 1839م. لقد تضمن هذا الخط فيما تضمنه، ان كل اقاليم السلطنة ستشملها خيرات هذا الاعلان، من خلال المؤسسات التي ستبنى على أسس جديدة بالاستناد إلى المبادئ الثلاثة التالية:

- 1 - الضمانات التي تكفل للأشخاص أمنية الروح والعرض والمال. 2 - صيغة تنظيمية جديدة لأخذ العساكر وتنظيمها ومدة خدمتها. 3 - صيغة تنظيمية جديدة لفرض الضرائب وجبايتها. ولهذا سميت اصلاحات هذا الخط بالإصلاحات الخيرية. ولمزيد من الايضاح حول هذا الخط والمبادئ التي تضمنها يراجع:

Documents..., tome 24, Beyrouth 1980, pp. 50-53; et *Documents...*, tome 1, op. cit. p. 311.

والبرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939، دار النهار، بيروت لبنان، ترجمة كريم عسقول، ص 65-66.

(*) صدر هذا الخط عن السلطان عبد المجيد في 18 شباط 1856.

ساحل اللادقية، عدد قراه 75 قرية؛ الخوابي، عدد قراها 83 قرية؛ بني علي، عدد قراها 22 قرية؛ صهيون، عدد قراها 53 قرية؛ البوجاق، عدد قراها 30 قرية؛ البهلولية، عدد قراها 44 قرية؛ جبل الأكرد، عدد قراها 121 قرية؛ البايير، عدد قراها 23 قرية؛ المرقب، عدد قراها 78 قرية، القدموس، عدد قراها 147 قرية؛ السميت القبلي، عدد قراها 59 قرية؛ القرداحة، عدد قراها 68 قرية؛ جبله، عدد قراها 36 قرية؛ المهالبة، عدد قراها 47 قرية؛ بيت الشلف، عدد قراها 113 قرية.

وحول هذا الإحصاء والتقسيم، لا بد من الإشارة إلى عدد من الملاحظات:

الملاحظة الأولى، وهي أن سبع مقاطعات، قد جرى تقسيمها إلى نواحٍ وحلٍ وهي:

- 1 - مقاطعة المرقب، عدد قراها 78 قرية، قسمت إلى ناحيتين: ناحية زميرين، عدد قراها 35 قرية؛ وناحية المرقب، عدد قراها 43 قرية.
- 2 - مقاطعة القدموس، عدد قراها 147 قرية، قسمت إلى ثلاث نواحٍ وهي: ناحية القدموس، عدد قراها 59 قرية؛ وناحية جرد العليقة، عدد قراها 58 قرية؛ وناحية الظهر الغربي، عدد قراها 30 قرية.
- 3 - مقاطعة السميت القبلي، عدد قراها 59 قرية، قسمت إلى ثلاث حلٍ وهي: حلة بني ياشوط، وحلة الحمام وحلة السرامطة.
- 4 - مقاطعة القرداحة، عدد قراها 68 قرية، قسمت إلى أربع نواحٍ وهي: ناحية النواصرة، وناحية التراحلة، وناحية متور وناحية ساحل القرداحة.
- 5 - مقاطعة جبله، عدد قراها 36 قرية، قسمت إلى ثلاث نواحٍ وهي: ناحية جبله، وناحية وقف السلطان ابراهيم وناحية الشمسيات.
- 6 - مقاطعة المهالبة، عدد قراها 47 قرية، قسمت إلى ناحيتين وهما: ناحية عمامرة المهالبة وناحية ساحل المهالبة.
- 7 - مقاطعة بيت الشلف، عدد قراها 113 قرية، قسمت إلى أربع نواحٍ وهي: ناحية المزيرعة وعمامرة، وناحية بيت الشلف، وناحية ساحل بيت الشلف وناحية جبل دريوس.

الملاحظة الثانية: وهي أن ثماني مقاطعات، لم تقسم إلى نواح وهي:

1 - ساحل اللاذقية، عدد قراها 75 قرية؛ 2 - الخوابي عدد قراها 83 قرية؛ 3 - بني علي، عدد قراها 22 قرية، 4 - صهيون، عدد قراها 53 قرية؛ 5 - البهلوية، عدد قراها 44 قرية؛ 6 - جبل الأكراد عدد قراها 121 قرية؛ 7 - الباير، عدد قراها 23 قرية؛ 8 - البوجاق، عدد قراها 30 قرية.

الملاحظة الثالثة: وهي أن ثماني مقاطعات، كانت تحكم من قبل المسلمين (السنة)، وهي: اللاذقية، والخوابي، والمرقب، وجبله، وصهيون، وجبل الأكراد والباير والبوجاق. سبعة من حكام هذه المقاطعات، كانوا يحملون لقب «آغا»، وواحدة كان حكامها يحملون لقب «أجناد» وهي مقاطعة صهيون.

الملاحظة الرابعة، وهي أن ست مقاطعات، كان حكامها نصيريون، يحملون لقب «مقدم»، وهي: السميت القبلي، وبني علي، والقرداحة، والمهالبة، وبيت الشلف، والبهلوية.

الملاحظة الخامسة، وهي أن مقاطعة واحدة، كان حكامها من الإسماعيلية الحجازية والسويدانية، وكانوا يحملون لقب «أمير»⁽¹⁾.

ويمكن للمرحلة الانتقالية - التي أشرنا إليها - أن تقسم إلى قسمين: الأول يمتد من عام 1840 إلى عام 1856، وفي هذه الفترة جرى إلغاء أياالت طرابلس الشام، التي كان لواء اللاذقية ملحقاً بها وجرى إلحاقه بأياالت صيدا - بيروت عام 1849 (هذه الأياالت كانت قد أنشئت عام 1840) وقسم هذا اللواء في عام 1856 إلى 17 قضاءً، على رأس كل منها مدير يعاونه كاتب مال وظل ملحقاً بأياالت صيدا - بيروت. أما القسم الثاني من هذه المرحلة، فهو يمتد من عام 1856 إلى عام 1864. وخلال هذه المدة يمكن أن نتبين فيها حدثين: أولهما، اقتباس

(1) لمزيد من الايضاح حول مقاطعات لواء اللاذقية في المرحلة الانتقالية باعداد نواحيه وقراه وطوائف سكانه وشهرة وطائفة ولقب ومكان اقامة حاكم كل مقاطعة، يراجع ملحق رقم 1 المرفق بالدراسة.

(48) عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1864-1914، دار المعارف بمصر، بدون تاريخ طبع، ص

65. سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً؛ عوض، المرجع السابق، ص...

السلطنة نظم الإدارة الفرنسية في تقسيماتها الإدارية⁽¹⁾. ولتطبيق هذه النظم، تشكلت عام 1861 لجنة دولية كلفت بإجراء الإصلاح في سوريا. وقد شارك في هذه اللجنة مندوبون من الدول الأوروبية، وبشكل خاص من فرنسا وانكلترا، وقد أسميت هذه اللجنة «القومسيون الدولي للإصلاح في سوريا»⁽²⁾ (Commission Internationale de réforme en Syrie). أما الحدث الثاني، فهو أن مداولات هذه اللجنة، قد أفضت إلى تثبيت النظام الأساسي لمتصرفية جبل لبنان؛ وإلى حدود «نظام الولايات» العثماني عام 1864⁽³⁾. وهنا يمكن القول بأن السلطنة لم تعد - من الآن فصاعداً - سيدة نفسها في إدارة ممتلكاتها.

جـ - نظام الولاية، بصدور هذا النظام انتقلت السلطنة وشعوبها إلى مرحلة إدارية جديدة. فقد نص هذا النظام على أن ممالك السلطنة العثمانية تنقسم إلى دوائر يطلق على كل دائرة منها اسم «ولاية». وتضم كل ولاية عدداً مناسباً من السناجق. ويقسم «السناجق» بدوره إلى أقضية. و «القضاء» إلى نواحٍ وقرى ومزارع. الولاية على رأسها وال، والسناجق على رأسه متصرف، والقضاء على رأسه قائم مقام، و «الناحية» على رأسها مدير. وبات موظفو كل المواقع الإدارية والقضائية والعسكرية على مختلف مستوياتهم ورتبهم يتقاضون رواتب من خزانة السلطنة. أما إدارة القرى فقد تركت للمخاتير ومجالس الاختيارية أو ما عرف بشيوخ القرى وللمجالس البلدية فيما بعد⁽³⁾.

وبموجب هذا النظام، أجرت السلطنة تدبيرين إداريين متلاحقين؛ ومن المفيد أن نتوقف عندهما، لنعرف ما أصبح عليه وضع لواء اللاذقية.

التدبير الأول، طاول هذا اللواء مباشرة، فقد جرى إحصاء عدد مقاطعاته ونواحيه وقراه وأعداد طوائف سكانه. وجرى تقسيمه إلى قضائين منفصلين ومستقلين عن بعضهما البعض،

(1) عوض المرجع السابق، ص 35.

(*) لقد أشار الياس صالح اللاذقي في مخطوطه إلى هذه اللجنة.

(2) عوض، المرجع السابق، ص 66.

(3) لمزيد من الايضاح حول نظام الولايات والمهام الإدارية لموظفي هذا النظام، يراجع: قاموس الحقوق، مج 2، ص 956

- 959؛ وعوض، المرجع السابق، ص 96-100.

هما: قضاء اللاذقية وقضاء جبله، على رأس كل منهما مدير وكاتب. وألحقا بولاية صيدا - بيروت فترة قصيرة من تشرين الثاني عام 1864، عندما طبقت السلطنة نظام الولايات⁽¹⁾، إلى نيسان عام 1865، عندما أعادت السلطنة النظر بتشكيل حدود ولاياتها. فكيف كان وضع هذين القضائين؟

1 - قضاء اللاذقية، ضم سبع مقاطعات تحتوي على 516 قرية، يسكنها 60306 أنفس. وهم من المسلمين والمسيحيين والنصيريين.

2 - قضاء جبله، ضم عشر مقاطعات تحتوي على 480 قرية. ويسكنه 53674 نفساً. وهم من المسلمين والمسيحيين والنصيرية⁽²⁾.

التدبير الثاني، طاول الساحل الشرقي للبحر المتوسط، من شماله إلى جنوبه. ففي نيسان عام 1865، قسمت بلاد الشام كلها إلى ولايتين كبيرتين: ولاية سوريا مركزها دمشق، وولاية حلب. وبذلك تكون ولاية صيدا - بيروت قد اختفت؛ وأن ولاية سوريا باتت تتألف من: أياالت الشام وأياالت طرابلس الشام (صيدا - بيروت) القديمتين ولواء القدس الشريف. وبات لواء اللاذقية (الملغى) مقسماً إلى أربعة أفضية (بدلاً من قضائين) منفصلة عن بعضها البعض، على رأس كل منها مدير وكاتب؛ وألحقت هذه الأفضية بلواء طرابلس الشام، الذي بات تابعاً لولاية سوريا⁽³⁾. وقد جاء تشكيل هذه الأفضية على الشكل التالي:

1 - قضاء اللاذقية، عدد قراه 182 قرية يسكنه 35582 نسمة؛ وهم من المسلمين والمسيحيين والنصيرية.

2 - قضاء صهيون، مركزه قلعة بابنا؛ عدد قراه 334 قرية وعدد سكانه 24724 نسمة؛ وهم من المسلمين والنصيرية وقلّة قليلة من المسيحيين.

(1) عوض، المرجع السابق، ص 66 - 67.

(2) لمزيد من الإيضاح حول هذين القضائين، يراجع ملحق رقم 2 المرفق ربطاً بالدراسة.

(3) عوض، المرجع السابق، ص 69.

3 - قضاء جبله، عدد قراه 185 قرية، وعدد سكانه 23734 نسمة، من النصيريين وقلّة من المسلمين.

4 - قضاء المرقب، مركزه قلعة المرقب، عدد قراه 218 قرية، عدد سكانه 21050 نسمة، ثلثهم تقريباً من المسلمين والمسيحيين؛ أما النصيرية فيشكلون ما يزيد على الثلثين⁽¹⁾.

وهنا يمكن القول، بأن هذين التدبيرين الإداريين، اللذين تمت الإشارة إليهما، لم يكونا في صالح مدينة اللاذقية من جهة، ولا في صالح المدن الساحلية الأخرى من جهة ثانية، عندما حرمت هذه المدن (المراكز) من سلطة إنهاء القرار الإداري ووضعت في دمشق. وهذان التدبيران، لا يمكن إلا أن يدخلوا في نطاق الصراع، الذي كان دائراً بين السلطنة العثمانية، الساعية إلى الخلاص من كابوس محمد علي باشا بمساعدة الدول الأوروبية من جهة، وبينها وبين هذه الدول، من أجل الحد من نفوذها داخل ممتلكاتها من جهة أخرى. وهكذا، جاء التنظيم الإداري، الذي أقدمت عليه السلطنة، ليكون واحداً من وسائل الضغط، راح كل طرف يستخدمه في وجه الآخر. فالدول الأوروبية - خاصة فرنسا - كانت تعمل مع الدول الأخرى باتجاهين: اتجاه نقل مركز تجارتها الدولي على الساحل الشرقي للبحر المتوسط من صيدا إلى بيروت؛ واتجاه أن تكون بيروت المدخل الدولي الأول على الساحل المشار إليه، إلى الداخل السوري، ولاسيما على الصعيد التجاري. علماً أن هذين الاتجاهين كانا يشقان طريقهما على حساب المدن الساحلية الأخرى: صيدا، وطرابلس والشام، وعكا واللاذقية. وهذا الأمر يبدو واضحاً من خلال استعراض بسيط للذي جرى على الصعيد الإداري وكان في صالح الخطة الفرنسية.

لقد تشاركت مدينة بيروت - في خطوة أولى - مع مدينة صيدا في مركز الأيالت (أيات صيدا - بيروت)؛ وفي خطوة تالية تحولت إلى مركز لواء تابع لولاية سوريا، على حساب صيدا. وتراجعت طرابلس أولاً من مركز أيات، إلى مركز لواء تابع لأيات صيدا - بيروت؛

(1) لمزيد من الإيضاح حول تشكيل هذه الأفضية، يراجع ملحق رقم 3 وملحق رقم 4 المرفقان ربطاً بالدراسة.

وثانياً إلى مركز لواء تابع لولاية سوريا. وما ينطبق على طرابلس ينطبق على عكا. أما لواء اللاذقية، فقد تراجع خطوتين كبيرتين: الأولى، بالنسبة إليه كلاء، عندما ألغي عام 1840، وتحول إلى قضائين منفصلين عن بعضهما، قضاء اللاذقية وقضاء جبله، يرتبط كل منهما على حدة بآيالت صيدا - بيروت؛ ثم في الخطوة التالية، عندما قسم إلى أربعة أفضية منفصلة عن بعضها ومرتبطة بلواء طرابلس الشام التابع لولاية سوريا عام 1868. أما بالنسبة للاذقية كمدينة فقد باتت في مستوى أقل مما كانت عليه بكثير وباتت في موقع إداري يتساوى مع المرقب وجبله وصهيون.

أما خطة السلطنة في هذه المواجهة، فقد استندت إلى أمرين: الأول، هو الانتقاص من المستوى الإداري للمدن الساحلية، وجعلها في مستوى لا يمتلك فيه المسؤول سلطة القرار النافذ؛ أما الثاني، فهو تحكمها بالموقع الإداري المقرر، عندما حرمت المدن الساحلية من هذه السلطة وربطتها بوالي دمشق. وهكذا تمكنت السلطنة - إلى حين - من التحكم بالساحل عبر الداخل من دمشق وحلب باختيار مسؤولي هاتين الولايتين من أصحاب الرتب العالية (وزير وصدر أعظم) والخبرة، الذين تملسوا بالمسؤولية وممن ثبت لديها إخلاصهم ووفائهم لها.

لقد أشار الياس صالح اللاذقي، إلى إلغاء لواء اللاذقية بألم مريع، لأنه أدى إلى تأخر اللاذقية والإضرار بالمصالح العمومية، المادية للأفضية المذكورة. هذا بالإضافة إلى الإخلال بنظام شهد على صحة وجوب بقائه والمحافظة عليه عشرون قرناً من الزمن. ورأى أن من قاموا به، قد حكمتهم أنانياتهم ومصالحهم؛ وأنه لا بد أن يعودوا إلى تغييره مع الوقت عندما يلمسون جسامه الخطأ الذي ارتكبوه. وإذا أردنا أن نلخص نتيجة الصراع بين التجار الفرنسيين والسلطنة العثمانية على الصعيد الإداري في هذه المرحلة، يمكن القول بأن السلطنة قد نجحت - إلى حين - بالقبض على قرار المدن الساحلية عبر الداخل من دمشق، عندما جعلت بيد واليها سلطة القرار الإداري لإنهاء كل القضايا. وفي الوقت نفسه، فقد نجح الفرنسيون في تحقيق عدة أهداف لخطتهم⁽¹⁾.

(1) لمزيد من الإيضاح حول الصراع الذي كان دائراً بين السلطنة العثمانية والتجار الفرنسيين وغيرهم من التجار الأوروبيين، يراجع: الياس جريج، ولاية بيروت، التاريخ السياسي والاقتصادي 1887 - 1914، مكتبة عكار بدون تاريخ

- 1 - دفعت بيروت إلى الواجهة وأبعدت صيدا واللاذقية⁽¹⁾ من أمامها بشكل كلي.
- 2 - على حساب والي دمشق وتعنته، تشكل «المجلس الأعلى للتجارة» على الساحل الشرقي للبحر المتوسط في بيروت، التي احتفظت ببقاء اجتماعاته واجتماعات المحكمة العليا للتجارة فيها⁽²⁾. كما جرى تعيين «مدير سياسي» لبيروت، يقيم فيها ويكون «حلقة وصل بين القناصل العاملين للقوى الدولية» والحاكم العام في دمشق⁽³⁾. وبذلك، انفتح هذا الصراع الخفي، من أجل أن تصبح بيروت بمصاف دمشق وحلب مركز ولاية. واستمر هذا الصراع في تصاعده إلى أن تحولت بيروت من مركز سنجق إلى مركز ولاية، يتبعها: سنجق طرابلس وسانجق عكا وسانجق نابلس وسانجق اللاذقية في عام 1887.

-
- (1) الياس صالح اللاذقي سبب الغاء لواء اللاذقية وتشثيته إلى اقضية مرتبطة بلواء طرابلس الشام، إلى وجود حمدي بك متصرف لواء طرابلس في قومسيون كبار المأمورين لترتيب الأولوية والأفضية في ولاية سورية. وان ما قام به هذا المأمور الكبير كان من أجل مد نفوذه وسيطرته إلى لواء اللاذقية أيضاً.
 - (2) أوردت «سالنامة ولاية سورية» تشكيل المحكمة العليا للتجارة في بيروت كما يلي:
رئيس: عبد القادر الدنا أفندي.

- أعضاء دائمة: نقولا النقاش أفندي - عبدالله بيضون أفندي.
- أعضاء مؤقتة: محمد أفندي زنتوت - بشارة صباغ أفندي - علي سلام أفندي - نقولا صبحي أفندي.
- كتابة: اسكندر أفندي، كاتب أول - سعد الدين أفندي، كاتب ثانٍ - يوسف أفندي، كاتب ثالث - محمد أفندي، مفيد أول - عبد الرحيم أفندي، مفيد ثانٍ - رزق الله أفندي، ترجمان.
- ممثلو الدول: عن فرنسا: موسيو بيرو، موسيو دو بيلان، موسيو كلازي - عن انكلترا: موسيو فلتاكي، موسيو خريستوفر - عن هولانده: موسيو بدروني، موسيو عيد - عن المانيا: موسيو شارليه، موسيو فانكرناتل، موسيو كريتمش، موسيو ستوب - عن اميركا: موسيو هلك، موسيو غرندوزي - عن إيران: موسيو عيد، موسيو سابا - عن الروسيا: موسيو فلتاكي، موسيو بسترس - عن بلجيكا: موسيو واني. سالنامة ولاية سورية لعام 1298 هـ دفعة 13، ص 148.
- (3) لمزيد من الايضاح حول الاهداف التي حققها الفرنسيون لصالح خطتهم على الصعيد الإداري لدفعها إلى الواجهة على حساب المدن الساحلية الأخرى، يراجع: الياس جريج، ولاية بيروت، مرجع سابق، ص 81 - 83.

ب - المعارف التاريخية

«أثار الحقب في لاذقية العرب»، غني بالمعارف التاريخية. وهي قسمان:

الأول، معارف تاريخية عن مدينة اللاذقية

وهي عبارة عن محطات متميزة من تاريخها القديم والوسيط والحديث، وصولاً إلى الفترة التي كتب فيها هذا الكتاب. هذه المعارف، تساعد المواطن على فهم الواقع الذي أشار إليه في قسم المعارف الجغرافية... ومن المفيد أن نشير إلى بعض هذه المعارف تحت عدد من العناوين.

- لاذقية العرب. أثناء فتوحاتهم، دخلها العرب المسلمون تحت راية الإسلام بقيادة أبي عبيدة بن الجراح، في عام 637 م وأسموها «لاذقية العرب». وكانت في الجيل الرابع للهجرة مقاماً للأمرء التنوخيين، وفيها توفي محمد بن اسحق التنوخي.

- اللاذقية بين الصليبيين والمماليك، لقد كانت المدينة بيد الروم البيزنطيين، عندما قدمت الحملة الصليبية الأولى، عام 1096 متوجهة إلى القدس. وأنه في عام 1098، قدمها البيزنطيون لقادة الحملة فجعلها هؤلاء مركز لقاءاتهم واجتماعاتهم. لكن، «ريمون دي تولوز» (Raymond de Toulouse) (1105 - 1042) استولى عليها في عام 1103؛ كما استولى الصليبيون شيئاً فشيئاً على الحصون والقلاع، التي كانت من أعمال اللاذقية: كمرقبة وقلعة المرقب وقلعة صهيون وحصن العيدو وحصن القدموس عام 1129؛ وصارت الحرب سجالاً من أجل السيطرة على هذه المواقع بين الصليبيين والأيوبيين حتى العام 1287، عندما حاصر السلطان قلاوون اللاذقية واستولى عليها على إثر زلزال ضربها - أثناء الحصار - فهدم أبراجها ومنازلها؛ وتحت وطأة الحصار، خرج منها الصليبيون حاملين معهم أمتعتهم وما أمكنهم حمله من كنوزها ودخلها المماليك وهدموا البرج القديم القائم لجهة البحر واستولوا على عدد من كنائسها الكثيرة التي كانت موجودة فيها. وهنا لا بد من الإشارة إلى مسألة أساسية، وهي أن سبب مهاجمتها في العام 1287 من قبل ممالك مصر، يرجع إلى أن تجارتها الناشطة كانت تهدد تجارة الإسكندرية وتخيف تجارها.

- اللاذقية في رحلة ابن بطوطة، لقد زار هذا الرحالة المغربي المدينة في عام 1356؛ وخصّها في كتابه «تحفة النظار في غرائب الأمصار» بعدد من الإشارات السريعة والهامة في آن معاً. لقد تناول في واحدة منها قدم المدينة فأرجعه إلى عهد النبي موسى؛ وأشار في واحدة أخرى إلى الزيارة التي قام بها إلى «دير الفاروس» في ظاهر المدينة وقال عنه بأنه أعظم دير يسكنه الرهبان في مصر والشام؛ وأن أحد رهبان هذا الدير الحمويين يدعى «سابا»، كان يقيم فيه وقتل شنعاً بسبب من آرائه؛ كما أنه عثر أثناء نبش التراب من إحدى ضرائب الدير على إنجيل يوناني مكتوب على رق، وأن هذا الإنجيل كتب في القرن الخامس بريشة الراهب «تاودوسيوس» رئيس الأديار آنذاك، وهو محفوظ في كنيسة القديس جاورجيوس باللاذقية ويدعى «إنجيل الفاروس».

- جبله تأخذ مكانة اللاذقية، ويرجع السبب في ذلك، إلى أن اللاذقية قد أحرقت على يد ملك قبرص «بطرس لوسينيان» (Pierre Lusignan) عام 1363. فبعد أن فشل هذا الملك في تجيش أوروبا لتجديد «حرب صليبية»، قام بمساعدة جمهورية البندقية وفرسان رودوس (الداوية سابقاً) ومن استطاع جمعهم من أصحاب الرؤوس الحامية في أوروبا، بغزو الاسكندرية وإحراقها؛ ثم وصل هؤلاء بعد مدة إلى سوريا، فأحرقوا مدن: طرابلس الشام وطرطوس واللاذقية وغيرها. كما تعرضت المدينة للخراب عام 1400م، عندما انتزع تيمورلنك سوريا من يد الأتراك الجراكسة. وبعد أن استعادها هؤلاء من أيدي المغول، بقيت مدة طويلة خربة وقليلة السكان. ولذلك فقد نقل مركز الحكومة إلى جبله، وأطلق على لواء اللاذقية «لواء جبله»، واستمرت تحت حكم الجراكسة إلى عام 1517، عندما انتزعها العثمانيون وصارت - ككل المدن السورية - تحت سيطرة السلطنة العثمانية.

وكان البلص والابتزاز جزءاً من سياسة مسؤولي السلطنة، يمارسه أولئك الذين يكلفون بأعمال جباية الضرائب المترتبة على أبناء البلاد، أو الذين كانت تعيّنهم للقيام بأعمال الجردة^(*). فما أن يتسلم هؤلاء مسؤولياتهم، حتى كانوا يحضرون إلى المكان المنوي ابتزازه وبلصه، مصحوبين بقواتهم العسكرية ليخيموا فيه. وكانت هذه السياسة تطاول أناساً أغنياء

(*) جردة، الجردة: تكاليف المؤن التي يطلب من باشوات المدن الواقعة على طريق الحج إلى مكة المكرمة أن يحضروها لملاقاة قافلة الحجاج. وكان على باشوات الجردة أن يلاقوا قافلة حجاج بلاد الشام عند قلعة مزيريب في منتصف الطريق بين مكة ودمشق.

محددین. وكان أبناء اللاذقية يخشون من ممارسات هؤلاء وما تجرّه عليهم من ويلات، خاصة بعد أن عمّرت المدينة وعاد دولا ب حياتها الاقتصادية إلى الدوران منذ عام 1693. وقد أشار الياس صالح اللاذقي إلى عمليات ابتزاز وبلص كثيرة تعرضت لها المدينة نشير هنا إلى اثنتين منها: الأولى، حصلت في عام 1796، عندما قدم «محمد بن العكش بن السباعي» متسلماً وملتزماً مال اللاذقية مصطحباً معه مئتي عسكري؛ فجذعت المدينة لقدمه، وعلى الأثر، قام «ابراهيم باشا أبو بلطه» المتقدم فيها ورئيس تجار كرخانة الدخان، فسعى هو والتجار إلى جمع دراهم من التركمان وسكان «بيت الشلف» والصهاونة (سكان صهيون) من أجل إرضائه وتجنب المدينة من وقوع محذور.

الثانية، حصلت في عام 1825، على يد «علي بك الأسعد» من عكار؛ الذي كُلف بالقيام بأعمال الجردة، في طرابلس واللاذقية⁽¹⁾. غير أن اللاذقية في هذه المرة لم تسلم من المحذور، إذ فقدت «عبدالله الياس»، أحد وجوه البلدة الذي بلص ثم قتل وصودرت أمواله على يد هذا البك، قبل أن يعرض المغدور به قضيته على والي دمشق ويفتضح أمر هذا البلص⁽²⁾.

(1) أشار صاحب كتاب «الإمارة المرقبية»، إلى تعيين «محمد بك الاسعد» متسلماً على طرابلس عام 1824 لستين متتاليتين. وإلى منحه لقب «باشا» تقديراً لخدماته الجليلة التي قدمها للسلطنة العثمانية. وانها أضافت إليه عام 1825 مهمة القيام بأعمال الجردة. ويؤكد صاحب «الإمارة المرقبية» ان علي باشا الأسعد من أجل مسألة الجردة، قد اختلف مع «الذمين»: نصرالله ولد بطرس زرق» و «جرس بني ولد مخائيل». وهما من كبار تجار مدينة طرابلس. وانه نتيجة هذا الخلاف غادر المذكوران المدينة ثم عادا إليها بعد مدة. وليس هنا مجال الدخول في تفاصيل هذه المسألة. لكن، لمزيد من الايضاح، يراجع: خالد مصطفى مرعب، الإمارة المرقبية، امتدادها الجغرافي وتطورها السياسي حتى سنة 1840، دار النجاري، طرابلس لبنان، الجزء الأول، طه 1، 1992، ص 212-218 وص 222-225.

(*) مما أشار إليه الياس صالح اللاذقي حول قضية المغدور هو أن «عبدالله الياس»، كان كاتباً ومقرباً عند علي بك الأسعد في عكار؛ ثم غضب عليه وقتله خنقاً وضبط موجوداته. قيل إن سبب غضبه عليه أنه أمره أن يكتب له أسماء أغنياء البلدة من مسلمين ونصارى ليصادرهم لأجل مصروف الجردة فاعتذر؛ ولذلك، فقد غضب عليه واتفق أنه كان هناك من هيج غضبه وأغراه بأن يبلصه مطعماً إياه بأنه منه وحده يمكن الحصول على المبلغ اللازم من النقود. فبلصه بمبلغ وافر ووضعه في السجن ولم يطلقه حتى قبض منه المبلغ تماماً ولما أطلق سعي به لديه أنه عازم على السفر إلى الشام ليشكوه إلى واليه. فألقى القبض عليه من جديد، ثم استحضر شاهدين شهدا عليه أنه طعن في الشيخ محمد المغربي وقال إنه من الواجب طرده من البلدة، فحكم بقتله.

القضاء على حكم حنا كبه 1799-1803

دفع تكرار عملية الابتزاز والبلص تجار اللاذقية - الذين كانوا من ضحاياها - إلى السعي من أجل التخلص من باشوات الجردة وابتزاز المتسلمين. كان ذلك أثر طلب أحمد باشا الجزائر، والي عكا (1783-1803) من أهل المدينة أن يرسلوا إليه الرجال والمال إلى عكا عام 1799 للمعاونة على طرد نابليون بونابرت (1769-1821). وقد تزعم حركة المطالبة هذه التجار وعلى رأسهم «حنا كبه». الذي كان على حد تعبير الياس صالح اللاذقي «حاذقاً مقدماً جسوراً محباً للتقدم فلم يؤخره كونه مسيحياً عن أن ينتهز الفرصة التي تفضي له بالوجهة والتقدم». لقد تمكن هذا الرجل المقتدر مادياً والمتقدم بين تجار «كرخانة الدخان»، أن يقنع وجوه مسلمي البلدة بوجود السعي لاكتساب الراحة بكل وسيلة، وأن يفوضوا الأمر إليه للحصول على الاستقلال بما عنده من الوسائط والتعهد للدولة بمال اللاذقية رأساً، بدون واسطة باشوات طرابلس.

لقد تمكن حنا كبه من الحصول على «فرمان»^(*) يتضمن سلخ لواء اللاذقية عن طرابلس وجعلها محصية مستقلة متعلقة رأساً بالباب العالي وتعيين محصل مسلم بكفالاته. كما تعهد بتوريد المال إلى الاستانة مباشرة^(*). كان من نتيجة هذا العمل حصول

(**) فرمان، هو أمر السلطان العثماني.

(*) كان مال اللاذقية المطلوب منها آنذاك نحو مائتين وعشرة آلاف غرش سنوياً.

حال عمرانية مهمة في اللاذقية، ولاسيما لسور المدينة وللمساجد والكنائس التي هدمتها زلزلة 1796. وأمكن لحنا كبه أن ينجح بحكم لواء اللاذقية بشكل غير مباشر، مما أغاظ الجزار وأثار حنقه وحقدته عليه ولاسيما بعد أن التجأ إليه عدوه «محمد باشا أبي مرق» ورفض أن يسلمه إياه عندما طلبه منه. كما حنق عليه باشوات طرابلس وعكار وكل أولئك الذين يعملون في حقل الالتزام. كما حنق عليه المسلمون المتعصبون الذين رفضوا أن تكون كلمة حنا كبه فوق كلمتهم. وبذلك كانت الظروف مؤاتية للجزار في أن يكيد له ويدبر قتله. وأخيراً نجح بالتنسيق مع «عدره آغا» صاحب جبله بقتله ومصادرة أملاكه وأمواله، مما دفع بأرملته إلى أن تنتقل مع كامل عائلتها إلى يافا بفلسطين، وأن تلجأ إلى «أبي مرق» صديق زوجها المغدور.

إنّ ما يمكن أن نخلص إليه من خلال تجربة حنا كبه في الحكم هو:

1 - إنّ تأمين مصلحة السلطنة وحكامها، لم يكن يوماً مرتبطاً بالحفاظ على دين وطائفة ومذهب الحاكم، بل بتأمين هذه المصلحة فقط، بدليل أن مسؤولي السلطة، قد أرسلوا إلى حنا كبه الهدايا والخلع^(*).

2 - يبدو أن التيار الإصلاحى داخل السلطنة قد بدأ يتكون منذ ذلك الوقت، والأدلة على ذلك كثيرة منها: عندما علم مسؤولو السلطنة بمقتل حنا كبه، أرسلوا إلى اللاذقية محصلاً راج يستقصي عن عائلة المغدور وموجوداته. ولذلك دبر له أعيان المدينة خطة وقتلوه. وعلى الأثر أرسل «علي آغا رستم»، من جبل الأكراد، فزحف هذا برجاله واستولى على المدينة وجال على سكانها معلناً قصده وهو الأخذ بثأر حنا كبه، فهجم عليه المسلمون وقتلوه في دار الحكومة. وبعد علي آغا رستم، أرسلت السلطنة «عبد الرحمن باشا»، وكان هذا والياً على قبرص. وقد جاء ومعه ألفا عسكري وفرقة من الأرناؤوط. ويبدو أن خلافاً حول هذه المسألة قد نشب بين عبد الرحمن باشا (ملقب بالجربان) وقائد الفرقة، فقتل معظم عناصر الفرقة وقطع عشرين رأساً من المقتولين وأرسلها إلى الاستانة، على أنها رؤوس الذين قتلوا حنا كبه وغيره من الحكام الآخرين الذين جاءوا بعده.

(**) بعث الصدر الأعظم، يوسف ضيا باشا (1805-1898)، إلى حنا كبه: خلعة سنوية ودبوساً وغدارة مما كان يستعمله البكوات في تلك الأيام. وأنعم عليه بلقب بك.

التعصب الديني والمذهبي والكره للأجنبي

لقد عبّر الياس صالح اللاذقي عن وجود هذه المشاعر لدى عامة الناس، ولاسيما المسلمين منهم، بأشكال متعددة منها:

1 - إنّ «دوجي» وكيل قنصل انكلترا في اللاذقية، قد أسلم تخلصاً من القتل. وأرجع السبب في ذلك، إلى أنه اعتّم ذات يوم بعمامة بيضاء وخرج إلى السوق. فحياه أحد أعيان المسلمين بتحية الإسلام عن غير روية وانتباه، فرد عليه السلام. ولما انتبه وعرفه هاج وهاج معه الحاضرون من المسلمين، فخاف منهم وأسلم.

2 - إنّ كثيرين من المسيحيين، قد أسلموا في ذلك الحين (1810) وبعده بسبب الاضطهاد والظلم. واعتبر أن ما يحصل في اللاذقية في ذلك الوقت هو من الأمور المستغربة. لكنه في الوقت نفسه، أكد على أنه في الأوقات التي يتحدث عنها، لم يكن أحد في اللاذقية أو في غيرها من بلاد السلطنة، يجسر أن يظهر باللباس الافرنجي بدون أن يحسب حساب خطر الفتك بحياته؛ وأكد أن القناصل كانوا يلتزمون لبس الجبة والقنباذ والاعتماد بالعمائم؛ كما أنه كان إذا أتى مركب افرنجي إلى اللاذقية، لا يجسر قبضانه أن يخرج إلى البر بدون أن تؤخذ له إلى المركب ملابس وطنية ليلبسها قبل خروجه والنزول إلى البر.

3 - عام 1821، خرج عبدالله باشا والي عكا عن طاعة السلطنة العثمانية. ولذلك، فقد سلخت عنه طرابلس واللاذقية، وأعادتهما «أياالت» واحدة تحت حكم واحد، يتعهد بقيام الجردة كالقديم. وعينت «محمد باشا بن المن» في هذا المركز. وفي أيام ولاية هذا الحاكم، مرّ رجل فرنساوي في سوق اللاذقية متعمماً بعمامة بيضاء، فاعترضه بعض المسلمين وأهانوه. فاشتكى إلى قنصله، وعلى الفور أرسل القنصل ترجمانه ليكشف الأمر. فاهتدى إليه وسأله عن سبب إهانته للفرنساوي. فأجابه لكونه متجاوزاً حده ومتعمماً بعمامة بيضاء؛ فأجابه الترجمان إنه تعمم بها بحق المعاهدات الدولية. فهاج وهاج معه المسلمون، وادعوا على الترجمان بأنه شتم الشرع الشريف وهجموا عليه، ففر من بين أيديهم، فتبعوه إلى أمام بيت القنصل، ولما وصلوا كان الباب قد أقفل قبل وصولهم. فأكثروا من الجلبة

والصياح والشتائم والتهديدات؛ ثم رجوا عنه ليرسلوا ويعلموا «ابن المن» في طرابلس بحسب مدّعاهم. كما أرسل القنصل بدوره يعلمه بحسب مدّعاه ومدّعى الترجمان. غير أن ابن المن، لم يركن لأحد من الطرفين. وعندما عاد إلى اللاذقية، أخذ يحقق ويستقصي سرّاً وعلناً، فتأكد لديه صحة ما ادّعه القنصل وترجمانه. ولذلك، قاصص الطرف الآخر بنفي الشيخ «إبراهيم حكيم»، قاضي اللاذقية مع مفتيها إلى جزيرة أرواد حيث أقاما فيها مدة. فاستاء المسلمون من سلوك ابن المن وحنقوا عليه وزعموا أنه نصيري وأشاعوا الخبر، وراحوا يتحينون الفرصة للفتك به. وقد سنحت لهم هذه الفرصة، عندما أقدم ابن المن على أمرين: الأول، عندما قام بعزل أحد أبناء الطريفي من وظيفة مسؤول الضابطة الأمنية «تفنكجي باشي»⁽¹⁾ (Tufenkji Bashi) والثاني، عندما دخل شهر رمضان، أرسل منادياً ينادي في الأسواق، أن كل من يجلس في القهاوي ويقامر بالورق فجزاؤه الحبس. فجلس بعض أبناء الطريفي وأخذ يقامر تعرضاً. وعندما سمع الباشا خبره، أرسل فحبسه. فهاج أبناء الطريفي وساروا إلى الشيخ «محمد المغربي» يستشيرونه في قتله، فأوماً إليهم بيده أن يقتلوه. فاندفعوا وتبعهم جمهور كبير من المسلمين وهجموا عليه في دار الحكومة وقتلوه وقتلوا معه كاتبه.

مصطفى بربر آغا يضرب الانكشارية في اللاذقية

تأتي هذه العملية في إطار حركة الإصلاح والتجديد، التي كانت السلطنة قد شعرت بضرورتها منذ أواسط القرن الثامن عشر. ورأت أن تبدأ هذه العملية بإصلاح شؤون المؤسسة العسكرية وأن هذه المسألة يجب أن تتقدم على سائر الشؤون الأخرى لسببين: الأول، هو أن نظام السلطنة هو نظام عسكري وفساد أمورها قد بدأ بفساد نظام جيشها. الثاني، وهو أن تفوق النظم الأوروبية في الحكم على النظام العثماني، كانت آثاره المادية

(1) تفنكجي باشي: عبارة تركية تعني ضابط الحرس الخاص الذي يحضر بندقية السلطان لرحلات الصيد والرمي. وهو يتمتع بامتياز السير إلى جانب حصان الصدر الأعظم في المناسبات والمواكب الرسمية. ويمكنه أن يتولى مهمة

مسؤول الضابطة الأمنية. Documents..., op. cit. tome 1, p. 321.

تظهر إلى العيان مباشرة خلافاً للشؤون الأخرى. فمدفعتها - على سبيل المثال - باتت تنزل بالجيش العثماني خسائر فادحة عن بُعد شاسع لا تصل إليها نيران الأسلحة العثمانية، وجيوشها صارت تتغلب على الجيش العثماني، حتى عندما تكون أقل منه عدداً. وهنا لا بد من الإشارة، إلى أنه بالرغم من الحاجة الملحة لإصلاح شؤون المؤسسة العسكرية وبداهة الشروع بهذه المسألة، فقد اصطدمت بفرق الجيش الانكشاري، التي أعلنت ثورتها على النظم الجديدة، وخاصة في شأن التعليم العسكري، بحيث كانت الانكشارية تنكر فائدته، خوفاً من انتفاء الحاجة إليها بعد أن أصيبت بالترهل والانحطاط. وفي مواجهتها لحركة إصلاح الجيش كان هؤلاء يقولون: «إن ولي الله الحاج بكتاش، كان بارك جماعة الانكشارية - عند تأسيسها - ودعا لها بالنصر الدائم». وكانوا يزعمون أيضاً «أن بركة ذلك الولي ودعاه يغنيها عن كل تعليم»⁽¹⁾. وأكثر من هذا، فقد تصدت وبالقوة للسلطين والرجال القائمين بالإصلاح وخاصة بإصلاح الجيش. وبذلك، باتت الانكشارية «قوة متخلفة مضادة» (*force retardataire réactionnaire*)، فبدل أن ترهب أعداء السلطنة، راحت ترهب السلطين وتزج بهم في السجون. وكان أول ضحاياها، السلطان سليم الثالث 1789-1807، الذي خلعت وأدخلته إلى السجن، ليتسلطن بعده مصطفى الرابع، الذي لم يبق في موقعه أكثر من سنة (1807-1808)⁽²⁾. ومع ذلك، فقد بقيت فكرة الإصلاح حية في النفوس. ومن أجل اجتثاثها، أُخرج السلطان سليم من السجن إلى الإعدام، كما أُخرج معه شريكه في السجن محمود الثاني، ليتسلطن من (1808-1839)⁽³⁾.

(1) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 76 - 77.

(2) ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 280؛ *Documents. o.p. cit p. 350*.

(3) أشار البرت حوراني، إلى خلع السلطان سليم الثالث، المؤيد للإصلاح وإلى سجنه هو ومحمود الثاني، قبل أن يصبح هذا الأخير سلطاناً. غير أنه لم يشر إلى قتل سليم ولا إلى ارتقاء مصطفى الرابع العرش بعده. حول هذه المسألة، يراجع: البرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 61 - 62؛ أما ساطع الحصري، فقد أشار إلى مقتل السلطان سليم الثالث، من دون أن يسميه؛ كما أشار أيضاً إلى ارتقاء السلطان مصطفى الرابع عرش السلطنة مدة سنة؛ وهذا ما أشارت إليه أيضاً الوثائق الدبلوماسية والقنصلية الفرنسية. ولمزيد من الإيضاح حول هذه المسألة، يراجع:

- ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 73-74 وص 280.

- *Documents...*, tome 1, op. cit. p. 350

يبدو أن السلطان محمود، لم يرهبه السجن ولم يتأثر بإخفاق سلفه وإعدامه، فقرر أن لا ينتظر، فتتأخر عملية إصلاح شؤون المؤسسة العسكرية. ورأى أن يضرب الانكشارية في أماكن انتشارها أولاً، بعيداً عن المركز حيث تتركز قوتها؛ وأن يعمل على إسقاط هيبتها ونزع الهالة التي أحيطت بها، عنها. ولذلك، فقد جرى وضع خطة من أجل ضرب القوى المعارضة لتوجهات السلطنة بالإصلاح. هذه الخطة تقوم على مبدأ أن لا شيء تخسره السلطنة فيما لو اعتمدت بتنفيذ خطتها، على مراكز القوى المحلية المعارضة لها أحياناً، لأن الربح في كل الأحوال مضمون لها. وعلى هذا المبدأ قامت خطة ضرب الانكشارية ومنها انكشارية اللاذقية. ومن المفيد في هذا المجال، أن ندخل إلى بعض تفاصيل هذه الخطة بالاستناد إلى ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي، وما هو متوافر لدينا من معطيات بعض المصادر والمراجع. والخطة على مستويين:

1 - مستوى السلطنة والولاة، وفي هذا المجال يمكن القول، إنه في عام 1808 م 1223 هـ، تولى سليمان باشا على أياالت طرابلس الشام⁽¹⁾، وتولى «كنج يوسف باشا»، على «أياالت الشام»، في نفس هذا العام⁽²⁾. وفي عام 1809 م 1224 هـ، تولى سليمان باشا على «أياالت عكا»⁽³⁾، وفصلت طرابلس عن هذه الأياالت لتلحق بأياالت الشام⁽⁴⁾. وبذلك، باتت طرابلس الشام، من أعمال «كنج يوسف باشا». وهنا استغل قائد الحامية العسكرية في قلعة

Documents..., tome 1, op. cit. p. 370.

(1)

Documents..., tome 1, op. cit. p. 379.

(2)

Documents..., tome 1, op. cit. p. 365.

(3)

(4) أشار انطونيوس ابو خطر في كتابه مختصر تاريخ جبل لبنان، ان حصار مصطفى بربر آغا كان في عام 1808، وعنه

أخذ خالد مصطفى مرعب. ولمزيد من الإيضاح والمقارنة مع ما أوردناه أعلاه، يراجع: خالد مصطفى مرعب، الإمارة

المرعبية، مرجع سابق، ص 195.

طرابلس الشام ومساعدته «مصطفى بربر آغا» فوضى هذه التولية - على حد قول صاحب كتاب «الامارة المرقبية» - وعملاً على الاستئثار بالسلطة. وهنا لا نستبعد أن يكون «سليمان باشا» هو المشجع على هذه الخطوة الانفصالية. ولذلك، لم يبق أمام «كنج يوسف باشا» إلا أن يعمل على تثبيت سلطته على المقاطعات المتمردة. فحاصر القلعة تطبيقاً لأوامر الباب العالي، بمساعدة علي بك الأسعد المرقبي من عكار، وإسماعيل حاكم حماه وغيرهم من حكام المقاطعات، مدة خمسة أشهر. لكن، لم يؤد ذلك إلى النتيجة المرجوة⁽¹⁾. وفي عام 1810م/1225هـ أعفي «كنج يوسف باشا» من مهام إدارة أيات الشام؛ وطلب منه أن يشارك، في حملة ضد الوهابيين؛ وفي الوقت نفسه وجهت أيات الشام على سليمان باشا، علاوة على أيات عكا؛ وبذلك عادت طرابلس تحت متولية سليمان باشا أيضاً⁽²⁾.

2 - مستوى الولاة والمتسلمين، على هذا المستوى، راحت الخطة تبصر النور على الشكل التالي: توسط سليمان باشا، لدى كنج يوسف باشا للتدخل من أجل فك الحصار عن مصطفى بربر آغا لإخراجه حياً من القلعة. وفعلاً كان لسليمان باشا ما أراد. هذه الأمور كلها كانت تجري بعلم السلطنة وأمرها ولم تكن بدون ثمن. وإذا كنا لا ندري ماذا كان نصيب كنج يوسف باشا، فإن حصّة سليمان باشا هي إضافة أيات الشام إلى متوليته؛ وما وعد به علي بك الأسعد بمتسلمية طرابلس، كان من نصيب مصطفى بربر آغا الذي فك عنه الحصار وأخرج من القلعة سالماً ليعود ويتسلم اللاذقية بالإضافة إلى طرابلس؛ أما علي بك الأسعد المرقبي فقد منح لقب باشا وتولى حكم عكار. وهنا يمكن القول بأن الخطة على هذا المستوى باتت جاهزة وبدأت عملية تنفيذ خطة ضرب الانكشارية في اللاذقية على يد مصطفى بربر آغا. فقد ولّى هذا الأخير من طرفه «عثمان آغا طرطوسي» على اللاذقية، ونفى «إبراهيم آغا الصاغصون» و «مصطفى آغا هارون»، وهما من الانكشارية.

(1) لمزيد من الايضاح، يراجع: Documents..., tome 1, pp. 370 et 379 ؛ وخالد مصطفى مرعب، الامارة المرقبية، مرجع سابق،

ص 195.

(2) خالد مصطفى مرعب، المرجع السابق، ص 195؛ و Documents..., tome 1, pp. 370 et 379

ولحق مصطفى بربر آغا بعثمان آغا طرطوسي؛ إلى اللاذقية عام 1810 بصحبة فرقة عسكرية. وعندما وصل إلى مدخل المدينة خرج وجوها لاستقباله، فدخلها باحتفال عظيم ليلة عيد الفطر. ولما قابله الانكشارية رحب بهم ووعدهم بإنعامات وعلوفات وافرة؛ وأمرهم أن ينصرفوا نهار العيد متمنياً لهم الحظ السعيد والسرور الدائم؛ وطلب منهم أن يأتوه، ثاني أيام الفطر؛ وعندما حضروا، دبر لهم خطة أوقعت بهم ومكنته من نزع أسلحتهم واقتيادهم إلى السجن ونفي قادتهم. هذه الضربة، كانت - على ما يبدو - واحدة من الضربات التي تلقتها الانكشارية في هذا الوقت في أكثر من مكان. هذا ما أشار إليه صاحب آثار الحقب في لاذقية العرب⁽¹⁾. هذه الضربة كانت بداية لتوجيه الضربة القاضية اليهم في عام 1826، بعد أن فشلوا في قمع انتفاضة اليونان ضد السلطنة العثمانية في عام 1821⁽²⁾. ومن الجدير بالذكر هنا، أن السلطان محمود الثاني، الذي أمر بالتخلص منهم، قد توفي في عام 1839، وفي ظروف

(1) مما يؤكد أن الانكشارية، قد تلقت أكثر من ضربة في أكثر من مكان غير اللاذقية، ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي وهو أن «حسن آغا شومان»، بيرقدار الانكشارية في اللاذقية، كان حين وقوع حادثة الإيقاع بهم، من قبل مصطفى بربر آغا، في قرية «دمسرخو»، التي كانت في التزامه؛ ذلك لأن آغاوات الانكشارية، كانوا يأخذون قرى ساحل اللاذقية بالالتزام ويستولون على حواصلها. فلما بلغه ما وقع برفاقه في المدينة، ركب جواده واطلق له العنان قاصداً الاستانة بنية تقديم الشكوى إلى رئيس «الأرطه» (الفرقة)، التي كانوا تابعين لها. فلما بلغ الاستانة، رأى أن الدولة قد أوقعت بجميع الانكشارية؛ وأن ذلك جرى بعهد من السلطان محمود لقرضهم من المملكة؛ عندها استولى عليه الرعب والخوف، ورضى من الغنيمة بالاياب. فرجع متكرراً إلى طرسوس، حيث راح يترامى ويكتب من يتوسط لدى الحكومة في اللاذقية، حتى اذن له بالعودة إليها والاقامة فيها بصفة تاجر، وعاد إليها لازماً حده.

(2) لمزيد من الإيضاح حول انتفاضة اليونانيين وفشل الانكشارية في قمعها، راجع: لوتسكي، تاريخ الاقطار العربية الحديث، ترجمة عفيفة البستاني، دار الفارابي بيروت 1980، ص 112-123 سنشير إلى هذا المرجع لاحقاً. لوتسكي، المرجع السابق، ص... أما حول الضربة الساحقة التي وجهها السلطان محمود إلى الانكشارية في عام 1826، فقد أشار البرت حوراني: «وفي عام 1826 أنس السلطان محمود في نفسه القوة الكافية فأقدم على خطوة الإصلاح الاولى، التي كان لابد منها، فحلّ فرق الانكشارية وأبادهها، دون أن يرتفع صوت واحد للدفاع عنها، حتى بين المتدينين المحافظين». البرت حوراني، تاريخ الفكر العربي في عصر النهضة، ص 94.

غامضة، أحدثت بلبلة في صفوف الأسرة العثمانية الحاكمة. فهل كان مقتل من قبل فلول الانكشارية، بدعم من التيار المحافظ في قلب السلطنة؟ إننا لا نستبعد ذلك.

وفي عهد متسلمية مصطفى بربر آغا على طرابلس واللاذقية، لا بد من الإشارة إلى مسألتين: الأولى، قيام النصيرية بالعصيان، فجرّد عليهم حملة عسكرية قتلت منهم خلقاً كثيراً، وأرسل بعض وجوههم إلى الاستانة. الثانية، وهي أن عثمان آغا طرطوسي، قد بقي مدة طويلة متسلماً على اللاذقية. وفي أيامه ذلّ النصارى وأمرهم أن يلبسوا السواد المحض من العمامة إلى الحذاء. غير أنه لم يكن يلبسهم أو يعذبهم وكان عادلاً في الحكم. هذا على حد تعبير الياس صالح اللاذقي في «آثار الحقب في لاذقية العرب».

البرطيل والرشوة جزء من سياسة السلطنة

جرى تناول هذه المسألة بالإشارة إلى الزلزال الذي ضرب اللاذقية في عام 1796، وأدى إلى تصدع جدران كنائسها الخمس وإلى سقوط بعض هذه الجدران. وبذلك فقد باتت هذه الكنائس بحاجة إلى ترميم. وحول هذا الأمر، أورد تفصيلات كثيرة حول طلب الائتماس الذي رفعه أبناء طائفة الروم الارثوذكس إلى المسؤولين في اللاذقية وطرابلس والاستانة، من أجل الموافقة على ترميم ما خربه الزلزال. كما أشار إلى المراجعات التي جرت بهذا الشأن على مختلف المستويات الإدارية من أجل إخراج هذه الموافقة إلى حيز الوجود لمباشرة عملية التنفيذ. وفعلاً فقد تمت هذه الأمور في عام 1822. وجرى ترميم الكنائس بسرعة ودفعة واحدة خلال عشرين يوماً، كان خلالها مسؤولو الطائفة - على حد تعبير الياس صالح اللاذقي - يستعطفون خاطر الكبير والصغير، من المشايخ وغيرهم من شخصيات المسلمين. علماً أن ما دفع من برطيل لإنجاز هذا العمل قد بلغ سبعة آلاف قرش. وهذا ليس رقماً قليلاً بالنسبة إلى ذلك الوقت. ويستدل من التفصيلات التي أشار إليها، أن روح ذلك العصر، كان يتداخل فيها البرطيل بالابتزاز والرشوة والبلص. وأن ربط الموافقة على أصغر الأمور بالمراجع الإدارية العليا في طرابلس والاستانة، لم يكن مسألة

صدفة «محكومة بالحرص دائماً». ناهيك عن أن وجود مسؤول واحد متعصب دينياً في أي موقع إداري كان يلحق الضرر والإساءة بسمعة الحكم ويزيد من المعاناة، وتعقيد الأمور.

الصدف في تاريخ اللاذقية

الصدف في تاريخ اللاذقية كثيرة ومن أهمها:

الأولى، تتعلق بتوسيع أبرشية اللاذقية الارثوذكسية. وقد تمت الإشارة إلى هذه المسألة بالاستناد إلى مصادر كنسية، مفادها أنه في النصف الثاني من القرن السابع عشر، قام على الكرسي الأنطاكي بعد وفاة البطريك «مكاريسوس الحلبي» بطريكان في وقت واحد: كيرلس، وهو حفيد المتوفى، والآخر «ناوفيطوس»، مطران حماة. وبعد منازعات طويلة بينهما، تنازل ناوفيطوس عن البطريكية. وقد توافق هذا التنازل مع وفاة المطران الذي كان وقتئذ على اللاذقية. فأعطيت أبرشيته إلى البطريك المتنازل مضافاً إليها «جسر الشغور والسويدية، ليعيش بوارداتها». وقد جاء ناوفيطوس إلى اللاذقية عام 1683؛ غير أنه توفي بعد أربع سنين. لكن الجسر والسويدية بقيتا ملحقتين بأبرشية اللاذقية منذ ذلك الحين. صاحب «الحقائق الوفية في تاريخ بطاركة الكنيسة الأنطاكية»، الخوري ميخائيل بريك، أشار إلى هذه المسألة، فركز على الانقسام وأسبابه بعد وفاة البطريك مكاريسوس ابن الزعيم عام 1672؛ وعلى دور المال في هذه المسألة؛ كما أشار إلى أن باشا دمشق وقف إلى جانب كيرلس، في حين دعم بطريك القسطنطينية انتخاب ناوفيطوس. أما أسباب رضوخ هذا الأخير إلى الأمر الواقع، فقد رده إلى نتيجة ما تراكم عليه من ديون جراء هذا الوضع الشاذ، وإلى تعهد كيرلس بسداد هذا الدين، بموجب سند كتب بينهما لهذه الغاية⁽¹⁾.

(1) جعل الياس صالح اللاذقي تاريخ الخلاف بين كيرلس وناوفيطوس في أواخر الجيل السابع عشر، من دون أن يحدد في أية سنة؛ وجعل مجيء ناوفيطوس إلى اللاذقية حوالى سنة 1683، أما وفاته فهي بعد أربع سنوات، أي في العام 1687. أما صاحب «الحقائق الوفية...» الخوري ميخائيل بريك، فقد حدد انتخاب ناوفيطوس في عام 1672، وتاريخ انتخاب كيرلس ومدة مسؤوليته فقد جعلهما 1694-1720. وهذا يعني حسب هذه التواريخ التي ذكرها الطرفان أن كيرلس لم يعاصر ناوفيطوس. لمزيد من الإيضاح حول هذه التواريخ وللمقارنة يراجع الياس صالح اللاذقي آثار الحقب في لاذقية العرب، والخوري ميخائيل بريك، الحقائق الوفية في تاريخ بطاركة الكنيسة الانطاكية، دار النهار بيروت 2006، ص 157.

الثانية، تتعلق بطريقة تحويل التبغ المعروف «بالجبلي»، إلى أبي ريحة في عام 1844. يومها لم يتمكن سكان جبال النصيرية من بيع محصولهم من التبغ، بسبب العصيان الذي أعلنوه على الحكومة. ولذلك، فقد بقي التبغ معلقاً في أسقف البيوت، فأسود لونه من أدخنة النار التي كانوا يشعلونها في أيام الشتاء للتدفئة. وفي العام التالي اشترى التجار المحصول بثمن بخس لاسوداده وتغيّر هيئته؛ وأرسلوه - على جري عادتهم - إلى «دمياط» في مصر؛ فوافق طعمه ورائحته مذاق المصريين وراجت سوقه عندهم. بعدها صار التجار، يطلبون من الأهالي أن يعرضوا هذا التبغ لأدخنة النار.

الثالثة، تتعلق بزيارة البطريك الأنطاكي «فيلمون» إلى اللاذقية ووفاته ودفنه فيها في 4

تموز 1767⁽¹⁾.

الثاني: المعارف التاريخية عن لواء اللاذقية

يمكن إدراج المعارف التاريخية، التي ساقها الياس صالح اللاذقي لمواطنه عن لواء اللاذقية

تحت عدد من العناوين، التي تتناسب مع محتوى ما يتحدث عنه. من هذه العناوين:

(1) حول هذا البطريك، أشار صاحب «الحقائق الوفية...» أنه البطريك فيليمون الأول، وأن ترتيبه هو الرابع والأربعون بعد المئة، رسم بطريركاً في مدينة القسطنطينية نهار الأحد الجديد (الأحد الذي يلي عيد الفصح) في آخر نيسان 1766. من أعماله: السماح للمطارنة والرهبان بأكل اللحم جهاراً ونهاراً، وهذه عادة لم تكن موجودة في القديم؛ وعقد مجمعاً تألف منه ومن سبعة مطارنة كانوا موجودين في دمشق، فوضعوا أحد عشر قانوناً دونت في صك بختم البطريك المذكور وامضائه وامضاوات المطارنة... في شهر آذار من عام 1767، خرج من دمشق ليطوف في أنحاء الإبرشيات ويتفقد أحوالها؛ ولما انتهى إلى اللاذقية انتهت أيام حياته ومات ودفن فيها نهار الخامس من تموز. كانت مدة إقامته في سدة البطريكية سنة وشهرين وخمسة أيام. ولمزيد من الايضاح، يراجع: الخوري ميخائيل بريك، الحقائق الوفية في تاريخ بطاركة الكنيسة الانطاكية، مرجع سابق، ص 168-169.

عصر جديد مع الحكم المصري

لقد جعل الحكم المصري المحاكمات بيد مجلس مؤلف من جميع الطوائف. والإجراءات التنفيذية للحكومة، صارت مقيدة بما يصدر عن هذا المجلس. وبذلك، يكون هذا الحكم قد ساوى بين الطوائف أمام هذا المجلس. لقد أدى هذا الإجراء، إلى ارتياح المسيحيين، ومنحهم الأمان على حياتهم وحريتهم وأموالهم ومتاجرهم وموجوداتهم؛ وإلى امتداد سطوة القناصل. لكن، في الوقت نفسه أدى إلى تقليص نفوذ المسلمين بشكل عام، ولا سيما المتنفيين منهم بشكل خاص. مما دفع بهذه الفئة إلى كره حكم إبراهيم باشا والعمل ضده بتحريك سكان الجبال النصرية والمسلمين ودفعهم إلى التمرد والعصيان. واستغلت هذه الفئة غياب العساكر المصرية عن اللاذقية لتدفع سكان الجبال للنزول إلى الساحل ومداومة المدينة والانتشار في أسواقها عام 1834، ودخل بعضهم بيوت النصارى الموجودة على أطراف المدينة. كما حاصر جماعة من النصرية متسلم اللاذقية في داره.

إبراهيم باشا يفرض الأمن بالقوة

لقد بلغ إبراهيم باشا، ما قام به النصريون من عصيان وما جرى في اللاذقية. ولذلك، فقد قرر أن يحسم الأمر بالقوة. وبهذا الاتجاه قام بإجرائين: الأول عسكري، فقد جمع العساكر المصرية ومعها عساكر أمراء جبل لبنان^(*). وعندما توجهت القوة إلى اللاذقية هرب النصريون منها. وخيمت العساكر في قرية «البهلولية»، ففر النصريون منها ومن مقاطعتها. وبذلك، فقد غنمت العساكر مواشيهم وغلالتهم وأمتعتهم، وأحرقت بعض قراهم القريبة من المعسكر؛ ثم أحرقوا لهم حوالى ثلاثين قرية إثر محاولة النصريين الدفاع عن أنفسهم؛ كما هاجمت العساكر قرية «جبلايا» وأحرقت لهم قرى كثيرة؛ وذهبت قوة من البهلولية إلى مقاطعة «صهيون» وكان سكانها قد تحصنوا في قلعتها، فتم إخراجهم بالقوة. وعلى الأثر

(*) من أمراء جبل لبنان، الذين شاركوا مع إبراهيم باشا: الأمير خليل ابن الأمير بشير الشهابي، الأمير فندي، الأمير جهجهاه،

الأمير سعد الدين والأمير احمد. وقد شارك هؤلاء الأمراء برجالهم.

حضر أهالي مقاطعة «دريوس» واستسلموا. وانتقلت العساكر إلى مقاطعة بيت الشلف، فحضر أهل «المزيرة» و «العمامرة» واستسلموا. وكان أهالي «بيت ياشوط» و «السرامنة» و «التراحلة»، قد رابطوا على نهر السن وهزموا قوة للأمير بشير الشهابي فأنجدها المعسكر بقوة هزمت المرابطين. واندفعت العساكر من تلك المقاطعات تنهبها وتحرقها. فما كان من أهل مقاطعة «القرداحة»، إلا أن استسلموا وتعهدوا بتسليم أسلحة المقاطعة جميعها. غير أن ما سلموه كان سلاحهم فقط واعتذروا عن تسليم الباقي؛ وعلى الأثر قامت العساكر بحرق بعض قرى من المقاطعة وانهزم النصيريون إلى الجبال ونهبت القرى وأحرقت. ثم صعدت العساكر إلى «الشعرة» وأحرقوا نحو خمسين قرية. وبعد هذه الأعمال رجعت العساكر الآتية من جبل لبنان إلى مكانها في الجبل؛ أما العساكر المصرية فقد بقيت حتى سويت شيئاً فشيئاً مسألة تسليم أسلحة أهالي الجبال.

الإجراء الثاني، كان إدارياً. فقد عزل سعيد آغا عن متصرفية اللاذقية، وعين «يوسف بك شريف» أحد أعيان حلب مديراً لللاذقية وطرابلس، وكانت إقامته في اللاذقية. وبإدارته جرت الأحكام وضرب عنق «عبدالله آغا عدره»، وتم جمع السلاح من النصيريين وقتل معظم أشقيائهم ورؤسائهم.

خروج الحكم المصري من سوريا

لقد أجبر التحالف الدولي، (انكلترا، وروسيا، والنمسا وبروسيا)، مع السلطنة العثمانية، الحكم المصري على الخروج من سوريا عام 1840. وبعودة السلطنة إلى بلاد الشام، عاد معها النظام الإداري القديم. فقد عينت «محمد آغا خزندار» متسلماً، لكنها عادت وعزلته عام 1841، وجعلت الإدارة الحكومية في اللاذقية مقسومة إلى إدارتين مستقلتين: إدارة ضابطية وإدارة مالية. وفي عام 1843، تحولت الحكومة إلى قائم مقامية وجعلت المصالح المالية تحت إدارة مدير بمعية القائم مقام؛ أما المجالس، فقد بقي ترتيبها كما كان عليه في عهد الحكم المصري؛ وقد أدى بقاؤها على ما كانت عليه إلى نتيجتين هامتين: الأولى وهي

أن المسيحيين كانوا مرتاحين لهذا التدبير، الثانية وهي أن المسلمين كانوا غير مرتاحين له، لأنه يساوي بينهم وبين المسيحيين. ولذلك، فقد عادوا إلى التعدي على النصارى وعلى أبناء الملل الإسلامية الأخرى، غير مكرثين للتحويلات التي جرت على الصعيد المحلي في عهد الحكم المصري، ولا لتلك التي جرت على الصعيد الدولي بعد خروج هذا الحكم. وكان من جراء ذلك، أن تعرضوا للقصاص، الذي كانت تبدو مع تنفيذه روح التشفي والانتقام وغلبة الطرف المعتدى عليه على الطرف المعتدي^(*).

انعكاسات حرب القرم 1854 على لواء اللاذقية

ما بين عامي 1854 و1860، كان اللواء مسرحاً لعدد كبير من الحوادث والوقائع، التي تدل على حالة الضعف، التي أصيبت بها السلطنة بشكل عام والحكم في لواء اللاذقية بشكل خاص. ومن أهم هذه الحوادث كثرة التعديات على النصارى وازدياد الحمایات الأجنبية، حتى بات المحميون يشكلون العدد الأكبر من نصارى المدينة. وباتت هذه الحمایات مصدر شكوى المسؤولين عن تطبيق ما تتطلبه من التزامات، ولا سيما بعد أن تجرأ التجار على حجز مطلوبات الجمرك للاستعاضة عن مبالغ أخذت منهم بدون وجه حق^(**). وأحياناً كان هؤلاء يلعنون هذه الحمایات ويتهددون بها، لأنهم كانوا يجدون أنفسهم محرجين سواء عملوا بها أو لم يعملوا. «فنعيم أفندي» - على سبيل المثال - الذي عيّن مأموراً لتحصيل مطلوبات الجمرك التي احتجزها التجار، قد وجد نفسه أمام ثلاث مجموعات منهم: تجار مسيحيون من رعايا السلطنة مشمولون بنظام الحماية ضايقهم من أجل إنفاذ مأربه بهم دون طائل، لأن

(*) من العلامات التي تدل على أن روح العصر قد تغيرت بعد خروج الحكم المصري من بلاد الشام عما كانت عليه قبله، هي أنه في عام 1846، توفي «قسطنطين ويتالي»، قنصل هولندا وسردينيا، فرفع الصليب أمام جنازته. وكانت المرة الأولى التي يتجرأ فيها نصارى اللاذقية على الخروج بالصليب أمام موتاهم في الأزقة والشوارع.

(**) خففت السلطنة العثمانية الرسوم الجمركية، غير أن المسؤولين في إدارة جمارك سورية اخفوا التعرفة الجديدة واستمروا في استيفاء الرسم بحسب التعرفة القديمة. وقد دام ذلك نحو خمس سنين دفع فيها التجار زيادات باهظة قبل أن يشتهر امر التعرفة الجديدة وتاريخ العمل بموجبها.

هؤلاء لم يكن للحكومة سلطة على أحد منهم، إنما كانت تلتزم أن تلتفت إلى قناصلهم في جميع ما يتعلق بهم عند الاقتضاء. وتجار مسيحيون غير محميين وتجار مسلمون من أتباع السلطنة، هاتان المجموعتان استحصل منهم على كل ما هم حاجزوه بعد مضايقة شديدة كانت تسبب له بالإحراج. كذلك، راحت تكثر حوادث القتل لأسباب تافهة بين أهالي القرى ذات المذاهب الدينية المختلفة. كما ازداد الجور والظلم على أهالي القرى المسيحية في مناطق معينة، لدفعهم إلى الرحيل عن قراهم^(*). ولا نستبعد أن يكون ذلك مرتبطاً بالإعلان عن صدور «نظام الطابو العثماني»، لتسجيل الأراضي وامتلاك رقبته. هذا من جهة، ومن جهة أخرى من أجل دفع المسيحيين باتجاه بيروت لخدمة المخطط الدولي بتحويلها إلى «مدينة عالمية» (Ville Cosmopolite) جامعة لأجناس مختلفة بأكثرية مسيحية.

لواء اللاذقية في فتنه 1860 الطائفية ودور القناصل فيها

لقد تشارك نصارى لواء اللاذقية، مع النصارى الآخرين المنتشرين في مختلف أنحاء سوريا، في حالة الهلع والخوف، التي أحدثها شيوع خبر مذبحه دمشق، من قبل قبطان إحدى السفن الحربية الإنكليزية. لقد جاء هذا القبطان إلى اللاذقية وأبلغ الخبر إلى حاكمها وحاول معرفة مقدار استعداداته وتكفله بوقاية نصارى اللاذقية. كما عرض عليه المساعدة بالعتاد وبالرجال، وإلا فإنه يريد منه تعهداً خطياً بضمان هذه الوقاية. وإزاء إصرار قبطان السفينة

(*) في عام 1859، صادر مدير ناحية «الخوابي» أهالي قرية «بهرميل»، وهم من الروم الارثوذكس، بمال غير شرعي. فنفروا من القرية بنسائهم وأولادهم؛ وجاءوا إلى اللاذقية يتظلمون إلى الحكومة، فلم يلتفت إلى ظلامتهم أحد، لا سيما بعد أن وقف القائم مقام ومن معه من أعضاء مسلمين في المجلس إلى جانب مدير الناحية. وقد تدخل في هذه المسألة وكلاء قناصل الدول الأوروبية، وجرت بينهم وبين القائم مقام مراسلات بهذا الخصوص لم تزد في هذا الأخير إلا التصلب والتعصب مع موقف مدير الخوابي؛ ولم يجدهم نفعاً ما كتبه القناصل العامون في بيروت عن هذه المسألة. ولذلك، فقد استمر أهالي بهرميل مشتمين في اللاذقية يقاسون شدائد البرد والجوع مدة الشتاء؛ كما أنهم لم يروا بعد ذلك فائدة من طول اقامتهم. وفي الربيع ذهب كل منهم إلى مكان طلباً للرزق؛ ثم ما لبثوا أن هجروا قريتهم بشكل كلي. هذا ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي.

على تحميل القائم مقام، ما قد يحدث ضد نصارى اللاذقية، طلب هذا الأخير بضع ساعات من الوقت لإعطاء الجواب. وفي الحال، جمع أعضاء المجلس المسلمين وقص عليهم الخبر وما يطلبه منه القبطان، وطلب منهم ضمانات العاقبة إذا أرادوا منه ألا يقبل المساعدة. وفعلًا فقد أعطوه الصك المطلوب وقام هو بدوره بإبلاغ القبطان بعدم الحاجة إلى مساعدة خارجية، وتعهد له كتابة بحماية النصارى من كل خطر.

وبعد قدوم عشرة آلاف جندي فرنسي إلى بيروت للحفاظ على الأمن، صارت السفن الحربية الأجنبية تتناوب على زيارة كل مدينة من مدن سوريا البحرية. وكان في أكثر الأيام، يوجد في مرسى ميناء اللاذقية بارجة أو أكثر. وقد دام ذلك إلى أن هدأت النفوس واستقر الأمن في سوريا. وقد أشار الياس صالح اللاذقي بشكل واضح إلى مسؤولية «خورشيد باشا»، والي صيدا - بيروت، وإلى «أحمد باشا» والي دمشق، عن هذه المذابح. كما أشار إلى أن السلطنة العثمانية عاقبتهم؛ الأول حجز عليه وحكم بالنفي بعد أن جرد من رتبة لاشتراكه أو لتقصيره في الحوادث؛ والثاني حكم عليه بالإعدام.

وأثناء التحقيق بشيوع خبر الفتنة عثر على أوراق مكتوبة بلا إمضاء أمام باب قنصل روسيا وفي أماكن أخرى من حارات النصارى، تتضمن احتقاراً وشتماً للدين المسيحي وتهديداً للنصارى عموماً وللقتل بشكل خاص. وقد أعلم القناصل القنصليات العامة التابعين لها بهذه المنشورات. وبعد الكشف على الورق والتحقيق الذي أجري بهذا الخصوص، من قبل معاوني فؤاد باشا، تبين أن كاتب هذه الورقة هو «مخائيل استور يعقوب». ولذلك، فقد أودع «استور» والد مخائيل في السجن عدة أشهر، لأنه هو صاحب الحركة. أما ابنه ميخائيل، الذي كان «رؤوف بك»، يريد القبض عليه، لم يتمكن من ذلك، لكونه وجد من بين حمايات قنصلية فرنسا. كما أجري تحقيق مع القائم مقام، «مظهر أفندي»، المسؤول عن تهجير نصارى «بهرميل» و «عبد الرزاق أفندي»، شريكه في الجرائم والرشوة، وحكم عليهما، الأول بحرمانه من الإفادة من خدمات الدولة، والثاني بالنفي المؤبد عن اللاذقية.

لكن ما لبث كل منهما أن استحصل على عفو من الاستانة^(*). وفي ربيع عام 1861، برزت بوادر فتنة في جبل الأكراد، ضد نصارى قرية «كنسبا». والسبب هو أن «محمد آغا يونسو»، أحد أغوات الجبل، وأكثرهم سطوة ونفوذاً، كان حينذاك في «جسر الشغور» مديراً، وجاء إلى جبل الأكراد لأجل قطع سعر الدخان مع السماسرة من نصارى «كنسبا» وبعض تجار اللاذقية من النصارى أيضاً، فلم يوافق هؤلاء على السعر الباهظ الذي حدده محمد آغا. فاغتاض منهم وتهدهم وهيج أغوات جبل الأكراد والأهالي ضد كنسبا. وكان فؤاد باشا ما زال في سوريا، وهذا ما دفع النصارى إلى الخوف أكثر من عاقبة الرفض. ولذلك، فقد كتبوا إلى المطران والقناصل يعلمونهم بالقصة. وبعد جهود بذلت من أطراف متعددة، أدت المفاوضات إلى تحديد سعر الدخان بقيمة مناسبة لجميع الأطراف. وإلى الحصول على صك من أغوات جبل الأكراد بضمانة سلامة مسيحيي كنسبا من الخطر. وهنا لا بد من الإشارة إلى الأمور التالية:

1 - في عام 1861، ألقى القبض على مقدمي القرداحة، وأرسلوا إلى بيروت، فتبعهم القس «ضدس» الأميركاني، وتوسط لأمرهم بواسطة المأمور الذي كان من قبل دولة انكلترا في قوميون إصلاحات سوريا الدولي. وقد أطلقوا وعادوا إلى القرداحة.

2 - إن حكومة حلب تحققت من مظالم وتعديات «محمد آغا يونسو»، وعلمت أنه بنى حصناً في قرية «شنبر»، وذخّره بالبنادق والرصاص. ولذلك، فقد أرسلت إليه العساكر وقبضوا على ابنه ونهبوا الحصن وهدموه. أما هو، فقد هرب إلى اللاذقية والتجأ في بيت «كريسن»، قنصل انكلترا. وعندما طلبه «عمر بك الداغستاني»، قائم مقام اللاذقية، رفض القنصل أن يسلمه إياه. عندها أرسل عسكرياً يحرس منافذ البيت كي لا يهرب. وراحت

(*) من الذين أبدوا مآثر حميدة من المسلمين، في زمن خوف النصارى في اللاذقية، «محمود آغا خزندار». فقد أبدى هذا الرجل كل مشاعر المروءة والغيرة عليهم. أما بالنسبة إلى مخائيل استور يعقوب، فهو العضو الذي كان يمثل الأرمن في مجلس دعاوى اللاذقية. وعندما اخلي سبيل والده استور، كان الحكم يشترط عليه أن لا يعود إلى اللاذقية. لكنه، بعد مدة تمكن بشكل من الاشكال أن يستحصل على عفو مطلق وعاد إليها.

قضية محمد آغا يونسو تتفاعل. فكتب كل من القائم مقام والقنصل يخبر مسؤوله في بيروت عن واقعة الحال. ونظراً للارتكابات التي قام بها ضد الأهالي، طالب أبناء جسر الشغور بإرساله إلى أنطاكية لمحاكمته فيها على المظالم التي ألحقها بهم، كون أنطاكية مركز مديرية الجسر وقريبة منهم؛ أما هو فكان يرفض أن يؤخذ إلى أنطاكية. وأخيراً قرّر الرأي بين الولاية والقنصلية العامة أن يسلم إلى الحكومة، شرط أن تصير محاكمته في اللاذقية. وهكذا بقي مدة في سجن اللاذقية تحت الاستنطاق والمحاكمة، ثم أرسل إلى بيروت حيث أقام مدة، ثم جرت تخلية سبيله.

إننا إذ نشير إلى هذه التفاصيل، فمن أجل التأكيد على مسألة أساسية، يجب أن تؤخذ بالحسبان من قبل المهتمين بتاريخ الطوائف هنا وهناك وفي كل مكان. وهي: إنّ الحماية الأجنبية لتابعة ورعايا السلطنة العثمانية، لم تكن مقتصرة على أبناء الديانة المسيحية بكل طوائفها، إنما كانت تشمل أيضاً أبناء الديانة الإسلامية بكل طوائفها ومذاهبها. لكن، إذا كانت الحماية الأجنبية مكشوفة ومعلنة بالنسبة لأبناء الديانة المسيحية فهي بالنسبة لأبناء الديانات الأخرى كانت غير مكشوفة ولا تصبح علنية إلا بعد أن يفتضح أمرها. كما هو الحال مع «محمد آغا يونسو» الذي شغل المسؤولين على مختلف مستوياتهم من أجل أن لا يمس وتطاوله العدالة.

3 - خلال فتنه 1860، أدرك المسؤولون العثمانيون أهمية الوقت والسرعة في إيصال المعلومات والتعليمات والأوامر، وضرورة تسهيل الاتصالات فيما بينهم، ولا سيما خلال الأحداث والفتن الدامية. ولذلك، فقد جرى تمديد السلك التلغرافي من اللاذقية إلى طرابلس في بيروت، ثم من اللاذقية إلى حلب وديار بكر. وكانت هذه الأخيرة تصل بين بغداد من جهة والاستانة من جهة أخرى. وبذلك، فقد باتت اللاذقية متصلة بالاستانة وديار بكر بشكل غير مباشر في كانون الثاني 1863. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، بطرابلس وبيروت بشكل مباشر.

حملات عسكرية على النصيرية 1867 - 1870

شنت هذه الحملات على النصيرية، تحت عنوان فرض الأمن والإصلاح في الجبال وجباية الضرائب المتأخرة. وفي هذا المجال سنشير إلى الحملتين الكبيرتين اللتين قام بهما المسؤولون العثمانيون، وإلى ما تمخض عنهما من نتائج.

أ - حملة خورشيد باشا 1867⁽¹⁾

لقد بدأت أسباب الحملة تتجمع، بتكاثر الشرور والفتن في جبال النصيرية، وبانتشار اللصوص في الطرقات، وبتفاقم التعديات والخطف على عابري السبيل. وكانت الأمور تتفاقم أكثر فأكثر بسبب تفريق قوة اللواء العسكرية السابقة على الأفضية الجديدة. فالقوة الواحدة باتت مجموعة قوى، كل واحدة منها ضعيفة على حدها. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان عدم وجود التنسيق بينها، يسمح للمرتكبين أن يفلتوا من القصاص في الوقت المناسب. بمعنى أنه، إذا ارتكبت مجموعة من قضاء جرائم في قضاء آخر، لا يتوصل حاكم القضاء الذي عاث عنده الأثقياء إلى محاسبتهم وتأديبهم إلا بعد فوات الأوان، لكونهم تحت سلطة حاكم غيره. إن تفاقم الوضع بهذا الشكل، قد بات لا يطاق، ودفع حكومة اللاذقية إلى التشكي، وإلى مجيء خورشيد باشا، متصرف اللواء بنفسه من طرابلس إلى اللاذقية من أجل إصلاح الوضع. وبعد أن أقام في اللاذقية عدة أيام، سار إلى جبله، حيث أقام فيها معسكراً من الجنود النظامية ومن أهالي المقاطعات الإسلامية، الذين استدعاهم إليه. غير أنه صدم من نتيجة الجولة الأولى من القتال. فقرية «البودي» في «جبل بني علي»، ألحقت به هزيمة منكرة وأجبرته على طلب النجدة من الولاية. ثم عاد إلى دهم القرية مرة ثانية، فقتل منها خلق كثير

(1) أشار الملحق رقم 7، وهو عبارة عن قائمة بالولاة الذين حكموا طرابلس، أن خورشيد باشا كان والياً على طرابلس عام 1283 هـ 1867 م. وهذا يعني أن خورشيد باشا لم يكن مسؤولاً عن طرابلس في هذا العام حسب هذا المصدر.

وأحرق جانباً منها، ثم عاد إلى جبله تغمره زهوة النصر لإنزاله الرعب على جمهور النصيرية. لقد أدت هذه المعركة إلى عدة نتائج:

1 - لدى عودة خورشيد باشا إلى جبله، تقاطر اليه بعض المقدمين لتقديم الطاعة والخضوع. فألقى عليهم القبض بالحنكة والحيلة. وانتقل إلى صهيون واستدعى اليه جميع مقدمي ورؤساء النصيرية، على أساس أن له معهم مذكرات عائدة لخيرهم. ولما اجتمعوا عنده أمر بالقبض عليهم، وساقهم إلى جبله وجاءته باخرة عثمانية نقلتهم إلى طرابلس، حيث أودعوا في قلعتها. وقد بلغ عددهم اثنين وسبعين شخصاً، كلهم من المقدمين والوجوه. وكانت هذه هي المرة الأولى، التي يقع فيها هذا المقدار من مقدمي ووجوه النصيرية من جميع المقاطعات دفعة واحدة في يد الحكومة^(*).

2 - أرسل في 5 جماد الثاني 1284 هـ «بيورلدي»⁽¹⁾ (Buyurldi) إلى قائم مقاميتي جبله واللاذقية، ضمنه تعليماته وأوامره. وقد توجه بها إلى القائم مقامين وعبرهما إلى: النائب، والمفتي، وأعضاء مجلس الإدارة، وأعضاء مجلس الدعاوى، وأعضاء مجلس التجارة والبلدية، وقومسيون الأملاك، وأصحاب الرفعة والفتاوى والحمية، والأفندية، والأغاوات، والمختارين، وأعضاء مجلس الدوائر وعموم اختيارية الأهالي، وعبر كل هؤلاء الذين أشرنا إليهم، إلى أهالي قضائي جبله واللاذقية.

لقد بدأ هذا الكتاب بشرح أسباب الحملة وظروفها وملابساتها. وأشار بأنها قد جاءت بناء على توجهات السلطنة. لقد أسمى هذا «البيورلدي» «دستور العمل»، وضمنه الأوامر التالية:

- العمل بمبدأ الكفالة المتسلسلة في القرية، حتى لا يبقى أحد بدون كفيل، وعلى هذه الصورة لا يبقى أي شخص مجهولاً.

(*) كان من جملة من قبض عليهم في هذه الحملة: المقدم «الشيخ إبراهيم سعيد»، أكبر مشايخ فرقة الكلازية.

(1) بيورلدي: لفظة تركية تعني الأمر الصادر عن الصدر الأعظم أو الوالي العالي الشأن. هذا الأمر يوجب على الموجه إليهم أن ينفذوه بسرعة. وبعد تنفيذه يصبح عرفاً.

- أن تتكفل كل قرية من قرى القضاء عبر المختارين والاختيارية بأن لا يكون بينها أو في بيت عندها جماعة أغراب أو سارقون؛ وإذا وجدوا وجب عليها إخبار الحكومة وتسليمهم إليها.
- منع نقل سلاح مخالف للشروط الضبطية.
- منع نقل حانة من قرية إلى قرية بدون رخصة.
- منع الانتقال من قضاء إلى قضاء بدون تذكرة سفر. وعلى القرية التي يأتي إليها شخص من قضاء آخر أن تحيط الحكومة علماً، وعلى الخصوص التدقيق بقضية نظام المرور فوق الغاية بنفس البلدة وعلى الذين يحضرون أو يتوجهون براً وبحراً.
- جلب المدعى عليهم إلى مركز القضاء متوقف على أخذ تذكرة إحصائية بيد المدعي من جانب الحكومة.

- إلغاء لفظة «مقدم» وعموم التلفظ بها، والمخالف يتعرض للمساءلة.
وأعطى مهلة عشرين يوماً لتنفيذ مضمون هذه الأوامر والتعليمات، وطلب الإفادة عن واقع الحال بعد التنفيذ.

3 - بناء على وعد بالمساعدة من خورشيد باشا، كتب أهالي اللاذقية عرضاً إلى الوالي وقدموه إليه برفقة أعضاء مدينتهم. ومن أهم ما تضمنه هذا العرض هو المطالبة بجعل اللاذقية مركز لواء ولو إلى حين، لأجل التجربة وتلمس الفرق بين أن تكون مركزاً للواء أو لقضاء. وقد جرت المذاكرة بهذا العرض، وقرّر القرار على إلغاء قائم مقامية صهيون فقط والحاقها باللاذقية. وبتعيين «رفعت بك» ابن خورشيد باشا على قائم مقامية جبله؛ كما ألغيت قائم مقامية المرقب وضمت هذه الأخيرة إلى قضاء جبله. وبذلك، فقد صرف خورشيد باشا النظر عن مساعدة الوفد بتحويل اللاذقية إلى مركز لواء. وهكذا بات لواء اللاذقية التاريخي مقسوماً إلى قائم مقاميتين: قائم مقامية اللاذقية وقائم مقامية جبله.

ب - الحملة العسكرية الثانية 1870

قاد هذه الحملة والي ولاية سوريا «راشد باشا» (1866 - 1870) وترجع أسباب هذه الحملة إلى عدة عوامل منها:

1 - توقف تنفيذ الخطة التي أعدها خورشيد باشا، ولا سيما بعد أن أطلق تبعاً زعماء ومقدمي جبال النصيرية الذين سجنهم في قلعة طرابلس وجرى عزله. وكانت عملية إطلاق سراح هؤلاء قد اقترنت بشائبة الرشوة والابتزاز. ولذلك فقد باتت الإجراءات التي اتخذها قليلة الجدوى من جهة، ومن جهة أخرى، فقد هان على هؤلاء الذين أطلق سراحهم أن يرجعوا إلى ما كانوا عليه، من عدم طاعة الحكومة والاستنكاف عن الخدمة العسكرية ودفع الضرائب، لسبب بسيط يرجع إلى ما تولد عند هؤلاء الزعماء من قناعة تستند إلى أن كل ذنب مهما عظم يغفر بواسطة المال؛ وإن القصد من القبض عليهم وسجنهم، كان الانتفاع الذاتي، بعد أن رأوا أنه لم يفرق بين المذنب والبريء^(*).

2 - ساعد على هذه العودة إلى الفوضى، إهمال سكان الجبال من منافع الحكومة، بالإضافة إلى ضعف شخصيات المسؤولين الذين لم يحسنوا التعامل معهم.

3 - بالإضافة إلى هذه العوامل، راح خلل أحوال الجبال يتفاقم نتيجة ما كان يجري بين أهالي «بيت الشلف» النصيرية وبين أهالي صهيون السنة من تعديات وإخلالات بالأمن. وفي عام 1869 نشبت معركة بين أهالي بيت الشلف ومحازبيهم من جهة وبين أهالي صهيون من جهة أخرى^(*). وتوسع القتال حتى بات المسؤولون غير قادرين على الإحاطة به، ووضع

(*) لتوضيح القناعة التي تكونت لدى الذين اوقفوا في القلعة وأخرجهم خورشيد باشا، أشار الياس صالح اللاذقي إلى الحادثة التالية: فيما كان ابن «عبدالله آغا الطريفي»، مدير مقاطعة المهالبة وبيت الشلف موجوداً في عمارة بيت الشلف مع بعض العساكر النظامية والفرسان لأجل تحصيل الأموال، قابله أهالي بعض القرى بالسلاح باغراء المقدم «محمد خليل»، الذي كان قد اطلق حديثاً من قلعة طرابلس. ولو لم يستدرك الأمر، لاشتبكت معركة بين الفريقين.

(*) حول سبب انفجار الوضع بين صهيون وبيت الشلف، أشار الياس صالح اللاذقي بأنه سارت لصوص من صهيون ليسرقوا بيت الشلف، فأحس بهم أهلها واطلقوا عليهم الرصاص، فقتلوا رجلاً منهم وفر أصحابه راجعين إلى صهيون. فثار أهالي صهيون جميعاً وحشدوا للأخذ بثأر المقتول. وكان أهالي بيت الشلف، قد ضجروا من تعديات لصوص صهيون عل قراهم، فقصدوا الانتقام أيضاً، وتجمعوا وانحاز إليهم جمعة من مقاطعات النصيرية الأخرى. وذهبوا فدهموا قرية «تفيل» - المتاخمة بيت الشلف - من صهيون، فقاتلهم رجال صهيون واشتبكت المعركة بين الفريقين.

حيد له. ولذلك، حضر رؤوف باشا متصرف لواء طرابلس إلى اللاذقية، وكان قضاء اللاذقية وقضاء جبلة تابعين له. وبعد معاينته حقائق الأوضاع القائمة، أخبر الوالي راشد باشا، فحضر هذا الأخير بنفسه إلى اللاذقية في 8 أيار 1870. واستعداداً لمعركة حاسمة، قام بعدد من الإجراءات العسكرية والقضائية والوقائية. وسنتوقف هنا عند بعض الإجراءات القضائية والوقائية والاستراتيجية البعيدة المدى.

فعلى الصعيد القضائي، أمر بإجراء محاكمة المقبوض عليهم من النصيرية. ومما قام به في هذا المجال:

1 - شُكِّل مجلساً مؤلفاً من ضباط عسكريين ومأمورين ملكية، تحت رئاسة رؤوف باشا. وقد أصدر هذا المجلس حكماً بالقتل على أربعة منهم وهم: «اسبردرويش» و «اسماعيل عثمان» من مقدمي القرداحة، و «سلطان فاضل» مقدم البودي و «تامر هويجه» من «بيت ياشوط»؛ وعلى أربعة عشر رجلاً بالنفي؛ وجرى إطلاق الباقين، الذين وجدوا أبرياء.

2 - جرى شنق الأربعة المحكوم عليهم بالقتل سحر يوم الثلاثاء في 4 حزيران 1870. أحدهم، تامر هويجه في اللاذقية، والثلاثة الباقون في جبلة.

وحول تنفيذ هذه الأحكام، أشار الياس صالح اللاذقي بقوله: «إنه من الاتفاق الغريب، أن هؤلاء الثلاثة وهم اسبردرويش واسماعيل عثمان وسلطان فاضل، قد شنق أبائهم في وقت واحد أيضاً، في عهد الحكومة المصرية.

وعلى الصعيد الوقائي، قام راشد باشا بعدة تدابير في وقت واحد منها:

1 - لقد فرض على النصيرية، أن يتعهدوا بتقديم ثمانية آلاف قطعة سلاح للحكومة؛ وقد سلموا أكثرها بحضوره.

2 - قبل أن يغادر جبلة عائداً إلى مركز الولاية، أعطى تعليمات تتعلق بمتابعة الإجراءات والإصلاحات ليعمل بموجبها.

3 - نشر إعلاناً أسماه مرسوماً، توجه من خلاله إلى النصيريين في جبال جبلة واللاذقية والسواحل البحرية بوجه العموم. وهو أشبه بالإنذار لهم ولأمثالهم، ولكل من تسول له نفسه

أن يتناول على السلطنة أو يتجرأ عليها. وطلب منهم أن يسلكوا من الآن فصاعداً مسلك التابعين والرعايا، منقادين دائماً للطاعة وإنفاذ أوامر الحكومة العلية، مثابرين على إيفاء المترتبات الأميرية والقرعة العسكرية والشرعية.

وفي هذا المجال أيضاً، كان لأهالي اللاذقية مساهمتهم؛ فقد قدموا عرضاً عن أوضاع الجبال وحملوا أهلها مسؤولية الفلتان الأمني والسرقات والتعديات. وشكروا راشد باشا ورؤوف باشا والسلطنة على الإجراء الذي تم؛ كما ثمنوا عالياً الجهود والتضحيات التي بذلوها من أجل إقرار الأمن والسهر على الأحوال الأمنية والراحة العامة.

ومن التدابير الاحترازية البعيدة المدى، التي اتخذت بعد انتهاء هذه الحملة:

1 - بقاء فرقة من العساكر في قرية «ديفة»، مركز مديرية بيت الشلف؛ وقد انتقلت إليها من قرية «عفارة» المجاورة لها، تحت إدارة قائم مقام اللاذقية؛ وبقاء فرقة أخرى في جبله تحت إدارة قائم مقام القضاء.

2 - بقاء العساكر مقيمة في الجبال إلى أوائل الشتاء، مما ساعد على استتباب الأمن، والخوف من شوكة الحكومة.

3 - تقرر الحزم والشدة في قمع كل حركة مخالفة للتعليمات. ولذلك، عندما جرت حركة من هذا النوع في ناحية «دريوس»، سار إليها قائم مقام اللاذقية بالعساكر الذين تحت إمرته، وقمعها بشكل عنيف، فأحرق بعض قراها، وألقى القبض على مقدمها «بدران بدور» وعدد من وجوهها؛ كما أنه ألقى القبض تدريجياً على أكثر المقدمين وأشقاهم وجرى نفيهم إلى قلعة عكا.

4 - بقاء رؤوف باشا في اللاذقية من أجل تنفيذ التعليمات وتوطيد ما سمي إصلاحات. وفي هذا المجال شرع ببناء مراكز في الجبال لإقامة العساكر النظامية، من هذه المراكز: مركز في قرية المزيرعة من ناحية بيت الشلف؛ كما شرع ببناء قشلة عسكر الرديف، المعروفة «بالديو» في اللاذقية شرقي قشلة العسكرية العمومية عام 1870. ومنذ ذلك الوقت راحت الحكومة تجمع أنفار الرديف من أهالي القضاء كل سنة حيث يجري تعليمهم الحركات

العسكرية مدة شهرين. وجرى نظير ذلك في جبله أيضاً، حيث بنيت فيها «دييو» محاذية لدار الحكومة.

5 - من أجل تسهيل المواصلات وتحركات القوات العسكرية، شرع بفتح طريق حماة، وطريق بين اللاذقية وحماة مبتدئاً من جبله مخترقاً جبال النصيرية. وهنا لا بد من تسجيل الإشارتين التاليتين:

الأولى، وهي أن هذه الاجراءات قوّت من شوكة العساكر النظامية، ولا سيما الفرسان منهم، الذين راحوا يتسلطون على الناس بغير وجه حق، من أجل بلصهم وابتزازهم. الثانية، وهي أن الحملة، لم تقاصص أهالي صهيون، ولم تقبض على أحد منهم، مع أن لصوصهم كانوا هم أصل الفتنة الأخيرة التي نشبت بينهم وبين أهالي بيت الشلف^(*). وهذا يعني بشكل من الأشكال انحياز السلطة اليهم بشكل غير مباشر. كما أنه يطرح علامة استفهام حول ما إذا كانت هناك علاقة بين لصوص صهيون والسلطة لجرّ النصيرية للوصول إلى ما وصلوا اليه.

بروز سياسة الضغط على المسيحيين والأجانب 1871 - 1873

حول بروز هذه السياسة، أورد الياس صالح اللاذقي كمأ كبيراً من الحوادث التي حصلت خلال هذه السنوات الثلاث وأراد لمواطنه أن يعرفها. وتتميز المعارف التي ينقلها عن هذه الحوادث بدقتها، ولا سيما أنه عايشها وكان في قلب الكثير من هذه الحوادث. وهنا لا بد من الإشارة إلى عدد من الوقائع التي كانت سنداُ مساعداً دعم بروز مثل هذه السياسة:

(*) حول بروز الخوف من العسكريين بروزاً مميزاً في جبال النصيرية، أورد الياس صالح اللاذقي ما يلي: «انتشر الأمن والراحة في الجبال انتشاراً عاماً وسطاً على أهاليها الخوف من شوكة الحكومة، حتى أن فارساً واحداً من فرسانها، كان يخيف أهالي قرية برمتهم»... إلى أن يقول: «إن الفرسان كانوا يتجاوزون حدود الاعتدال في سلوكهم مع النصيرية لنفع الذات كما هو دأبهم. فكثيراً ما كان بعضهم يتعدى على من يراه من النصيرية أو يتعرض له مخصوماً ويقبض عليه مدعيّاً أنه مرسل ليقوده إلى المعسكر ولا يطلقه حتى ينال منه رشوة».

- 1 - في مطلع عام 1871، واستكمالاً لعملية تطوير شبكة الاتصالات، جرى مد سلك التلغراف بين اللاذقية وجزيرة قبرص في البحر. وعُيّن مركز تلغراف اللاذقية لإدارة الملفات الأفرنجية.
- 2 - إنّ التطورات التي حصلت إثر الحملة العسكرية على جبال النصيرية عام 1870، راحت تأخذ منحى آخر بعد وفاة الصدر الأعظم «عالي باشا»⁽¹⁾ وحلول خليفته «محمود نديم باشا» (1871 - 1872). فقد اتجهت سياسة هذا الأخير إلى كسر شوكة القناصل والأجانب وإضعاف المسيحيين. وقد انتشر هذا التوجه في كل أنحاء السلطنة عموماً وفي سوريا بشكل خاص. فكيف تجلت هذه السياسة على أرض الواقع:
- على صعيد ولاية سوريا، جرى عزل الوالي محمد راشد باشا، ليخلفه عبداللطيف صبحي باشا، 1288هـ/1871م. وعندما استقر هذا الأخير في منصبه قام بعزل متصرف لواء طرابلس، الذي كان يتابع خطة رؤوف باشا في اللاذقية وجبله؛ كما عزل قائم مقام اللاذقية وقائم مقام جبله، اللذين كانا ينفذان الخطة. ولذلك توقف العمل بشق طريق حماة وحماة - اللاذقية؛ وأهمّل بناء مركز الحكومة، الذي كان قد شُرع ببنائه في قرية المزيرعة؛ كما ألغيت جميع المشروعات التي كانت قد تقررّت إثر الحملة.
- وأصدر الوالي صبحي باشا أوامره لكل الألوية بتغيير أعضاء المجالس جميعها. ولدى إعادة تجديد هذه المجالس، جرى تقديم هذا واستبعاد ذاك، مما جعل هذه المجالس صورية لا قيمة لها ولا صوت، مختزلة بالمتصرف والقائم مقام. كما جرى عزل كثيرين من الموظفين النصاري في الولاية بحجة أنهم من «الفرامسون» (ماسون).
- 3 - جرى التعامل مع القناصل بشكل غير مألوف⁽²⁾.

(1) عالي باشا، هو محمد أمين عالي باشا، صدر أعظم 1869-1831.

Documents... tome 1, p. 357.

(*) أشار الياس صالح اللاذقي في هذا المجال إلى ثلاث مسائل تدل على هذه الحالة. الأولى، وهي أن قائم مقام اللاذقية «صالح أفندي»، لم يحتفل بالقناصل عندما زاروه للمرة الأولى من أجل السلام عليه؛ وأكثر من ذلك فقد طالبهم بالمال المحجوز منهم على الجمرك وتهدد بعضهم بالحبس. الثانية،

- 4 - قيام قائم مقام اللاذقية «صالح أفندي»، بعدة محاولات لكسر شوكة الأجانب^(**).
- 5 - جرى الضغط على النصيرية، ومن خلال هؤلاء على الأجانب ومسؤوليهم الذين يدعمون هذه الطائفة^(***).

= وهي أنه فيما كان المتصرف في اللاذقية اقتضى لنائب القنصل الأميركي أن يزور القائم مقام، وبعث يخبره بذلك، فأجابه بالاستعداد لقبول الزيارة، لكن، لما ذهب القنصل المذكور إلى دار الحكومة، لم يرى القائم مقام في قاعة الاستقبال، ولم يشاهد أحداً من المأمورين يستقبله، فعاد إلى منزله معتبراً ذلك اهانة عليه. أما المسألة الثالثة، فهي تتمثل بالموقف الذي اتخذته قائممقام اللاذقية من زيارة قنصل دولة أميركا في سورية إلى اللاذقية.

فهو لم يستقبله بنفسه، بل أرسل إليه أنفار الضبطية وفرسان الحكومة لاستقباله في المرفأ. ولدى اعتذار صالح أفندي عن اللقاء به، رفض القنصل العام هذا الاعتذار مشيراً بأنه قد جاء إلى اللاذقية من أجل اللقاء به هو بذاته. ولذلك قام القنصل بإرسال تلغراف إلى الوالي يطلب منه أن يأمر القائم مقام بالنزول من الجبل لاستقباله كي يبحث معه المسائل التي جاء من أجلها. وهذا ما حصل.

(**) نذكر من هذه المحاولات التي أشار إليها الياس صالح اللاذقي. فبعد أن عاد القنصل الأميركي إلى منزله، انتظر ثمانية أيام، بعدها أرسل خطاباً إلى القائم مقام يخبره فيه عما امره به قنصله العام. فاذا لم يأت إلى بيته ويعتذر منه على ذلك القصور الذي أجراه بحقه، فهو سيرفع العلم الأميركي ولا ينزله حتى تسترد كرامته... جرى رفع العلم وكتب كل من الطرفين إلى مسؤوله. واستمر العلم مرفوعاً نحو أربعين يوماً.

(***) من الضغوط التي مورست على النصيرية، نذكر الوقائع التالية:

1 - في آب 1873، سعى قائم مقام اللاذقية، صالح أفندي، لاقتفال مدرسة الأميركيان، التي كانوا قد افتتحوها في قرية البهلولة، لتعليم اولاد النصيرية. ومن أجل ذلك، استدعى اهالي القرية موبخاً إياهم بسبب وضع ابنائهم في تلك المدرسة. وبواسطة الضغط عليهم، حصل على طلب خطي لأبطال المدرسة وترحيل المعلم من قريته بحجة انهم لا يريدون أن يعلموا أولادهم المبادئ المسيحية. ثم استدعى معلم المدرسة، وأمره أن يغادر القرية، فأجابه بأنه لا يستطيع ذلك بدون إذن رؤسائه المرسلين الأميركيان في اللاذقية. ولذلك قام القائم مقام بإرسال كتاب إلى نائب القنصل، يطلب منه اقفال المدرسة - يومها كان الياس صالح اللاذقي في هذا الموقع - مشيراً إلى أنه يتجه لاقتفال مدارس المرسلين المفتوحة لتعليم اولاد النصيرية. ذلك، من أجل ازالة أسباب دخولهم في النصيرية. كما أرسل كتاباً إلى اهالي قرية «كيمين»، ينهاهم فيه عن وضع أولادهم في مدرستها. وحذر جميع النصيرية، الذين تحت سلطته من تعليم أولادهم في مدارس المرسلين وتهدهم بالقصاص إذا سلكوا بخلاف ذلك.

6 - اعتماد سياسة دعم المسلمين السنة، على حساب أبناء المذاهب والطوائف الأخرى. وقد انتشر هذا الاتجاه في كل أنحاء الولاية، ولا سيما في طرابلس واللاذقية، نظراً لأهمية هذه المنطقة الساحلية المختلطة من المسلمين والمسيحيين، وكثرة الوجود الاجنبي فيها، ولميل المتصرف «حقي بك» وقائم مقام اللاذقية «صالح أفندي» إلى هذا المبدأ. وهنا نؤكد، على أن هذا الاتجاه، كان منتشرًا في كل أنحاء السلطنة. وذلك، لسبب بسيط وهو: إن العمل كان جارياً بتطبيق أحكام قانون الأراضي وقانون تمليك الأجانب، وإن تسجيل الأراضي كان جارياً على قدم وساق. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، كان الوالي صبحي باشا، والصدر الأعظم محمود نديم باشا من أنصار هذا الاتجاه، وقد لمس الياس صالح اللاذقي سريانه في منطقة اللاذقية من خلال ممارسات كثيرة أشار إليها.

7 - المعاملة الجديدة وغير المألوفة للمسيحيين. هذه المعاملة أدت إلى نشر روح التعصب ضدهم في صفوف المأمورين والأهالي المسلمين. وقد برزت هذه المعاملة

2 - عندما احرق راشد باشا جبل النصيرية عام 1870، وأجبرهم على الاستكانة والخضوع ورأى حالتهم المزرية، استحصل لهم على أمر سامٍ باعفائهم من البقايا الباهظة المتراكمة عليهم منذ ثلاثين سنة، وبالسماح لهم أن يقسموا البقايا لأجل معلومة تناسب امكانية تحملهم. وعندما تولى «صبحي باشا» عاد وثبت البقايا والغى التقاسيط. وشرع صالح أفندي يطالبهم بها دفعة واحدة. فكان ذلك سبباً للضرر عوضاً عن النفع للحكومة. لأن الأهليين بعد أن كانوا يدفعون كل قسط يستحق عليهم من البقايا، تخلفوا عن الدفع بالكلية.

3 - في آب 1873، استدعى قائم مقام اللاذقية المعلمين الوطنيين الموجودين في مدرسة قرية «بحمرا»؛ وكانوا من النصيرية الذين تنصروا منذ أكثر من 20 سنة. فجاءوا إليه ومعهم تلميذ اسمه حازم. ولما قابلهم، طلب منهم أن يرتدوا عن النصرانية فابوا، فزج بهم في السجن وتهدهدهم. ولما لم يجده ذلك نفعاً أمر بحبسهم. واذ قرر حازم انه ليس مسيحياً، أطلقه في حال سبيله. وبعد يومين ارسل المعلمين إلى جبله، ومنها سيقا إلى دمشق وادخلوا في السلك العسكري. عندها تداخل بقضيتهم قنصل انكلترا وقنصل اميركا العام في سورية، مع الوالي صبحي باشا لأجل اطلاق سراحهم، لسبب بسيط وهو انهم مسيحيون، والمسيحيون غير مسموح لهم أن يدخلوا الأسلاك العسكرية في السلطنة العثمانية. وبالتالي يجب أن يعامل هؤلاء المعاملة التي يعامل بها مسيحيو السلطنة. فأجابهم أن تنصرهم هذا لا يعفيهم من الخدمة العسكرية المفروضة عليهم، لكونهم لم يولدوا من أصل مسيحي.

في أكثر من مكان، وفي أكثر من موقع إداري، أشار إليها صاحب «آثار الحقب في لاذقية العرب»، من أجل دفعهم إلى اليأس والقنوط. ونشير هنا إلى بعض من جديد هذه المعاملة:

1 - الطلب منهم وبتشدد أن يدفعوا المال المحجوز لحساب الجمر ك مع بقايا «ويركو العسكرية» دفعة واحدة مع كونها مقسطة لآجال معينة. ونتيجة عدم إمكانية دفعها دفعة واحدة، وضع القائم مقام كثيرين منهم في السجن وجمع أكابرهم عنده ورفض أن ينتظر إلى مجيء المطران، الذي كان غائباً في انطاكية، مشيراً أن ليس للمطران مداخل في ذلك، وأن المال المطالب به، لا يطلبه إلا منهم.

2 - بلصهم والتنكيل بهم والاساءة إلى رؤسائهم الروحيين^(*).

3 - التعرض لهم بالإهانات والتعدييات من أطراف مسلمين؛ وهذه التعدييات كانت كلها مقرونة بغض الطرف عنها من القائم مقام. وكان من نتيجة هذه المعاملة الجديدة، أن اجتمع أبناء الطائفة الارثوذكسية وممثلوها وكتبوا إلى المطران «ملاطس الروماني» يستدعونه من انطاكية على وجه السرعة ليساعدهم في تلك الظروف الصعبة، التي عجزت عن دفعها عنهم مداخل الأجانب وسطوة القناصل.

إحباط مؤامرة عزل مطراني اللاذقية وعكار وإبعادهما عن رعيتهما

بعد عودة المطران ملاطس من انطاكية، اجتمع بأبناء الطائفة الارثوذكسية، فأخبروه

(*) من الأمثلة على ذلك، ما قام به «محمود بك»، مدير ناحية بيت الشلف، عندما ذهب ومعه كاتبه «علي آغا شومان» وعساكره إلى قرية المزبرة، طالبين من مسيحيتها، أن يدفعوا مئتي غرش، على أساس أنها بقايا اعانة عسكرية. وكان المسيحيون المذكورون يعلمون أن ليس عليهم بقايا من هذا القبيل، بمقتضى الايصالات التي كانت بيدهم وأبرزوها لهما. ومع ذلك فلم يقبلوا لهم قولاً. وأمر المدير الفرسان بضرب بعضهم وحسبه؛ وعندما اعترض كاهن القرية، على ما يقوم به المدير، ضربه هذا الأخير بحجر واطلق عليه الطبنجا ولكنها لم تنطلق. ولدى تقديم شكواهم للقائم مقام تعصب هذا الأخير للمدير وتغرض في الاستنطاق، وحرر مضبطة نفى فيها الذنب عن المدير وخطأ الخوري والآخرين ولم يأخذ بيدهم في هذه الدعوى. هذا ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي.

بالتعديت الجارية عليهم والتمسوا منه أن يرفع تشكياتهم إلى المسؤولين حتى ولو وصل الأمر إلى الباب العالي. ونزولاً عند رغبة رعيته، كتب إلى المتصرف حقي بك، طالباً منه أن يعمل على إزالة هذه الظروف وهذه الشدة والمحنة التي يعاني منها المسيحيون؛ وأن يعاملوا بالإنصاف والعدل، شأنهم في ذلك، شأن كل أبناء المنطقة التي يعيشون فيها. وكرر المطران رسائله إليه بهذا الشأن. غير أن حقي بك اعتبر الحوادث الواقعة إنما هي حوادث فردية، لا أهمية لها في الوضع العام؛ وأنها من الوقائع التي تحدث في كل مكان، ولم يلتفت إلى تشكياته. عندها اضطر أن يكتب إلى الوالي فالصدر الأعظم. وكانت النتيجة أن عُزل المطران، ثم أعيد إلى أبرشية طرابلس فإلى أبرشيته مجدداً. فكيف جرى ذلك؟

هذا السؤال أجاب عنه الياس صالح اللاذقي بحادثة حصلت هنا وحدث جرى هناك. ولذلك نرى أنه من المفيد في هذا المقام، أن ندخل إلى تفاصيل وترتيب سياق بعضها، حتى تتوضح الرؤية أكثر عن طبيعة ممارسة المسؤولين عندما يجافون الحقيقة ويتعدون عنها. لقد توافقت ممارساتهم بالدهاء في التخطيط والمكر والخبث، مما أدى إلى نقل المسيحيين من وضع مكشوف منه، إلى وضع لم تعد تنفع معه الشكوى، بل إلى الوقوف في وجه الظلم والتصدي له، وهذه أهم محطات هذا الحدث الذي طبعت الممارسة فيه بالسلمية والهدوء والروية.

1 - بعد التشكيكات التي قام بها المطران لدى القائم مقام - بدون جدوى - والكتابة إلى المتصرف أكثر من مرة، جاءت حادثة تلطيخ باب كنيسة القديس «جورجوس» في اللاذقية بالغائط 1872 وتهاون القائم مقام بتعامله مع هذه المسألة، كتب المطران مجدداً إلى المتصرف. وهنا راحت الأمور تتعقد. فقبل أن يبعث بكتابه، حصلت على صعيد السلطنة العثمانية تدابير إدارية جديدة ومتلاحقة، دفعته أن يبقي الرسالة معه بانتظار أن يرسو الوضع الإداري على حالة من الأحوال وفي هذا الإطار، جرى استدعاء المتصرف حقي بك إلى الاستانة، ليكون وكيلاً لصديقه مدحت باشا، الصدر الأعظم الجديد. وحلّ صالح أفندي وكيلاً لحقي بك في مركز متصرفية طرابلس. وفي هذه الحالة سيتسلم - المشكو منه - رسالة

المطران. وبالتالي تصير الرسالة بدون جدوى. وهذا ما دفع المطران، إلى أن يرفع الشكوى إلى الوالي «صبحي باشا»، الذي تغاضى عن الإجابة مدة، ولم يظهر من قبله أي إجراء يستدل منه على أنه مهتم بالأمر. وعندها كتب المطران إلى الصدر الأعظم كتاباً يشكو فيه صعوبة الأحوال الواقعة على رعيته في اللاذقية ومخاطرها عليهم. وأرسله عن طريق البطريرك الانطاكي، الذي كان موجوداً في الاستانة. فأحيل الكتاب من الصدر الأعظم إلى الوالي صبحي باشا للتحقيق وإزالة أسباب التشكيكات. وهكذا بات الكتابان بين يدي هذا الأخير.

2 - أرسل إلى اللاذقية «أسعد أفندي»، مدير تحريرات لواء طرابلس الشام، ليحل وكيلاً عن صالح أفندي. فاستفاد هذا الأخير من الوضع الجديد. إذ بعد وصول أسعد أفندي إلى اللاذقية، طلب من مجلس الدعاوى مضبطة تتضمن تكذيب تشكيكات المطران، والشهادة بحسن سياسة القائم مقام صالح أفندي. فحصل عليها، وختم فيها عضوا طائفة الروم في المجلس المرقوم.

3 - عاد حقي بك من الآستانة ملقباً بلقب «باشا»؛ وبذلك بات في وضع أقوى مما كان عليه. وبوصوله إلى طرابلس استحصل من مجلس الإدارة والدعاوى فيها، على مضبطة، ضد مطران اللاذقية ومطران عكار، الذي كان هو الآخر قد اشتكى أيضاً للصدارة العظمى من التعديلات التي كانت حاصلة على مسيحيي أبرشيته التابعة للواء طرابلس. وعندما استلم صبحي باشا المضبطة^(*)، أرسلها على الفور إلى الباب العالي. لقد تضمنت المضبطة رد مجلس إدارة طرابلس الشام بشكل يدحض صحة تشكيكات مطران عكار ومطران اللاذقية.

(*) تبدأ المضبطة بالقول: «لقد تشرف مجلس العجزة براءة الأمر نامه السامي الصادر من جانب عالي الصدارة العظمى المؤرخ في 6 رمضان 1889 و 22 تشرين الثاني 1889». أي باعتماد شهر هجري، وشهر ميلادي وستين ميلاديتين. والأصح 6 رمضان 1289 هـ و 22 تشرين الثاني 1288 مالية. لسبب بسيط، وهو أن اعتماد التواريخ الواردة في المضبطة بشكلها الراهن، يضع الأحداث والشخصيات خارج المرحلة التي تتحدث عنها المضبطة وهي سنة 1872. علماً أن المضبطة تحمل في نهايتها تاريخاً وهو 9 شوال 289 و 26 تشرين الثاني 288. وهنا لابد من الإشارة إلى أن السلطنة العثمانية قد اعتمدت السنة المالية في عام 1255 هـ - 1839 م.

ثم ما لبث البطريك الانطاكي «أبروئوس»، أن أبلغ المطران ملاتيوس خبر عزله هو «وصفرونيوس» مطران طرابلس وعكار عن أبرشيتهما في 18 شباط 1873. وأمره وهو يبلغه هذا الخبر، أن يسلم موجودات المطرانخانة إلى وكلاء وأن يستعد لمبارحة اللاذقية إلى دير «مار جاورجيوس الحمراء».

4 - نفذ المطران ملاتيوس أوامر البطريك بدون إبطاء. فسلم موجودات المطرانخانة إلى أعضاء الجمعية الارثوذكسية في اللاذقية أنفسهم. وكتب إلى البطريك رسالة تلغرافية أفاده فيها عن تنفيذ الأوامر. غير أنه استأذنه بالسفر إلى الشام. وبعد موافقته على سفره استقبله استقبلاً حسناً وأظهر له تأسفه وكدره مما حدث له. وب عزل ملاتيوس مطران اللاذقية، دخلت مسألة رفع الظلمة عن طائفة الروم الارثوذكس إلى مرحلة جديدة. فقد صمم أبناء الطائفة على عدم الاستكانة والتسليم بعزل مطرانهم. وفي هذا الاتجاه حملوا المطران رسائل إلى البطريك الانطاكي ملتزمين أن يصير العمل بسرعة من أجل إعادته. كما أنهم أقاموا عمدة مؤلفة من أعضاء جمعية المطرانخانة وبعض وجوه الطائفة وتم توكيلها بموجب كتاب خطي موقع من العموم، وكالة مطلقة بإجراء كل المساعي الآيلة لعودة المطران المشار إليه، وعدم قبول سواه مطلقاً لا بالأصالة ولا بالوكالة.

وهنا يشير الياس صالح اللاذقي إلى أن سبب عزل المطران ملاتيوس والمطران صفرونيوس بقي مكتوماً. ولم يعلم ما إذا كان العزل قد نشأ بناء على مضبطة حكومة طرابلس أو عن رغبة غبطة البطريك الانطاكي. علماً أن المطرانين المعزولين كانا ضد قرار مجمع بطريك القسطنطينية^(٢) وعملاً ضده من خلال مجمع المطارنة الذي عقد في بيروت^(٣) من أجل مسألة الكنيسة البلغارية. والأرجح أن عزلهما نشأ عن اتحاد السببين المذكورين معاً. وأنه عندما اجتمع السببان اتفق البطريك «أبروئوس» مع الوالي صبحي باشا، وبالتالي مع الباب العالي والبطريك القسطنطيني على عزل هذين المطرانين، حيث قصد كل من الفريقين التأثير لغايته.

5 - لم تطل فرحة حقي باشا، متصرف لواء طرابلس، وصالح أفندي قائم مقام اللاذقية،

بعزل المطران ملاتيوس. فقد حلَّ «حالت باشا»⁽¹⁾ والياً على سوريا بعد عزل صبحي باشا⁽²⁾. وكان المطران على علاقة جيدة بالأول. فعندما زاره المطران للتهنئة بالولاية - بعد عزله - أكرمه الوالي وأظهر له الأسف عما حصل معه. وبعد أن أشار إلى أنه ليس له علم بالمضبطة التي رفعت ضده، أظهر له ميله بالمساعدة. وعلى الفور أرسل بطلب المضبطة من حقي باشا. ولما وصلت إليه أرسلها إلى المطران عبر البطريرك الانطاكي فقرأها وأجاب عليها بعرض مسهب - ليس هنا مجال لذكره - قدمه إلى الوالي حالت باشا، الذي قال بعد أن اطلع عليه: «إن مطران اللاذقية لم يعامل بالإنصاف» ووعده بالمساعدة. وما لبث أن اتفق الوالي مع البطريرك على إجراء مبادلة بين المطرانين، تقوم على نقل ملاتيوس إلى طرابلس،

(*) دعا بطريرك القسطنطينية، إلى مجمع يعقد عنده في القسطنطينية، بشأن المسألة البلغارية، فالبغار كانوا يطالبون بأن يُسام عليهم اساقفة من جنسهم لا من اليونان. وقد دعي إلى هذا المجمع بطاركة: الاسكندرية، وانطاكية واورشليم ورئيس اساقفة قبرص واساقفة الكرسي القسطنطيني. وقد سافر ايروثيوس لحضور المجمع بدون علم اساقفة الكرسي الانطاكي. فكتب إليه ثمانية اساقفة رسالة في حزيران 1872، حضّوه فيها على أن يكون في المجمع وسيط الفة واتحاد. وحذروه من الخلاف، فلم يعبأ بهم ولا برسالتهم. وقد اعتبر المجمع أن ما يطالب به البلغار هو الانشقاق، فحرموهم. وكان المطران ملاتيوس وغيره من أصحاب الرسالة ضد هذا القرار.

(**) بعد أن عاد ايروثيوس من المجمع، جرى اتصال بين الاساقفة، الذين كتبوا إليه ولم يحترم رأيهم. وقرّ قرارهم على عقد مجمع في بيروت في أواخر تشرين الثاني 1872. وفي الموعد المحدد حضر أربعة: ملاتيوس مطران اللاذقية، صفرونيوس مطران طرابلس، غبرائيل مطران بيروت، متوذيوس مطران زحلة؛ وأربعة لم يحضروا: اثنان منهم من أصل يوناني هما: مطران حمص ومطران عكار، واثنان وطنيان هما: مطران حماه ومطران صور وصيدا؛ لكن هؤلاء الأربعة أرسلوا وكالة من قبلهم. لقد أدان هذا المجمع قرار الحرمان. واعتبره الطرف الآخر موجهاً ضد الباب العالي وضد المجمع القسطنطيني. واعتبره ايروثيوس موجهاً ضده.

(1) محمد حالت باشا، هو الوالي الخامس لولاية سورية، تولاه عام 1873م/1289هـ مدة سنة وسبعة أشهر. عبد العزيز محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية 1863-1914، ملحق رقم 6، ص 343.

(2) صبحي باشا، هو عبد اللطيف صباحي باشا، الوالي الرابع لولاية سورية، تولاه عام 1872 م 1288 هـ مدة سنة وثلاثة

أشهر. عوض المرجع السابق؛ و Documents..., tome 1, p. 381.

وصفرونوس إلى اللاذقية. وقدم إنهاء بذلك من الولاية إلى الباب العالي. وفعلاً فقد خرج من الآستانة أمر، من الصدارة العظمى لوالي سوريا مضمونه إجراء المبادلة بين المطرانين بناء على الإنهاء الذي تقدمت به الولاية. لكن، ما أخرّ تنفيذ هذا القرار، هو أن نظارة الخارجية في السلطنة العثمانية وجهت كتاباً في أوائل أيار/مايو 1873 تطلب من الولاية وقف التنفيذ ريثما يصلها أمر آخر يتضمن إعادة كل من المطرانين إلى أبرشيته السابقة. وفعلاً، كانت تجري مداخلات واتصالات على مستويات رفيعة، من أجل استصدار قرار آخر وفق آلية أخرى، يطلب فيها البطريك من نظارة الخارجية عودة المطرانين. وبناء على الطلب الذي رفعه البطريك وافقت الصدارة العظمى، وبعد عدة أيام صدر قرار العودة وأبلغ للمطرانين. وبذلك، انتهت رحلة الألم التي أبعدت المطران ملاتيوس عن رعيته بعد أن دامت خمسة أشهر. وفيما كان في بيروت، أتته رسالة من البطريك «ايروتيوس» في 21 تموز/يوليو 1873، يطلب منه أن يرافق المطران «جرمانوس» إلى «مرسين»، وأن يجتهد باسترضاء الشعب فيها لأن البطريك قد سامه بدون انتخاب.

لواء اللاذقية 1874 - 1878

أشار الياس صالح اللاذقي في هذه المدة إلى مجموعة كبيرة من الأحداث والوقوعات. ومن أهمها:

1 - جوع أهالي الجبال وبيع الأولاد، متناولاً في هذا المجال الأسباب الكثيرة المباشرة، التي أوصلت اللواء إلى هذا الوضع. فقبل بداية الشتاء عام 1874، تدخل أصحاب الغلال مع المسؤولين من أجل إعادة العمل برخص الشحن، فشحت الحبوب والغلال. وبظرف مدة قصيرة، لم يبق في اللاذقية الكميات الكافية، التي تحفظ دوام الاستهلاك من جهة، وتحافظ على ثبات الأسعار المعتدلة من جهة أخرى. وكان شتاء ذلك العام قاسياً جداً بغزارة أمطاره وتساقط ثلوجه، وخروج وحوشه البرية. فالنباتات ماتت، وانقطعت الطرقات، وقلّت فرص العمل، وإمكانية ورود الحبوب من مناطق ولاية حلب. وبذلك، فقد قضي على موارد رزق المواطنين، وارتفعت الأسعار بشكل لا مثيل له. فقد وصل ثمن كيله الحنطة إلى 53 غرشاً،

وكيلة الشعير إلى 35 غرشاً⁽¹⁾. مما أدى إلى ازدياد الفقر والعوز والحاجة. كل ذلك، كان يدفع الفلاحين من رجال ونساء وأولاد إلى طرد النسور والغربان عن جيف الحيوانات النافقة ليأكلوا لحماً؛ وإلى انتشار عملية بيع الأولاد في أسواق اللاذقية وجبله⁽²⁾.

2 - في عام 1876، تعرضت السلطنة لهجوم عسكري، من قبل الصرب والجبل الأسود. وبهذه المناسبة كان على لواء اللاذقية، أن يتحمل قسماً من المساهمة فيها. ففي هذا العام ورد إلى اللاذقية أمر السلطنة بجمع عساكر الرديف. وتنفيذاً للأمر، فقد جمع من قضاء اللاذقية طابور⁽²⁾ سافر في 25 تموز، وطابور من جبله سافر في 18 آب، على البارجة «مدار توفيق». وكان بينهم 200 من اللاذقية فقط؛ وقد تهرب من هذه المهمة عدد كبير دفعوا بدلاً نقدياً قدره خمسون ليرة عثمانية عن الشخص الواحد، ناهيك عن الذين قدموا بدلاً شخصياً. لقد أثر هذا الإجراء على الأوضاع الأمنية في مختلف أنحاء اللواء. فقد اضطر المسؤولون الأمنيون أن ينزلوا من معسكر قرية «حييت» إلى اللاذقية ثلاثة بلوكات، وباتت أعمال القوة الباقية في حييت مقتصرة على تحصيل الأموال الأميرية. أما الأوضاع الأمنية، فقد بقيت على ما كانت عليه من فلتان. ولذلك، كانت أوضاع الجبال النصيرية قد ازدادت اختلالاً، وازدادت أعمال اللصوصية في كل جهة على الطرقات؛ وكثر عبث اللصوص في قرى الساحل، وازدادت تعدياتهم على عابري السبيل، حتى كاد الأمن أن يفقد تماماً. كما امتنع أهالي الجبال عن أداء الأموال الأميرية وتأدية الخدمات العسكرية المطلوبة منهم في أعمال عساكر الرديف. ولذلك، بدأت عملية التحضير لسوق حملة عسكرية إلى الجبال والمناطق التي اختل فيها الأمن.

(1) كيله، هي وحدة كيل لقياس الحبوب، ويختلف وزنها حسب المناطق وحسب نوع الحبوب

Documents..., tome 1, op. cit., p. 281.

(*) كانت الفتاة تباع بمئتي غرش على الأكثر. ومن أجل التخلص من المسؤولية، كان البيع يتم بتموجب حجة مضمونها أن أبا الفتاة أو عمها أو جدّها أو أحد قومها أجراها مدة ثلاثين سنة بمبلغ كذا وكذا. هذا ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي.

(2) طابور، كتيبة من الجنود *Documents...*, tome 1, op. cit. p. 320.

3 - بينما كانت الاستعدادات جارية لسوق الحملة العسكرية، ورد إلى اللاذقية خبر إعلان روسيا الحرب على السلطنة العثمانية في 13 نيسان 1877. وبالتالي فقد اضطرت القوات، التي كانت قد تجمعت في قرية «ديفة»، أن يذهب قسم منها إلى اللاذقية وقسم آخر إلى جبله؛ وأصبحت إمكانية هذه القوة محدودة، ولم تعد إمكانية فرض الأمن في الجبال متوافرة. وهكذا، فقد أثرت الحرب الروسية على السلطنة العثمانية بشكل سلبي جداً على الأمن، بحيث كثرت أعمال السطو واللصوصية والسرقة والقتل. وخاف المسيحيون كثيراً من هذه الأوضاع، وابتوا قلقين على مصيرهم ومصالحهم، ولا سيما الذين يقطنون على الساحل حيث جرى التركيز عليهم هذه المرة أكثر من مسيحيي الجبال.

4 - في 17 شباط 1878، قدمت إلى ميناء اللاذقية باخرة نمساوية من «سلونيك» (Salonique)، حاملة معها جركساً مهاجرين من بلاد البلغار. وهؤلاء الجركس، كانوا قد هاجروا أولاً من بلادهم، عندما تمّ لروسيا أن تتغلب عليهم وتأسر أميرهم الشيخ «شامل المشهور»، إثر «حرب القرم» (La Guerre de Crimée) عام 1854. لقد دخلوا السلطنة العثمانية، فوطنت منهم ألوفاً في أملاكها بأوروبا. ولما ظهرت الحركة البلغارية المطالبة باستقلال بلغاريا عن السلطنة، قام هؤلاء بأكثر الأعمال فظاعة ضد البلغاريين. هذه الفظائع التي ارتكبها هؤلاء، كانت واحدة من الأسباب التي دعت روسيا إلى إعلان الحرب على السلطنة العثمانية في ذلك الوقت. وعندما انتصرت روسيا في هذه الحرب، ووطنت عساكرها في أراضي «ولاية الطونة» و «ولاية أدرنة»، ووصلت إلى أبواب الاستانة، لم يسع الجراكسة إلا الهرب من تلك البلاد خوفاً من القصاص والانتقام. ولذلك، وخوفاً من وقوع مذبحه بهؤلاء، فقد أرسلت ألوفاً منهم إلى سوريا، وكان من جملتهم هؤلاء القادمون، الذين تسببوا بالإرباك والخوف والحذر لقائم مقاميتي اللاذقية وجبله؛ ثم إلى التوجس خيفة منهم. وأمام هذا الواقع، جرت المخاطبة بشأنهم بين كل من القائم مقاميتين مع المتصرف في طرابلس، والوالي في دمشق، ولا سيما بعد المشاجرات والإشكالات التي راحت تنشأ بينهم وبين أبناء البلاد. وبعد أخذ وردّ بين المسؤولين بهذا الشأن، تقرر ترحيلهم إلى حلب

وأضنة وقونية وعكا بحسب اختيار كل عشيرة منهم، شرط أن يدفع الأهالي القاطنين عندهم نفقة ترحيلهم.

لواء اللاذقية 1879-1881

إنّ ما أشار إليه الياس صالح اللاذقي من معارف، خلال هذه السنوات الثلاث، يمكن أن تندرج تحت العناوين التالية:

1 - اللاذقية تستعيد مركز المتصرفية. في هذا المجال يمكن القول بأن قدوم «مدحت باشا» والياً على سوريا في أواخر عام 1878⁽¹⁾، كان عاملاً مساعداً وحاسماً. فقد امتاز هذا الوالي عن غيره من الولاة والوزراء العظام، بالحزم والعزم والإقدام وحبّه للإصلاح، واشتهر بوضع القانون الأساسي لدولة السلطنة العثمانية، في عام 1876 م، حين كان صدرًا أعظم. فلدى قدوم هذا الوالي إلى دمشق ليتسلم مهام منصبه، التقى عدد من أعيان اللاذقية مع وكيل قنصل دولة اسبانيا⁽²⁾، وتباحثوا في الأحوال الناشئة في قضائي اللاذقية وجبله. وبعد أن

(1) أشارت الوثائق الدبلوماسية والقنصلية الفرنسية، أن «أحمد جودت باشا»، قد تولى على ولاية سورية في عام 1878م/1295هـ وأن «مدحت باشا»، الذي تولى بعده هذه الولاية، قد تولاه في عام 1878م/1295هـ وأن «أحمد حمدي باشا»، الذي تولاه بعد هذا الأخير، كان في 1878م/1296هـ وهذا ما لا يتفق مع السنوات الميلادية على الأقل. Documents..., tome 1, op. cit. p. 381. أما عبد العزيز محمد عوض، فقد جعل تولي هؤلاء، كما يلي: أحمد جودت باشا 1879م/1295هـ، مدة ولايته تسعة أشهر وثلاثة أيام؛ مدحت باشا 1879م/1295هـ، مدة ولايته سنة وثمانية أشهر وعشرة أيام؛ أما أحمد حمدي باشا، فقد تولاه عام 1880م/1296هـ، مدة ولايته 5 سنوات و14 يوماً، وهذا ما لا يتفق لا مع السنوات الهجرية التي أشار إليها، ولا مع السنوات الميلادية، ولا مع المدد الزمنية. عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 343. أما وكيل القنصل الفرنسي العام في بيروت، فقد أشار إلى أن وصول مدحت باشا إلى بيروت قادماً من دمشق، كان في 25 تشرين الثاني 1879؛ وهذا يعني أن مدحت باشا قد تعين والياً على سورية في عام 1878، وليس في عام 1879، كما أشار عبد العزيز عوض، ولمزيد من الايضاح، تراجع رسالة هذا الوكيل القنصلي، التي بعث بها من بيروت، إلى وزير الخارجية الفرنسية، بتاريخ 29 تشرين الثاني 1878 Documents.. tome 14, op. cit. o. 64

(*) الذين التقوا وتناقشوا بالأوضاع الناشئة في منطقة اللاذقية هم: الياس أفندي صوايا، وابراهيم أفندي

تداول المجتمعون بأحوال الوضع القائم، رأوا أن يستفيدوا من علاقة الود التي كانت قائمة بين وكيل القنصل ومدحت باشا^(*). وذلك، بأن يعمل هذا الوكيل على إحاطته بوضع هذين القضائين، ويشرح له الأسباب الموجبة لجعلهما متصرفية تكون اللاذقية مركزها. ويبدو أن الأمور قد اتجهت وفق ما رسموه لها. فقد قام وكيل القنصل المشار إليه بما هو مطلوب منه لدى قدوم هذا الوالي إلى طرابلس وشرح له أوضاع منطقة اللاذقية واقتنع الوالي بما عرض عليه وأعلن عن نيته أمام الطرابلسيين بضرورة فصل لواء اللاذقية عن طرابلس ليكون مرتبطاً مباشرة بمركز الولاية في دمشق. كما أعلن عن قراره بالذهاب إلى اللاذقية.

وهنا يمكن القول بأن الياس صالح اللاذقي، قد أراد لمواطنه أن يعرف عنه أنه كان في قلب هذا الحدث، عندما قرر أن يعد لائحة لتقدم إليه من قبل أهل المدينة لدى قدومه إليها لزيارتها. وفعلاً فقد أعد هذه اللائحة وثبت نصها كاملاً في مخطوطه وبخط ريشته. وما يمكن قوله حول هذه اللائحة، هو أنها مرافعة مهمة، غنية بالمعارف التاريخية، التي تبين أهمية الموقع الإداري ودوره في تحقيق الازدهار والتنمية؛ كما تبين مدى ما يحدثه فقدان هذا الموقع من تراجع في مختلف مجالات الحياة؛ وقد جاءت وقائعها مقنعة لمن يريد أن يقتنع. لقد كان الياس في هذه اللائحة محامياً بارعاً في تشخيص الأضرار التي لحقت باللاذقية منذ العام 1864 عندما جعلت منطقتها أفضية مرتبطة بطرابلس؛ وفي تبيان الفوائد عندما تكون مركزاً لمتصرفية وتعود مقاطعاتها إلى الارتباط بها مجدداً. لقد رفعت اللائحة إلى مدحت باشا بواسطة «شارل بجوزوسكي». وعلم بعد ذلك أن هذا الوالي، قد أنهى إلى الباب العالي بوجوب تحويل اللاذقية إلى متصرفية. وعندما شاع الخبر في المدينة، أدى إلى حصول ردتي فعل:

الأولى، من قبل أولئك الذين كان الجو خالياً لهم في قضاء جبله، لأنهم كانوا منتفعين

= حكيم والياس صالح اللاذقي مؤلف هذا التاريخ. أما وكيل القنصل الاسباني في اللاذقية فهو: «شارل بجوزوسكي».

(**) تعرّف شارل بجوزوسكي، على مدحت باشا واكتسب محبته، عندما كان هذا الأخير والياً على ولاية الطونه وولاية بغداد.

ببقاء الحالة الراهنة، التي مكنتهم من جمع ثروة عظيمة. ولذلك، فقد تقدموا بعرائض تحريرية وتلغرافية إلى الولاية وإلى الصدارة العظمى مضادة لهذا المشروع، في محاولة لإبقاء الوضع على ما هو عليه.

الثانية، من قبل أولئك الذين طالبوا، مؤيدين في ذلك من وجوه وأعيان المدينة، كمفتي اللاذقية ورؤساء باقي الطوائف الروحيين. فقد قدم هؤلاء عريضة تلغرافية ممضاة عنهم، أرسلت إلى مدحت باشا. وفي أوائل حزيران 1879، ورد إلى هذا الأخير أمر الصدارة العظمى يعلن صدور الإرادة السنية السلطانية بقبول إنهائه بتحويل اللاذقية إلى مركز متصرفية. وهكذا عادت المدينة إلى ما كانت عليه، واستعادت مركزها الإداري التاريخي، وراح أهلها ينتظرون تنفيذ هذه الإرادة بتعيين متصرف للوائهم الجديد. وفعلاً، فقد أنهى الوالي هذا الانتظار بتعيين «أحمد أفندي الصلح»، الصيداوي الأصل (من صيدا). وكان أول متصرف تعين للاذقية بعد إعادة لوائها. وقد وصل إليها على متن «الوابور الفرنسي» في 26 تموز 1879. وبهذه المناسبة جرى له استقبال رسمي وشعبي. وفي صباح الخميس 9 آب 1879، قدم مدحت باشا إلى اللاذقية. وجرى له أيضاً احتفال رسمي وشعبي مهيب. وبعد ثلاثة أيام من الاستقبالات والدعوات إلى موائد الطعام، والزيارات هناك، عقدت اجتماعات عمل تقرر فيها تقسيم الأفضية وتخصيص المعاشات والمصارفات المقننة لكل قضاء. وأعطيت الأوامر اللازمة للعمل بموجبها. وجرى تقسيم المتصرفية كما يلي:

- 1 - متصرفية اللاذقية، ضمت: مقاطعة البهلوية وقرى الساحل، وجعلت البايروالبوجاق ناحية على رأسها مدير مرجعه مركز المتصرفية في اللاذقية.
- 2 - قضاء صهيون، تألف من عدد من المقاطعات: جبل الأكراد، وصهيون، وبيت الشلف، والمهالبة. ومركزه قلعة «بابنا».
- 3 - قضاء جبله، تألف من مقاطعات: القرداحة، وبنى علي، والسمت القبلي، وقرى الأوقاف والشمسيات، وساحل جبله. وجعل مركزه في قصبة جبله.

4 - قضاء المرقب، تألف من مقاطعات: المرقب، وزمرين، وجرى العليقة، والظهر الغربي، والخوابي. ومركزه قلعة المرقب. أما مقاطعة القدموس، فقد جعلت مديرية قائمة بذاتها، على رأسها مدير تابع لمركز القضاء⁽¹⁾.

وهكذا، باتت ولاية سوريا مؤلفة من تسعة ألوية في عام 1879، بعد أن كانت ثمانية في عام 1868. أي بإضافة لواء اللاذقية، الذي اقتطع من لواء طرابلس الشام. أما هذه الألوية فهي: لواء دمشق الشام، ولواء حمص وحماة، ولواء طرابلس، ولواء اللاذقية، ولواء حوران، ولواء بيروت، ولواء عكا، ولواء القدس، ولواء نابلس⁽²⁾.

2 - إنشاء جمعيات المقاصد الخيرية الإسلامية: لم يكن إنشاء هذه الجمعيات في اللاذقية سنة 1880، حالة مفردة مقتصرة على هذه المدينة فقط. بل كان جزءاً من توجه عام، عملت السلطنة العثمانية، على تنفيذه في كل أنحاء ولاية سوريا، وربما في مختلف أنحاء السلطنة. وقبل أن نبدأ ببحث هذه المسألة، لا بد من الإشارة إلى عدة أمور مهمة، قد تساعد على

(1) لمزيد من الايضاح حول تركيب هذا اللواء، يراجع: ملحق رقم 4 المرفق بالدراسة.

(2) الألوية الثمانية التي كانت تتشكل منها ولاية سورية عام 1868 هي:

1 - لواء دمشق الشام، يتألف من ثمانية أفضية، وهي: وادي العجم، ووادي برد و اقليم البلان، وجبل القلمون، وراشيا، وحاصبيا، والبقاع الشرقي، وبعلبك، والبقاع الغربي.

2 - لواء حمص وحماة، تألف من خمسة أفضية هي: جبل حزور، وجبل الكلبية، وجبل الحولة، ومعرفة النعمان، وحصن الأكراد.

3 - لواء طرابلس، تألف من ستة أفضية: اللاذقية، جبلة، وطرطوس، والمرقب، وصافيتا، وعكار.

4 - لواء حوران، تألف من أربعة أفضية: حيدور، وجبل عجلون، واللجون، والحولة والجولان.

5 - لواء بيروت، تألف من أربعة أفضية: صيدا، وصور، وهونين وتبنين، و مرجعيون والشقيف.

6 - لواء عكا، تألف من سبعة أفضية: حيفا، والشاغور، وعثليت، وشفا عمرو والناصر، وصفد، وجبل ترشيحا، وطبرية.

7 - لواء القدس، تألف من خمسة أفضية: بيت لحم، وغزة، والخليل، واللد والرملة، ويافا.

8 - لواء نابلس، تألف من أربعة أفضية: جنين، وبنو صعب، والسلط، والكرك.

ولمزيد من الايضاح، يراجع: عبد الكريم غرايبه، سورية في القرن التاسع عشر، القاهرة 1962، ملحق و، ص 233.

رؤية السياق العام، الذي أنشئت فيه هذه الجمعيات وأسباب إنشائها وحلها والتهمة التي وجهت إليها والأسلوب الذي اعتمد في حلها. من هذه الأمور:

الأمر الأول، هو أن القرارات التي صدرت عن السلطنة العثمانية، تنفيذاً لأحكام «التنظيمات الخيرية» و «الهاماوية»، قد جعلت لكل طائفة دينية من غير المسلمين مجلساً مدنياً ومجلساً روحانياً؛ وحددت سلطات كل منهما؛ وأوضحت كيفية تأليفهما مع كيفية انتخاب رؤساء الطوائف وتعيينهم. وتركت جميع القضايا المتعلقة بالأحوال الشخصية لأبناء الطائفة، إلى هؤلاء الرؤساء وتلك المجالس. وتركت لهم كذلك جميع الأمور المتعلقة بأوقاف الأديرة والكنائس وشؤون المدارس والمؤسسات الخيرية الخاصة بالطائفة. وجعلت البطريركيات والأسقفيات مسؤولة عن رعاياها أمام إدارات السلطنة. وبالتالي، فقد بات أبناء هذه الطوائف، تحت رقابة إدارات السلطنة بشكل غير مباشر، عبر رؤساء هذه الطوائف ومجالسها المليّة. أما المسلمون، فلم يكن لديهم أمثال هذه التشكيلات. ولذلك، فقد بقيت أمورهم كلها موكولة إلى السلطنة مباشرة - بوصفها دولة الخلافة الإسلامية - بدون أن يكون بينها وبينهم جماعة وسيطة⁽¹⁾.

الأمر الثاني الذي تجدر الإشارة إليه أيضاً، هو أنه في أواخر عام 1878، دخلت منطقة الساحل الشرقي للبحر المتوسط والداخل السوري، إلى محطة جديدة من تاريخ علاقتهما بالسلطنة العثمانية، عندما أرسلت هذه الأخيرة مدحت باشا والياً على سوريا بتوجهات عملية من أجل إصلاح شؤون هذه الولاية. وكان هذا الوالي غير العادي، من أنصار «حزب الإصلاح» على الصعيد الداخلي لإدارة البلاد. فأمام وضع السلطنة المفلس، وتلبية للنداءات التي كانت تصدر عن المسلمين هنا وهناك، كي تهتم السلطنة بأوضاعهم عامة، وبالتعليم بشكل خاص، من أجل اللحاق بركب الطوائف غير الإسلامية في تلبية متطلبات أسواق العمل الجديدة؛ ولمواجهة المخططات الدولية - التي كانت تنخر في جسم هذه الولاية -

(1) لمزيد من الإيضاح حول هذه الأفكار، يراجع:

ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، مرجع سابق، ص 89-96.

العاملة على استمالة أبناء الطوائف الإسلامية، من أجل كل هذا، عمل مدحت باشا، على تنفيذ توجهات السلطنة، بإنشاء «جماعات إسلامية»، على غرار الجماعات غير الإسلامية، كي تهتم بالشؤون المحلية للمسلمين. وفي هذا السياق تأتي الجهود التي بذلها مع أعيان من المسلمين وأولي الأمر منهم، من أجل تنظيمهم في جمعيات ذات مقاصد خيرية وعلمية، تألفت من مسلمين (سنة) دون سواهم. وهكذا أمكنه أن يؤسس - خلال مدة ولايته - في سوريا عدداً من هذه الجمعيات، التي شملت كل أنحاء الولاية ولاسيما مدنها الكبرى. علماً أن مصادر السلطنة الرسمية، قد أشارت إلى هذه الجمعيات بأسمائها وأسماء أعضائها. ومن خلال هذه المصادر، أمكن أن نتعرف إلى سبع جمعيات منها وهي:

جمعية المقاصد الخيرية في بيروت، تكونت من أربعة وعشرين شخصاً⁽¹⁾.

جمعية صيدا للمقاصد الخيرية، تكونت من ستة عشر شخصاً⁽²⁾.

جمعية طرابلس العلمية الخيرية، تكونت من تسعة عشر شخصاً⁽³⁾.

الجمعية الخيرية في اللاذقية، تكونت من ستة عشر شخصاً⁽⁴⁾.

جمعية عكا الخيرية، تكونت من ستة عشر شخصاً⁽⁵⁾.

جمعية نابلس الخيرية، تكونت من اثني عشر شخصاً⁽⁶⁾.

الجمعية الخيرية في ناحية جنين، تكونت من ثمانية أشخاص⁽⁷⁾.

الأمر الثالث، هو أن الحكومة العثمانية، قد عملت - منذ أن أنشأت هذه الجمعيات - على منح المدارس التي أسستها هذه الجمعيات مساعدات مالية؛ وخضتها بعدد من

(1) سالنامة ولاية سورية لعام 1298هـ دفعة 13، ص 149.

(2) المصدر السابق، ص 161.

(3) المصدر السابق، ص 183.

(4) المصدر السابق، ص 183.

(5) المصدر السابق، ص 195.

(6) المصدر السابق، ص 216.

(7) المصدر السابق، ص 218.

الملكيّات الوقفية. كما أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني (1876-1909) نفسه، خَصّ مدارسها في بيروت بمبلغ سنوي. علماً أن أعضاء هذه الجمعيات، كانوا من وجهاء القوم وأثريائهم، في المناطق التي تشكلت فيها هذه الجمعيات⁽¹⁾. ولذلك، ما أن سنحت لهؤلاء فرصة بروزهم، حتى باتوا من العناصر الفاعلة والمؤثرة في محيطها، ولا سيما أعضاء جمعية بيروت، الذين باتوا من أكثر الأعضاء تأثيراً وفاعلية. فهم الأكثر ثقافة ويتمتعون بدعم شعبي واسع، إلى جانب أنهم يحملون مشاعر كره تاريخي للعنصر التركي، الذي تغافل عنهم وعن مصالحهم. هذه الجمعية - كانت بشكل من الأشكال - تقود الجمعيات الأخرى في مدن الولاية، بما فيها تلك التي في دمشق. فبالرغم من أن هذه الأخيرة «كانت مدعومة من قاعدة شعبية واسعة جداً، فهي لم تكن تتمتع بنفس التأثير الذي كان لجمعية بيروت في البلاد»⁽²⁾. على حد تعبير القنصل الفرنسي العام في بيروت.

الأمر الرابع، وهو أن غاية السلطنة الحقيقية من إنشاء هذه الجمعيات، كانت خافية عن أعضائها؛ ولذلك، كانت توجهاتها تختلف كلياً، عن تلك التي كان أعضاؤها يتطلعون إليها ويطمحون إلى بلوغها. القنصل الفرنسي العام في بيروت، السيد «بتريمونيو» (M. Patrimonio)، أشار في رسالته، إلى رئيس مجلس الوزراء، وزير الخارجية الفرنسية، السيد «دي كليرك» (M. Duclerc)، بتاريخ 18 أيلول 1882، بأن ما كانت تريده السلطنة من إنشاء هذه الجمعيات، هو في أن «تعتمد عليها، من أجل الدعاية للجامعة الإسلامية، والعمل ضد النزوع باتجاه الأفكار الأوروبية التي تدخل إلى البلاد»⁽³⁾. أما «أحمد عارف الزين» صاحب «تاريخ صيدا»، فقد رأى حول هذه المسألة، أن الجمعية، «قد وضعت أمامها هدفاً، هو التعاضد والتناصر لمنافع الوطن. وأخذت تهتم بإنشاء المدارس الإسلامية لتخريج جيل

(1) للتعرف على أسماء أعضاء هذه الجمعيات، يراجع: الملحق رقم 5، المرفق ربطاً بالدراسة وهو عبارة عن كشف بأسماء أعضاء هذه الجمعيات أعد بالاستناد إلى المصدر المذكور والصفحات المشار إليها أعلاه.

(2) Documents..., tome 14, Byrouth, 1973, p. 417.

(3) Documents..., tome 14, op. cit. p. 418.

من المتعلمين يكون عضداً للتجار المسلمين، بعد أن كانت مدارس الإرساليات الأجنبية والجمعيات الدينية المسيحية، قد سبقتها شوطاً بعيداً في هذا المضمار»⁽¹⁾. غير أن الياس صالح اللاذقي، أشار في «أثار الحقب في لاذقية العرب»، حول هذه المسألة إلى أن «غاية الجمعية الحقيقية كانت إحياء العصابة الجنسية العربية ضد الترك، والعصابة الدينية الإسلامية ضد المسيحيين وترشيح تلامذة منهم لمأموريات الحكومة واستقلالهم بها».

إنَّ ما يهمنا من أمر هذه الجمعيات، هو جمعية اللاذقية، وما جرى إنشاؤه حولها من جمعيات ولجان. فالمصرف «أحمد أفندي الصلح» وإبناه منح أفندي ورثا أفندي، كانوا على ما يبدو على علاقة وثيقة بمدحت باشا. فقد سعى هؤلاء إلى تأليف هذه الجمعية، التي دعيت «الجمعية الخيرية». وقد تألفت من وجوه مسلمي المدينة؛ وعيّن منح أفندي الصلح رئيساً لها، وصائب أفندي شيخ المولوية نائب رئيس. أما ما تبقى من الأعضاء فهم: ابن هرون محمود آغا، وابن أوسطه محمد أفندي، وابن المفتي فيض الله أفندي، وابن شواف قاسم أفندي، وابن المحمودي عبد الفتاح أفندي، وابن الدجاني أديب أفندي، وابن المفتي علي أفندي، وابن الصوفي محمد صالح أفندي، وابن فتاحي عبد الفتاح أفندي، وابن رويحه محمد أفندي، وابن عجان عبد الحميد أفندي، وابن قواف إبراهيم أفندي، وابن حكيم محمود أفندي، وابن هرون اسعد آغا⁽²⁾.

من أعمال هذه الجمعية، أنها أنشأت مدرسة لصبيان المسلمين، فرضت نفقتها على

(1) علي محمد حويلي، التطور الثقافي لمدينة بيروت منذ الفتح المصري لبلاد الشام وحتى الحرب العالمية الأولى، 1831-1914، وهي أطروحة دكتوراه غير منشورة، أعدت بإشراف د. مسعود ضاهر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الفرع الأول بيروت 1990، ص 179-181.

(2) سالنامة ولاية سورية لعام 1298هـ دفعة 13، ص 183.

(*) الأعضاء العشرة الذين اختيروا وفوضوا بوضع ضرائب ورسوم: اسماعيل أفندي صالح، ومحمد أفندي رويحة، هؤلاء من المسلمين؛ وميخائيل أفندي سعادة، والياس صالح اللاذقي، وهما من الروم الأرثوذكس؛ والخواجه بطرس يازجي من الموارنة؛ والخواجه جفروا قنصل روسيا والمجر من الفرنساويين؛ والخواجه باسيلي ويتالي من التبعة اليونانية عن الأجانب؛ والشيخ سليمان حاتم والشيخ سعيد قسمين من النصيرية؛ ليكونوا قومسيوناً تحت رئاسة منح أفندي الصلح.

الوجوه وذوي الثروة بواسطة اشتراك كل منهم بقدر معلوم على حسب استطاعته، يدفعه شهرياً إلى صندوق الجمعية. وبالإضافة إلى ذلك، فقد سعت الجمعية إلى تحويل واردات بعض الأوقاف المضبوطة إلى صندوقها، كما أسعفتها الحكومة في مهماتها بعناية ودعم مدحت باشا. وإلى جانب هذه الجمعية الخيرية، فقد تألفت من هؤلاء أيضاً جمعية ثقافية، دعت «الجمعية الأدبية»، وعُيّن رضا أفندي الصلح رئيساً لها.

وبتشويق من مدحت باشا أيضاً، حول أهمية الطرق في الشأن العام والعمل على تسهيل المواصلات بين اللاذقية وحلب، فقد جرى جمع أعيان اللاذقية ووجوهها من مختلف الملل ووكلاء القناصل، فانتخبوا عشرة أعضاء برئاسة «منح الصلح» للاهتمام بالطرق بين حلب واللاذقية وتنظيف المرفأ. وقد فوضت هذه اللجنة من قبل الأهلين، بوضع ضرائب ورسوم معتدلة على البضائع الصادرة والواردة وعلى اللحم، بإشراف وتصديق مجلس الإدارة، لتأمين المصاريف اللازمة⁽¹⁾. لقد أقدم مدحت باشا على هذا الاجراء، لاعتبارات كثيرة، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 - لقد أرسل مدحت باشا إلى سوريا تحت عنوان اصلاح شؤونها، لتكون مثالاً للعبور منه إلى بقية ولايات السلطنة العثمانية، ولا سيما من أجل تغذية خزانتها العامرة⁽¹⁾. وكان يدرك - بعد أن أوقف السلطان عبد الحميد الثاني العمل بالدستور - بأن الحزب المحافظ في

(1) أشار السيد «دي لاپورت» (M. Delaporte)، القنصل الفرنسي العام في بيروت، بتاريخ 10 أيلول 1879، أنه في الوقت الذي كان فيه مدحت باشا منهمكاً بورشة اصلاح شؤون ولاية سورية، ويطلب من السلطنة المساعدة المالية، ارسل الباب العالي إلى سموه (son Altesse) أمراً يطلب منه أن يقتطع 33% من مخصصات ومعاشات العاملين والمستخدمين في كل انحاء الولاية، من أجل تحقيق الوفرة الاقتصادي في خزانة السلطنة. وطلب منه أن يتشدد في تنفيذ الأمر قائلاً: «لقد كانت ولاية سورية على الدوام ولاية متميزة في اعطاء المثل الجيد. ويأمل الباب العالي من مدحت باشا تنفيذ الأمر بسرعة وقوة وحزم. لأن تنفيذه سيكون مثالاً ستتبعه الولايات الأخرى». Documents..., tome 14, op. cit. p. 96.

السلطنة، المعارض للإصلاح ممثلاً بهذا السلطان، كان يعمل على إبعاده من أجل إفشاله والخلص منه .

2 - إنَّ الترحيب المحلي بقدومه، الرسمي منه والشعبي، الذي لقيه لدى قدومه في كل أنحاء سوريا، كان مؤشراً على درجة الثقة التي تستحقها شخصيته من جهة، وعلى عظم الآمال المعقودة عليه من جهة أخرى؛ وعلى المسؤولية الكبرى التي أقيت على كاهله من جهة ثالثة. وهذا ما جعله يشعر بأن فشل مهمته يعني فشله هو بالذات. وهذا بالنسبة إليه أمر ممنوع، عبّر عنه بصوت عالٍ في الزيارات المتبادلة التي التقى فيها بالسلك القنصلي في بيروت⁽¹⁾.

3 - إنَّ الخطوات الإصلاحية التي قام بها، خاصة اقتطاع سنجق اللاذقية من سنجق طرابلس، كان يأمل من خلاله أن تساعد السلطنة - على الأقل - بالأموال اللازمة لتأمين مستلزمات هذا الفصل، ولاسيما أنه سيساعد على توقف النصيرية عن العصيان، الذي كاد أن يكون متواصلاً. وهؤلاء - حسب رأيه - كانوا لا يريدون غير الهدوء والسكينة. علماً أنهم قد أهينوا واستغلوا بشتى الطرق والوسائل، سواء من قبل المجموعات العسكرية التي أرسلت ضدهم، أم من قبل القائم مقام البعيد جداً عن مركز الولاية، وعن عيون المراقبة. إنَّ خطوة الفصل هذه، كان مرتاحاً لها، ويجب تثبيتها رغم محاولات دفعه إلى اليأس والإحباط⁽²⁾.

4 - العجز السنوي المزمّن في موازنة الولاية، البالغ 55000 ليرة تركية سنوياً. هذا العجز السنوي في موازنة الولاية، كان يترافق مع لجوء الباب العالي إلى الاستدانة من دائنيه من دون أن يرد إليهم هذا الدين، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد سبق له أن أرسل دائنيه إلى

(1) لمزيد من الايضاح حول ثقة مدحت باشا بنجاح مهمته وقوة ارادته الخيرة، تراجع: رسالة نائب القنصل الفرنسي العام في بيروت، «السيد برتيه» (M. Péretier)، إلى وزير الخارجية الفرنسية، «السيد ودينغتون» (M. Waddington)، بتاريخ

29 كانون الأول 1878، Documents..., tome 14, op. cit. pp. 64-65.

Documents..., tome 14, op. cit. lettre m 18, p. 96

(2)

خزانة الولاية وهم يحملون إشعارات الدفع الفوري لهم من خزانة هذه الولاية⁽¹⁾.

5 - إنَّ الحزب المحافظ الواقف إلى جانب السلطنة في القسطنطينية، كان يرفض له كل طلباته تقريباً. وليس هذا فحسب، بل ويعمل على وضع العراقيل في وجهه، بهدف شلَّ إرادة الإصلاح لديه، ومنعه من تحسين وضع الولاية التي عهدت إليه، ولاسيما أنها تحتاج إلى حاجات كثيرة⁽²⁾.

من أجل هذه الاعتبارات وغيرها، عمل على تشكيل لجنة فرض الضرائب والرسوم في اللاذقية. فالإصلاح بحاجة إلى المال، ولا سبيل إليه - في الوضع الذي حُسر فيه - إلا عن هذا الطريق، بعد أن استنفدت السخرة جهود العاملين على الطرق⁽³⁾.

3 - حلَّ جمعيات المقاصد الخيرية الإسلامية

لم يتناول الياس صالح اللاذقي مسألة حلَّ جمعيات المقاصد الخيرية الإسلامية. علماً أنه عاش هذه المرحلة وشهد أحداثها؛ وإنه من غير المعقول أن لا يكون قد علم بهذا الأمر.

(1) أشار القنصل الفرنسي العام في بيروت، في رسالته إلى وزير الخارجية الفرنسية، بتاريخ 29 حزيران 1879، أن من دائني السلطنة في القسطنطينية، «السيد ظريفي» (M. Zarifi) وغيره كثيرون، قد حوّلوا إلى خزانة الولاية بارساليات من 20 ألف ليرة و30 ألف ليرة تركية، مع اشعار بالدفع فوراً.

Documents..., tome 14, op. cit. lettre no 12, pp. 76-77.

(2) المصدر السابق، ص 77.

(3) أشار «السيد دي لا بورت» (M. Delaporte)، القنصل الفرنسي العام في بيروت، في رسالته إلى «السيد ودينتون» (M. Waddington)، وزير الخارجية الفرنسية، بتاريخ 10 أيلول 1879، أن سفر مدحت باشا في دورته التفقدية، من دمشق إلى طرابلس، مروراً بحمص وحماه واللاذقية، قد جرى بالعربة للمرة الأولى، على طرقات شقت بالسخرة بمبادرة خاصة منه. وهذا بالتأكيد امر مفرح بالنسبة إليه. فقد تمكن خلال وقت قصير أن يفتتح طريقاً للعربات، في بلاد ربما لم تشهد ذلك منذ عصر الرومان. كان من الطبيعي أن اهناه وسموه يبدي شيئاً من الفخار بنفسه. غير أن الاستنتاج، بأن هذه الطرقات قد باتت من الآن في حالة تسمح بتنظيم رحلات للعربات عليها، امر يجب التحفظ عليه، لأنه لا مكان للجسور عليها. فهذه لا يمكن إنجازها بالسخرة وبوقت سريع. فهي بحاجة إلى أساسات وبناء. ولذلك، من الصعب أن

نحدد مدة لإنجازها، *Documents...*, tome 14, op. cit. lettre no 18, pp. 91-92.

فكل ما أشار إليه حول هذه المسألة هو أن السلطنة العثمانية، «قد أوجست أخيراً أن مدحت باشا عامل على إنشاء مملكة أو إمارة مستقلة عربية فعزلته وحولت الولاية لعهدة أحمد حمدي باشا» (1885-1880). وهو صدر أعظم سابقاً⁽¹⁾، وسبق له أن تولى ولاية سوريا⁽²⁾. صحيح، إن تناول هذه المسألة، قد يبعدها قليلاً عن أجواء «آثار الحقب في لاذقية العرب»، لكن، من المفيد أن نتوقف عند هذه المسألة لسبب بسيط، وهو أن حلّ هذه الجمعيات، قد جاء في سياق وضع عام، كانت تمر به السلطنة العثمانية ومنطقة الساحل الشرقي للبحر المتوسط؛ واللاذقية وجمعيتها الخيرية لم تكن خارجة عن هذا السياق.

لقد وصل «أحمد حمدي باشا» ليتسلم مهام الولاية، عبر بيروت في 10 آب 1880. وفي اليوم التالي - على متن نفس السفينة العثمانية الحربية «عز الدين» - غادرها مدحت باشا، بعد أن انقلب عليه السلطان عبد الحميد الثاني. فبعد أن خلع، اقتيد بشكل يشبه الإطاحة به. علماً أنه لم يكن في حسابه يوماً أن تكون نهايته على هذا الشكل. فقد سيق مخفوراً «بعد أن عومل كمجرم بحق الدولة» (après l'avoir traité en criminel d'Etat). وكان لا يزال في بيروت، عندما أزيلت الحجارة المزخرفة، من على واجهة دار اليتيمة في دمشق، التي تحمل العبارة المشهورة: «مدحت خديوي سوريا» (Midhat khédive de Syrie)، على حد تعبير القنصل الفرنسي العام في بيروت⁽³⁾.

(1) تولى أحمد حمدي باشا منصب الصدارة العظمى عام 1295 هـ 1878 م فترة قصيرة من الزمن. ومن الجدير بالذكر هنا، أنه خلال هذا العام المذكور، قد تولى هذا المنصب عدد من الوزراء العظام، وهم على التوالي: أدهم باشا، أحمد حمدي باشا، أحمد وفيق باشا، صادق باشا، مرسم محمد رشدي باشا، صفوت باشا، خير الدين باشا. أي بمعدل اقل من شهرين لكل واحد منهم خلال هذا العام. وهذا ما يدعو إلى التساؤل والبحث. Documents..., tome 1, op. cit. p. 358.

(2) تولى أحمد حمدي باشا منصب ولاية سورية في عام 1292 هـ 1875 م. هذا ما أشارت إليه المصادر الفرنسية. Docu-ments... tome 1, p. 381 ؛ غير أن مؤلف «الإدارة العثمانية في ولاية سورية» جعل العام الميلادي الموافق لعام 1292 هـ هو 1876. وجعل مدة ولايته سنة وأربعة أشهر. عبد العزيز محمد عوض، المرجع السابق، ص 343.

(3) كان القنصل الفرنسي العام في بيروت، السيد سينكيا ويكر (M. Sienkiewicz)، يرصد جيداً حركة وصول أحمد حمدي باشا إلى بيروت، ورحيل مدحت باشا عنها. وحول هذه المسألة، أشار في رسالته إلى وزير الخارجية الفرنسية «السيد فريسينا» (M. Freycinet)، بتاريخ 14 آب 1880، أن مدحت باشا، كان يبدو حتى اللحظة الأخيرة مليئاً بالثقة بنفسه؛ وأنه قد أكد له قبل ثلاثة أشهر من هذا التاريخ، بأنه سيعود يوماً إلى سورية كإنسان عادي لا أكثر؛ وأنه كان يجهد للافصاح عن آماله المخبأة بكلمات مختارة؛ وأنه يعتمد دائماً على ما يمكن أن يحصل في القسطنطينية. Documents..., tome 14, pp. 212-213.

إننا إذ نشير إلى هذه التفاصيل، فمن أجل أن نؤكد، أن أحمد حمدي باشا، الذي أبدى كل لياقة تجاه سلفه المخلوع، كان يعرف جيداً الغرض الذي جاء من أجله والمهمة المكلف تنفيذها. فبعد أن باتت الولاية بين يديه، بات عليه أن ينفذ ما يطلب منه؛ وهو وضع حد لجمعيات المقاصد الخيرية الإسلامية، وأن يضع مدارسها في قبضة السلطنة، ولا سيما بعد أن وجد أن هذه المدارس تحذو حذو مدارس الإرساليات الأجنبية وتتعامل معها في تطوير وتعديل برامجها؛ وأنها تتعد شيئاً فشيئاً عن مناهج وبرامج السلطنة.

وهكذا، وبالتنسيق مع الباب العالي، راح الوالي الجديد يضايق هذه الجمعيات ويراقب مدارسها، منتظراً ما سيصدر عن السلطان، الذي انتهى إلى قناعة بأنه لم ينجح في عملية ضبط عمل هذه الجمعيات وحصر تأثيرها لمصلحته الخاصة بالاتجاه الذي كان يريده، وهو الاعتماد عليها من أجل الدعاية للعصبة الإسلامية، والعمل ضد الأفكار الأوروبية التي تدخل إلى البلاد. في حين أن ما وصل إليه من خلال إنشائها، هو أنه منح العنصر العربي وسيلة يتمدد بواسطتها تأثيره ونفوذه. وإذا كان صحيحاً أن أعضاء هذه الجمعيات، كانوا يلتقون فيما بينهم، قبل أن ينتسبوا إليها، فقد باتوا أعضاء في جمعيات مجبرين على اللقاء والتباحث والتعاون، وأن يعتمدوا على بعضهم البعض. وهذا ما لا يتفق مع سياسة السلطنة وتوجهاتها القائمة على مبدأ «فرق تسد». وعلى ضوء هذه القناعة باتت مسألة وضع حد لهذه الأمور والخلاص من هذه الجمعيات بشكل رسمي مسألة وقت لا أكثر.

القنصل الفرنسي العام في بيروت، «السيد بتريمونيو» (M. Patrimonio)، رأى في رسالته التي وجهها إلى السيد «دي كليرك» (M. Duclerc)، رئيس مجلس الوزراء، وزير

الخارجية الفرنسية، بتاريخ 18 أيلول/سبتمبر 1882، أن حلّ هذه الجمعيات بالنسبة للسلطنة العثمانية، قد حان إثر معركة «التل الكبير»، التي خاضتها بريطانيا في مصر ضد «أحمد عرابي باشا» ورفاقه في الحركة الوطنية المصرية بتاريخ 13-14 أيلول/سبتمبر، ودخول طلائع هذه القوات إلى القاهرة في الخامس عشر من ذلك الشهر. يومها هزم أحمد عرابي وحوكم ونفي هو ورفاقه إلى جزيرة سيلان. لقد أدت هذه الهزيمة الصاعقة إلى نقمة إسلامية عارمة، وإلى حالة عامة من الذعر والوجوم. وقد أكد هذا القنصل في هذه الرسالة، أنه في هذا الجو من الإحباط «تلقى الوالي (أحمد حمدي باشا) من القسطنطينية أمر حل الجمعيات المسماة خيرية، المؤسسة من مدحت باشا، كما «أمر أن ينتزع منها ما كان قد خصص لها من منافع وقفية»⁽¹⁾. وهكذا تكون السلطنة قد قامت بما هو مطلوب منها تجاه حل هذه الجمعيات؛ وبقي أن يقوم الوالي بما هو مطلوب منه، وهو إيجاد السبب المباشر لإبلاغ القرار إلى أصحابه المعنيين به. ومن أجل ذلك، فقد استدعى إليه قاضي بيروت - كان هذا الأخير قد عاد حديثاً من القسطنطينية - من أجل التشاور معه بمسألة تنفيذ أوامر الباب العالي. ويبدو أن واحداً من الأعمال التي أثارت القلق لدى القسطنطينية، هو إلقاء القبض في مياه بيروت، على حمولة خمسة وثمانين برميلاً من البارود على سفينة عثمانية، يمتلكها أحد المسلمين المدعو «سالم طرباي»، الذي أُلقي القبض عليه، ووضع في السجن. وراح الوالي يرسل الأمر تلو الآخر لتحريك الدعوى من أجل إيجاد المشكوك بأمره. علماً أن الوالي كان يعتقد جازماً أن الحمولة تخص جمعية المقاصد الخيرية في بيروت، وأنها هي التي ستدفع ثمنها. أما الغاية - حسب رأيه - فهي أن الحمولة ستستخدم ضد السلطات التركية، في حال أن الأعمال الحربية في مصر اتخذت وجهة أخرى لصالح العرب. ومهما يكن من أمر، فقد تابع الوالي أوامره لمواصلة التحقيق. لكن، بدون جدوى، لأن كل مسلمي بيروت، سواء منهم من في الدوائر الإدارية أو القضائية، كانوا يبذلون جهدهم

مكتبة التاريخ العثماني

من أجل تخليص المتهم ليصبح حراً من جهة، وإسقاط التهمة المنسوبة إليه، التي لم تثبت عليه⁽¹⁾.

وعلى أي حال، ما لبث الوالي، أن أبلغ قرار حلّ الجمعيات إلى أصحابه المعنيين في 27 تشرين الثاني 1882؛ وشكل لإدارة مدارسها - ولا سيما في بيروت - «شعبة معارف» مركزها بيروت؛ وظلت تحت سلطة الدولة العثمانية حتى نهاية حكم السلطان عبد الحميد 1909. وخلال هذه الفترة، كانت مدارسها قد أهملت، وتدنى مستواها العلمي بشكل ملحوظ⁽²⁾.

وفي ختام هذا الحديث على أسباب حلّ هذه الجمعيات الخيرية بالارتباط مع سقوط مصر بيد بريطانيا، لا بد من الإشارة، إلى عدد من الآراء، التي رفعها السيد «سينكيا ويكز» (M. Sienkiewicz) القنصل الفرنسي العام في بيروت، في رسالته إلى السيد «فريسينا» (M. Freyainet)، وزير الخارجية الفرنسية، بتاريخ 14 آب 1880 من بيروت.

الرأي الأول، وهو رأي هذا القنصل نفسه، وهو أن مدحت باشا انكليزي التوجه حصراً، وأنه أبلغ هذا الأمر إلى المعني به عبر أناس يرتبطون به ارتباطاً وثيقاً، والرأي الثاني يتردد في بيروت، وهو أن سقوط مدحت باشا هو أكثر من فشل مهين لانكلترا؛ والرأي الثالث وهو لعدد من الشخصيات الأكثر صلة بالوضع، يرون أن مدحت باشا قد بات عائقاً بالنسبة للإنكليز أنفسهم⁽³⁾.

على ضوء هذه الآراء التي أشرنا إليها، يمكن أن نطرح التساؤل التالي:
ألا يمكن أن تكون القوى المحافظة القيّمة على رأس السلطنة، قد عقدت صفقة بينها وبين بريطانيا للخلاص من المطالبين بالإصلاح في مصر وسوريا؟
إنّ كل القرائن والمعطيات التي بين أيدينا، تدل على وجود مثل هذه الصفقة. بحيث

Documents..., tome 14, op. cit. pp. 418-419.

(1)

(2) لمزيد من الإيضاح حول هذه المسألة، يراجع: علي محمد حويلي، التطور الثقافي لمدينة بيروت منذ الفتح المصري لبلاد الشام وحتى الحرب العالمية الأولى (1831-1914)، اطروحة غير منشورة، مرجع سابق ص 179-181.

Documents... tome 14, lettre no 54, p. 213.

(3)

توجه بريطانيا ضربة ذات طابع عسكري للحركة الوطنية المصرية، وتوجه السلطنة ضربتها إلى مدحت باشا، تأخذ طابع الانقلاب على نفسها، من خلال الإطاحة بشريكها في الحكم، التيار الإصلاحى ممثلاً بمدحت باشا، ثم توجه ضربة إلى جمعيات المقاصد الخيرية فتحلها. هذا بالإضافة إلى أنها تؤجج الصراع بين بريطانيا وفرنسا ولا سيما أن هذه الأخيرة كانت تحضر خطة لاحتلال مصر. ولنتبين صورة هذه الصفقة، لا بد من الإشارة إلى الأمور التالية، ليتوضح مشهد ما جرى وما كان يجري في كل من مصر وسوريا:

1 - في مصر حركة وطنية مصرية، مناهضة لحكم «الخديوي توفيق» (1879-1892)، المرتمي في أحضان الإنكليز. هذه الحركة كانت تتمثل بأحمد عرابي باشا ورفاقه من ضباط الجيش، واستطاعت عبر نضالاتها أن تفرض وجودها على الخديوي، الذي لم يعد قادراً على الحكم من دون مشاركتها، أو على الأقل، الوقوف على خاطر قادتها، والموافقة على مطالبهم المتمثلة: بتشكيل حكومة وطنية تعزز الجيش عدداً وعدة وإعداداً؛ وتشكيل «مجلس شورى النواب». لدراسة موازنة البلاد وتدقيق حساباتها وأرقامها؛ وفتح سلم الترقى أمام الضباط المصريين للوصول إلى أعلى المراتب في الجيش، أسوة بغيرهم من الضباط الجراكسة الأغراب من غير المصريين؛ ورفض التدخل الأجنبي في شؤون مصر... ولذلك، فقد باتت هذه الحركة عائقاً مشتركاً أمام السلطنة من جهة، وأمام بريطانيا من جهة أخرى. علماً أن هذه الأخيرة، كانت تخطط أيضاً لاحتلال مصر، منذ أن شقت قناة السويس من قبل شركة فرنسية عالمية، أسسها المهندس الفرنسي «فرديناند دي ليسبس» (Ferdinand de Lesseps) ^(*). لقد بات الخلاص من هذه الحركة من مصلحة بريطانيا وفرنسا، بقدر ما هو من مصلحة الخديوي والسلطنة العثمانية، ولا سيما القوى المحافظة فيها. وكان دخول بريطانيا على خط منافسة فرنسا في مصر، قد زاد من منسوب حدة التناقض بين الدولتين.

(*) اصدر الخديوي محمد سعيد (1849-1863) إرادته بمنح المهندس الفرنسي «فرديناند دي ليسبس» حق تأسيس الشركة العالمية لقناة السويس (la Société universelle du canal de Suez) في 30 تشرين الثاني 1854؛ واصدر السلطان عبد المجيد (1839-1861) فرمان موافقته على انشاء هذه الشركة في 19 آذار 1856؛ ودشنت أعمال الملاحة فيها في 17 تشرين الثاني

وهذا ما استفادت منه السلطنة إلى أقصى حدود الإفادة، من أجل بقائها والحفاظ على سلامتها.

2 - بعد انقلاب السلطان على مدحت باشا، وإزاحته من منصب ولاية سوريا، بقيت الجمعيات التي تختلف توجهاتها عن تلك التي أنشئت من أجلها. تلك التوجهات التي كانت السلطنة وبريطانيا تعملان من أجلها، وهي إحياء العصبة الإسلامية، من أجل إثارتها في وجه فرنسا، لإفشال مخططاتها في احتلال سوريا ومصر وما تبقى من بلدان شمال إفريقيا. ولذلك، عندما شبت هذه الجمعيات، عن الطوق المعد لها، باتت هي أيضاً عائقاً مشتركاً أمام السلطنة وبريطانيا، وكان لا بد لهما من الاتفاق على إزاحة هذا العائق.

3 - لقد وازن السلطان عبد الحميد، رأس السلطنة المحافظ بين أمرين ليختار واحداً منهما: الأمر الأول، وهو أن تبقى الحركة الوطنية في مصر، وجمعيات المقاصد الخيرية في سوريا تقضان مضجعه، ويتراجع أمامهما ليفرض عليه الإصلاح عاجلاً أم آجلاً. الأمر الثاني، وهو أن يقتسم مصر مع بريطانيا ليستبقي سوريا تحت سلطته ولمصلحته. على أن يصار إلى إخراج حركة الإصلاح من المعادلة في مصر. بالطبع، لقد اختار السلطان الأمر الثاني. وتمت الصفقة على حساب العرب عامة والمسلمين منهم خاصة. وعلى ضوء هذه الصفقة، ضربت بريطانيا الحركة الوطنية المصرية واحتلت مصر. أما السلطنة، فقد قامت بما هو مطلوب منها ولمصلحتها الخاصة كما رأينا. وهكذا، لم ينفع الحركة الوطنية المصرية، ولا جمعيات المقاصد الخيرية الإسلامية كون أعضائهما مسلمين في علاقتهما مع السلطنة العثمانية، دولة الخلافة الإسلامية، لسبب بسيط، وهو أن ما يحكم العلاقة بين الدول، هو المصالح المتبادلة بينها، وليس أي شيء آخر.

بعض الاستنتاجات

في نهاية هذه المقدمة، لا بد من الإشارة إلى عدد من أهم الاستنتاجات، التي خلصنا إليها من خلال هذا الكتاب: «آثار الحقب في لاذقية العرب». من هذه الاستنتاجات:

- 1 - لقد التزم الياس صالح اللاذقي بمنهجه، الذي حدده لنفسه في مقدمة كتابه. فقد راعى مبدأ الابتداء بالأخص، ومنه انتقل إلى الأعم فالأشمل، عندما كتب عن لاذقية العرب أولاً، ومنها انتقل للكتابة عن لوائها، وعن ارتباطهما ببعضهما البعض من جهة، وبالشعوب المحيطة بهما من جهة أخرى، عبر مختلف عصور التاريخ.
- 2 - إن المؤلف، الذي آمن بأن من واجب الإنسان، أن يعرف تاريخ مدينته ووطنه، قبل أن يعرف تاريخ المدن والأوطان الأخرى، قد التزم بهذا المبدأ، وقدم لمواطنه الأحداث بإحساس المواطن المسؤول، عما يجب أن يعرفه عن مدينة اللاذقية ولوائها.
- 3 - منذ عام 1840، أطلقت الدول على السلطنة لقب الرجل المريض. فلم تعد بعد هذا العام سيدة نفسها على شعوبها وأراضيها؛ ولا سيما بعد أن تشكل «القومسيون الدولي للإصلاح في سوريا»، وسمح للأجانب بامتلاك الأراضي. وبالتالي فإننا لا نغالي إذا قلنا بأنها باتت لاعباً من جملة اللاعبين بمصير هذه الشعوب وهذه الأراضي.
- 4 - إن المعرفة التي قدمها لمواطنه، هي معرفة شاملة، في الجغرافيا والاجتماع، وفي الاقتصاد والآثار، وفي الإدارة والتاريخ. وإذا كان صحيحاً أنه اعتمد فرع التاريخ الحولي، ولا سيما في الجزء الثاني من الكتاب، فالصحيح أيضاً أنه لم يترك شيئاً ناقصاً، لمن يريد أن يبحث ويكتب ويربط الأحداث التي أشار إليها، بالتاريخ الإقليمي والدولي.
- 5 - يغطي الكتاب فترة طويلة من تاريخ مدينة اللاذقية ولوائها. غير أن أهم ما فيه، هي تلك الفترة الممتدة خمسين سنة 1831-1881. فهي تمتاز بدقة ما أشار إليه وتحدث عنه، بدليل أن مصادر أخرى رسمية وشبه رسمية قد أشارت إليه أيضاً.
- 6 - يعتبر هذا الكتاب مصدراً هاماً، من مصادر إعادة كتابة التاريخ العربي بشكل أدق. ولا نعتقد بعد اليوم، بوجود هذا الكتاب، بجدية أية دراسة، عن منطقة الساحل الشرقي للبحر المتوسط، أو القطر العربي السوري في العصر الحديث، بدون أن يكون هذا الكتاب مصدراً أساسياً من مصادرها.

حلبا في 2012/8/9

د. الياس جريج

ملحق رقم 1

حكام لواء اللاذقية في المرحلة الانتقالية

الرقم المتسلسل	المقاطعة	النواحي والحل	عدد القرى	طائفة السكان	شهرة وطائفة ولقب ومكان إقامة الحاكم
1	ساحل اللاذقية	—	75	نصيرية	تتبع مركز اللاذقية
2	الخوابي	—	83	مسلمون نصيرية، ارثوذكس	من بني عذرا، مسلم، آغا، قلعة الخوابي
3	المرقب	زمرين 35 قرية، المرقب 43 قرية	78	مسلمون، نصيرية، نصاري	من بني عذرا، مسلم، آغا، قلعة المرقب
4	القدموس	القدموس 59 قرية، جد عليقة وقرى بالظهر الغربي (30 قرية)	147	اسماعيلية: الحجاوية والسويدانية	حجاوي وسويداني، اسماعيلي، امير قلعة القدموس
5	السمت القبلي	حلة بني باشوط، حلة الحمام حلة السرامطة	59	نصيرية	من بني مطرد وبني عثمان، نصيري، مقدم قرية الحضان؛ ومن بني عاصي، نصيري، مقدم، عين قيسطو؛ ومن بني جحجاح، نصيري، مقدم قرية الحمام؛ ومن البشالدة، نصيري، مقدم قرية بعبدا ودير بعبدا؛ ومن بني غريب، نصيري، مقدم، قرية الدالية.

6	بني علي	—	22	نصيرية	من بني شلحة، نصيري، مقدم، عين الشقاق
7	القرداحة	النواصرة، التراحلة، متور، ساحل القرداحة	68	نصيرية	من بني احمد نصيري، مقدم، بتنبول؛ وبني جركس، نصيري، مقدم، مرج معيريات؛ بني علي، نصيري، مقدم، القرداحة؛ وبني العيلة وشهاب الدين نصيري، مقدم، القرداحة؛ وبني حصون، نصيري، مقدم بشلاما والبواج؛ وبني علوش، نصيري، مقدم، قرية كلماخو
8	جبله	جبله، قرى وقف السلطان ابراهيم، الشمسيات	36	مسلمون، نصيرية	تتبع جبله
9	المهالبة	عمامرة المهالبة، ساحل المهالبة	47	نصيرية، بعض الروم الارثوذكس	بني غصن، نصيري، مقدم، اللدين، بني خير
10	بيت الشلف	المزيرعة وعمامرة، بيت الشلف، ساحل بيت الشلف، جبل دريوس	113	نصيرية، قليل من الارثوذكس	بني أحمد وبني محمد وبني علي، نصيري، مقدم

11	صهيون	—	53	مسلمون	بني الجندي مصطفى، مسلم، أجناد، الجفة؛ من الارشوكبة، مسلم، اجناد، شير القاف؛ وبني الجندي ابراهيم، مسلم، اجناد، منجيلا؛ ومن الزناقفة، مسلم، اجناد، الزنقوفة
12	البهلولية	—	44	نصيرية	من بني علي وبني شمسين وبني متعور، مقدم
13	جبل الأكراد	—	121	مسلمون وارتودكس (كنسبا)	من عدة عشائر، مسلم، آغا
14	الباير	—	23	مسلمون، نصيرية	من عدة عشائر، مسلم، آغا
15	البوجاق	—	30	مسلمون، تركمان، نصيرية	من عدة عشائر ترکمان، مسلم، آغا

ملحق رقم 2

تركيب لواء اللاذقية في نظام الإدارة الانتقالية (1840 - 1865)⁽¹⁾

1 - قضاء اللاذقية

التسلسل	المقاطعة	عدد النواحي	عدد القرى	اعداد نفوس الطوائف			إجمالي عدد النفوس
				مسلمون	مسيحيون	نصيرية	
1	ساحل اللاذقية وقرى الجسرين	1	75	1206	478	10258	11942
2	البهلولية	1	44	00	034	4166	4200
3	البايروالبوجاق	2	63	7306	354	0580	8240
4	صهيون	1	53	3930	100	1760	5790
5	جبل الأكراد	1	121	7592	100	112	7804
6	بيت الشلف	1	113	000	100	7366	7466
7	المهالية	1	47	00	00	3664	3664
	نفس اللاذقية	—	—	8189	2381	000	11200
	إجمالي	8	516	28853	3547	27906	60306

2 - قضاء جبلة

التسلسل	المقاطعة	عدد النواحي	عدد القرى	اعداد نفوس الطوائف			إجمالي عدد النفوس
				مسلمون	مسيحيون	نصيرية	
1	قرى الأوقاف والتمسيات	1	36	592	000	4328	4920
2	السمت قبله	1	59	000	000	6716	6716
3	بني علي	1	22	000	000	3354	3354
4	القدراحة (أو الكلبية)	1	68	000	000	5644	5644
5	المرقب	1	43	2932	712	1414	5058
6	زمرين	1	35	0358	1134	1652	3144
7	الخوابي	1	82	0578	1194	5512	7284
8	القدموس	1	58	000	000	5564	5564
9	الضهر الغربي	1	58	000	000	5224	5224
10	جرد العليفة	1	20	000	000	3666	3666
11	نفس جبلة	—	—	3100	000	000	3100
	إجمالي	10	418	7560	3040	43074	53374
	إجمالي الأجمالي	18	997	36413	6587	70980	113980

(1) نظم هذا الجدول بالاستناد إلى: الياس صالح اللاذقي، آثار الحقب في لاذقية العرب، صفحات عديدة.

ملحق رقم 3

لواء اللاذقية المُلغى في تقسيمات ولاية سوريا 1865⁽¹⁾

الولاية ومركزها	اللواء ومركزه	القضاء ومركزه	المناطقة	عدد القرى	اعداد طوائف السكان			إجمالي عدد الأنفس
					مسلمون	مسيحيون	نصيرية	
سوريا دمشق	طرابلس طرابلس الشام	1 - اللاذقية اللاذقية	مدينة اللاذقية	—	8819	2381	000	11200
			الساحل	75	1206	478	10258	11942
			البيلولية	44	000	034	4166	4200
			البايرو البوجاق	63	7306	354	580	8240
			اجمال	182	17331	3247	15004	35582
	قلعة بابنا	2 - قلعة بابنا	صهيون	53	3930	100	1760	5790
			جبل الأكراد	121	7592	100	112	7804
			بيت الشلف	113	000	100	7366	7466
			المهالبة	47	000	000	3664	3664
			اجمال	334	11522	300	12902	24724
		3 - جبله مدينة جبله	نفس جبله	—	31000	000	000	3100
			الوقف	36	592	000	4328	4920
			والشمسيات	----	-----	-----	-----	-----
			بني علي	22	000	000	3354	3354
			القدراحة	68	000	000	5644	5644
			السمت قبله	59	000	000	6716	6716
			اجمال	185	3692	000	20042	23734
	قلعة المرقب	4 - المرقب قلعة المرقب	المرقب	43	2932	712	1414	5058
			زمرين	35	358	1134	1652	3144
			الخوابي	82	578	1194	5512	7284
			القدموس	58	000	000	5564	5564
			اجمال	218	3868	3040	14142	21050
			اجمال الاجمال	919	36413	6587	62090	105090

(1) نظم هذا الجدول بالاستناد إلى: الياس صالح اللاذقي، أثار الحقب في لاذقية العرب، صفحات عديدة.

ملحق رقم 4

تركيب لواء اللاذقية في آب 1879⁽¹⁾

الولاية ومركزها	اللواء أو المتصرفية ومركزه	القضاء ومركزه	المقاطعة وعدد القرى	الناحية وعدد القرى	ملاحظات
سوريا دمشق	لواء اللاذقية اللاذقية	1 - اللاذقية اللاذقية	الساحل 75 البهلولية 44	تتبع مركز المتصرفية البايروالبوجاق 63	تتبع مركز المتصرفية على رأسها مدير ينبع اللاذقية
		2 - صهيون بابنا	صهيون 53 جبل الأكراد 121 بيت الشلف 113 المهالية 47		
		3 - جبلة قصة جبلة	القرداحة 68 بني علي 22 السمت قبله 59 الوقف والشمسيات والساحل 36		
		4 - المرقب قلعة المرقب	المرقب 43 زمرين 35 جرد العليقة 20 الظهر الغربي 58 الخوابي 82	القدموس 58، على رأسها مدير ينبع مركز القضاء.	

(1) جرى إعداد هذا الجدول بالاستناد إلى الياس صالح اللاذقي، آثار الحقب في لاذقية العرب، صفحات عديدة.

ملحق رقم 5

كشف بأسماء أعضاء جمعيات المقاصد الخيرية الإسلامية⁽¹⁾

جمعية المقاصد الخيرية في بيروت

محرم بك رئيساً، أحمد دويان أفندي، بديع اليافي أفندي، حسن الطرابلسي أفندي، راغب عز الدين أفندي، سعيد طريه أفندي، عبدالله الغزاوي أفندي، عبد القادر قباني أفندي، عبد الرحمن الناعماني أفندي، محمد ديه أفندي، مصطفى بشارة أفندي، محمد اللبايدي أفندي، محمد أبو سليم المغربل أفندي، بشير البربير أفندي، حسن بيهم أفندي، سعيد الجندي أفندي، طه النصولي أفندي، عبد القادر سنو أفندي، عبد اللطيف حماده أفندي، محمود خرما أفندي، محمود رمضان أفندي، محمد الفاخوري أفندي، مصباح محرم أفندي، هاشم الجمال أفندي.

جمعية صيدا للمقاصد الخيرية

كامل أفندي المغربي رئيساً، عبد الفتاح أفندي ميقاتي، حسين أفندي جوهري، عبدالله أفندي لطفي، عبد السلام أفندي زنتوت، عمر أفندي نحولي، منيب أفندي الصلح، محيي الدين أفندي جوهري، حسن أفندي جوهري، محيي الدين أفندي حشيشو، محمد أفندي زنتوت، محمود أفندي حلمي، عبداللطيف أفندي لطفي، محمد أفندي نعماني، ابراهيم أفندي قطب، ناصيف بك الأسعد.

جمعية طرابلس العلمية الخيرية

ابن الميقاتي الشيخ علي أفندي رشيد رئيساً، عبد القادر أفندي المنلا، الشيخ خيرالدين

(1) أعد هذا الكشف بالاستناد إلى سألنامة ولاية سورية لعام 1298 هـ دفعه 13، ص 149، 161، 183، 195، 216، 218.

أفندي ميقاتي، الشيخ محيي الدين أفندي اليافي، محيي الدين أفندي سلهب، الحاج محمد أفندي القرق، عثمان أفندي علم الدين، محمود أفندي المنلا، عبد العزيز أفندي سلطان، الكاتب عبد الرحمن شريف بك، الشيخ عبدالرحمن أفندي الصوفي، الشيخ عبد الغني أفندي البارودي، الشيخ عبدالله أفندي البركه، عبدالله أفندي العكاري، محمد أفندي مراد، عبدالقادر أفندي الزين، عثمان أفندي الحداد، أحمد أفندي الزوق، أمين الصندوق مصطفى أفندي عز الدين.

الجمعية الخيرية في اللاذقية

ابن الصلح السيد منح أفندي رئيساً، رئيس ثاني ابن المولوي صائب أفندي، ابن هرون محمود اغا، ابن اوسطه محمد أفندي، ابن المفتي فيض الله أفندي، ابن شواف قاسم أفندي، ابن المحمودي عبد الفتاح أفندي، ابن الدجاني اديب أفندي، ابن المفتي علي أفندي، ابن الصوفي محمد صالح أفندي، ابن فتاحي عبد الفتاح أفندي، ابن رويحة محمد أفندي، ابن عجان عبد الحميد أفندي، ابن قواف ابراهيم أفندي، ابن حكيم محمد أفندي، ابن هرون اسعد اغا.

جمعية عكا الخيرية

رئيس مصطفى أفندي صبري ومعاونته محمد أفندي عرابي، شكري أفندي الصفدي، سليمان أفندي فضه، رشيد أفندي الصفدي، عبد الرحمن أفندي شعر، عثمان أفندي حسين، محمد أفندي خليفة محمود أفندي ابو العلي، مصطفى أفندي عويني، أحمد أفندي عبدو، امين أفندي جراح، محمد علي أفندي كردي، الكاتب أحمد أفندي حنوش، مصباح أفندي سعاده، امين الصندوق امين أفندي الصفدي.

جمعية نابلس الخيرية

الشيخ مصلح أفندي صلاح رئيساً، عبد الرحيم أفندي، الشيخ منيب أفندي زيد، الشيخ

محمد أفندي؛ الشيخ عباس أفندي، درويش بك طوقان، عبد القادر آغا، امين أفندي القاسم، محمد أفندي الصادق، محمود أفندي الطاهر، حسن أفندي النابلسي، بدوي أفندي عاشور.

الجمعية الخيرية في ناحية جنين

عبد الحميد أفندي رئيساً، راغب أفندي غروقه، محمد أفندي عبوش، سعيد أفندي المحمد، مصطفى أفندي الصباح، محمود أفندي الحاج حسن، مصطفى أفندي الصغير، امين الصندوق موسى أبو عواد.

جدول رقم 6

المسؤولون عن لواء اللاذقية الملغى من عام 1832^(*)

أ- خلال الحكم المصري 1832-1840

السنة	الاسم	الصفة	ملاحظات
1832	محمد آغا خزندار	متسلم	لم يكمل السنة
1832	سعيد آغا عنتابلي	متسلم	امتدت مدة متسلميته إلى عام 1833
1834	خليل آغا ورده	متسلم	دمشقي، تولى مدة قصيرة
1834	يوسف بك شريف	مدير	من أعيان حلب، عين من قبل إبراهيم باشا على اللاذقية وطرابلس، سكن في اللاذقية. علماً أن اللاذقية كانت تتبع مديرية طرابلس وكانت هذه الأخيرة تابعة مديرية صيدا ومركزها بيروت.

ب - بعد عودة الحكم العثماني إلى سوريا 1840-1864

السنة	الاسم	الصفة	ملاحظات
1840	محمد آغا خزندار	متسلم	عين من قبل السلطنة العثمانية
1840	أوجدت السلطنة إدارتين: إدارة ضابطة، وإدارة مالية.		
1841	محمود حلمي بك ،	مسؤول الإدارة الضابطة وشارك أفندي مسؤول الإدارة المالية	
1842	فضلي بك،	مسؤول الإدارة الضابطة وصالح أفندي مسؤول الإدارة المالية. ثم غيرت السلطنة الألقاب فبات مسؤول الضابطة «قائم مقاماً» والمالية «مدير مال»	
1843	بهزاد آغا	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1845	حليم بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1846	جعفر بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1847	شاكر أفندي	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1848	مسرور بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1849	صالح بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال باتت اللاذقية مرتبطة بمديرية صيدا-بيروت
1850	أمين بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال

(*) اعتمد في إعداد هذا الكشف على: الياس صالح اللاذقي، آثار الحقب في لاذقية العرب، صفحات كثيرة.

السنة	الاسم	الصفة	ملاحظات
1851	مصطفى أفندي	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1852	اسماعيل حقي بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال

ج- عام 1852 كان محمد أمين باشا والياً على أيلة صيدا، عزل عندما كان في اللاذقية يقوم ببعض المهام. فسافر منها وعين مكانه وافق باشا

السنة	الاسم	الصفة	ملاحظات
1853	مصطفى بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1854	علي بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1855	محمد آغا	قائم مقام	وكالة يعاونه مدير مال
1855	عبدالقادر ناجي باشا	قائم مقام	طرابلسي، جاء من الآستانة بمعية محمود نديم باشا الذي عين والياً على أيلة صيدا
1856	مظهر أفندي	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1857	حسن آغا	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1858	شكري أفندي	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1859	مظهر أفندي	قائم مقام	مرة ثانية يعاونه مدير مال
1860	عزت أفندي	قائم مقام	يعاونه مدير مال. وفي هذا العام عزل خورشيد باشا، والي أيلة صيدا- بيروت، بعد التحقيق معه بسبب الفتنة الدموية، من قبل اسماعيل باشا المجري، مندوب فؤاد باشا وقد حكم عليه بالنفي بعد أن صودر وجرّد من رتبته. كما حكم على أحمد باشا والي ولاية سوريا بالإعدام.
1861	ابراهيم باشا	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1862	صالح بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال
1863	اسكندر بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال ثم اسماعيل بك
1864	اسماعيل بك	قائم مقام	يعاونه مدير مال

وفي هذا العام صدر نظام تقسيم الولايات وقانون تشكيلها.

جدول رقم 7

القائم مقامون في قضاء لواء اللاذقية الملغى مع من ارتبطوا بهم من متصرفي لواء طرابلس وولاية ولاية

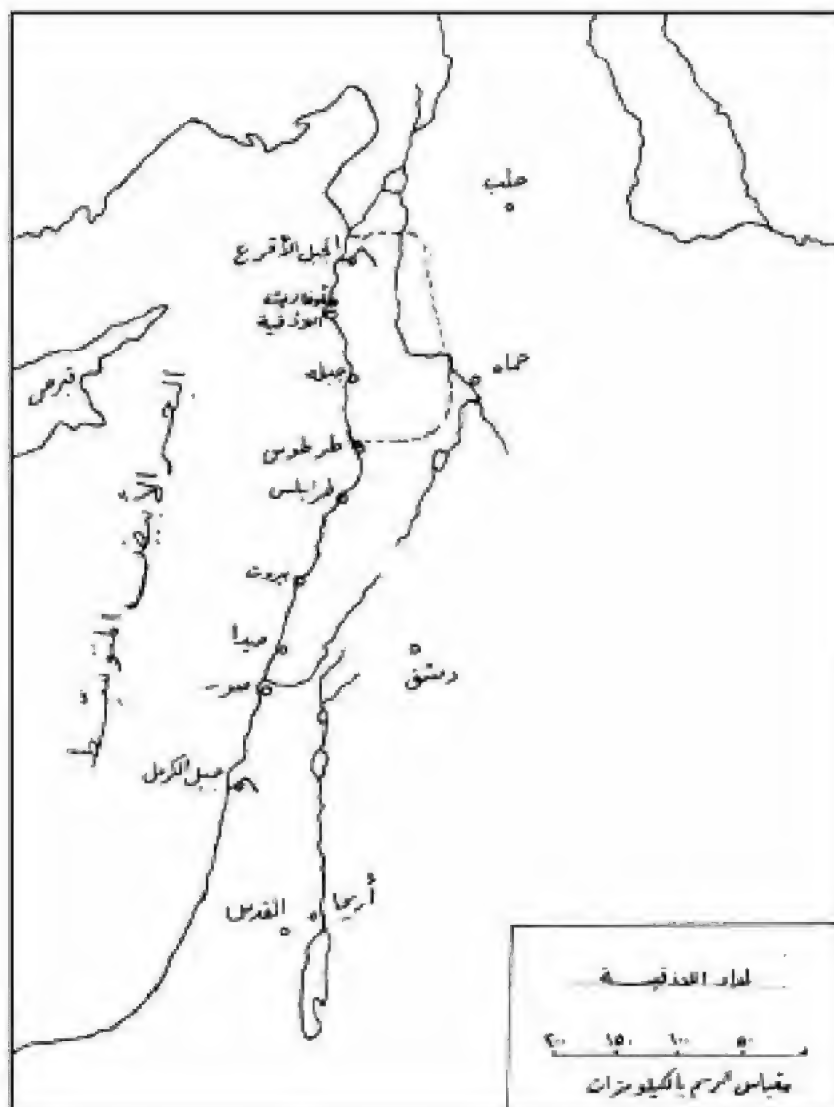
سوريا 1865-1881^(*)

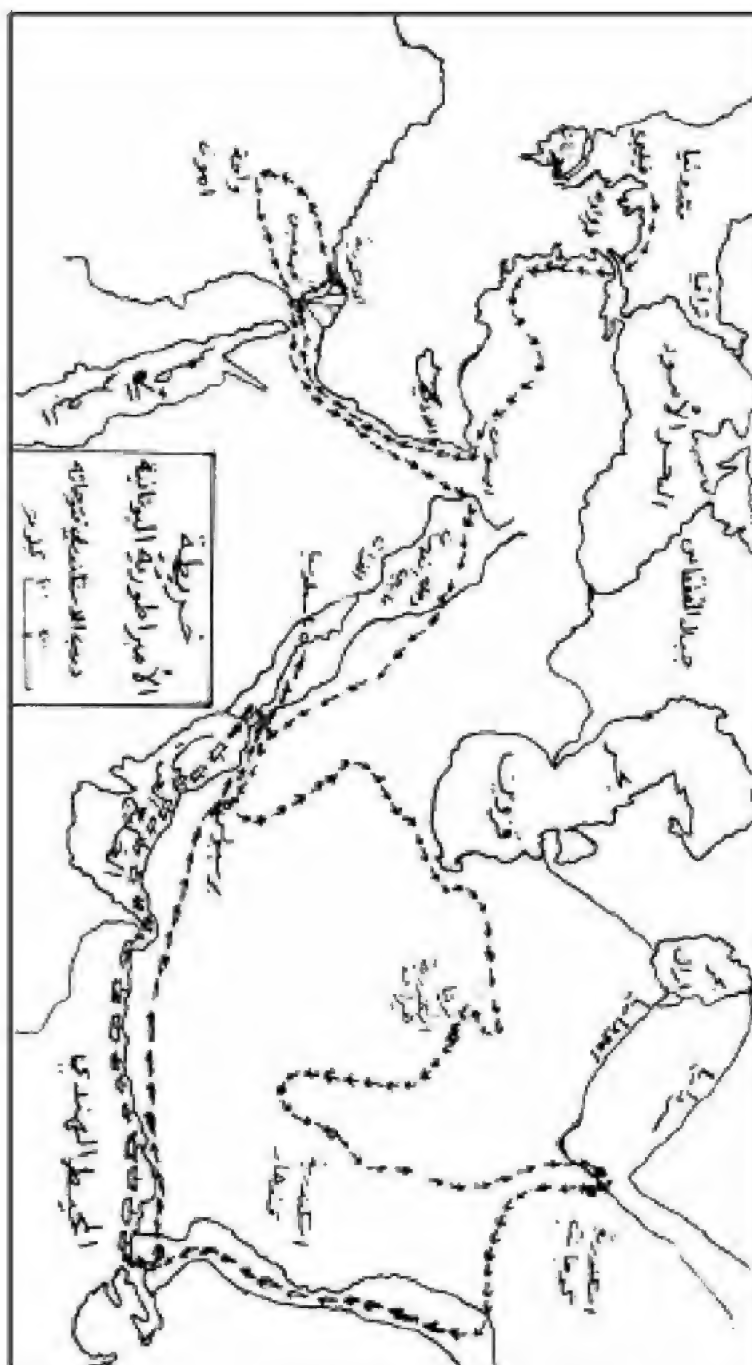
السنة	ولاية سوريا	متصرفو طرابلس	قائمقامو أفضية لواء اللاذقية الملغى			
			قضاء اللاذقية	قضاء جبلة	قضاء صهيون	قضاء المرقب
1865	محمد أسعد مخلص باشا	حمدي باشا	سعدالله بك	علي آغا هروه	محمود آغا خزندار	أمين أفندي
1866	محمد ارشاد باشا	أدهم باشا ثم خورشيد باشا		طاهر أفندي		عبداللطيف أفندي سلكه
1867		عبد الهاد باشا	حالت بك	علي رضا أفندي ثم سليمان أفندي	زاكي أفندي، ثم نظيف أفندي	خليل أفندي ثم محمد آغا
1868		كامل باشا ثم رؤوف باشا	مصطفى أفندي ثم حالت بك	رفعت بك	في عام 1865 اعتمدت السلطنة ترتيباً إدارياً، فأُسِّمَت مسؤول اللواء قائم مقاماً ومسؤول القضاء مديراً ومسؤول مالية القضاء كاتب مال. وفي أواخر عام 1867 غيرت هذا الترتيب فبات مسؤول اللواء متصرفاً ومسؤول القضاء قائم مقاماً وكاتب مالية القضاء مدير مالي. وفي هذا العام 1867 ألحقت قضاء صهيون بقضاء اللاذقية، وقضاء المرقب بقضاء حلبه.	
1869		عويسي باشا	صالح بك			
1870		حقي باشا	أحمد بك شريف	نور الدين أفندي		
1871	عبداللطيف صبحي باشا					
1872	محمد حالت باشا		محمد صالح أفندي الكردي	أسعد أفندي ثم سالم أفندي		
1873		مصطفى ضيا أفندي		عبداللطيف أفندي سلكه		
1874		إبراهيم حلمي باشا	تاجم أفندي			
1875	أسعد باشا ثم حمدي باشا	شاكر باشا ثم عزيز باشا ثم محمد خالص باشا		أحمد نوري أفندي ثم خليل بك الأسعد		

(*) نظم هذا الكشف بالاستناد إلى: الياس صالح اللاذقي، آثار الحقب في لاذقية العرب، صفحات كثيرة ومتفرقة؛ وعبد العزيز

محمد عوض، الإدارة العثمانية في ولاية سورية، 1864-1914، مرجع سابق، ملحق 6، ص 343، و Document... tome 1, op.cit.,

	نجاتي أفندي	عبدالحليم باشا ثم أحمد شكري أفندي	شاكر بك	راشدنا شدياق ثم ضيا باشا	1876
في أوائل شهر حزيران 1879، عادت اللاذقية مركز متصرفية وبانت مركز لواء اللاذقية وعادت المناطق التي ارتبطت بها تاريخياً لترتبط بها من جديد	مصطفى آغا كركونلي وكالة ثم رفعت بك	مصطفى آغا كركونلي ثم احسان بك	شفيق باشا	عمر فوزي باشا	1877
	ناجم أفندي	أحمد شكري أفندي ثم ناجم أفندي	أدهم باشا ثم إبراهيم باشا	مدحت باشا	1878
	عزت بك، علي حماده	أحمد أفندي الصلح	ضيا باشا		1879
	محمود أفندي أبازة	متصرف		أحمد حمدي باشا	1880
		أحمد أفندي أبازة متصرف			1881







صورة المرحوم الياس صالح اللاذقي
ولد في كانون الثاني سنة 1839 وتوفي في 15 أيلول سنة 1885

مقدمة

الحمد لله الذي اخضع العباد. لحكم ما جرى به القلم. وجعل في تقلبات أحوال البلاد اسراراً في طيها حكم. أما بعد فيقول راجي عفو مولاه الغفور الصافح الياس بن موسى بن سمعان صالح، أنه لما كانت فوائد التاريخ غنية عن البيان. وكان من القواعد الواجبة المراعاة الابتداء بالأخص ثم الانتقال منه إلى الأعم كان من الواجب على كل إنسان أن يعرف تاريخ مدينته ووطنه قبل معرفة تاريخ المدن والأوطان الأخرى. ولما كنت مولوداً في مدينة لاذقية العرب ومعدوداً من ابنائها افرغت كنانة جهدي في البحث للوقوف على أخبارها القديمة والحديثة فلم أعثّر إلا على ما قلّ ونذر بالنسبة إلى قدميتها وشهرتها في الأعصر الأولى والمتوسطة وذلك لعدم وجود من اعتنى بحفظ تاريخ مستقل لشيء مما حدث فيها في جيلٍ من الأجيال فلذلك لم اتوصل إلا للوقوف على ما عثرت عليه مما ورد بالعرض في التواريخ العمومية في ذكر أخبارها في الأجيال السالفة وما رُوي لي من اخبار جيلنا الحاضر ممن شهدوا الوقائع أو نقلاً عن شهدوها فجمعت ما تفرق في التواريخ المختلفة وما التقطته عن الرواة في مجموع واحد ليكون تاريخاً لهذه المدينة يغني أبناء الوطن عن كثرة المراجعات ومشقة البحث والتفتيش وصممت ان الحق به على التوالي ما يجد في أيامي من أخبارها إلى ما شاء الله معتمداً على ما حدث ويحدث في عصري على سمعي وعياني وقسمته إلى قسمين الأول في جغرافية اللاذقية ووصفها الحالي والثاني في تاريخها وسميته آثار الحقب في لاذقية العرب.

وبالله بالتوفيق

القسم الأول

في جغرافية اللاذقية ووصفها الحالي

الفصل الأول

في نفس المدينة وعدد سكانها ومنازلها

لاذقية العرب مدينة على ريف البحر المتوسط في اقليم سوريا في 35 درجة و25 دقيقة من العرض الشمالي و33 درجة و42 دقيقة من الطول الشرقي وفيها من السكان على موجب عدد الأنفس الذي اجرته الحكومة سنة 1866 مسيحية 11200 نفس منهم 8819 نفساً مسلمون و 1845 نفساً روم اروثوذكسيون و100 نفس ارمن غريغوريون و350 نفس موارنة و65 نفساً لاتينيون وبروتستانت وأقدم هؤلاء الطوائف وجوداً في المدينة هم المسلمون والروم أما الأرمن فقد ابتدأوا أن يستوطنوا فيها منذ أوائل الجيل الماضي وقد كان من جملة سكان اللاذقية في الجيل الماضي عائلات من اليهود وكان لهم كنيس موقعه في محلة الصليبية إلا أن الجور والمظالم مزقتهم فإن بعضهم نزحوا وبعضهم قُتلوا وكان انقراضهم في أوائل هذا الجيل. وتنقسم المدينة إلى جهتين شماليه وقلبيه ففي الشماليه ثلاث محلات وهي محلة الشيخ ظاهر ومحلة العوينه ومحلة القلعه وفي القبليه ثلاث أيضاً وهي محلة الشحاذين ومحلة الصباغين ومحلة الصليبية وفيها - 1364 داراً و828 دكاناً ومخزناً واحداً عشر جامعاً وتسعة عشر مسجداً ومولويه واحده وخمس كنائس للروم الأولى على اسم ماري نيقولاوس وهي الكائندرا والثانية على اسم انداروس الرسول والثالثة على اسم ماري جاورجيوس والرابعة على اسم نياح السيده العذراء. والخامسة على اسم ماري سابا وهذه الأخيرة هدمت منذ بضع سنين وجُدت ثم هُدمت ثانيةً قبل أن يكمل بناؤها فجعلت عرصتها مقبرة عمومية لطائفة الروم وانحصر فيها دفن موتاهم بعد أن كانت كل عائلةٍ منهم تدفن موتاهها في كنسيةٍ مخصوصة من الكنائس الخمس. وبخارج كلٍ من كنيسة ماري نيقولاوس والسيدة دير يسكنه الفقراء. وفي المدينة كنيسه واحدة للأرمن وواحدة

للاتينيين وهي في دير للرهبان الفرنسيين وكنيسة واحده للموارنة وثمانية خانات وستة حمامات وسبع عشرة طاحوناً تديرها البغال وسبعة عشر فرنّاً وسبع معاصر للسّمسم وخمس مصابن ومعملان بخاريان لحلج القطن وثلاثة مكابس لكبسه وفيها أربع مدارس اثنتان للبروتستانت تحت عناية المرسلين الأميركيّان احدهما للذكور والأخرى للإناث يُعلّم فيهما اللغة العربية والإنكليزية وبعض العلوم الرياضية وللانات اشغال اليد أيضاً وواحده للروم تحت عناية المطران للذكور يُعلّم فيها اللغة العربية والفرنساوية واليونانية والتركية وبعض العلوم الرياضية وواحده للاتينيين للذكور أيضاً تحت عناية الرهبان الفرنسيين يُعلّم فيها اللغة العربية والاطليانية والفرنساوية وجميع هذه المدارس تقبل تلامذة من جميع الطوائف والمرسلون البروتستانت يقبلون في مدرستهم الذكور والانات من أولاد النصيرية ويقدمون لهم الطعام والملابس ولوازم النوم مجاناً ولذلك تُعتبران ثابتتين ومجانيتين بالنظر إلى التلامذة النصيرية وأما بالنظر إلى التلامذة الذين من الطوائف الأخرى فهما يوميتان كمدرستي الروم واللاتينيين وتأخذان اجرةً إلا من الفقراء نظيرهما. ثم يوجد عدا ذلك للروم والموارنة مكاتب للذكور والانات يُعلّم فيها القراءة العربية البسيطة وكتابتها وبعض أشغال اليد للانات وأما المسلمون فهم مكتب رشدي مصارفه تُدفع من صندوق الحكومة يُعلّم فيه اللغة العربية والتركية ولهم مكاتب أخرى للعربية البسيطة وجميعها للذكور.

ثم أن المدينة واقعة على طرف لسان وتحيط بها أشجار أكثرها زيتون وهي منفصلة عن أسكلتها الواقعة على غربيها بمسافة نحو ربع ساعة ومن وراء المدينة إلى الشرق بميلة إلى الشمال تل عظيم مغروس بأشجار الزيتون وكانت عليه قلعة المدينة القديمة وهي قلعتان ولا يزال الأهالي إلى الآن يدعونه القلعة، وعند ارادة التمييز يسمونه قلعة الزيتون فلما هدم الملك الأشرف القلعة ومحا أثرها كما سيأتي في محله اقتسم الأهالي أراضيها وغرسوها بالزيتون. وعلى الطرف الجنوبي من الجهة الغربية من هذا التل وراء المدينة جامع الشيخ محمد المغربي وهو جامع جميل البناء شاق يظهر للقادمين في البحر من مسافة بعيدة فيزيد رونق منظر المدينة أما الأسكله فليس فيها سكان وإنما هي مركز التجار وفيها نحو 60 مخزناً

كبيراً وسوق صغير وجامع وخان وعدة مكاتب ومصابن وهذا جميعه داخل في العدد الذي مر ذكره عن المدينة. وكان في الاسكله حمام وفرن فهدمتها زلزلة حدثت سنة 1822 ولم يبق لهما الآن أثر. أما ميناؤها التي كانت تسع في الزمن القديم أكثر من الف سفينة على ما ذكر في التواريخ فقد طُم الجانب الشرقي منها وتحول إلى بساتين مغروسة بالأشجار ولم يبق منها سوى بركة تراكتت فيها الرمال فلا تحمل مياهها أكثر من عشر أو اثنتي عشرة سفينة صغيرة أما البرج الذي على الجانب الشمالي من مدخلها ويسمونه الآن قلعة الميناء فقد هُدم أكثره وهو الآن في حالة الخراب.

أما منازل المدينة وأماكنها العمومية فجميعها مبنية بالحجر وأكثر بيوتها يتألف من طبقتين السفلى معقودة بالكلس والأحجار والعليا مسقوفة بالدف والمسمار وسطوحها مغطاة بما يدعونه بلّة أو عدسه وهي اخلاط من الكلس والقصرمل (رماد زبل) ودقاق الحصى تُبَسَط وتُرَش بالماء وتُخَبَط بالمخايط حتى تشتد وتتحجر وهذه البيوت غالباً قليلة المخادع بالنسبة إلى فسحاتها السموية الفسيحة فإن الأهالي كانوا يعتنون بتوسيع الفسحة ولا يهتمهم كثرة المخادع وذلك أن عائلة كاملة كانت تكفي بمخدع واحد تستخدمه لجلوسها واستقبال ضيوفها واكلها ونومها معاً ولذلك كنت ترى أكثر البيوت يسكنها أكثر من عائلة واحدة وأما في أيامنا هذه التي اقتبس فيها الأهالي ولاسيما النصارى بعض عوائد الافرنج التي منها تفرّق العائلة في مخادع مختلفة عند النوم وافراد مخادع مخصوصه للأكل والجلوس واستقبال الضيوف فترى كل من يبني ويجدد بيتاً يعتني بتكثير مخادعه بقطع النظر عن سعة الفسحة أو ضيقها على أن الفسحة ايضاً لا يتركها سموية بل يسقفها غالباً ولا يدع شيئاً من البيت يذهب سدى وقد اقتفى أيضاً هؤلاء المجددون للبيوت اثر الافرنج بجعل سطوحها محدبة وتغطيها بالقرميد عوضاً عن العدسة لخفته على الخشب ووقاية من الدلف. وأحسن بيوت المدينة هي بيوت النصارى فإنهم يحبون الترفه في المعيشة فيعتنون في تحسين بيوتهم وترخيمها وتزجيجها واتقان الأثاث والمفروشات واما بيوت المسلمين فلم تزل على الحالة القديمة إلا نادراً.

الفصل الثاني

في ما يوجد في اللاذقية من الآثار القديمة

انه لما كانت اللاذقية كثيرة الزلازل كان قلماً يُنتظران يُرى فيها ثبوت للأبنية القديمة وكلما يُرى فيها من ذلك الآن إنما هو بناء مربّع يُدعى الكنيسة المعلقة. وقد تحوّل الآن مسجداً وهو واقع في طرف المدينة من جهة الجنوب الشرقي عليه كثير من أنواع النقوش الرومانيه كصور الخوذ والأتراس ومقابض السيوف وقد ذهب بعض العلماء إلى أنه قوس نصرٍ أقيم مكرمةً إلى سبتيموس سيفيروس. وبناءً آخر إلى شمالي هذا البناء، يُعرّف بكنيسة العواميد وهو قائم على أربعة أعمدة عظيمه قيل أنه فضلات هيكل على اسم باخوس اله الخمر ولا يبعد أن يكون هذان المحلان قد تحوّلوا إلى كنيستين بعد انتشار المذهب المسيحي ثم انتزعهما من أيدي المسيحيين المسلمون بعد فتحهم المدينة فاستمرَّ يُطلق على كلٍ منهما اسم كنيسة. وفي بعض جهات المدينة بقايا رواقات وصفوف اعمده وفي خارجها ولا سيما في الشمال الغربي منها مغاير وكهوف منحوتة في الصخور يُظن أنها كانت مدافن للرومانيين وكثيراً ما يعثر الحفاريون من المسلمين على آثار قديمة فيطمرونها ثانيةً لجهلهم قدرها أو يهشمونها إذا كانت صوراً مجسّمة لاعتقادهم بتحريم وجودها مطلقاً ومما عثروا عليه سنة 1848 ناؤوس من رخام وُجد ترابهُ مختلطاً بذهب وذلك في أرض يُقال لها خربة النصارى على بعد نحو ساعة ونصف من المدينة شمالاً وفي سنة 1849 فيما كانوا يحفرون في البستان المعروف ببستان ماري تقلا (نسبةً إلى مغارةٍ فيها يعتقد الروم أن القديسه تقلا تعبدت أو ظهرت فيها) الواقع خارج البلد إلى جهة الشمال الغربي وجدوا مغارةً طولها 8 أذرع وعرضها 5 أذرع على حيطانها الأربعة صور نافرة بعضها على شكل رؤوس بقر وبعضها على شكل رؤوس بشر وغير ذلك وفي احد زواياها سرج كثيرة من الخزف ظريفة

الشكل وقد ذهب بعض من رأى هذه المغارة إلى أنها هيكل وثني وقد يعثر الحفاريون على أبنية أو أقبية كاملة وعلى انتيكات (مصكوكات قديمة) مختلفة منها ما عليه صورة امرأة عارية جالسة على صخر هو رمز اللاذقية في الزمن القديم ولا ريب أن الانتيكات التي من هذا النوع إنما هي من مصكوكات اللاذقية قديماً.

الفصل الثالث

في الهيئة الاجتماعية العمومية في اللاذقية

أما الهيئة الاجتماعية العمومية في اللاذقية فهي كباقي مدن سوريا أو بالحري البلاد العثمانية على غير ما يُحِبُّ ويُرتَضَى وعلّة ذلك اختلاف المذاهب الحاجز للائتلاف فيما بين المسلمين والنصارى ولئن كانوا يتظاهرون لبعضهم بالائتلاف والتودّد أحياناً ومع أن كثيرين من النصارى يعرفون الواجبات الوطنية والأضرار الناجمة عن هذا الانقسام ويودّون لو يزول هذا الروح الخبيث من بين الفئتين فيكاد لا يوجد واحد من المسلمين يهتدي إلى معرفة أضراره ومنافع الاتحاد ويرغب فيه بل جميعهم يجتنبون في الغالب مخالطة النصارى ولا يخلصون لهم المودة والصداقة وعندما تساعدهم الظروف لا يقصّرون في الحاق الأضرار بهم ولا يطيقون أن يروههم متقدمين وناجحين ولذلك ترى النصارى دائماً تحاذرهم ولا تركز إليهم فهذا التباعد الكائن بين الفئتين كثيراً ما يحرمهما منافع مشتركة وهو الذي يضيع الحقوق ويمكّن بعض الحكام الباغين أن ينفذوا مآربهم فيها جميعاً على أن المضرات الناتجة من ذلك يمسّ أكثرها المسلمين لا النصارى لأن أكثر معتبري النصارى قناصل وتراجمين فليس فقط لا تقدر يد التغلب أن تتمكّن منهم لا بل يلتزم الحكام لاعتبارهم دائماً ومراعاتهم في أكثر الأحيان. على أن جهل أكثر المسلمين يقودهم إلى التوهم بأن احترام الحكام للقناصل والحمايات الذي يمتد معنوياً إلى عموم النصارى إنما يجريه الحكام بالاختيار عن غير حزم وصواب رأي ولا يدرون أنهم إنما يجرونه بالاضطرار إيجاباً للحقوق التي تمنحهم إياها المعاهدات الدولية ولذلك يلومونهم ويغرون من ينقاد إلى اغرائهم منهم لجهله أو تعصبه على السلوك بالعكس ومع أن من يجاريهم على ذلك لا يلبث أن يجبره القناصل على الرجوع عن سلوكه وعدم مس حقوقهم واعتبارهم ويجعلوه ملوماً من أولياء

أمره فهم مع ذلك لا ينكشف عن بصائرهم برفع التعصب فيعرفوا أن دوس هذه الواجبات ليس هو في امكان الحكام بل انما هم مجبورون على القيام بها فلو أدركوا ذلك لعرفوا أن كراهم للنصاري وتعصبهم الشديد ضدهم لا يجديانهم نفعاً ولرأوا أن مصافاتهم لهم كما يليق ببناء وطن واحد والتعاضد والتكاتف معهم على الالتفات إلى إيجاد أو تدبير ما ينفع الوطن عوضاً عن الانقسام المضر والسعي بما فيه قيام ونجاح مصلحة الطرفين التي يتوقف عليها راحة العموم وخير الجميع هو أولى لهم. ولما كانت الحال على هذه الصورة كان لا بد في وصف الهيئة الاجتماعية والعوائد عن التكلم على كل من الفئتين على حدة.

الفصل الرابع

في هيئة المسلمين الاجتماعية في اللادقية وعوائدهم

أن المسلمين مؤلفون من متوظفين في الحكومة واصحاب أملاك وتجار وعطارين وبزازين وارباب صنائع ومنهم تتألف الضابطة البلدية كما تتألف العسكرية كما أن منهم الخبازين واللاحامين والسقائين والحدادين والتنكاريين والحجارين وعدد الأوباش فيهم متوسط وقد كانوا فيما سلف أكثر عدداً منهم الآن إلا أن حرفتي قطع الأحجار والغوص على الاسفنج اللتين وجدتتا منذ عهدٍ غير بعيد أوجدتا شغلاً لكثيرين منهم عن الاشتغال في أسباب القبائح والشرور فانقطعت مذ ذاك إلا نادراً سرقة البيوت والحوانيت التي كانت كثيرة الوقوع في المدينة التي قبل انتشار معرفة قطع الأحجار فيها كانت المنازل الجديدة تُبنى فيها بأحجار المدينة القديمة التي يستخرجها الحفاريون من الأماكن المختلفة داخل المدينة وفي جوارها حيثما لا تخلو منها بقعة.

أما حالتهم العلمية فمتأخرة وعدد الأميين منهم أكثر كثيراً من عدد الذين يعرفون القراءة والكتابة ومعارفهم مقصورة على القراءة والكتابة وبعض مسائل فقهية ولغوية وقليلون منهم يعرفون قواعد اللغة العربية كما ينبغي ومع أن كثيرين منهم يدرسون الصرف والنحو فقليلون منهم من تنفتح عليه اسرارهما وذلك لاعتمادهم في الدرس على الكتب الإسلامية القديمة الصعبة المراس فربما يدرس التلميذ منهم فيها خمس أو ست سنين ولا تنفتح عليه أبواب رموزها لغموض عبارتها على المبتدئين وعدم جودة ترتيب أكثرها ولا سيما بتقديم النحو على الصرف أو باختلاطهما فيها غالباً خلافاً للتأليف الحديثة التي يعتمد عليها النصارى المؤلفة من علمائهم فانها سهلة المراس واضحة العبارات جيدة الترتيب يتمكن التلميذ من فهمها وحفظها بوقت غير طويل ولا يرغب مسلمو المدينة في مطالعة غير

الكتب والمؤلفات الإسلامية فلا يقرأون الكتب الحديثة المؤلفة بالعربية والمترجمة إليها من النصارى من اللغات الأجنبية ومع كثرتهم لا يوجد فيهم واحد مشترك في جريدة من الجرائد النافعة ولذلك تراهم لا يعرفون أحوال العالم ولا نصيب لهم بالوقوف على معارف العصر. أما حالتهم المعشرية فمتأخرة أيضاً فإن بيت كل منهم مقفول غالباً دون غير عائلته وقلماء يزورون بعضهم إلا في الأعياد السنوية وإنما كل رجل منهم يصرف أوقاته نهاراً في شغله إذا كان له شغل معين ويقتل الوقت عند الفراغ من الشغل أو في الليل في إحدى القهاوي التي يوجد منها نحو خمسين في المدينة تغصُّ بجماهيرهم ولا سيما في الليل. على أنه يوجد منهم أشخاص معدودة من الأغاوات والأفندية منازلهم مفتوحة لقبول الزائرين فيجتمع عند كل منهم جماعة يصرفون الوقت بالأحاديث المختلفة. وهم قليلوا الميل لرفاهية المعيشة والطرب والانشراح فقلما تحدث أفراس أو تعزف الآت الطرب في بيوتهم إلا في بعض الأعراس الحافلة ولذلك لا يوجد في المدينة نوبة كاملة متقنة إذ لا يتيسر لأربابها تحصيل معاشهم فيها حيث الدخل الذي يحصلونه من النصارى القليلي العدد وحدهم لا يقوم بأودهم وإنما يوجد فيها نوبه واحده غير تامة ولا متقنة تعزف في بعض القهاوي ليلاً وهي غير أهلٍ للتطريب في المحافل المعتمدة وأحياناً نادرة تزورها بعض نوبات غربية لكنها لا تمكث فيها سوى مدة قصيرة. وفي فصل الربيع تتألف من المسلمين زمر من الرجال كل زمرة منهم تختار محلاً من الأماكن المنتزهة خارج المدينة فتخرج إليه كل يوم عند العصر وتصرف فيه ما بقي من النهار وتتعشى سوية على نفقة جميع أعضائها أو على نفقة واحد منهم بطريق التناوب وغالباً يكون عشاؤهم مقصوراً على نوعين أو ثلاثة أنواع من الطعام أحدها من الحلوى وهم في طريقة أكلمهم لا يزالون على العوائد القديمة فيأكلون جلوساً على الأرض حول خوانٍ أو صدرٍ ويتناولون الأطعمة بأياديهم وبالملاعق ويشتركون بالأكل من صحنٍ واحدٍ وبالشرب من اناءٍ واحدٍ والنادر منهم من يجلس على كرسي ويأكل على طاولة عالية وندر منه من يستخدم الشوكة والسكين وفي الغالب يأكل الرجال وحدهم

والنساء وحدهنَّ وربما كان طعام الرجال ممتازاً عن طعام النساء عند بعضهم أو أكثرهم وقليل منهم قد يتفنن في الطعام ومن دأبهم الحرص وبعضهم يتجاوزون فيه حدود الاعتدال والأكثر لا يأكلون لحماً إلا مرة في الجمعة مع كونهم مقتدرين وكم من غني منهم عائش عيشة فقير وقلما يوجد في بيت واحدٍ منهم ما خلا أكابر أعيانهم خادم أو خادمه وإنما هم يخدمون أنفسهم. ولما كانت البساتين والحدائق التي حول المدينة جميعها لهم إلا النادر كان لا يخلو احد منهم من أن يكون له حديقة كاملة أو حصة في حديقة أو في بعض أشجار منها وكثيراً ما توجد شجرة واحدة يشترك فيها أكثر من اثنين. ولذلك اصحاب الطبقة السفلى منهم يصرفون مدة الصيف في تلك الحدائق فيعيشون من ريعها فإن بعض شجرات من التين تعول عائلة كاملة منهم لأنهم يكتفون بالخبز والتين مدة الصيف وهم جميعاً يحبون الشغل ولعلَّ ما عوَّدهم على ذلك سدَّ أبواب العطاء عند أكابرهم. فإن أبوابهم إلا النادر مغلقة دون الشحاذين ولذلك ترى فقراهم جميعاً عايشين من كدِّهم وقلما ترى منهم أحداً بلا شغل حتى أن الولد الصغير منهم يشتغل بقطف الحشيش أو جمع الخرق البالية وعظام الحيوانات وما شاكل ذلك وبيعه ليساعد بئمنه أبويه على معاشه ولهذا كان الشحاذون فيهم قليلين على أنهم مع قلتهم يضطرون للاستعطاء وطلب القوت من بيوت النصارى. ثم أنهم لا يتعيرون بالشغل فانك ربما ترى أحدهم غنياً معتبراً مرفوع المقام وترى من بعده أولاده يشتغلون بأدنى الأشغال ولا يمنعهم من ذلك ذكر قدر ابيهم ورفعة شأنه بل قد نرى بعضهم من المنسويين إلى العائلات المعتبرة في حالة الغني والثروة حال كون اخوتهم فعلة حقيرين ولا يرون في ذلك عاراً يبعثهم على اسعافهم بما يمكنهم من تعاطي شغلٍ أرفع شأناً من شغلهم. هذا ومع كون شرب المسكرات محرم عندهم تحريماً مطلقاً يوجد بينهم سكيرون كثيرون وهم إذا شربوا بالغوا وتناهوا في السكر.

أما ملابستهم فهي غالباً على الهيئة القديمة فإن زمر العلماء والمشايخ والأفندية ومن جرى مجراهم منهم يتعممون بالعمائم ويلبسون الملابس الطويلة الواسعة كالجبه والقنباز وأكثرهم يتباطأون في حركتهم معلقين امر الرزانة الأدبية على الرزانة الطبيعية وأما زُمر

الأغاوات وغيرهم فيلبسون السراويل والدامر والطربوش وحده أو مضافاً إليه المنديل وقليلون من الأفندية والمشايخ يلبسون في أرجلهم المست كما أن الأغاوات وقليلين غيرهم يلبسون الجوارب والباقون جميعهم يتركون أرجلهم مجردة. وجميعهم يحلقون شعور رؤسهم والمشايخ والأفندية وكثيرون غيرهم ويطلقون لحاهم.

أما نساؤهم فمقضيّ عليهنّ بالحبس عن مخالطة الرجال والاحتجاب عن عالم المعاشرة وهنّ مسلوبات الحرية والاعتبار الممنوحين لهنّ من باري الطبيعة على أن التضييق عليهنّ بهذا المقدار لا يحصن من لم تكن محصنة طبعاً منهن كما لا يخفي بل قد يزيدها شبقاً وقد ورد في الأمثال الصادقة أن كل محبوب مرغوب ولذلك من يحسن المراقبة يراهنّ أشد شوقاً وتطلعاً إلى الرجال من اللواتي لم يُحكَم عليهنّ بالحجاب. ولما كان الرجال المسلمون غيورين بهذا المقدار على نسائهم وقليلي الأركان اليهنّ كانوا يسيئون الظن في اجتماع الرجال بالنساء عند النصارى هذا وأنهم لا يعلمون بناتهم القراءة والكتابة اعتقاداً أن ذلك للمرأة شر وكثيراً ما يعامل الرجل منهم امرأته بالضرب الأليم إذا اغتاز منها. أما خروج نسائهم من بيوتهنّ فنادر وهنّ إذا خرجن التحفن بالازر وسدلن على وجوههنّ المناديل أما ملابسهن فهي غالباً كملابس نساء النصارى مما سيذكر في محله ما خلا أرجلهنّ فانهنّ يتركنها مجردة إلا إذا خرجن من بيوتهنّ فيلبسن فيها المسوت والجوارب. أما أعراسهم فقلما تكون احتفالية بل غالباً تُقضى بالهد والصمت والنادر منهم من يجري عرساً حافلاً فيضرب الطبل أمام بيته يوماً أو أكثر قبل الزفاف فيجتمع الرجال والشبان من غير دعوة ويرقصون بالسيف والترس أو بدونهما ولا بد لكل راقص أن يدفع اجرة للطبال يسمونها نقطة ثم يدعو أهله ومعارفه إلى ليلة الطرب أو إلى الحمام وكذلك نساء البيت يدعون صوابهنّ ومعارفهنّ من النساء قبل الزفاف أو بعده إلى يوم أو ليلة طرب أيضاً فيجتمعن دون أن يُسمَح لذكر أن يدخل اليهنّ وتطرب بين ايديهنّ المغنيات ثم ترقص كل واحدة منهنّ بدورها بعد أن تدفع النقطة للمغنيات وإذا كانت الدعوة نهائياً فلا بد أن يُقدّم فيها غداءً أو عشاءاً للمدعوات أما أهل العروس من النساء فقبل الزفاف ببضعة أيام يأخذن العروس

للحمام ويدعون إليه صواحبهنّ ومعارفهنّ فيتحممن جميعاً على نفقة أهل العروس ويغنينّ ويهاهينّ (أي يقرظنّ العروس والعريس بالهاهيات واحدها هاهية وهي نوع من المواليا مؤلف من أربعة أبيات يرمنها بلحنٍ مخصوص واصواتٍ مرتفعة وكلما رنمنّ هاهيةً ختمتها بالنقران (وهو الزلاغيط بلسان العامة) وقبل الزفاف بيومين أو ثلاثة أيام يُنقل جهاز العروس إلى بيت العريس محمولاً على الأيدي كل حاجةٍ لوحدها ومطوفاً به في الشوارع معروضاً لنظر الناس بالفناء وترنيم الهاهيات وليلة الزفاف تخطب النساء أيدي العروس وقدميها بالحناء ويلبسنها لباس العرس ويشوّهن وجهها بكل أنواع التصنّعات حتى انهنّ يلصقن به أشياء برّاقة أيضاً بحيث تبدّل هيئتها تماماً ولا يعود يُعرّف حقيقة شكلها ثم يطوف الرجال بالعريس في الشوارع عل ضوء المشاعل بالأغاني والآت الطرب والنساء بالعروس وترنيم الهاهيات والنقران ثم تُزفّ عليه وبذلك غالباً تنتهي احتفالات العرس

أما معالجة مرضاهم فهي غالباً موكولة للطبيعة وقليلون منهم من يستدعون الطبيب وأكثر هؤلاء لا يستدعونه إلا متى اشرف مريضهم على الخطر وإذا مات لهم ميت بكوا عليه ما دام عندهم فاذا دفنوه كفّوا البكاء. وتعزّوا بحيث لا تعود تظهر عليهم امارات الحزن أما الحداد فلا يستعملونه بالكلية.

الفصل الخامس

في هيئة النصارى الاجتماعية في اللاذقية وعوائدهم

لقد كان النصارى في الجيل الماضي في هيئتهم الاجتماعية وملابسهم وسائر عوائدهم لا يفرقون عن المسلمين ففي أوائل هذا الجيل ابتدأوا بتغيير بعض تلك العوائد متنقلين شيئاً فشيئاً حتى انتهوا إلى ما هم عليه الآن. وهم مؤلفون من متوظفين في الحكومة في دوائر القلم وعضوية المجلس وأصحاب أملاك وتجار وبزازين وبقالين وأصحاب صنائع ومنهم البنّاؤون وحالتهم العلمية متقدمة وعدد الذين يعرفون القراءة والكتابة هو أكثر من عدد الذين لا يعرفونهما وقد نشأت عندهم الرغبة في العلم منذ نحو عشرين سنة فجعلوا يضعون أولادهم في المدارس. وفضلاً عن المدارس الموجودة في اللاذقية التي تلامذتها جميعاً مؤلفون من أولاد النصارى يُرسل في كل سنة عدة تلاميذ إلى مدارس بيروت وقد كانوا في أول الأمر لا يحسنون طريقة التعليم فكانوا يعلمون أولادهم إحدى اللغات الأجنبية وغالباً الفرنسية مقتصرين عليها دون أن يعلموهم قواعد اللغة العربية التي هي لغة البلاد فكان علمهم ناقصاً وفوائده قاصرة أما الآن فقد انتبه أكثرهم لهذا الخطأ وجعلوا يعلمون أولادهم قواعد اللغة العربية أولاً ثم بعض اللغات والعلوم وأكثر الشبان الآن يتكلمون اللغة الفرنسية إلا أن الذين يتقنونها منهم قليلون. وللنصارى رغبة في تحصيل الفوائد والوقوف على أحوال العالم ولذلك ترى كثيرين منهم مشتركين في الجرائد ولا يستنكفون من مطالعة أي كتاب كان مهماً تكن ديانة واعتقاد مؤلفه معتبرين في ذلك الجوهر وهو تحصيل الفائدة.

أما حالتهم المعشرية فقد تجاوزوا فيها حدود الاعتدال فإن بيت كلٍ منهم مفتوح في كل يوم وساعة لقبول الزائرين الذين يدخلون بيت المزور بلا استئذان ولا إعلان ولذلك وجب عليهم أن تكون بيوتهم وأهلها في حالة لائقة على الدوام لاستقبال الزائرين وإن استخدموا

خداماً عدة للقيام بخدمة البيت والضيوف فإن أعضاء العائلة غالباً لا تخدم في البيت بخلاف أكثر النصارى في باقي مدن سوريا ولهذا كلّ منهم ما خلا الفقراء لا بد من أن يكون في بيته خادم وخادمة على الأقل ولو كانت عائلة مؤلفة منه ومن امرأته فقط فيصرفون أوقات البطالة في بيوت بعضهم سواء كان نهاراً أو ليلاً ولذلك قليلون منهم يجتمعون في القهاوي.

ولنصارى اللاذقية ميل غريزي للهو والطرب. وقد تكلم عن ذلك موسيو بوجولا السائح الفرنسي الذي زار اللاذقية سنة 1831 وكانت النصارى إذ ذاك تتنّ تحت احمال الجور والاضطهاد فقال ما ترجمته «ان من يرى مسيحي اللاذقية منهمكين هكذا بالملاهي والطرب لا يتصوّر أن سلطة المسلمين تحمّلهم أحمالاً ثقيلة، وكثيرون من شبانهم يعرف كلّ منهم قطعة أو أكثر من قطع الموسيقى فيؤلفون نوبة كاملة يكون عليها مدار الحظ في الاجتماعات الأهلية.

أما معيشتهم فهي غالباً ذات ترفهٍ أعضاء العائلة رجالاً ونساءً وأولاداً على مائدة واحدة والأكثر يأكّون جلوساً على الكراسي حول طاولة عالية ويستخدمون مع الملعقة الشوكة والسكين وكلّ منهم يأكل في صحنٍ ويشرب من اناءٍ على حدةٍ إلا أنهم ولله الحمد لم يقتبسوا عادة عدم غسل الأيدي والفم بعد الطعام ونرجو انهم لا يصلون من التمدن إلى درجة اقتباس هذه العادة وأمثالها المغايرة لمبادئ النظافة. والأكثر منهم يتفنونون في المأكّل ولا بد لكلّ منهم ما خلا الفقير أن يأكل لحماً كل يوم وفي الأصوام التي تؤكّل فيها سمك لا بد لكلّ منهم من أن يشتري سمكاً (إذا كان صائماً) مهما كان غالياً وإذا قابلنا بين مسيحي ومسلم متساويين في الدرجة والغنى وعدد العائلة نجد مصروف المسيحي يفوق مصروف المسلم أضعافاً مضاعفة. وقد فشا فيهم حب المناظرة والتقليد فترى الصغير منهم يساوي الكبير في سعة المعيشة والتفنن في الملابس وغيرها وهم يميلون إلى التجارة ولهم فيها باع وقد جمعوا بها اموالاً غزيرة لو حفظوها ولم يستعملوا الاسراف لكان أكثرهم يُعَدُّ من الطبقة الأولى في الغنى بين أهالي سوريا وقد لا يتنازلون إلى الاشغال الحطّية فإن حط بمن كان من العائلات المنظورة منهم الدهر لا يتنازل إلى تعاطي شغلٍ ادنى من شغله الأول

لا هو ولا أولاده ولو اتصلوا إلى ادنى درجة من العوز والاحتياج بل يتكلمون على مساعدة أقاربهم ومعارفهم وينتظرون أن يقوم بهم الدهر وابن التاجر منهم يستنكف أن يكون من أرباب الصنائع، وفقرائهم كسالى لا يحبون الشغل فاذا جاعوا دخلوا البيوت وطلبوا طعاماً فلا يُمنع عنهم وهم يفتكرون أن إخوانهم المسيحيين الأغنياء ملتزمون بهم في كل الأحوال فيستغنون بهذا الفكر عن السعي في طلب الرزق الذي أوجبه الله تعالى على جميع عباده ولذلك ترى شحاذي النصارى كثيري العدد يطوفون كل وقت صباحاً وضحى ومساءً وعشيّة على بيوت المسيحيين رجالاً ونساءً كباراً وصغاراً يطلبون طعاماً أو دقيقاً أو إداماً وملبوساً أو غير ذلك منه كلما يحتاجون إليه وترى الأولاد في الأزقة والشوارع كلما رأى أحدهم مائراً من المسيحيين ذا اقتدارٍ يعترضه في طريقه ويمدُّ إليه يده طالباً خماسية فاذا حصل عليها اشترى بها فاكهةً أو نقلاً لا قوتاً أو ربما نفقها في سبيل بعض الألعاب وكثيرون من هؤلاء الأولاد يصلحون للخدمة ولكنهم لا يخدمون كما أن كثيرين من ذوي العائلات الفقيرة لهم بنات وبنون يصلحون للخدمة وسوق الخدم راجحة لكنهم يستنكفون من أن يجعلوهم خداماً ومن العجب العجائب أنهم لا يستنكفون من أن يستعطوا لهم كأنما الاستعطاء أشرف من الخدمة وجميع هذه الأحوال ناشئة من الشفقة غير المرتبة التي يستعملها المقتدرون فتكون واسطة لتعليم الكسل ولا تكسبهم اجراً ولا حمداً ولعلَّ العطاء للفقير الذي باعث فقره الكسل! ثم كالمنع عن الفقير الذي باعث فقره العجز.

أما ملابسهم فنوعان الأول جروا عليه منذ زمان حكومة محمد علي باشا المصرية إذ خلعوا العمامة والملابس الطويلة وهو السروال والدامر والزمار والصدرة وهو لباس الأكثرين والثاني لباس الافرنج ما خلا كسوة الرأس فانها الطربوش عندهم في كلا النوعين وقد شرعوا في الانتقال إليه منذ نحو عشر سنين ولعلَّه بعد مدة ليست بطويلة يتم انتقال عموم النصارى في جميع سوريا إلى لبسه وسبب ذلك إنما هو اعتبار ذوي اللباس الافرنجي في اعين الولاة والحكام وأرباب المناصب حتى أن كثيرين من معتبري سوريا اضطروا للانتقال إليه لما رأوا أن لباسهم الأول قد وجد باعثاً لاحتقارهم ممَّن لا يعرفهم من بعض رجال

ومتوظفي الحكومة. وجميعهم يلبسون الجوارب ويطلقون شعور رؤوسهم والنادر منهم من يطلق لحيته وأكثرهم يعتنون في اتقان ملابسه.

أما نسائهم فقد كُنَّ في الجيل الماضي كنساء المسلمين مقضياً عليهنَّ بالحبس والاحتجاب ففي أواخر الجيل الماضي ابتدأت أن تُعطى لهنَّ الحرية والاعتبار. والذي مهَّد لهنَّ الحصول على ذلك حضور بعض عائلات من الأفرنج إلى اللاذقية واستيطانهم فيها ولما كان رجال النصارى في المدينة سهلي المعاشرة يحبون أكرام الضيوف والغرباء: عاشروا هؤلاء الأفرنج وامتزجوا معهم وأخذوا عنهم عادة ازالة الحجاب عن النساء، ولما كان أكثرهم متصلين بالقرابة مع بعضهم انتشرت عندهم هذه العادة بسهولة وعمّا قليل صار ظهور النساء للرجال عمومياً إلا أنه كان محدوداً. ففي الأفرنج وليالي الطرب لم يكن يختلط الرجال بالنساء وإنما كان كلٌّ من الفيتينين يجتمع في حجرة على حدة ثم مع التوالي صارا يختلطان في الجمعيات والأفرنج ثم صارت النساء ترقص أمام الرجال ثم صار الرجل والمرأة يرقصان معاً كما هي الحالة الحاضرة. وللنساء الآن درجة لائقة من الأكرام فيكاد لا يوجد امرأة منهنَّ تُضرب من رجلها. وخروجهنَّ للزيارة كثيرٌ ومن النساء من لا يمرُّ عليها يوم لا تخرج فيه من بيتها ومنهنَّ من تخرج مرتين وثلاث مراتٍ في اليوم نهاراً وليلاً ولذلك ترى الجمعيات غير منقطعة ومن أراد التسلي يمكن أن يجد في أكثر الأوقات في بيتٍ من البيوت جمعية مؤلفة من الرجال والنساء يصرفون الوقت بالحديث أو الملاهي أو الغناء والطرب وفي أيام الربيع تجري اجتماعات كثيرة على هذا النمط في الحدائق والبساتين حيثما غالباً يتعشون ويصرفون جزءاً من الليل أيضاً وإذا اجتمعت جمعية في مكان ما يأتي إليها كل من يسمع بها فإن الجميع يحسبون أنفسهم أعضاء الجمعية ما لم تكن دعوة فلا يأتي إليها غير المدعويين ولذلك قلما يقدر الآلاف أن يتمتعوا بحرية في اجتماعات صفائهم وانسراحهم ثم أنه في الزيارات الرسمية كزيارة المعائدة والتهنئة مثلاً لا بد من تقديم الحلوى المعروفة بالمربا أو الطاتلي للزائرين وأما في باقي الزيارات فيُكتفى بتقديم النارجيلة والسيكاره والقهوة فقط. وفي زيارات النساء إذا كانت الزائرة قليلة الزيارات لبيت المزورة فلا بد من أن

تقدم لها مربا أو شربات أو كليهما وربما قدمت لها شيئاً أو أشياء من النقل والفاكهة. هذا ولا يوجد فرق بين الإبرار والمتزوجات من جهة المعاشرة فإن البكر تظهر وتخرج للزيارات المختلفة (ما خلا التهنئة في زواج أو ولادة ونحوهما) وتحضر في الجمعيات وترقص مع الشبان كالمرأة المتزوجة وقبل أن تبلغ البنت منهناً مبلغ النساء تجتهد أمها في تزيينها وعرضها في الجمعيات وإذا دعيت الأم إلى ليلة طرب أو عرس ولم تُدع معها ابنتها ولو كان سنها دون الاثنتي عشرة سنة عتبت على أصحاب الدعوة وربما امتنعت عن الذهاب إلى دعوتهم وهي تظهر أن بروز ابنتها في الاجتماعات والمحافل المختلفة أمام الشبان يجعل لها منهم نصيباً قريباً ولعل الأمر بالعكس.

ولا ريب أنه كما أن قلة الائتلاف والمعاشرة والتفريط في حجب النساء مؤخران لانتظام الهيئة الاجتماعية وينشأان عن الخشونة وعدم التمدن كذلك الإفراط في المعاشرة وكثرة الاختلاط مضران بنظامها وينشأان عن التسبب وعدم الحزم وقد قيل أن خير الأمور أوسطها ولا أريد أن اعني أن الهيئة الاجتماعية عند نصارى اللاذقية مشوبة بما يخل بالآداب كلا لا بل انني أقر أن الطهارة محفوظة فيها أكثر مما في غيرها مما تقل في الاجتماعات والاختلاط ولعل كثرة الاختلاط والجمعيات عندهم هي السبب لحفظ الطهارة أكثر مما في غير مدن كما هو مشاهد ومحقق إذ لا يتيسر العاشقين منهم أن يجتمعا على انفراد على غير حذر من عيون كثيرة ولكنني أريد أن اعني أنها لا تخلو من أضرار كثيرة، مادية ومعنوية للرجال والنساء والشبان والشابات. أما للرجال فلكون الرجل الذي تقضي امرأته أكثر أوقاتها بالزيارات والجمعيات تكون معيشته خالية من كل هناء وترتيب ويتكلف مصاريف غير ضرورية لأن امرأته لا بد من أن ترى حيناً بعد حين في بعض تلك الزيارات الكثيرة شيئاً جديداً من الملابس أو الحلوى على غيرها فتقترح عليه مشتري مثله لها على غير لزوم. وأما للنساء فلكون خروجهن من بيوتهن للزيارات في بعض الأوقات واشتغالهن في بعضها الآخر باستقبال الزائرات يشغلان عن ترتيب بيوتهن ومناظرة الخدام والاعتناء بأولادهن فإن أكثر الأطفال والأولاد مهملون من أمهاتهم وحتى دب الطفل تستأجر له أمه

خادماً يحملهُ ويطوف به في الشوارع أكثر النهار وذلك بعد أن تكون قد أعطته ما يشتري له به فأكهه أو نقلاً فتعوده على التبذير والاسراف مع الرضاة ومتى درج ومشى تطلعه من الصباح إلى المساء للعب في الأزقة والتبذير لكي تخلو لها الأوقات فيمكنها أن تصرفها بالزيارات واستقبال ومسيرة الضيوف فلذلك ترى أكثر البيوت قليلة الترتيب والنظافة وأكثر الأولاد مبذرين قليلي الحشمة والتربية وهذا عار عظيم على المرأة ومخلٌ بقدرها واعتبارها في عيون الغرباء فضلاً عن أنه ربما كان سبباً لوقوع التناكد بينها وبين زوجها إذا كان محباً لترتيب البيت والاعتناء بالأولاد. وأما للشبان فلان كثرة الاختلاط تجعل من لم يكن منهم ذا تعقلٍ كافٍ لضبط نفسه يصرف كل أيام شبابه بالجمعيات والتهافت على وسائل الحظ والانسراح والتبذير عوضاً عن أن يعرفها بتحصيل الفوائد الأدبية والمادية التي تمكنه من أن يعدّ بها لأيام شيخوخة عيشة مقرونة باللذة والسعادة ولا يتأسف عليها حينئذٍ إذ يكون قد اضاعهما في أيام شبابه العزيرة والثمينة. وأما للشابات فلأنه ظهور الشابة كل يوم وحضورها في الجمعيات بلا انقطاع وادمانها على محادثة الشبان تجعلها في أعينهم كشيء اعتيادي تشبع منه العين فتزهّد فيه النفس فتقلّ بذلك رغبتهم فيها ويتعسر وجود طالبٍ لها. ولما كان كثيرون من الرجال العقلاء يتشكون من هذه العوائد المضرة فعسى أنهم يتمكنون من أبطالها شيئاً فشيئاً ويجعلون للزيارات والجمعيات ضابطاً واحداً واجباً يحسّن الهيئة الاجتماعية عوضاً عن أن يفسد نظام المعيشة كما تمكنوا في هذه السنين الأخيرة من تخفيف رغبة النساء في المصوغ والحلى مما كنّ لا يعرفنّ الاكتفاء منه.

هذا وأنا قد نظرنا في التكلم عن هذه العوائد نظراً اجمالياً ولذلك لا بد من أن نقول أن كثيرين من الرجال والسناء غير جارين عليها بل هم متّبعون طريقة مناسبة في المخالطة والمعاشرة.

أما تعليم النساء فقد ابتدأوا أن يشعرو بوجوبه منذ بعض سنين وأكثر الآباء الآن يعتنون بتعليم بناتهم القراءة والكتابة وشغل اليد والظاهر أنهم سيتقدمون في ذلك شيئاً فشيئاً ولعل ذلك سيكون الوسيلة لإبطال العوائد المضرة إذ تتمكن المرأة بواسطة العلم ان تميز

المبادئ الصحيحة وتقتصر على التمسك بها فإنه معلوم أن من الأمور التي تكاد تكون مستحيلة إمكان اقناع المرأة الجاهلة ولذلك تكون مانعاً كبيراً في اصلاح العوائد.

أما ملابسهن فقد صارت كملابس الافرنج إلا أنهن ما زلن يرغبن في لبس الأثواب البراقة والمزركشة بالقصب ولدى خروج إحداهن من بيتها تلتحف بالأزار إلا أنها لا تسدل منديلاً على وجهها بل تكتفي بستره بيدها بطرف الازار.

أما اعراس النصارى فقلما لا تكون احتفالية ومنهم من يجعل الخطبة احتفالية أيضاً فيدعو الناس إلى بيته في الليلة التي يعتمد فيها على وضع عربون الخطبة ولدى اجتماعهم يذهبون جميعاً رجالاً على حدة ما خلا الخطيب نفسه إلى بيت الخطيبة وبعد جلوسهم وشربهم النارجيله واكلهم المربا يعطي أحد الاكليروس المدعويين أبوي الخطيبة العربون المقدم من الخطيب علامة لعقد الخطبة ثم يعودون إلى بيت الخطيب ويصرفون تلك الليلة بالغناء والطرب أما العربون فيكون غالباً خاتماً ومنديلين أو قطعة أخرى من المجوهرات عوض الخاتم وقد اجتهد بعض القوم منذ بعض سنين بأن يقتصر في العربون على منديلين وخاتم فضة أو ذهب خالٍ من الحجارة الكريمة عند العموم دفعاً للمضار التي تلحق بغير المقتدرين من تقديم ما هو فوق طاقتهم مساواةً للآخرين فجرى على ذلك كثيرون. ومن عوائدهم أن الخطيبة لا تتكلم مع ابوي خطيبها وأقاربه الأدين ولا ترقص أمامهم ولا تزور بيته ومنهن من لا تمر عن بابه أيضاً. وقد كانت العادة قديماً أن تحتجب الخطيبة عن خطيبها إلا أن هذه العادة بطلت وفي أيامنا هذه يكاد الخطيب لا يفارق خطيبته. أما العرس فيبتدىء قبل الاكليل بأسبوع ويسمون تلك الليلة ليلة المشورة فيذهب أقارب العريس والمدعوون إلى بيت العروس ويعلنون لهم أن الاكليل سيكون بعد سبع ليالٍ ثم يعودون إلى بيت العريس ويصرفون ليلتهم بالغناء والانشراح وتستمر الافراح قائمة على قدم وساق في أغلب الأوقات في بيت العريس مدة ذلك الأسبوع وقبل الاكليل ليلتين تكون ليلة تُدعى ليلة الكتبة يذهب فيها أقارب العريس والمدعوون إلى بيت العروس فيُفتح أمامهم جهازها قطعة قطعة، ويُقيد جميعه في قائمتين مبيّنات فيهما ما قدمه كل من العريس والعروس على حدة وتُعطى احدي

القائمتين لابوي العروس والأخرى للعريس ثم يُحمَل الجهاز إلى بيت العريس ويعود إليه المدعوون راجعين إلى غنائهم وطربهم أما ما يقدمه العريس فقد يكون قطعةً أو أكثر من المجوهرات وبعض ملبوسات فاخرة، وأما ما تقدمه العروس فقد يكون مؤلفاً من بعض المجوهرات والحلي ومن أعدادٍ كثيرة من كل نوعٍ من الملابس المختلفة أكثرها أربعة وعشرون عدداً وأقلها سبعة وقد اجتهد في هذه السنين المتأخرة في الاقتصاد بذلك. وحصر ما يقدمه العريس في قيمة معلومة غير باهظة وكذلك ما تقدمه العروس مع الاقتصاد فيما تقدمه من الملبوسات على سبعة أعدادٍ فقط من كل نوعٍ منها اتباعاً للمبدأ المار ذكره عند ذكر الخطبة وان من يريد من الآباء أن يقدم مع ابنته أكثر مما ذكر فله أن يعطيها قيمته نقداً بعد زواجها عوضاً عن تقديمه جهازاً. على أن هذه المبادي لم تتمكن بعد كما ينبغي. ثم في الليلة المعيّنة للاكليل تضرب منذ المساء آلات الطرب بألحان السرور والافراح وتصدح النساء بترنيم الهاهيات وقد يكون مثل ذلك في بيت العروس أيضاً وعندما ينقضي الجزء الأكبر من الليل يضيع العريس وذلك بأنه يختبئ فوق السطوح أو في إحدى حجر البيت فيطلبه أهله والمدعوون فلا يجدونه فيصرخون قد ضاع قد ضاع فلهملوا لفتش عليه ثم يخرج بعضهم ويفتشون عليه واذا وجدونه يضحون بأصوات التهليل والأغاني ثم يأتون به، إلى وسط البيت حيثما يخلع بعض أثوابه في حضرة الجمهور ويلبس أثواب العرس على نغم التراتيل الكنيسية ثم تُفرَّق على المدعوين الشموع فيوقدونها ويخرجون رجالاً ونساءً سائرين بالعريس على نغمات الموسيقى وربما يضرب الطبل أيضاً مع ترنيم الهاهيات من النساء وعندما يصلون إلى بيت العروس تتقدم النساء القادمات مع العريس ويصطففن واقفاتٍ امام العروس التي تكون جالسة في صدر القاعة على وسائل فاخرة يسمونها المرتبة مغمضة العينين (وهذا نادر الآن) أو مطرقة إلى الأرض مغطاة بخمارٍ شفافٍ احمر وأبيض اللون فيقرظنَ حسناتها وجمالها بترنيم الهاهيات برهة ثم يجلسنَ وبعد تقديم النارجيلة والمربا والقهوة يجري الإكليل في بيت العروس أو في إحدى الكنائس ثم يعودون بالعريس والعروس واقربائها ما خلا أنها (لأن مرافقتها لابنتها شؤم في زعمهم) إلى بيت العريس

بالتهليل والأغاني كما أتوا ويقود العروس في اثناء الطريق امرأتان الواحدة عن يمينها والثانية عن يسارها وكلما وصلوا إلى أمام بيت من بيوت المعارف يخرج بعض أهل ذلك البيت ويرش العريس والعروس والمدعوين جميعاً بماء الزهر وتخرج النساء منه ويكشفن وجه العروس لينظرن رونقها وبهاءها وعندما يصلون إلى بيت العريس تُعطى العروس قطعة من العجين لتلصقها على ساكف الباب معتقدين أن ذلك فال حسن ثم يرجع المدعوون إلى بيوتهم ما خلا بعض نساء من قريبات العروس، يأتين معها ويرقدن عندها تلك الليلة وفي الضحى يأتي المدعوون ثانية إلى بيت العريس ويجلبون العروس وذلك بأن تخرج من غرفتها لابسة قبقاباً عالياً مغمضة العينين تقودها امرأتان عن يمينها ويسارها ويؤتى بها إلى قاعة الاستقبال على ضرب الموسيقى وترنيم الهاهيات ثم تجلس في صدر القاعة على المرتبة غاصة الطرف صامتة وإذا هي تعبت من الاغماض أو الاغفاء تُغيّر هيئة جلوسها فيُدار وجهها إلى الحائط وظهرها إلى الجماعة ثم من ساعة إلى أخرى يقودها بعض النساء إلى غرفتها ثم يرجعن بها لابسة بدلة غير التي كانت عليها بحيث تظهر ذلك اليوم في أكثر بدلاتها وفي اثناء ذلك يتقدم أبو العريس واقرباؤه ويقدم كل منهم للعروس هدية من الحلوى والنقود ويسمونها نقطة (وهذه العادة ألغيت من عهد قريب) هذا ولا يزال الغناء والرقص وترنيم الهاهيات متصلة إلى المساء وحينئذ يمد السماط للمدعوين فيأكلون ثم يشربون القهوة ويمضي كل منهم إلى حال سبيله. ومن العوائد القبيحة أنه إذا افتض العريس عروسه يُشهر دم بكارتها على خرقه تُرسل إلى بيت أبيها ليطمأنوا على انها ظهرت بكرةً ويكاد يكون مثل هذه العادة في القبح أنه كلما جاء زائر ليهنئ العروسين تبادر العروس لتقبيل يده رجلاً كان ام امرأة إشارة إلى أنها قد افتضت فأنها ما لم تفتض لا تلثم بواحد من الزائرين. على أن هاتين العادتين تكادان تبطلان في أيامنا هذه. ثم في سابع ليلة من ليلة العرس تأتي ام العروس لزيارة ابنتها وتُدعى تلك الليلة ليلة الأسبوع فيُدعى إلى بيت العريس جميع الذين كانوا مدعوين في ليلة العرس غالباً ويقضون تلك الليلة بالغناء والطرب أيضاً وبعد أيام تذهب العروس إلى بيت أبيها وهذه الزيارة الأولى تسمى عندهم ردة الرجل فتصطح لزيارتها نغمات الفرح والسرور عندهم ثم

أن كلاً من العريس والعروس يلتزم برّد الزيارة لكل من أتى لتهنئتهما ويُقدّم للعروس في كل بيت تردُّ له الزيارة شربات وحلويات ونقول ثم يقدّم للعروسين كلّ من أقربائهما وليمّة أو ليلة طرب حافله وهكذا ترى أن العرس عندهم يكون له ذنّب طويل جداً على أنه في هذه السنين المتأخرة قد ترك أكثرهم كثيراً من العوائد هذه.

أما ليالي الطرب التي تُقدّم للعروس أو لباعث آخر من البواعث المسرّة فيبتدي المدعوون بالاتيان إليها نحو العشاء وفي الغالب تكون هذه الليالي حافلة حتى يغص البيت بالمدعوين وذلك ناشئ من انتشار القرابة واتساع الالفه بين أكثر النصارى حتى أن صاحب تلك الليلة يكاد لا يترك عائلة من أمثاله دون أن يدعو بعضها أو جميعها فيجلس المدعوون مصطفين طبقات وصوفواً رجالاً ونساء في القاعة المعدة لذلك على المقاعد المرتفعة والكراسي والبسط المفروشة فوق الحصر في أرض تلك القاعة بحيث لا يبقى فيها موضع خالٍ سوى فرجة صغيرة مستديرة في وسطها لأجل الرقص وكثيراً ما يكون عدد كبير من هؤلاء المدعوين صبياناً وبناتٍ في سن الاثنتي عشرة سنة أو دون ذلك ومع كل هذا الازدحام تُقدّم للمدعوين النارجيلات فتوضع بين الجلّاس وكثيراً ما يصادف بعضها صدفه فتسقط نارها فتحرق البساط أو أثواب الجلّاس إلى جانبها وقد أجهّد كثيراً في أبطال هذه العادة وجعل شرب النارجيلة في حجرة مخصصة منفردة فحال دون المرام اعتياد النساء على شربها واستثقالهنّ من كثرة الخروج والدخول فيطلبن أن يؤتى بها اليهنّ حيثما هنّ جالسات. ثم تضرب النوبة فصلاً كاملاً ويجري تقديم القهوة وبعد ذلك يبتدي رقص النساء فيتقدم لاستدعائهنّ احد الشبان ويأتي إلى امام كل واحدةٍ منهن كل واحدة بدورها مبتدئاً بالنساء المتزوجات ويدعوها اما هي فلا بد أن تمتنع برهة فيكرر عليها الدعوة والرجاء مراراً حتى تنهض وتأتي إلى الوسط فترقص على ضرب الموسيقى والغناء نحو عشر دقائق ثم تعود وتجلس في مكانها فيتقدم الداعي ويدعو غيرها وهكذا حتى ترقص جميع المتزوجات فيلتفت إلى دعوة البنات العزب حتى يرقصن جميعاً ثم بعد ذلك قد تضرب النوبة فصلاً أو لا تضرب ثم يبتدي رقص الرجال مع النساء فيتقدم رجلٌ منهم

ويدعو امرأة يختارها متزوجةً كانت أم عزباء لترقص معه ثم يقف كل منهما في جهة في فسحة الرقص مقابلاً للآخر ويرقصان منتقلين لجهة اليمين غالباً تابعاً أحدهما الآخر حتى إذا انتهىا وجلسا ينهض شاب آخر ويرقص مع فتاة أخرى وهلمَّ جرّاً وقد يرقص رجلان وامرأتان معاً على هذا النمط مقابلاً كل رجلٍ منهما امرأةً هذا وأن عادة رقص النساء مع الرجال أو بحضرتهم غير مألوفة عند سوى نصارى اللاذقية وبعض نصارى حلب ولذلك الذين يسمعون بها من نصارى المدن الأخرى فضلاً عن المسلمين يستهجنونها وهذا ناشىء من عدم ائتلافهم أو من قياسهم رقصة نساء نصارى اللاذقية على رقصة نساء بلادهم ذات الحركات المقرونة بالخلاعة المتطرفة المخلة بالأدب التي ينفر منها الطبع السليم والحال أن من أمعن النظر برقصة نساء نصارى اللاذقية يرى أنها لسيئت إلا عبارةً عن تنقّل بسيط خالٍ من حركات الخلاعة يُطاف به في دائرة الفسحة المعدّة للرقص على ايقاعٍ معلوم يُعرّف عند أهل الموسيقى بالسفیان المصري فليس فيه شيء مما يخل بأداب الهيئة الاجتماعية. وهذه الرقصة تسمى عندهم الرقصة الاعتيادية ولهم رقصة أخرى تدعى العرجه وفي حلب تدعى الرقصة اللاذقية وهي أن يقف الرجل بجانب المرأة عن يمينها ممسكاً يدها اليمنى بيده اليسرى ثم يقدمان رجليهما اليسريين ويطأان بهما يميناً ثم شمالاً من غير أن ينتقلا ثم ينتقلان لجهة اليمين خطوتين ثم يعودان لتقديم الرجلين اليسريين وهلمَّ جرّاً. وقد يرقص هذه الرقصة عدة رجال ونساء معاً دفعةً موحدة مصطفين صفّاً طويلاً.

هذا وقد يتخلل الرقص والغناء تقديم أنواع من الحلويات والنقولات يُطاف بكلٍ منها في دوره على المدعوين وفي ختام هذه الأنواع تقدم القهوة فتكون مؤذنة بالانصراف وقد يمتد السهر في بعض هذه الليالي إلى ما بعد طلوع الشمس.

ثم أن من مزايا نصارى اللاذقية الحميدة محبة الغريب واکرامه فمتى زار مدينتهم غريب معروف بالسمع أو بالعيان فلا بد من أن يكون ضيفاً لأحدٍ منهم كما أنه لا بد من أن يزوره جميعهم أو أكثرهم ليهنئوه بالسلامه ويتزاحمون على معاشرته إذا كان مقبول المعاشرة وكثيرون منهم يصنعون له الولائم وإذا كانت له قرابة مع إحدى العائلات أو كانت معه امرأته

يستدعونهُ إلى ليالي طرب حافله ويجتهدون بإرضائه بكل طاقتهم.

وإذا مرض عند أحدهم مريض لا يلبث أن يستدعي له الطبيب وينفق كلما يجب انفاقه على معالجته وإذا مات يتقاطرون أفواجاً أفواجاً إلى مأتمه فيجلس الرجال وحدهم والنساء وحدهنّ وأما الميت فيوضع في وسط الحجرة التي تجتمع فيها النساء فيصطففنّ حوله ويطلق أهل الميت منهنّ بالبكاء والنوح والولولة والندب وكلما أتت امرأة استقبلتها بالنوح والعويل وإذا كان الميت عزيزاً يحللنّ عليه شعورهنّ ويلطمنّ على وجوههنّ وصدرهنّ ويستأجرنّ نساء مخصوصات ليساعدنهنّ على الندب والعويل وهذه العادة أي استئجار النوادب لم تكن موجودة قبلاً في اللاذقية لكنها استُعملت منذ عهدٍ قريب اقتداءً ببعض مدن سوريا، ولا بد لكل امرأةٍ تحضر إلى المأتم من أن تغطي رأسها بمنديل أسود ويستمررنّ على النوح والبكاء بدون تعقل ولا شفقة على صحتهنّ حتى يحين وقت تجنيزه وربما قضينّ على هذه الحالة من حين موته إلى حين تجنيزه مدة اثنتي عشرة ساعة أو أكثر إذا كان موته قد وقع في الليل ثم يُنقل من بينهنّ إلى التابوت على أصوات اللطم والعويل من جميع أهله رجالاً ونساءً ثم يشيعه إلى المقبرة الرجال فقط دون النساء فأنهنّ يلبثنّ في البيت منتظرات رجوع الرجال من الجنازة وقد كانت العادة قبلاً أن تخرج النساء مع الميت ويشيعنّه بالعويل والولاول لكنها ألغيت منذ سنة 1858. وعندما يرجع الرجال من الجنازة تستقبلهم النساء بالولولة والبكاء فيمكنون ريثما يشربون القهوة ثم ينصرفون وتستمر النساء تتوارد وتنصرف والبكاء والنوح جاريين على الأسلوب المار ذكره طول ذلك النهار وعند المساء يجلس أهل البيت للعزاء فيأتي الناس ويعزونهم وهكذا في الليلة الثانية والثالثة أيضاً. أما النساء فيكررنّ المأتم في اليوم الثالث والتاسع والأربعين والشهر السادس والتاسع وتمام السنة وفي كل من هذه الأيام نحو الظهر تجلس نساء البيت ويستعدون للبكاء والنوح فتتوارد النساء إلى تلك المناحة وكلما وفدت وافدة منهنّ يستقبلنها بالبكاء والعويل ثم يصطففنّ جميعاً ويفتح أهل الميت وذوات قرابته فصلاً من البكاء فتندبه كل واحدة منهنّ بدورها حتى إذا انتهينّ تشرع كل من مات لها ميت من الحاضرات تندب وتذكر ميتها وتحمل الميت الجديد أحمالاً من

السلام له ولئن كان قد مضى على موته سنون كثيرة وكلما انتهت النادرة إلى مقطع بكت وبكى معها الحاضرات وبعضهن يسترن أوجههن بالمناديل متباكيات لا باكيات حقيقةً (ولاسيما إذا كان الميت مسناً أو غير عزيز فإن هذه المآتم تجري له حينئذٍ اتباعاً للعادة وتباكى النساء فيها عوض البكاء وبعضهن يتمازحن ويتضحكن سرّاً) ثم عندما ينتهي ذلك الفصل يستدعين بالنارجيلات وتدور بينهن الأحاديث المختلفة هنيهةً ثم يؤمرون برفع النارجيلات ويشرعن في فصل بكاء ثانٍ على الأسلوب الأول وهكذا إلى العصر إذ ينفذ المجلس بعد شرب القهوة التي تُقدّم في الفناجين وحدها دون الظروف كما هي العادة في المآتم عندهن.

أما الحداد فجارٍ عندهم بأن يلبس أهل الميت وأقاربه السواد رجالاً ونساءً وإذا كان عزيزاً يُفرّش بيته بالفراش الأسود أيضاً وينقطع الرجال عن حلق الوجه وأسابع والنساء عن الحمام أشهراً كما ينقطعون جميعاً عن سماع الغناء والطرب وعن تقديم زيارات التهاني بأنواعها. وليس لمدة الحداد قانون ولا حدود معينة عندهم بل كلٌ يحد المدة التي يستصوبها فكره وخاطره على أن الغالب أن يحد الذكر لأبيه أو أمه أو أخيه مدة سنة والآنثى سنة ونصفاً أو سنتين وهلم جراً.

الفصل السادس

في لواء اللاذقية

أن لواء اللاذقية كان ممتدّاً من حدود طرطوس جنوباً إلى حدود الجبل الأقرع شمالاً ومساحته من الجنوب إلى الشمال نحو 70 ميلاً ومن الغرب إلى الشرق نحو 25 ميلاً وهو مؤلف من 14 مقاطعة أو قضاء الأولى مقاطعة الخوابي في حدود اللواء الجنوبية وكان حكامها مسلمين من بني عذرا ويسكنون قلعة الخوابي ويلقبون اغاوات وفي هذه المقاطعة 83 قرية أهلها نصيرية واسماعيلية ومسلمون وروم ارثوذكسيون الثانية مقاطعة المرقب وهي إلى الشمال الغربي من الخوابي وكان حكامها من بني عذار ايضاً ويسكنون في قلعة المرقب وهي تنقسم إلى ناحيتين ناحية زميرين وفيها 35 قرية وناحية المرقب وفيها 44 قرية وسكان هذه المقاطعة نصيرية ومسلمون ونصارى من الروم الارثوذكس والموارنة الثالثة مقاطعة القدموس وكان حكامها اسماعيلية وهم طائفتان الحجاوية والسويدانية وكلهم يسكنون القدموس ويلقبون امراء وكان صاحب الولاية منهم يسكن في قلعة القدموس وهذه المقاطعة تنقسم إلى ثلاث نواحي ناحية القدموس وفيها 59 قرية وناحية جرد العليقة وفيها 58 قرية وناحية الظهر الغربي وفيها 30 قرية أما أهل هذه المقاطعة فاسماعيلية ونصيرية وهي إلى جهة الشرق من المرقب الرابعة مقاطعة السميت القبلي ويُقال لها السميت قبله وهي إلى الشمال من مقاطعة القدموس وتنقسم إلى ثلاث حلل حلة بني ياشوط وكان حكامها من بني مطرد وبني عثمان وهم يسكنون في قرية الحضان وبني أبي عاصي ويسكنون في عين قيسطو وحلة الحمام لبني جحجاح وهم يسكنون في قرية الحمّام وحلة السرامطه لطائفة البشالده وهم يسكنون قرية بعبداء. ودير بعبداء وبني غريب وهم يسكنون قرية الداليه وجميع هذه الطوائف نصيرية ويلقبون مقدّمين وفي هذه المقاطعة 59 قرية أهلها نصيرية الخامسة مقاطعة بني علي وكان حكامها بني أبي شلحة من طائفة النصيرية وهم يسكنون في قرية عين الشقاق

ويلقبون مقدمين وفيها 22 قرية أهلها نصيرية. السادسة مقاطعة القرداحة وكان حكامها بني أحمد ويسكنون في قرية بتنبول وبني جركس في مرج معيربات وبني علي في قرية القرداحة وبني العيله وشهاب الدين فيها أيضاً وبني حصون في بشلأما والبراج وبني علوش في قرية كلماخو وجميعهم نصيرية ويلقبون مقدمين وهي تنقسم إلى أربعة أقسام النواصره والقراحلة ومَتَوَّر وساحل القرداحة وفي هذه المقاطعة 68 قرية أهلها نصيرية السابعة جبله وقرى وقف السلطان ابراهيم والشمسيات وفيها 36 قرية أهلها مسلمون ونصيريه الثامنه مقاطعة المهالبه وهي قسمان عمامرة المهالبة وساحل المهالبة وكان حكامها من بني غصن ويسكنون في قرية اللدين وبني خير بك ويسكنون في قلعة المهالبه وجميعهم نصيرية ويلقبون مقدمين وفي هذه المقاطعة 47 قرية أهلها نصيرية وفي قرية دباس منها بعض سكان من الروم الارثوذكس التاسعة مقاطعة بيت الشلف وهي أربعة أقسام المزيرعه وعمامره بيت الشلف وساحل بيت الشلف وجبل دريوس وكان حكامها بني أحمد وبني محمد وبني علي وهم نصيرية أيضاً ويلقبون مقدمين وفيها 113 قرية ومزرعة أهلها نصيرية وفي قرיתי حبييت والمزيرعه منها بعض سكان من الروم الارثوذكس العاشرة مقاطعة صهيون وكان حكامها بني الجندي مصطفى ويسكنون في قرية الحفه وطائفة الارشوكية ويسكنون في قرية شير القاق وبني الجندي ابراهيم ويسكنون في منجيلا وطائفة الزناقفة ويسكنون في قرية الزنقوفة وجميعهم مسلمون ويلقبون أجناداً وفي هذه المقاطعة 53 قرية أهلها مسلمون ونصيريه وفي قرية الحفه وقرية شتبقو بعض سكان من الروم الأرثوذكس الحادية عشرة مقاطعة البهلولية وهي إلى الشمال الشرقي من اللاذقية وكان حكامها بني علي وبني شمسين وبني منصور وغيرهم وكلهم نصيريه ويلقبون مقدمين وفيها 44 قرية أهلها نصيرية الثانية عشرة مقاطعة جبل الأكراد وهي إلى جهة الشمال الشرقي من البهلولية وكان حكامها عدة عشائر من المسلمين يلقبون اغاوات وفيها 121 قرية ومزرعة وأهلها مسلمون ونصيريه ما خلا قرية كنسبا فإن أكثر سكانها روم ارثوذكس وقرיתי حلوز والهوينيه فإن جميع سكانها روم أيضاً وقرى عرامو والغنيميه فإن جميع سكانها ارمن غريغوريون الثالثة عشرة مقاطعة البابر وكان حكامها عدة عشائر من التركمان يلقبون اغاوات وفيها 23 قرية أهلها مسلمون تركمان

ونصيريه ما خلا قرية القصب فإن سكانها روم الرابعة عشرة ناحية البوجاق وكان حكامها عدة عشائر من التركمان يلقبون اغاوات وفيها 30 قرية، أهلها مسلمون تركمان ونصيريه وبها تنتهي حدود لواء اللاذقية الشمالية المتاخمة للجبل الأقرع وأهالي هاتين المقاطعتين أي البايير والبوجاق التركمان لا يزالون لحد الآن يتكلمون اللغة التركية ولا يُعَلِّم الوقت الذي جاءوا فيه وتوطنوا في هذه الجهات. أما ساحل اللاذقية ففيه 75 قرية أهلها نصيرية. وهذه المقاطعات تُدعى جبل النصيرية وكانت تُدعى قديماً جبل اللكام وجبال بهراء وتنوخ. قال أبو اسحق الاصطخري ويُسمى (الجبل الممتد من جبل طورس في آسيا الصغرى) اللكام إلى أن يجاوز اللاذقية ثم يُسمى جبل بهراء وتنوخ إلى حمص (انتهى) وقد علمت مما مر أنه كان يحكم هذه المقاطعات كبراء أهلها ورؤساء عشائهم فأُنهم كانوا يتوارثون ذلك خلفاً عن سلف على أنهم كانوا يأخذون الولاية بالالتزام بمبلغ معلوم من حكام اللاذقية ويحكمون حسب أهوائهم واستمرت هذه الحال إلى حين دخول الحكومة المصرية سنة 1832 فنكلتهم وعزلتهم من مناصبهم ووُلّت متسلمين غرباء ولما استرجعت الدولة العثمانية البلاد من محمد علي باشا صاحب الحكومة المصرية سنة 1840 أعادتهم إلى مناصبهم لكن بالمعاش لا بالالتزام واستمروا على هذه الحال إلى زمان التشكيلات سنة 1865 إذ نزعَت الولاية من أيديهم وولت مديريين من قبلها كما هو جارٍ إلى هذا اليوم.

هذا وقد وجدت الطبيعة مدينة اللاذقية في مركزٍ جغرافي يستلزم الحاق جميع المقاطعات المذكورة، بحيث إذا انفصل عنه شيء منها يعود ذلك بالضرر على كلتا الجهتين وذلك لأن اللاذقية قد وجدت في الوضع الطبيعي اليق مركزٍ لتجارة أهل جميع تلك المقاطعات لكونها أقرب اليهن جميعاً من كل المراكز المهمة البحرية المعروفة في العالم التجاري فهي مرجع حاصلاتهم ومورد احتياجاتهم ولهم ولأهلها صوالح واحده مشتركة نظراً لسعة العلاقات والمعاملات بين الطرفين ولا بد لحفظ هذه الصوالح الجسيمة المتبادلة من أن يكون لهم جميعاً حكومة واحدة لها مركز واحد متوسط في المسافة بين هذه المقاطعات مقتدر على منع وقوع الخلل في هذه العلاقات والصوالح وليس من مركزٍ سياسي مناسب لذلك في تلك البقعة سوى مدينة اللاذقية والظاهر أن هذه الحقائق قد عُرفت

من قديم الزمان حتى أنه يمكن القول أن الحاق هذه المقاطعات جميعها بمدينة اللاذقية قد جرى منذ تأسيسها على أنه يكاد يكون من المحقق أنهنَّ كنَّ ملحقات بها منذ بداية مملكة الروم لأنه معلوم أنه في أيام القيصر قسطنطين الكبير قد رُتبت السلطة الروحية على ترتيب السلطة المدنية وبما أن الإبرشية العائدة لكرسي ميثروبوليتية اللاذقية منذ القديم لآن تشتمل على جميع المقاطعات المار ذكرها فيتضح أن جميعها كانت إذ ذاك تابعة في السلطة المدنية لحكومة اللاذقية ثم ولئن كانت اللاذقية لم تستمر على حالة واحدة في المرجع وكثيراً ما كانت حكومتها وحكومة طرابلس واحدة يتولاها حاكم واحد لكنه قط لم يخطر ببال واحد من أرباب السياسة في تلك الأزمان المختلفة أن يخلَّ بالنظام ويسلب من اللاذقية حدودها الطبيعية حتى غيرت الدولة العثمانية ترتيب ولاياتها التغيير المعروف بالتشكيلات سنة 1865 فقسم القومسيون الذي تألف في سوريا لترتيب الأولوية والقضوات لواءً للاذقية إلى قضوات مستقلة كل منها مرجعه رأساً إلى طرابلس مراعاةً لبعض الصوالح الفردية كما سيأتي بيان ذلك في محله فنجم عن ذلك تأخر للاذقية وأضرار عمومية للقضوات المذكورة مادية ومعنوية ولذلك التزمت حكومة سوريا بعد مدة أن غيرت بعض ذلك الترتيب والغت بعض القضوات كما أنها لا بد من أن تغيره بتمامه مع الوقت الذي لا بد من أن يكشف لها أن تحويل الأحوال عن مجاريها الطبيعية التي شهد بوجوب المحافظة عليها مرور عشرين قرناً ليس هو من سداد الرأي.

أما القضوات المقسم إليها لواء اللاذقية الملغى في الحالة الراهنة فهي قضاءان قضاء اللاذقية وهي مؤلف من ساحل اللاذقية ومقاطعات البوجاق والباير والبهلولية وصهيون وجبل الأكراد وبيت الشلف والمهالبه. وقضاء جبله وهو مؤلف من مقاطعات أو نواحي (حسب اصطلاح الحكومة بعد التشكيلات) القرداحة وبنى علي والسمت قبله والمرقب وزمرين والقدموس والظهر الغربي وجرى العليقه وقرى أوقاف السلطان إبراهيم والقرى الشمسيات وناحية الخوابي وما يأتي هو عدد سكان كل من القضاءين.

قضاء اللاذقية

اجمال	مسلمون	مسيحيون	نصيريه	قرية	ناحية	ساحل
نفوس	نفوس	نفوس	نفوس	عدد	عدد	اللاذقية
11942	1206	478	10258	75	1	وقرى الجسرين
4200	00	034	4166	44	1	البهلولة
8240	7306	354	0580	63	2	البائر والبوجاق
24482	8512	866	15004	182	4	
5790	3930	100	1760	053	1	صهيون
7804	7592	100	112	121	1	جبل الأكراد
7466	0000	100	7366	113	1	بيت الشلف
3664	00	00	3664	047	1	المهالبة
49106	20044	1166	27906	8.516		
11200	8819	2381	00	00		نفس اللاذقية
60306	28853	4547	27906	8.516		

مكتبة التاريخ العثماني

قضاء جبلة

اجمال	مسلمون	مسيحيون	نصيريه	قرية	ناحية	قرى
نفوس	نفوس	نفوس	نفوس	عدد	عدد	الأوقاف
4920	592	00	4328	46	1	والشمسيات
6716	00	00	6716	59	1	السمت قبله
3354	00	00	3354	22	1	بني علي
5644	00	00	5644	68	1	القرداحة
						(أو الكلبية)
5058	2932	712	1414	43	1	المرقب
3144	358	1134	1652	35	1	زمرين
7284	578	1194	5512	82	1	الخوابي
5564	00	00	5564	58	1	القدموس
5224	00	00	5224	58	1	الضهر الغربي
3666	00	00	3666	20	1	جرد العليقه
50574	4460	3040	43074	481	10	
3100	3100	00	00	00	00	نفس جبلة ⁽¹⁾
53674	7560	3040	43074	481	10	

(1) الأصح أن عدد سكان جبلة لا يزيدون عن ألفي نفس.

أعلم أن العدد الموضوع في عمود النصيرية لمقاطع الخوابي والقدموس هو شامل للنصيرية والاسماعيليه الذين في تلك المقاطعات وعددهم في مقاطعة القدموس نحو ثلاثة آلاف نفس وفي ناحية الخوابي نحو خمسمائة نفس. واعلم أيضاً أن العدد المرقوم في القضاء ينقص عن العدد الصحيح فإنه مأخوذ عن دفاتر الحكومة وهو معلوم أن الأهالي كتموا نفوساً كثيراً عن المحررين الذين عينوا من طرف الحكومة سنة 1866 لتقييد النفوس لكي يقل عدد الأشخاص الذين يُطلبون سنوياً للدخول في العسكرية.

الفصل السابع

في الآثار والمدن الموجودة في لواء اللاذقية

أن من الآثار الموجودة في لواء اللاذقية حصن العيدو ودعاه أبو الفداء في تاريخه حصن العبد. والعيدو الآن قرية في جبل الأكراد وكان الحصن على جبل فوقها ولم يبق منه الآن إلا رسوم بالية تكاد لا تتحقق وفي قرية العيدو ماء غزير يجري من عين تنفجر من أسفل الصخر الذي كان الحصن قائماً فوقه قيل أن ماء هذه العين كان يجري في اقنية إلى مدينة اللاذقية ولم تزل آثار بعض هذه الأقنية تُشاهد إلى يومنا هذا. ومنها قلعة صهيون ذات قلعة حصينة لا ترام من مشاهير معاقل الشام وبقلعتها مياه كثيرة تتجمع من الأمطار وهي على صخر أصم بالقرب منها وادٍ وبه من الحمضات ما لا يوجد مثله في تلك البلاد وتظهر من عند اللاذقية وبينهما نحو مرحلة (انتهى) قلت ولم يبق الآن للمدينة من أثر أما القلعة فقد هدم أكثرها ولم يزل باقياً فيها أبراج قائمة وأقنية ثابتة وفيها صهريجان منقوران في الصخر عميقان وواسعان في الغاية أحدهما مظلم والثاني نير يُنزل إلى أسفل كل منهما بسلم منقور في الصخر وهي الآن مهملة موحشة وساحاتها الفسيحة يحترقها اهالي القرى المجاورة ويستعملونها للزراعة. ومنها قلعة المهالبة وهي حصن قديم في ناحية المهالبة قد خرب أكثره الآن ولعله هو الذي كان يُقال له قديماً حصن بلاطنس ومنها قلعة المرقب وهي قلعة حصينة على جبل شاهق يرتفع نحو ألف قدم عن مساواة البحر أحدثها المسلمون سنة 454 للهجرة قال ابن الوردي وفيها أي في سنة 454 موافقة سنة 1063 م عمّر المسلمون حصن المرقب بساحل جبله وباعوه للروم بمال عظيم وقبضوه وجاء من الروم نحو من ثلاثماية رجل ليتسلموه فقتلوا منهم وأسروا الباقين وفدوهم بمال كثير وكان بيعه للروم حيلة نصبها المسلمون فتمت وهي في شكل مثلث الزوايا واحدى زواياها مقابلة للغرب وحجارتها

تضرب إلى السواد ومحيطها ميل ونصف وفي أعلى جدرانها برجان مستديران الواحد من جهة الشرق والآخر من جهة الغرب وقد ضرب أكثرها الآن وفيها كنيسة من أيام الصليبيين قد تحولت الآن جامعاً وقد صارت القلعة في هذه الأيام مسكناً لبعض الأهالي ولبنى عذرا فيها دور فسيحة وعدد البيوت التي فيها 78 بيتاً سكانها مسلمون بينهم عائلة واحدة من الروم وفيها جامع (وهو الذي كان كنيسة) و10 دكاكين وفرن واحد. ومنها قلعة الخوابي وهي مأهولة الآن بالسكان وفيها 31 بيتاً سكانها مسلمون وجامع ودكانان وفرن.

أما المدن التي فيها فمنها مدينة جبله وهي مدينة قديمة على البحر إلى الجنوب الشرقي من اللاذقية وبينهما مسافة نحو 12 ميلاً وفيها الآن من السكان نحو 3100 نفس جميعهم مسلمون وعدد بيوتها 288 بيتاً وفيها جامعان و8 مساجد وسكة ومائة وثمانية وعشرون دكاناً وحمامان وثلاث طواحين وثلاث أفران ومعصرتان وبخارجها جامع فيه مزار قد اشتهر أنه قبر إبراهيم بن ادهم وهو إبراهيم بن ادهم بن منصور الزاهد من بكر بن وائل ولد ببلخ ورابط بالشام وقد ذكر ابن الوردي خبر وفاته في حوادث سنة 161 للهجرة لكنه لم يعين المكان الذي توفي فيه وإنما نقل ما حكاه إبراهيم ابن ادهم عن نفسه فقال أنه كان ابن ملك من ملوك خراسان فسار منها حتى صار إلى العراق ثم صار إلى الشام ثم قدم إلى طرطوس فاستأجره شخص ناطوراً لبستان فمكث في البستان أياماً كثيرة وأنه لما اشتهر اختفى وهرب من الناس وكان يأكل من عمل يده كالحصاد والعمل في الطين وحفظ البساتين (انتهى) وأهالي جبله ينسبون المدينة إليه فيدعونها جبله الأدهمية قلت وفي اللاذقية مزار اشتهر أنه قبر ام إبراهيم ابن ادهم والله أعلم. ولمقام إبراهيم ابن ادهم قرى وارضون وقفت فيما يُقال في عهد المماليك الجراكسة سلاطين مصر على تكية في جامعهِ تُطعم فيها الدراويش والمساكين وقد استولت الحكومة في أيامنا هذه على دخل الأوقاف المذكورة وجعلت نفقة التكية على عهدها تنفقها على يد متولٍ يتقلد الولاية بالوراثة وتثبيت الحكومة ويدعى قائم مقام الأوقاف وهي الآن في بيت علي أديب في جبله والمتولي منهم الشيخ يسين افندي.

ومن الآثار الموجودة في جبله بقايا مسرح للملاعب الرومانيين وهو على شكل قوس

دائرة مقاعده صفوف حول الساحة المتوسطة كل صفٍ منها مرتفع قليلاً عما تحته ونصف قطر الدائرة نحو 150 قدماً والمحيط من خارج نحو 450 قدماً وتحت المقاعد مرائب كانوا يضعون فيها الوحوش التي يستحضرونها لتلك الملاعب واهل جبله يسمون هذا المكان قلعةً وبخارج جبله مدافن صخرية كثيرة العدد.

ومن مدن اللواء أيضاً قصبة القدموس وفيها 127 بيتاً سكانها اسماعيليه وجامع و92 دكاناً وحمام وليس فيها من الآثار سوى قلعتها.

هذا وقد ذكر المؤرخون القدماء عدة مدن صغار ما بين اللاذقية وطرطوس وهي بالتوس ولم يبق منها الآن سوى خراباتها على نهر السن ويدعونها البلده. ثم بنياس وهي على شط البحر إلى الغرب الشمالي من المرقب قال أبو الفداء في الجغرافيا «المرقب والبنياس للمرقب اسم للقلعة وهي قلعة حسنة البناء مشرفة على البحر وبنياس اسم لبلدتها وبيتها قريب من فرسخ وهي ذات أشجار وفواكه، قلت ولم يبق من آثار بنياس القديمة شيء وإنما هي الآن اسكلة تحتوي على بعض مخازن حديثة البناء. تُدعى بانياس ثم مرقيه ودعاها القدماء مراكيا ومراتوس وبقايا قلعتها تُشاهد إلى الآن وأمام قلعتها على مرمى سهمين من البركان في وسط البحر برج بُني بعد موت الملك بيبرس وسيأتي ذكر ذلك في محله وهي الآن قرية حقيرة جداً وقد عدا استرابون في هذا الخط تسع مدن وهي ارتوسيا (ولعلها طرطوس) وسيميرا وانهيدرا وكاراموس وبنياس وبالتوس وغابالا (جبله) وهرقليه وبوسيديون وعدها بلينيوس سبعاً وهي سيميرا وماراتوس وانتاداروس وكارني وبانياس وبالتوس وجبله ثم ذكر هرقليه وبوسيديون بعد اللاذقية لجهة الشمال وعليه جرى أكثر الجغرافيين وهو الأصح فإنه موقع هرقليه هو بين رأس ابن هاني ورأس البسيط ولا يزال لحد الآن يؤتى بحجرٍ من هناك يُدعى الحجر الهرقلي نسبةً لتلك المدينة. وموقع بوسيديون هو البسيط التي هي تحريف لفظة بوسيديون. نعم أن جميع هذه المدن لم تكن ذات أهمية إلا أنها استحققت أن تُذكر في التواريخ وجميعها قد عفت وزالت ولم يبقَ منها ما هو ثابت بعض الثبات إلا مدينة جبله فسبحان الباقي الدائم الذي لا يزول.

الفصل الثامن

في صفات أهالي المقاطعات وأحوالهم

لقد علمت مما مرَّ أن أكثر سكان المقاطعات المار ذكرها نصيرييه وهم في حالةٍ يُرثى لها من الجهل والغباوة والخشونة وقد جُمعت فيهم جميع الصفات الذميمة فإن من صفاتهم الكسل والكذب والخداع وحب السرقة وسفك الدماء والخيانة والدناءة وليس فيهم مأثرة تُحمَد إلى قرى الضيف وحماية النزيل على أنهم ربما اضافك منهم مضيف وحمى ذمارك ما دمت في بيته فاذا انصرفت ارسل فسلبك في الطريق كل ما معك. وهم ينقسمون إلى عشائر فاذا قُتل قتيل من احدى العشائر قامت العشيرة كلها للأخذ بثاره من عشيرة القاتل واذا تصالح العشيرتان على دية معلومة عن القتيل تجمع عشيرة القاتل الدية من كل من أفرادها وتوزعها عشيرة المقتول على كل من أفرادها واذا جاء رجل غريب وتعاهد أو كتب دمه كما يقولون هم إلى احدى هذه العشائر كان له كواحدٍ منهم فاذا قُتل طالبوا بدمه واذا قتل فرضوا عليهم دية المقتول كما أنهم يخصصونه لهم من الدية إذا كان القاتل غيره وبهذه النسبة يتمكن النصارى القليلون القاطنون بينهم أن يعيشوا غالباً بأمنٍ واطمئنان فإن كل فئةٍ منهم مشتركة بالدم مع احدى العشائر ثم أن الفتنة والقتال لا تنقطع من بين هذه العشائر فلا تكاد تمضي سنة دون أن تقوم فيها عشيرة على أخرى لأجل أسباب زهيدة ويتحزب لكل من العشيرتين بعض العشائر الأخرى وتُصلى بينهم نيران الحرب والقتال ولولا خوفهم من الحكومة لما هداؤا بعض الأحيان عن الكفاح والنزال على أنهم متى رأوا الظروف تساعدهم تمردوا على الحكومة نفسها وتخلفوا عن أداء الأموال ولذلك تضطر الحكومة في أغلب الأوقات أن تسوق عليهم العساكر ولن تزال كذلك ما لم تُقْم قوة دائمة بينهم وذلك بجعل نواحيهم قائم مقامية وأكثر مركزها في وسط جبالهم مع تقسيم باقي النواحي إلى قائم مقاميات

أخرى تُجَعَل اللاذقية لا غيرها مرجعاً لجميعهن بحسب كونها اقرب مركزٍ مهم لهنّ وعارفة ومختبرة احوالهنّ واكثر من غيرها علاقةً مع أهاليهنّ فيواسطة وجود القائم مقاميات بينهم التي يتبعها وجود مجالس وضابطة وجانب من العساكر التي لها عادة أن تقيم في نفس اللاذقية وجبله وحصول المحاكمات والاجراءات على حقها النظامي بدون مسامحة مع وجود المرجع الذي هو مدينة اللاذقية قريباً منهم بحيث تُلاحَظ فيه جميع الأعمال التي تقع في تلك القائم مقاميات يضطرون أن يلتزموا الهدوء والانقياد. وأما الاجراءات الموقته التي اعتادت الحكومة أن تستعملها فلا يكون نفعها إلا مؤقتاً وذلك لأن النصيرية موصوفون بأن عقولهم في عيونهم فإن رأوا عقولوا واعتبروا ويزول اعتبارهم بحالما تزول المؤثرات من أمام أبصارهم وهذا من الأمور التي عُرِفَت بالتجارب المتتابعة بمقدار تتابع السنين.

ثم أن كلاً من هذه العشائر تتألف من ثلاث طبقات الطبقة الأولى المشايخ وهم خَدَمَة الدين وبينهم تفاوت في الغنى والعلم والنسب والطبقة الثانية المقدمون وهم أصحاب الأرض والنفوذ وهم على تفاوت أيضاً في الغنى والجاه والنسب والطبقة الثالثة الفلاحون وهم العامة المساكين ويُحَسَّبون بالنسبة إلى ارباب الطبقتين الأوليين كالعبيد إذ ليس لهم ملك ولا تقدم في طائفتهم وعليهم الاتعاب والخدمة ومنهم الانفار العسكرية.

ومن عادة عشائر نصيرية الجبال انهم عندما تزول الفُتَن والاختلافات من بينهم تشتغل لصوصهم في شَنْ الغارة على قرى الساحل وابناء السبيل وسلب كل ما يقع بيدهم وقد يشترك مع هؤلاء اللصوص كثيرون من المقدمين والمشايخ ولئن كانوا لا يخرجون معهم للسلب فيقاسمونهم على غنائمهم ويحفظون لهم اسلابهم عند الحاجة وجميع ذلك ناشئ عن الكسل وعدم حب الشغل فإن الرجال في الجبال قلما يعملون عملاً ومع أن أراضيهم جيدة بالنسبة إلى أراضي باقي جبال سوريا وفي أكثر قراهم عيون وينابيع من الماء الغزير الفائض فجميع ذلك مُهْمَل وذاهب ضياعاً فلا يعتنون بالحرثة ولا يغرس الأشجار إلا فيما ندر. ومعظم أشغال أهالي الجبال انما هو في التبغ وهو من أعمال النساء عندهم كما أن أكثر الأشغال الأخرى هي من اعمالهنّ أيضاً ولذلك قد تقوم المرأة عندهم مقام امرأة ورجلٍ

معاً مما هُنَّ عليه من المنزلة الدنية بينهم وعدم معرفتهم قدرهنَّ كما سيأتي ولما كانت حالة الرجال في الجبال على هذه الصفة كانت الراحة والبطالة اللتين من نتائجهما الفقر تدعيانهم إلى السرقة والسلب والفتن وباقي الأعمال الفاسدة.

أما رجال قرى الساحل فلما كانوا تحت نظر الحكومة وكانت مواقفهم لا تمكنهم من التمرد كانوا غير قادرين أن يجدون ملهى عن الشغل فلذلك هم أقل كسلاً من أهالي الجبال واحسن حالاً ولئن كانوا يُحَسَّبون كسالى بالنسبة إلى غيرهم أما معيشتهم جميعاً فهي في اقصى درجة من الدناءة والخراسة فإن بيوتهم مبنية بالحجارة الصغيرة بغير هندام تُطَيَّن بتراب الأرض وتُسَقَّف بالبلآن وهي أَوْلَى بأن تُسمَّى اكواخاً لا بيوتاً ينامون في الشتاء داخلها وفي الصيف على سطوحها ومنامهم يكون على حصرٍ أو على لَبَادٍ ويتغطَّى أكثر أهل البيت بلحافٍ واحدٍ وقليل منهم مَن يوقد مصباحاً في بيته واكثرهم ينامون زمن الشتاء مع حيواناتهم في بيتٍ واحدٍ أما مآكلهم فقلما يخالطها لحم وفي أكثر الأوقات يكتفون بأكل الخبز والبصل واشهر مآكلهم ما يسمونه المتبلة وهي تُعمل من البرغل المسلوق واللبن الرائب أما ملابسهم فهي القميص الذي هو عبارة عن ثوبٍ طويل إلى القدمين والعباءة ويلبسون على رؤوسهم لبادة وعصبة ويتمنطقون بحبلٍ من شعرٍ أو صوفٍ وقليل منهم ما عدا النساء من يلبس السراويل وأقل منهم بما فيه النساء مَن يلبس الأحذية ولا يوجد فرق كبير بين المقدَّم فيهم والراعي من حيث السكن والمآكل إلا نادراً. إلا أن المقدمين احسن لباساً من العامة فانهم يلبسون غالباً طرايش بشرابات طويلة ثقلها من 80 إلى 120 درهماً أو لبادات ويتعممون بجملة عصابات أو بزناز حرير ويلبسون سراويل أبيض أو من الجوخ أحياناً وزنازاً عريضاً ويشكون غالباً أسلحة في مناطقهم وكذلك طبقة المشايخ تتميز بلبس العمامم البيضاء التي يسمونها شاشاً ومن طباعهم أنهم لا يبالون بالانتقال من حالة رخاء إلى حالة شدة فأنهم إذا اكلوا اكتفوا بأكل الحشيش بالملح وقد رأيت في بعض رؤوس جبل دريوس صبياناً منهم عراة الأجسام بالكليه وفي محلٍ آخر امرأةً عريانة تسَّرت من المارين وراء شجرة. ولا ريب أن من يرى حالتهم ويشاهد جبالهم وأراضيها ومياهها وقابليتها على

الخصوص لأنواع الأعراس وما هي عليه من الإهمال يحكم بأنهم من أكسل القبائل واشدهم توحشاً. أما الحالة العلمية عندهم في غاية التأخر وقُلَّ من يعرف القراءة والكتابة منهم ما خلا مشائخهم الذين قرأءتهم وكتابتهم في غاية الركاقة والضعف وعندهم أن اللحن فيهما واجب وأن الاعراب غير ممدوح ولا يعرفون من الصنائع سوى ندف القطن وغزله غليظاً وحيآكته خاماً سميكاً وصنعة السكافة وقلما يعرفون غير ذلك مما يستحق الذكر ولما كانت ديانتهم وديانة الاسماعيلية من الأسرار الغير المشهورة كان لا بأس من ذكر بعض مبادئها.

أن النصيرية فرعٌ من الطائفة الباطنية يعبدون بعض الأجرام السماوية على أنها الامام علي بن أبي طالب الذي ينتحلون فيه الالهية وطقوسهم ممتزجة من طقوس النصارى والمسلمين واليهود والصابئين ونسبتهم هي إلى أبي شعيب محمد بن نصير العبدي البكري النيميري واضع ديانتهم نشأ في أراضى الكوفة في الجيل الثالث للهجرة وكان شيخاً كثير الصلوات والأصوام فاختر من اصحابه اثني عشر رسولاً يندرون بتعليمه ولما شاع أمره قبض عليه الوالي والقاء في السجن وكان للسجان جارية اخذتها الشفقة على الشيخ حتى سكر السجان ذات يوم واستغرق في نومه ففتحت السجن وأطلقت الشيخ ثم ردت المفاتيح إلى مكانها فلما استيقظ السجان رأى أن الشيخ قد هرب ولم يجد علامة لفتح السجن فزعم أن ملاكاً أطلقه واشاع هذا الخبر لكي ينجو من غضب الوالي وبلغ الشيخ أيضاً فكان يوكده للناس ويزداد اجتهداً في اذاعة تعاليمه وكتب كتاباً يقول فيه انا فلان الذي يُظن بي انه ابن عثمان رأيت المسيح الذي هو كلمة الله وهو أحمد بن محمد بن حنيفة من ولد علي وهو أيضاً جبرائيل الملاك فقال انت القاري انت الجمل الحافظ الغضب على الكافرين أنت البقر الحامل خطايا المؤمنين أنت الروح أنت يوحنا بن زكريا. قيل انطلق هذا الرجل من أرض الكوفة إلى بر الشام واذاع تعاليمه هناك بين الناس الساذجين ثم قام بعده رجل آخر اسمه محمد بن جندب وقام من بعد هذا عبد الله الجنان الجنبلان وقام بعده الحسين بن حمدان الخصيبي وهو أعظم من كل من جاء بعده وهو الذي اكمل صلاتهم وقيل انه هو الذي قبض عليه الوالي والقاء في السجن ولما عرضت له فرصة هرب واشتھر بين اتباعه

أن السيد المخلص خلصه ليلاً وهم يَكْنُون عن عليّ بالمعنى ويلقبونه أمير النحل ويعتقدون انه خلق الحجاب والاسم وهو محمد وان الاسم خلق الباب وهو سلمان الفارسي وأن المعنى والاسم والباب هو ثالث ويزهبون إلى أن سلمان الفارسي خلق الخمسة الأيتام وهم المقداد بن أسود الكندي وأبو الدر القفاري وعبدالله بن رومة الانصاري وعثمان بن مصفون النجاشي وقنبر بن كادان الدوسي وان الخمسة الأيتام خلقوا كل هذا العالم الموجود وأن ترتيب السماوات والأرض بيدهم ويكنون عن المعنى والاسم والباب بقولهم ع م س أو عَمَس وهي أحرف مقطعة من أوائل اسماء علي ومحمد وسلمان ويعتقدون أن المعنى أي علياً ظهر ظهورات كثيرة وفي كل ظهور كان معه اسمه وبابه فيزعمون أنه في عهد آدم كان هابيل المعنى وآدم الاسم وحواء الباب وفي عهد نوح كان الفلك المعنى ونوح الاسم وحام الباب وفي زمن موسى كانت البقرة المعنى وموسى الاسم والعصا الباب وهلم جرّاً. وانهم في كل ظهوراتهم ما أكلوا ولا شربوا ولا تزوجوا وانهم لم يولدوا من نساء بل نزلوا من السماء بدون أجسام وأن الأجسام التي كانوا يظهرون فيها انما هي أشباه وليست أجساماً حقيقية وتنقسم النصيرية إلى اربع فِرَق الأولى الكلازية والثانية الشمالية والثالثة عبدة الشفق ويدعون مواخسة والرابعة عبدة الهواء ويقال لهم غيبية وجميعهم يتفقون على أن الشمس هي الاسم أي محمد ويختلفون في المعنى والباب فالكلازية يعتقدون أن القمر هو المعنى أي علي بن أبي طالب ويقدمون عبادتهم له وأن السماء هي الباب أي سلمان الفارسي والشمالية يعتقدون أن السماء المعنى ويقدمون عبادتهم لها وأن القمر الباب وكذلك الطائفتان الأخيرتان كل منهما يذهب في هذين الشخصين مذهباً يوافق غرضه ويعتقدون أن علي بن أبي طالب سيظهر من عين الشمس قابضاً على كل نفس والأسد من تحته وسيقه ذو الفقار بيده والملائكة خلفه وسلمان الفارسي بين يديه والماء ينبع من بين قدميه ومحمد ينادي ويقول هذا مولاكم علي ابن أبي طالب فاعرفوه وسبحوه وعظموه وكبروه هذا خالقكم ورازقكم فلا تنكروه ثم انهم يعتقدون بتناسخ الأرواح وأن اتقياءهم عند الموت تنتقل أرواحهم من الهياكل الناسوتية إلى هياكل نورانية فيصيرون كواكب وعندهم أن المجرة

أي درب التبانة هي نفس مؤمنهم وأن الأشرار من طوائفهم إذا ماتوا تحل أرواحهم في المواشي التي تؤكل إلا إذا كانوا من الخاصة أي رتب المشائخ المرتابين في الديانة فأنهم بعد موتهم يصيرون قروداً والذين أعمالهم ممتزجة من حسنة وسيئة ينتقلون إلى هياكل بشرية من الطوائف الخارجة عن مذهبهم ويعتقدون أن اشراف المسلمين الراسخين في العلم إذا ماتوا تحل أرواحهم في هياكل الحمير وعلماء النصارى في هياكل الخنازير وعلماء اليهود في هياكل القروود وهم يتظاهرون لكل طائفة أنهم منها أو أنهم أقرب إليها مذهباً من غيرها ويخرجون ذلك بأنهم هم الجسد وباقي الطوائف لباس فأى لباس يلبسه الإنسان لا يضره وأن من لا يتظاهر كذلك فهو مجنون لأنه ما من عاقلٍ يمشي عرياناً في السوق. على أنهم في الحقيقة يكرهون كل الطوائف وقد كان يُظن من عهدٍ غير بعيد أن النصارى أحب إليهم من المسلمين لكن تحقق أخيراً أن هذا الظن لم يكن في محله وأنهم شديداً بغض لهم وإنما تظاهروا بمحبتهم مكر وخداع طلباً لمساعدتهم. وهم يكرهون أبا بكر وعثمان ويسمونهم الأضداد ويشتمونهم في صلواتهم كما أنهم يشتمون طلحه وسعد وسعيد وخالد ابن الوليد ومعويه ويزيد والحجاج وعبد الملك بن مروان وهارون الرشيد ويطلبون من علي بن ابي طالب أن ينزل سخطه وعذابه على اسحق الأحمر واسماعيل بن جلال والشيخ أحمد البدوي والشيخ أحمد الرفاعي والشيخ ابراهيم الدسوقي والشيخ محمد المغربي والشبل المرجان والشيخ عبد القادر الجيلاني وكل يهودي ونصراني والجلند بن كركر وعاقران الناقة قرقيدار وحبيب العطار ويشتمون المذهب الحنفي والشافعي والمالكي والحنبلي ولعابي القروود ومسّكي الحيات السود ويوحنا مارون وكل من يعتقد في علي بن أبي طالب آكلاً أو شارباً أو مولوداً وناكحاً ويطلبون من الله إبادة الدولة العثمانية والحكام المسلمين واستظهار الطائفة الخصيية النصيرية. أما الصلوة فمفروضة عليهم في خمسة أوقات في اليوم فالفرض الأول صلاة الظهر لمحمد والفرض الثاني صلوة العصر لفاطمة والفرض الثالث صلوة الغروب للحسن بن علي والفرض الرابع صلوة العشاء لأخيه الحسين والفرض الخامس صلوة الصبح لمحسن سر الخفي ويستعملون البخور والخمر في بعض صلواتهم وإذا مرّ بهم أحد

خارج عن مذهبهم في وقت صلاتهم تفسد تلك الصلوة فيعودون إلى خلافها وإذا حدثهم لا يجوز لهم في ذلك النهار ذكرها أما شيوخهم فينقسمون إلى ثلاث رتب الرتبة الأولى رتبة الامام والثانية رتبة النقيب والثالثة رتبة النقيب والعامه يطيعونهم طاعةً عمياء ويقبلون كلما يرسمونه من الطقوس معتقدين بأنهم معصومون من الغلط وقادرون على منع الضرر كمنع سريان الأمراض في جميع الناس والحيوانات مهما كانت ودواؤهم الأحرار والرُّقي وهم يعيشون غالباً من هذه الشعبة ومن الأوقاف والنذور والزكوة ونحو ذلك ولا يتجاسر أحد من العامة أن يغيظ شيخاً منهم لانه، إذا حرمه يسمي بأسوأ حال إذ لا يعود أحد من النصيرية يقترب منه أو يخالطه أو يكلمه بكلمة فيضطر إلى استرضاء الشيخ بما عزَّ وهان ليحلَّه من رباط الحرم. والنصيرية كافةً يعتقدون أن الشيوخ الخاصة لا يضاجعون نساءهم بل يمرُّون من فوقهنَّ فيحملنَّ وكثيرون من عامتهم يعتقدون «أنهم لا يبرزون أيضاً ومن أقبح طقوسهم التي يمجَّها السمع وينفر منها الطبع ما ذكره صاحب الباكورة السليمانية عن شيوخ الطائفة الكلازية بأنهم إذا زار أحدهم الآخر وبات عنده قدم له امرأته ويسمون ذلك الفرض الواجب والحق اللازم وللنصيرية أعياد كثيرة إسلامية ومسيحية ووثنية منها ما هو من الطقوس الدينية ومنها ما هو للفرح فأعيادهم الدينية هي عيد الغدير في 18 ذي الحجة وعيد الأضحية في 10 منه تذكراً لاسماعيل بن هاجر وعيد المهرجان في 16 تشرين الأول وعيد البرباره في 14 تشرين الثاني وعيد ميلاد المسيح في 25 كانون الأول وعيد الغطاس في 6 كانون الثاني ثم عيد 17 آذار و 1 نيسان و 4 و 5 منه أيضاً وعيد الغدير الثاني في 9 ربيع الأول وعيد ليلة نصف شعبان وعيد يوحنا المعمدان ويوحنا فم الذهب والشعانين والعنصره ومريم المجدلانيه واللييلة الأولى من رمضان واللييلة السابعة عشرة والتاسعة عشرة والحادية والعشرين والثالثة والعشرين والسابعة والعشرين منه وغير ذلك من الأعياد والليالي وأما أعياد الفرحة فهي عيد الفطر وعيد النحر من أعياد المسلمين ورأس السنة الشرقية في 1 كانون الثاني من أعياد النصارى ويسمونهُ عيد القوزلة. ولهذه الأعياد أصحاب معلومة تنتقل إليهم بالوراثة خلفاً عن سلفٍ فمتى وقع عيد من هذه الأعياد يجتمع الناس إلى بيت صاحب العيد ويأتي الامام

ويجلس وتوضع أمامه خرقة بيضاء فيها محلب وكافور وشموع وورق الريحان والزيتون وانااء مملوء خمراً ونقيع العنب والزبيب ويجلس نقيبان احدهما عن يمينه والآخر عن يساره وينتخب صاحب العيد نقيباً آخر للخدمة ثم يشرعون في تقديم العبادة والصلوات إلى الامام عليّ واجراء طقوس يسمونها قداسات وفي ختام الصلوات والقداسات يقدم لهم صاحب العيد طعاماً فيأكلون وينصرفون.

ومن أهم قواعد دينهم المحافظة على كتمانهم كل الحفاظ وعدم اباحته ولو أصبحوا في أعظم الخطر حتى خطر الموت وفاقاً لتعليم شيخهم الحسين بن حمدان الخصبي حيث قال إذا قيل لكم ابيحوا وتبرؤوا فعجلوا بمدّ اعناقكم ولذلك لا يسلمون الدين إلى احدٍ من أولادهم ما لم يبلغ من العمر ثمانى عشرة أو عشرين سنة فاذا بلغ هذا السن وعولوا على تسليمه اسرارهم الباطنة يجتمع منهم جمهور من الخاصة والعامة ويستدعونهم إليهم ويجرون بعض طقوس ويصلون لأجل قبوله السر وبعد اربعين يوماً يجتمعون ثانيةً ويسقيه الامام كاس خمرٍ ويؤمره أن يقول سرّ م س كل يوم خمسمائة مرة ثم بعد سبعة أو تسعة أشهر يجتمعون ثالثةً ويستدعونهم ويصلون ويتلون بعض سُور من سُورهم ويجرون بعض طقوس ثم يكلفه منهم اثنا عشر كفيلاً متعهدين بأنهم إذا باح بالسر يأتون به إلى الأمام ليقطعوه تقطيعاً ويشربوا دمه ويكفل هؤلاء الكفلاء كفيلاً آخران أيضاً على أنهم يقومون بكفالتهم ثم يستحلفون الفتى مراتٍ كثيرة بالأجرام السموية وبعض كتبهم الدينية أنه لا يبيح بالسر ما دام حياً وبعد ذلك يشرعون بتعليمه اسرار عباداتهم وصلواتهم شيئاً فشيئاً. هذا ومَن اراد الوقوف على طقوس النصيرية وصلواتهم وعقائدهم بأكثر تفصيل فعليه بكتاب الباكوره السليمانيه في كشف أسرار الديانة النصيرية تأليف سليمان الأذني الذي كان من أبناء شيوخهم وخرج عن مذهبهم بعد أن سلموه أسرارهم في مدينة اذنه بخمس سنين وذلك سنة 1856 واعتنق أولاً الديانة الموسويّة ثم تنصّر وجاء إلى اللاذقية وأقام فيها مدةً طويلة ثم سار إلى مرسين وهناك شرع، مشائخ النصيرية يستميلونه ويتظاهرون له بالوداد والحب والترحاب وما زالوا مع وعلى هذه الحال حتى أمّن وأركن إليهم فجعلوا يدعونه إلى بيوتهم في القرى ويصنعون

له الولائم إلى أن توغّل ذات مرة في قراهم فكان ذلك آخر العهد به.

أما النساء عندهم فليس لهنّ شيء من الاعتبار حتى أنهم يكتمون عنهنّ معرفة الديانة معتقدين أن النساء أخطّ من أن تكون عليهنّ واجبات دينية وانما قد خلّقن للخدمة ولاستكمال خط الرجال وحفظ التناسل وانهنّ من نسل ابليس اللعين عدو الله فلذلك محرّم عليهنّ معرفة دين الله ومنزلتهنّ عندهم لا تكاد تكون اسمى من منزلة الحيوانات وكلما زاد عند الرجل عدد النساء زادت دائرة أشغاله كما تزيد بزيادة الدواب والابقار مثلاً. وهم يشترون النساء بالثمن من آبائهنّ ويتزوجون بهنّ سفايحاً بدون سنة أو كتاب والثمن من 500 إلى 5000 غرش وقد يكون أقل أو أكثر بالنظر إلى النسب والحسب وتعدد الزوجات مباح عندهم فيحل للرجل أن يتخذ منهنّ كل العدد الذي يمكنه أن يشتريه ومنهم من يبيعون بناتهم إلى الغرباء كعبدات لأجل الخدمة ولما كانت النساء عندهم كالحيوانات كان من جملة عوائدهم البربرية المقايضة بهنّ فكثيراً ما يتقايض رجلان منهم على امرأتهما فيأخذ كلّ منهما امرأة الآخر وربما كانت احدهما حبلى من رجلها القديم فينتقل معها الجنين إلى حيازة الرجل الجديد ومن عوائدهم انه إذا اشترى الشاب منهم بنتاً ليتخذها زوجة وكانت في قرية غير قريته يجري عرساً احتفالياً يدعو إليه كثيرين فيغنون ويطربون ويرقصون على ضرب الطبل والزمر رجالاً ونساء ثم يذهبون على ضرب الطبل والتهاليل واطلاق البارود إلى قرية الفتاة حتى إذا قربوا منها يخرج إليهم أهالي تلك القرية بالعصي والنباييد والسكاكين قاصدين منعهم عن أخذ العروس فينتشب بين الفريقين الخصام والجدال الذي قد طالما يفضي الجلاذ وكثيراً ما يقع من الفريقين عدة جرحى ويستمر القتال منتشراً حتى يتوسط بينهما بعض الوجوه والمشايخ فيوقفون بينهما على أن يؤدّي العريس هبة مالية إلى أهل قرية العروس وبذلك ينتهي الخصام إلا إذا كان مع جماعة العريس بيرق كما جرت عوائدهم فأنهم يمنعونهم عن الدخول به إلى القرية مرفوعاً فإذا أبوا إلا رفعه عاد النزاع والقتال إلى ما كانا عليه واحتاج الأمر إلى تراض ثانٍ وبعد أن ينتهي من بين الفريقين كل نزاع يدخل العريس وجماعة القرية ويركبون العروس على فرسٍ ويذهبون بها إلى قريتهم واكثرهم مثخّن بالجراح وفي أثناء

سيرهم يطوفون بالعروس في كل قرية يمرون بها في طريقهم ويوقفونها امام بيت كبير القرية ويأخذون في الرقص والغناء حتى يأتي أهل البيت ويعطوا العروس هبة من الدراهم قدرها من 5 إلى 20 غرشاً بحسب قدر واعتبار أهل ذلك البيت وعند وصولهم إلى قريتهم يقفون أمام بيت الرجل فيصعد الرجل إلى سطح البيت وفي يده قضيب طويل وكذلك كل من معه ومع العروس وعند دخول العروس البيت يتضارب الفريقان بقضبانهم بقصد أن يضرب الرجل عروسه بقضيبه مرة أو أكثر ارهاباً لها لكي تتمكن هيبتها في قلبها. وهذه العوائد لم تنحصر عند النصيرية فقط بل سرى بعضها بالعدوى إلى النصارى والمسلمين سكان الجبال أيضاً. وإذا مات من النصيرية أحد يسرعون جداً بغسله ودفنه وبعد أن يدفنه يأكلون فوق قبره خبزاً ويدعون له بالرحمة وينصرفون وفي اليوم السابع بعد موته يتخذون وليمة يسمونها اسبوع الميت فإن كان فقيراً جمعوا من أقاربه ما تيسر من المال وذبحوا الذبائح وطبخوا الطعام فيأتي الناس ويأكلون ويترحمون عليه وإن كان غنياً ومن رتبة عالية عندهم اطلقوا فوق قبره مقداراً عظيماً من البارود إذ يكون قد اجتمع للاسبوع الوف من الناس ثم يأكلون وينصرفون.

وللنصيرية مزارات كثيرة تكاد لا تخلو قرية منها فأنهم كلما مات منهم شيخ تقى أو رجل مضياف عدوه ولياً وبنوا فوق قبره قبّة وانتشرت بينهم زيارته وإيقاد البخور على ضريحه ونذر النذور له وهم يعتبرون المزارات بهذا المقدار حتى أنهم قلما يحلفون بالله إلا كذباً لكنهم لا يجسرون أن يحلفوا بأحد المزارات إلا صدقاً على أنه قيل أنه في هذه المدة المتأخرة قد افترى شيوخ الطائفة الشمالية في جهة طرطوس وادنه بأن الحانث منهم بيمينه على مال النصراني أو مال الحكومة لا جناح عليه وأن هذه الفتوى ارسلت ونشرت عند هذه الطائفة في جهات اللاذقية وأنه شوهد بعد ذلك أن بعضهم حلف كذباً ببعض المزارات التي لم يكونوا قبلاً يحلفون بها يميناً باطلاً لأجل أي مسئلة كانت.

أما الاسماعيليون فهم بقايا الطائفة المشهورة التي كانت منتشرة في بر الشام وكان في يدها أشهر المعازل والحصون وهي فرع من الطائفة الباطنية التي تعتقد بوجود شيء

من الالوهية في علي ابن ابي طالب ولا يوجد خبر صريح عن تفاصيل معتقداتهم نظراً لشدة احتراسهم على اخفاء كتبهم الدينية ولم يسمع قط أن أحداً منهم افشى شيئاً من أسرار ديانتهم غير أنه يقال بتأكيد أن من جملة عقائدهم عبادة الفرج وانهم في الليلة الأولى من كل سنة يكون عندهم عيد فيجتمع رجال كل قرية منهم على حدة في بيت يغلقون بابه ويجرون بعض صلوات وطقوس على ضوء المصابيح وبعد ذلك يطفئون تلك المصابيح ويفتحون باب البيت فتدخل إليهم نساء وفتيات القرية وفي وسط ذلك الظلام يأخذ كل رجل منهم المرأة التي يعثر بها ويضاجعها في ذلك المحل وعلى ذلك قد يتفق أن الأخ يضاجع أخته والابن أمه ويسمون هذا العيد القبيح عيد البقيشه. أما هم فيتظاهرون بأنهم مسلمون سنيون ويصلون في الجوامع ويصومون شهر رمضان ويتممون كل الفروض الإسلامية وهم أنشط وأقل جهالة وشرّاً من النصيرية قيل أن ما يأتي هو سورة من سور صلوات الاسماعيلية وأنها منقولة عن كتبهم وهي هذه بحروفها.

«إذا جاءت المرأة إلى عندك فاكشف عن ساقها الايمن بين لك حبك ومحوبك وغايتك ومطلوبك فاجذبه صوبك وقل وجهت وجهي إلى نور مولاي فاطر السموات والأرض حنيفاً مسلماً وما من المشركين فتجد منه ومن شيخه شيئاً ليناً ثغر المباسم بشفتين وشاربين والعسل ينقط من شفثيه الاثنتين فاسجد عليه يا اعرابي لأنه باب المسجد كانت الجنة لها أربعة اناهار من غسل مصفى وضبتها سرتها وأناهار من ماء صلبها هنيئاً لمن شرب من تحت فخذيها وتبتو يا تبتو والشعر حوله انبتو يا حج مسعود منك خرجنا واليك نعود فريس المتقى ابن خد المنقى يا سيدي هوّن عليّ أمور دينك من السرّه إلى الركبه حسّو حسّو لا نشرك به أبداً. (انتهى)

ولنذكر الآن حالة وعوائد الطوائف الأخرى التي في الجبال فنقول أن النصارى لما كانوا قليلي العدد ومتفرقين بين النصيرية والمسلمين غالباً فليس لهم عوائد مستقلة وإنما الذين هم بين النصيرية منهم فأكثر عوائدهم تشابه عوائد النصيرية والذين هم بين المسلمين فعوائدهم كعوائد المسلمين في الغالب وأما المسلمون فهم أقل جهلاً وأحسن حالةً وعيشةً

من النصيرية ولأكابرهم بيوت مناسبة واثاث نظيف وحيثما دخلت من قراهم تجد منزلاً عند كبير القرية وخصوصاً إذا كان من الأغاوات ومأكلاً مقبولاً وفراشاً نظيفاً فإن من عوائدهم قرى الضيف وهم منقادون للحكومة ولا يميلون للتشويش ولا للسرقه وقطع الطرق ما خلا أهالي مقاطعة صهيون فانهم ولئن كانوا مسلمين لكنهم مماثلون للنصيرية في دناءة معيشتهم وتعدياتهم وحبهم للفتن وميلهم للسلب وقطع الطرق وسفك الدماء وقد طالما أضروا بأبناء السبيل وقرى الساحل ومع أن لهم ما للنصيرية من الجرائم والذنوب لم تشهر الحكومة عليهم قط عصا التأديب التي طالما اشهرتها على النصيرية وما ذلك الا لتحزب مسلمي اللاذقية لهم ومحاماتهم عنهم المحاماة التي تبعثهم إليها العصبية والغيرة المذهبية الغير المرتبة التي يتولد عنها تمادي الصهاونة في الفجور وارتكاب المعاصي وبالنتيجة في الخطأ بحق أنفسهم ولاضرر بحق عباد الله تعالى على أن الصهاونة مع كل شرورهم يتظاهرون بطاعة الحكومة ويترددون إليها في الغالب ولعل الذي يحملهم على ذلك بخلاف النصيرية اطمئنانهم بأن اتحادهم مع الحاكم ووجوه البلدة في المذهب يستر مساوئهم كما هو الواقع وبواسطة ترددهم إلى الحكومة وعدم تمنعهم عن الحضور إليها حين الطلب لا يُنسب إليهم تمرد عند أولياء الأمور ويتمكن مساعدوهم من ستر زلاتهم وقبائحهم.

الفصل التاسع

في انهر لواء اللاذقية وحيواناته وحواصله

أما أنهر لواء اللاذقية فاثني عشر اثنان منها شمالي اللاذقية وهما نهر وادي قنديل ونهر العرب وأربعة بين اللاذقية وجبله وهي النهر الكبير ونهر الصنوبر ونهر المضيق ونهر الروس وستة إلى جنوبي جبله وهي نهر جريصون ونهر الملك ويقال له نهر السن أيضاً وعند مصبه إلى الجنوب آثار مدينة بالتوس ثم نهر جوبر ونهر ابن برغل ونهر بانياس ونهر الحسين ومن هذه الأنهر ما هو صغير كالسواقي وذلك كنهر بانياس وغيره وجميع هذه الأنهر خالية من الجسور إلا النهر الكبير فإن عليه جسراً بخمس قناطر بناءً السلطان صلاح الدين الأيوبي وقد كاد يتعطل فرُمم في أيام السلطان عبد الحميد خان بمدة قائم مقامية مظهر أفندي سنة 1859 وأما نهر الصنوبر فكان له جسر بقنطره واحدة ولم يزل ثابتاً إلا أن مياه النهر تحوّلت من تحته إلى جهة أخرى فأصبح عديم الفائدة وكذلك نهر السن عليه جسر بخمس قناطر صغيرة وأما باقي الأنهر فقد كان عليها جسور قديمة إلا أنها تهدمت وبقيت بلا ترميم كما هي العادة مع أن أكثر هذه الأنهر خطراً في أيام الشتاء والربيع.

وأما حيوانات لواء اللاذقية فمنها الخيل والحمير والبقر والغنم والمعزى والجمال والجاموس والغزال والأرنب والخنزير البري والثعلب وابن آوى والضبع والدب ونوع من النمورة في أعالي الجبال وفيه كثير من أنواع الطيور الأهلية والبرية والماشية فيه قليلة والشاء التي تُذبح في اللاذقية للأكل تجلب من نواحي حلب.

أما حواصله فمنها الزيتون والتوت والميس والحوار والازدרכת والنخل والجميز واللوز والجوز والصفصاف والسرو والآس والقطن والشرانق والعسل والشمع والاسفنج والصوف ومن الفواكه التين والعنب والتفاح والمشمش والكمثري والخوخ والدراقن

والليمون بأنواعه والرمان والصبير ومن الحبوب الحنطة والشعير والعدس والكرسنه والحمص والفل والذرة البيضاء والسسم والهلج جرأ. ومن الرياحين شجر الحناء وأنواع الورد والياسمين والقرنفل والفل والرنجس وما اشبه ذلك وفيها أيضاً أكثر أنواع الخضر والبقول التي تُؤكل وفي جبالها أنواع من التبغ أكثرها التبغ المسمى مدخوناً أو جبلياً ويُقال له أبو ريحه أيضاً وسيأتي ذكره وفي مقاطعتي البوجاق والباير تكثر أشجار الصنوبر والبلوط فتُقطَع منها أخشاب للوقود والبناء وتُرسل إلى القطر المصري. وقيمة هذه الحواصل السنوية تبلغ نحو خمسة وثلاثين مليوناً من الغروش. والأصناف التجارية منها التي تُرسل للخارج هي الحنطة والشعير والتبغ والقطن والسسم والذرة البيضاء والاسفنج والصوف والأخشاب والشمع والشرانق. وأما باقي الحواصل فلا تزيد عن احتياجات الأهالي وبعضها ينقص أحياناً عن احتياجاتهم. أما الفواكه فأكثرها التين وهو أنواع كثيرة ويعتني الفلاحون بغرسه أكثر من غيره لأنهم يقتاتون به رطباً ويابساً أكثر أيام السنة إلا أن صناعة تبيسه غير متقنة فقليل من اليابس ما تقبل أكله نفوس غير الفلاحين أما العنب فهو أنواع كثيرة وقد كانت كرومه في الزمان القديم كثيرة بهذا المقدار في اللواء حتى أنها كان يُعصر من ثمرها مقادير عظيمة من الخمر فكان لللاذقية تجارة واسعة فيه حتى لُقبت بلاذقية الخمر وكان عظماء الاسكندرية في أيام رونقها القديم يشربون في ولائهم من خمر اللاذقية فانه كان أجود الخمور التي كانت تُرسل إلى تلك المدينة الشهيرة من جهاتٍ مختلفة وما زالت كروم العنب تتأخر في جهات اللاذقية وعصير الخمر يقل حتى زال الآن بالكلية وقد قلَّ وجود الكروم فيها ولا سيما منذ نحو 15 سنة إذ أصاب أثمارها وباء فاستمرت سنين متوالية لا تصح ولذلك قطع الأهالي أكثر الكروم ولم يبق منها إلا القليل وكذلك جرى بشجر التوت أيضاً إلا أنهم الآن عادوا لغرس هذين النوعين إذ ظهر أن الوباء قد زایلهما واخذوا يجددون تربية دود الحرير أما الزيتون فلم يكن منه في اللاذقية سوى الأشجار القديمة العهد التي مضى على غرسها أجيال ولم يكن يعتنى به ففي سنة نحو 1840 بدا للخواجه الياس سعاده أن يغرس منه وشرع في العمل فغرس شيئاً فشيئاً كميةً وافرة فلما ظهرت أغراسه ونمت

تولدت الغيره عند باقي نصارى المدينة فحذوا حذوه مواظبين الغرس في كل هذه المدة حتى بلغ عدد الذي غرسوه لحد الآن نحو ثلاثماية الف غرسه كثير منها قد صار شجراً وابتدأ باعطاء الثمر ولذلك لا بد أن يكون في اللاذقية في المستقبل محصول وافر من الزيت. واكثر هذه الأغراس هي في القرى القريبة من المدينة مسلّمة للفلاحين على أن يكون لهم نصف غلتها الربع بالملكية تحت خدمتها وفلاحتها على بقرهم لحينما تثمر والربع الآخر بالمساقاة تحت جنايتها بعد اعطاء الثمر. ومنها ما يُفْلَح على بقرٍ من عند اصحابه الذين يستخدمون لفلاحته فلاحين بأجرة مالية لكي يتخلصوا من تمليكهم ربعه.

الفصل العاشر

في حالة الزراعة في لواء اللاذقية

أما الزراعة فولئن كانت قد تحسنت عن السابق بسبب انتقال أراضٍ كثيرة بالشراء من أيدي الفلاحين إلى أيدي أهل المدينة والتمولين الذين يعتنون بتشغيل الأراضي وبذل المال على تحسينها وإصلاحها طلباً لزيادة الدخل إلا أنها لم تزل غير متقنة كما يجب وما برحت على الطريقة القديمة ومنذ ثلاث سنين اعتنى الخواجه شارل بزواجوسكي بإدخال طريقة جديدة فاستجلب أوائل للحراثة من ألمانيا مع عائلتين من الفلاحين الألمانين واستخدم البغال والخيول في الفلاحة عوضاً عن البقر الجاري اصطلاح أهل اللاذقية عليه إلا أن عمله هذا لم يصادف نجاحاً واقبالاً. قيل أن سبب ذلك سفر إحدى العائلتين إلى بلادها وعدم كفاءة العائلة الثانية للقيام بالخدمة اللازمة للعمل. على أنه لا ريب في أنه إذا بدلت الأوائل القديمة بأوائل جديدة صالحة لشق الأرض شقاً بالغاً وتنظيفها من الأعشاب وروعت بعض ظروف لا بد من مراعاتها اتباعاً للمناخ وطبيعة الأراضي تتزايد الناتجات وتتضاعف الفائدة. أما أراضي اللواء فهي متوسطة في الخصب وتغل الواحد سبعة من القمح في السنة المعتدلة في الساحل وأما أراضي الجبال فتغل أكثر من ذلك ولعل أراضي الساحل تزيد على ذلك لو لم يكن الفلاحون المؤلفون من طائفة النصرية كسالى لا يخدمونها كالواجب أما أصحاب الأراضي أبناء البلد فأنهم يزارعون عليها الفلاحين بربع الخارج لكن الفلاحين لا يكتفون بذلك بل يسرقون من البذار ومن علف البقر ومن السنابل وقت الحصاد ومن كل ما تصل يدهم إليه في الخفاء كما أن بعضهم يسرق بعضاً أيضاً ويطلقون الدواب بلا راع فتدخل الأراضي المزروعة والمغروسة وترعى فيها فتعطل الزرع والأغراس وقد طالما اجتهد أهل البلد بإزالة هذه العادة المضرة فلم يتيسر لهم ذلك لادمان الفلاحين عليها وعدم اعتناء الحكومة والمجلس في تأديبهم.

الفصل الحادي عشر

في صنائع اللاذقية

أما الصنائع في اللاذقية فلا يوجد منها إلّا ما لا بد من وجوده في احقر المدن كالصبغة والخياطة والعقادة والصبغة والسكافة وصناعة الحدادين والتكاريين والتجارة والبناء وعمل الفخار وما شاكل ذلك وجميع هذه الصنائع متأخرة لم يبلغ أحد من أربابها درجة الاتقان والمهارة في أحداها وكلها جارية على الأصول القديمة التي ورثت عن الآباء والأجداد أما صناعة الحياكة فقد كان يعيش منها كثيرون قبلاً في اللاذقية ولئن لم يكونوا يحوكون سوى الأقمشة البسيطة كالخام والحرير للأقمصة وما شاكلهما لكنّه بعد دخول الأقمشة الافرنجية إلى هذه البلاد أخذ يتناقص رواج المحوكات البلدية فضعفت فيها تلك الصناعة حتى أنها في أيامنا هذه لا توجد إلّا نادراً.

الفصل الثاني عشر

في تجارة اللاذقية

أن الأصناف التجارية التي تصدر من اللاذقية هي التبغ والحنطة والشعير والقطن والسمسم والذرة البيضاء والاسفنج والصوف والأخشاب والشمع والسمن والزيت والصابون وجلد البقر والغنم والخرق وعظام الحيوانات، وأهمها التبغ وهو جنسان جبلي وجدار فالجبلي هو ما يُعالج بالتدخين فيكتسب اسوداداً مع لمعان ورائحة عطره يستفيد منها دخان الحطب الذي يُوقد تحته المسمّى عذراً وهو من طائفة البلوط وسيأتي ذكر كيفية الاهتداء إلى معالجته على هذه الصفة في محله من التاريخ وهو يحصل في جبل الأكراد ودريوس وعمامرة وبيت الشلف وعمامرة المهالبة والنواصرة أما الجدار فهو ما يُترك بعد قطفه وجفافه على حالته الطبيعية وتحت أنواع جدار جبلي ومنقّى ويُقال له شك البنت أيضاً وهما يحصلان في المهالبة وساحل بيت الشلف وبايرلي أو انطاكي وهو يحصل في مقاطعتين البائر والبوجاق وطرطوسي وهو يحصل في بعض مقاطعات السميت قبله والمرقب والخابي وأجود هذه الأنواع هو شك البنت على أن كلها أدنى قيمة وأهمية في التجارة من الجنس الجبلي وقد كانت تجارة التبغ في الجيل الماضي محصورة في يد أرباب شركة مخصوصه سموها بالكرخانة فكانوا يجمعون كامل حاصلاته في خان الاسكله الذي جعل وقتئذٍ مركزاً للكرخانه (ولذلك دُعي خان الدخان) وذلك تحت إدارة نظار ووكلاء وكتاب منهم وقد اكتسبوا هذا الامتياز بواسطة تعهدهم للحكام بالأموال الأميرية التي تُطلب من الجبال فكانوا يساعدونهم على حصر التبغ بأيديهم بحيث لا يمكن لاحد أن يتاع شيئاً منه من زراعته خارجاً عن الكرخانة، وكانت اسماء أصحاب الأسهم في الكرخانة معروفة عند الدوله في القسطنطينية فكانت في كل سنة ترسل لكلٍ منهم جبة مزركشاً على طوقها

اسمه بقصب الفضة وبهذا الاتفاق كانوا يحصلون عليه بأسعار تناسبهم ومصاريف قليلة وفي أوائل هذا الجيل انحلت الشركة المرموقة وألغيت امتيازاتها فصار كل من التجار يتاجر بالتبغ على حدة غير أنهم كانوا يقطعون لكل من أنواعه سعراً موحداً عمومياً، وذلك أنه في بداية موسمهِ كانت تذهب عمدة من التجار إلى الجبال وتقطع سعراً مع المقدمين والوجوه الذين كانت تلتزم غالباً أن تدفع لهم هبة مالية ليهاودوها في السعر وكان تجار التبغ الجبلي يسلفون غالباً عليه نقوداً وبضائع للزراع ويضيفون على ما يدفعونه سلفاً 25 في المائة فايضاً مقطوعاً ولو لم يكن قد دُفع الا قبل حلول الموسم بشهرين هذا فضلاً عن ربحهم بما يكونون قد دفعوه بضاعة الذي لم يكن اقل من 10 في المائة وعن ربحهم بالتبغ نفسه فحصل تجار اللاذقية من هذه التجارة على ارباح جسيمة ونجحوا نجاحاً عظيماً ولا سيما النصارى الذين امتلكوا الحرية بالتظاهر والتجارة بعد دخول الحكومة المصرية سنة 1832 واستمرت هذه الحال سالكة على هذا المنهج إلى سنة 1867 وكان يُشترى التبغ من الزراع بالحمل الذي هو 117 شكاً ومعدل سعره كان ما بين 110 غروش و80 غرشاً وإنما دعي كل 117 شكاً حملاً لأنها كانت في الزمن السابق لا تزيد عن محمول دابة ثم ما زال الزراع يصغرون شكوكه لجزر النفع بتكثير عدد الأحمال حتى أصبح الحمل ما بين 10 و6 أقات فقط ثم منذ سنة 1867 أخذت تجارة هذا الصنف بالتأخر والانحطاط وتجنّس تجاره خسارات باهظة بسبب التقلبات التي أجرتها الدولة في رسم كمركه وقد كان هذا الرسم بعد خروج الحكومة المصرية من هذه الديار غرشاً ونصفاً على أقة العال وغرشاً واحداً على الوسط ثم جعلت الدولة زيده شيئاً فشيئاً حتى بلغت الزيادة ضعف الأصل وذلك قبل سنة 1862 وكانت الكمارك في الغالب تُعطى بالالتزم من طرف الدولة لمدة سنة أو أكثر وسنة التزام كمرك التبغ تبتدي من شهر حزيران فكان ملتزموه في اللاذقية قبل نهاية مدتهم بنحو شهرين يتفقون مع التجار على تدنية الرسم في المدة الباقية لهم إلى نصف قيمته الأصلية ويعطونهم التسهيلات اللازمة ويدفعون لهم مصاريف قطع السعر ومنهم من كان يقرض التجار نقوداً وافرّة بعد احتياجهم لكي يسهل لهم أن امكنه شحن حاصل التبغ الجديد جميعه في المدة

الباقية من سنة التزامه وكانوا يدعون ذلك تمريناً للشروع، غالباً في شهر مارت (ادار) ومع أنه من شروط امر التفويض الذي كان يُعطى للملتزمين من قِبَل الدولة أنهم لا يُسمَح لهم بأن يزيدوا أو ينقصوا فلساً واحداً من الرسم المعيّن من طرفها وإن فعلوا كانوا تحت القصاص فلم تكن حكومة اللاذقية تعترضهم في اجراء التمرين مع علمها بهِ حال كونه يسلب من الدولة رسم حاصل سنة كاملة. وفي سنة 1862 ابطلت الدولة عادة اعطاء الكمارك بالالتزام وجعلتها شعبةً مستقلة من مالياتها تحت إدارة وزارة مخصوصة في القسطنطينية ورفعت رسم التبغ. أعلاه إلى 24 غرش وأدناه 6 غروش على الأقة ثم نحو سنة 1865 جعلته 12 غرشاً مقطوعةً على كل أقه من أي نوع كان ثم سنة 1867 جعلته 6 غروش فقط وهذا سبب خسارة باهظةً للتجار لأنه حدث في وقتٍ كان فيه عندهم كميات وافرة من التبغ مدفوعاً رسم كمرکہا 12 غرشاً على الاقة وجرّ ذلك إلى افلاس كثيرين من تجاره في القطر المصري فهلك بدمتهم أموال كثيرة لتجار اللاذقية علاوة على خسائهم بسبب تدنية الرسم ومن هذا الوقت ابتدأت تجارة التبغ أن تتأخر في اللاذقية وزهد أهالي القطر المصري في استعمال التبغ المدخون ومالوا إلى الكوراني محصول جبل لبنان فقلّت قيمته في اللاذقية ولم يعد دخله للفلاحين يسدُّ بعض احتياجاتهم فضلاً عن وفاء الديون التي عليهم للتجار وبهذا السبب هلك للتجار أيضاً بذمة الفلاحين مبالغ وافره واقتصروا من ذاك الحين عن اعطاء السلف عليه وصاروا يشترونه حين حلول موسمه بالنقد والوزن من سعر 3 غروش إلى سعر 7 غروش الاقه كما هو الحال الآن وفي سنة 1871 رفعت الدولة رسم كمرکہ إلى 8 غروش على الاقه وهذا مع قلة رواجه في القطر المصري قد زاد تأخر تجارته وغدا الربح منه نادر الحصول.

ثم قد يرسل جانب من التبغ الجبلي في بعض السنين ال انكلتره واوستريا وإيطاليا وفرنسا إلا أنه في تلك الممالك لا يُعدّ صنفاً تجارياً يعتمد عليه ومقطوعيته فيها محدودة بنوع يستلزم أن يكوّن الكميات التي تُرسل إليها منه ذات حدٍ مرتّب ولذلك لا يتجاسر جميع التجار على الارسال منه إليها خوفاً من أنه إذا تراكم فيها يصادف أكثره كساداً ينتهي بهِ إلى التلف.

أما باقي الأصناف التجارية التي تصدر من اللاذقية فمنها هو من الحواصل المحلية كالاسفنج والشرانق ومنها ما هو مختلط من المحليه ومن حواصل جهات جسر الشغور وادلب كالقطن والصوف والحبوب وقد يُجلب من جهات الجسر وادلب الزيت أيضاً لطبخ الصابون. وقد جرى تعديل الأصناف الصادره من اللاذقية وقيمتها سنة 1872 فوُجدت كما يأتي:

قيمة غرش	تبغ غرش	سعر غرش الاقة اقه 5	
	660000	132000	صادر إلى انكلتره
	14000	002800	صادر إلى اوستريا
	006500	001300	صادر إلى فرنسا
2226900	1546000	309200	القطر المصري
2226500	2226500	445400	
	10500	1400	الى انكلتره
	236250	31500	الى اوستريا
	504750	67300	الى فرنسا
	501750	66900	الى ايطاليا
	009000	01200	الى بروسيا
	050100	06680	الى بيروت
			وغيرها من البلاد العثمانية
1312450	1312450	174980	
	حنطه	سعر 20	
	غرش	كيله اسلامبولية	
	18000	0900	الى انكلتره
	31000	1550	الى فرنسا
	355800	17790	الى أساكن سوريه
404800	304800	20240	
	سمسم	سعر	
	غرش	اقه 20	
	77500	31000	الى فرنسا
	155000	62000	الى قطر المصري
			إلى أساكن سوريه
232500	232500	93000	
4176150			
	شعير	سعر 10	

غرش	كيله إسلامبولية	
10500	1050	الى فرنسا
66500	6650	الى أساكل سوريه
77000	7700	
ذرة بيضاء	سعر 12	
غرش	كيله إسلامبوله	
240000	20000	الى انكلتره
060000	05000	الى أساكل سوريه
300000	25000	
اسفنج	سعر	
غرش	اقه 50	
180000	3600	الى اوستريا
165000	3300	الى فرنسا
345000	6900	
0450000	شرانق صادر إلى فرنسا الـ 150000 سعر 40	
0625000	صابون إلى مصر وطرطوس وغيرهما اقه 125000 سعر 5	
0100000	صوف إلى انكلتره وفرنسا وايطاليا	
0120000	زيت إلى بعض أساكل سوريه وغيرها اقه 24000 سعر 5	
6193150		
0076800	سمن صادرة إلى بعض أساكل سوريه وغيرها اقه 6400 سعر 12	
0018000	شمع عسلي إلى فرنسا وبعض البلاد العثمانية	
0700000	اصناف مختلفة كجلود المعزى والغنم والبقر وغير ذلك إلى فرنسا	
	وخرق وعظام إلى انكلترا وأخشاب إلى بر مصر وغيرهن إلى غيرها	

6987950

أما الأصناف الواردة إلى اللاذقية فلم يتيسر تعديل مقدارها وقيمتها وهي مؤلفة من أقمشة الحرير والصوف والقطن المختلفة الأوروبية والرز الافرنجي والمصري والسكر والبن وزيت البترول وغير ذلك وقد كان تجار اللاذقية في أوائل هذا الجيل يجلبون الأقمشة الأوروبية من قبرص وحلب ثم بعد ذلك صارت اللاذقية اسكلة لحلب عوضاً عن الاسكندرونة بسبب انسلااب الأمن الذي عرض في الطريق هناك فتواردت إليها المراكب الافرنجية وصار لتجارها علاقات مع تجار أوروبا فجعلوا يجلبون أكثر الأقمشة رأساً من

البلاد الافرنجية واستمر ذلك مدةً طويلة غير أن بعض الوكلاء في اللاذقية سلكوا مسلكاً سلب عنهم ثقة تجار حلب بهم فحولوا أشغالهم إلى الاسكندرونه ثانيةً مغتربين فرصة عود الأمن إلى طريقها وفقدت اللاذقية ذلك المركز الذي كانت قد اكتسبته. وكان أيضاً يُجلب إليها كميات وافرة من الرز المصري وجلد الجاموس والحناء فيقصدنها تجار ادلب وحلب وكل تلك الجهات لمشتري ما يلزمهم من هذه البضائع ولكن في عهد الحكومة المصرية ادخل ابراهيم باشا إلى مدينة مرعش ونواحيها زراعة الرز ونما محصوله فيها. مع تمادي الأيام حتى صار يغني قسماً كبيراً من الأهالي عن الرز الغريب ثم أُضيف إلى ذلك دخول الرز الافرنجي مذ سنة 1860 إلى هذه البلاد ووروده إلى حلب عن طريق الاسكندرونه فضعفت بذلك تجارة الرز في اللاذقية وأقتصر منها على ما يكفي المدينة وجهاتها واكثر الرز الذي يُجلب إليها الآن انما هو من الافرنجي. أما جلد الجاموس والحناء فقد انقطعت تجارتها من اللاذقية أما الأول فلدخول صناعة الأحذية الافرنجية وأما الثاني فلقلة استعماله من هذه الجهات وتحول ما يرد منه إلى حلب إلى طريق الاسكندرونه فانقطعت بذلك الأرباح الكثيرة التي كانت تحصل لتجار اللاذقية من هذه الأصناف وأما الأقمشة والبضائع الافرنجية وغيرها فتجلب في أيامنا هذه من مدينة بيروت وكذلك أكبر قسم من الرز الافرنجي والسكر. ومع أن لكثيرين من تجار اللاذقية علاقات أكثر مما كان لهم في السنين السالفة من مدن أوروبا نظراً لازدياد الصادرات عن السابق فيستعيضون عن قيمة الصادرات بالنقود ولا يستبدلونها بأقمشة وذلك لأن البازين وغيرهم في اللاذقية لا يميلون أن يشتروا من تجارها نوعاً أو نوعين من أنواع الأقمشة عندما يضطرون لجلب باقي الأنواع من بيروت بل يفضلون أن يستجلبوا منها دفعةً موحدة كل لوازمهم فأنهم قد تعودوا أن كل واحد منهم يطلب من عميله في بيروت أصنافاً متنوعة من حاصلات أقاليم مختلفة من أوروبا وآسيا بوقت واحد مما لا يتيسر لتجار اللاذقية أن يتاجروا به جميعه لكثرة أنواعه وعدم امتداد علاقاتهم إلى اقليم كل محصول منه.

أما السفن التي تحمل صادرات وواردات اللاذقية فهي تجارية وشرعية فمن التجارية

ما هو منتظم يقدم في أيام معيّنة سائراً في خطٍ معلوم ذهاباً وإياباً وهي البواخر الفرنسية التي لشركة الميساجيري والبواخر الروسية التي للشركة البحرية والطرق الحديدية والتجارية والبواخر الخديوية التي لخديو مصر وهذه الأخيرة متوقفة عن المسير في خط سوريا الآن. ومنها ما هو غير منتظم يقدم بحسب اللزوم وفي الجدول الآتي ترى عدد السفن التجارية والشراعية التي دخلت مرسى اللاذقية سنة 1872.

محمولها طونولاتو عددها

تجارية		
محمولها	عددها	
48043	50	فرنساويه
34333	47	روسيه
06328	09	عثمانيه
03975	05	انكليزيه
92679	111	
1111192679		
1111192679		

السفن الشراعيه

السفن الشراعيه		
محمولها	قدرها	
14500	672	عثمانيه
00440	002	انكليزيه
00083	001	يونانيه
00200	001	تحت بيرق اورشليم
15224	676	
6717615224		
787.107902		

الفصل الثالث عشر

في دخل الدولة من لواء اللاذقية وخرجها

أن الأموال السلطانية المرتبة على قضائي اللاذقية وجبله هي أولاً ويركو الأملاك وهو مال مضروب على بيوت وسائر مسقفات أهالي المدن ثانياً ويركو التمتع وهو مضروب على كل من أهالي المدن بنسبة دخله من تجارة أو صناعة ثالثاً بدل العسكرية وهو مال مضروب على النصارى فقط مقابلاً لاعفائهم من الخدمة العسكرية الشخصية رابعاً عشر المزروعات والأثمار خامساً رسم المعز والغنم وهذان القسمان تعطيهما الحكومة بالالتزام سنوياً على الغالب سادساً ويركو القرى وهو مال مضروب على أهالي المقاطعات باعتبار الذكور البالغين سابعاً الرسوم الكمركية وهو مال يؤخذ على الصادرات والواردات من البضائع ثامناً رسم الطابو وهو مال يؤخذ على الأراضي لأجل إباحة حق التصرف بها أو إثبات صحة التفرغ عنها وانتقالها من يد متصرفٍ إلى يد آخر.

أما خرج الدولة في اللواء فهو مؤلف من معاشات المأمورين والكتاب والضابطين والعساكر النظامية والمصاريف النثرية وفي الجدول الآتي ترى تعديل دخل الدولة من قضائي اللاذقية وجبله وخرجها سنة 1872.

الدخل

غرش

دخل قضاء اللاذقية

ويركو املاك وتمتعات المدينة	1396064	$\frac{1}{2}$
ويركو القرى	335070	
بدل عسكريه	047723	
ذخائر مرتبة	001355	
رسم كمرك بما فيه جبله	2109242	
رسم طابو	192000	
عشر	1519674	
رسم ماعز وغنم	260000	$46046701 \frac{1}{2}$

دخل قضاء جبله

ويركو املاك وتمتعات المدينة	503720	
وویر کو القرى		
عشر وحاصلات الأوقاف	1554000	
والشمسيات ⁽¹⁾		
رسم ماعز وغنم	0296000	
بدل عسكريه	0029470	
رسومات مختلفه	0021500	
رسم طابو	0070000	
	2474590	2473590
	707826001	$\frac{1}{2}$

(1) قرى أوقاف السلطان ابراهيم بن أدهم والقرى الشمسيات يؤخذ منها حامل، وهو عبارة عن ضعف العشر ومرتببات أخرى على أعمدة البيوت وعتيدها.

الخرج	
<div> <div> معاشات مأمورين وكتاب وضابطين مشاة وفرسان ومصاريف نثرية في قضاء اللاذقية </div> <div> 438900 </div> </div>	
<div> <div> معاشات ومصاريف إدارة الرسومات الكمركيه </div> <div> 196738 </div> </div>	
<div> <div> معاشات مأمورين وكتاب وضابطين مشاه وفرسان ومعاونين في قضاء جبله ومصاريف تكية السلطان ابراهيم </div> <div> 320000 </div> </div>	
<div> <div> مرتبات ونفقات العساكر النظامي في اللاذقية وجبله في الظروف المختلفة بوجه التقريب </div> <div> 1800000 </div> </div>	

2755638

$$432262212 \frac{1}{2}$$

$$432262212 \frac{1}{2}$$

فتكون زيادة الدخل عن الخرج أربعة ملايين وثلاثمائة واثنين وعشرين ألفاً وستماية واثنين وعشرين غرشاً ونصف غرش.

الفصل الرابع عشر

في اعتبارات أخرى متعلقة بجغرافية اللاذقية

اعلم أن مناخ اللاذقية موصوف بالاعتدال والجودة وهي مركز كرسي مطران للروم الارثوذكس تابع للبطريرك الانطاكي وفيها لكل من دول انكلترا وفرنسا وروسيا والمانيا وأميركا والنمسا واسبانيا وايطاليا وهولاندا والدانمارك واليونان وايران فيجة أو وكيل قنصل وسنطلق غالباً لفظة قنصل في تاريخنا على أرباب هذه المناصب بحذف قبجية أو وكيل للاستغناء عنها وجميع هؤلاء القناصل وطيون أو متوطنون وليس لأحد منهم معاش من الدولة المنسوب من قبلها بل كل منهم يتخذ الوظيفة لتحصيل الشرف والاعتبار وحماية أشغاله وأملاكه.

وأعلم أيضاً أن كلما ذكر في هذه الجغرافية إنما هو باعتبار الحالة الراهنة سنة الشروع في تأليف هذا الكتاب التي هي سنة 1873 مسبحية فإذا حدث تغيير ما في السنين المستقبلة التي نتصل إلى ذكر حوادثها في مؤلفنا فسنذكر ذلك التغيير في محله من التاريخ.

القسم الثاني في تاريخ لاذقية العرب

لقد اعلمت التواريخ القديمة انه في المركز القائمة فيه مدينة لاذقية العرب الآن كانت في الدهور الأولى مدينة تُدعى راميثا أي المرتفعة أو على ما في كتاب فيلون الجبيلي راماتاس مركبة من راماتاس والتأويل الاله السامي وكانت المدينة المتطورة شهيرةً بهيكلٍ عظيم كان فيها للزهرة وكانت مستقلةً عن فينيقية وبعضهم يحسبها من جملة فينيقية، وهي داخله في أرض ميعاد بني اسرائيل حسب الرأي الأصح التي كان حُدّها الشمالي عند جبل الأقرع إلا أن التواريخ لم تخبرنا أنها دخلت في حيازتهم والظاهر أنها انحطت أو خربت بالزلازل أو بأسباب أخرى مجهولة فجدد بناءها أحد قواد الاسكندر ذي القرنين وهو سلوقس نيقاتور (أي الغالب) مؤسس الدولة السلوقية في سوريا الذي تبوأ سرير مملكة سوريا سنة 301 قبل التاريخ المسيحي وسماها لادوكية باسم امه ف قيل في تعريب هذا الاسم اللاذقية وقد بنى الملك المذكور عدة لاذقيات غيرها منها لاذقية فيرجيا ولاذقية بيسيديا ولاذقية لبنان وكانت بين حمص وبعبك إلا أن اللاذقية التي هي موضوع تاريخنا كانت اعظمهنّ واكثرهنّ شهرةً واعتباراً ولأجل التمييز بينها وبين المدن الأخرى المسماة باسمها قيل لها في القديم اللاذقية العظمى واللاذقية على البحر كما دعاها استرابون ولما افتتحها المسلمون دعوها لاذقية العرب. وقد بنى سلوقس المذكور مدينة انطاكية العظمى باسم ابيه وجعلها قاعدة مملكته ومدينة سلوقية التي كان موقعها قريباً من موقع السويدية الآن باسمه ومدينة افاميه على نهر العاصي باسم امرأته وبنى أيضاً عدة مدن في مواقع مختلفة بهذه الأسماء إلا أن المدن المذكورة هنا كانت أعظم كل ما سواها من المدن الأخرى المتفقة معها في الأسماء قال استرابون انطاكيه عند رفته (وهو هيكل قد عفى اثره وموقعه يسمّى الآن طواحين بيت الماء) وسلوقيه في بياريا وافاميه واللاذقية على البحر هي مدن عظيمة وتسمّى

اخوات لاتفاقها وكانت البقعة المبنية فيها اللاذقية وسلوقية وانطاكية وافاميه تُدعى قديماً تترابوليس وهي لفظة يونانية معناها اقليم المدن الأربع. واستمرت اللاذقية تابعة للدولة السلوقية إلى سنة 64 قبل المسيح إذ أتى الرومانيون تحت قيادة بومبايوس واستولوا على سوريا فدخلت اللاذقية تحت سلطتهم في جملة مدن سوريا وكانت حكومة روميه إذ ذاك جمهورية وبعد ذلك بقليل تغلب جوليوس قيصر على رجال المجلس في روميه واستمال إليه الشعب والعساكر وسمّى نفسه ملكاً وهو أول القياصرة فجعل اللاذقية حرّة وسماها جوليا باسمه على ما رواه لوكويان في الشرق المسيحي مجلد 3 صفحة 79 وبعد مدة اتفق بعض الأشخاص المحبين اعادة الجمهورية في روميه على قتله وكان رئيسا هذه الفتنة رجلين من أرباب المجلس اسم احدهما كاسيوس والآخر بروتس فقتلوه بضرب الخناجر سنة 44 ق. م وبعد قتله هاج اصدقائه الذين اخصهم مرقص انطونيوس واوكتافيوس واغسطس ابن اخت جوليوس قيصر المقتول وغيرهما ونهضوا للأخذ بثأره والانتقام من المذنبين فهرب بروتوس وكاسيوس من روميه واتى كاسيوس إلى سوريا فانضمت إليه العساكر الرومانية التي كانت فيها واستولى على البلاد فجاء لمحاربتة دولابلاً احد القواد الرومانيين مهر شيشرون الفيلسوف الروماني بعمارتة البحرية وعساكره وكان سكان اللاذقية يقاومون كاسيوس فدعوا إليهم دولابلاً وسلموه المدينة ولما بلغ ذلك كاسيوس الذي كان إذ ذاك في فلسطين جاء مسرعاً إلى اللاذقية وشدّد عليها الحصار براً وبحراً إلى أن فتحها عنوةً فقتل حينئذٍ دولابلاً نفسه لكي لا يقع في يد عدوه ونهبت عساكر كاسيوس المدينة انتقاماً من أهلها وبعد موت كاسيوس باثر انتصار انطونينوس وأغسطس عليه تذكر انطونينوس ما عرض لسكان اللاذقية فأعفاهم من الجزية.

وفي سنة 193 مسيحية قُتل القيصر كومودس في روميه من بعض أعوانه ولم يكن له وريث من صلبه واختلفت الآراء في انتخاب خليفة له فنادى جنود كل اقليم باسم قائدهم قيصرًا وكان القائد في سوريا وقتئذٍ رجلاً يُدعى بيشانيوس نيجر (أي الأسود) فباعه عسكره الملك وكانت العساكر المحافظة على سواحل إيطاليا قد بايعت قائدها سبتيموس

سيفيروس فجء سيفيروس بالمسير إلى رومية وتبوأ تخت المملكة ولما استقر له الملك قصد سوريا لمحاربة نيجر وكانت اللاذقية تناظر مدينة انطاكية وقتئذٍ على الدوام ولما كان أهل انطاكية تعصبوا لنيجر تعصب أهل اللاذقية لسيفيروس بغضاً بانطاكية ولما بلغ نيجر ذلك ارسل عساكره إلى اللاذقية واخربها ولما وصل سيفيروس إلى سوريا انتشبت بينه وبين نيجر حروب رقصت لها الفرائص وانتصر سيفيروس على نيجر فقتل سنة 195 وكانت إحدى مواقع الحرب في خليج اسكندرونه فكافأ حينئذٍ سيفيروس مدينة اللاذقية وأعادها إلى رونقها ومنحها الحق الذي للمدن الرومانية وابطل امتيازات انطاكية لانعطافها على نيجر وسمي اللاذقية سبتيميا السيفيرييه وجعل أهلها يُسمون سبتيمييين نسبةً إليه ويُظنُّ أنه هو الذي بُنيت لتذكاره فيها قبة النصر المعروفة الآن بالكنيسة المعلقة وروى لاکويان أن سيفيروس المذكور هو الذي منح اللاذقية شرف الميطروبوليتيه تحقيراً لانطاكية وأنها قبل ذلك لم تكن متروبوليتية.

ولما استقلت زنوبيا أو زينب المعروفة عند العرب بزييدة ملكة تدمر بمملكة المشرق في سنة 267 كانت اللاذقية تحت ولايتها في جملة سوريا ثم رجعت كباقي مدن سوريا تحت حكومة الرومان عندما استظهر القيصر أورليانوس على زنوبيا وقادها اسيرةً إلى روميه سنة 272 وأعاد مملكتها ولايةً من الولايات الرومانية.

وقد آمن أهل هذه المدينة بالمسيح في مبتدأ الانذار به وكان أول اسقفٍ عليها لوكيوس الذي ذكره بولس الرسول في رسالة روميه ص 16 ع 21، كما روى لاکويان ويُطْلَق على مطرانها لقب المتقدم على ثيودورياس كما يُستفاد من الذيتبيخا الآتية. «(فلان) مطران اللاذقية المقدسة الكلي الطهر والفصاحة المنتدب من الله والمقدّم في الكرامة على ثيودورياس ابينا وسيدنا فلتكن سنوه عديدة» ولم أقف على منشأ هذا اللقب.

وفي الاضطهاد الذي أثاره على المسيحيين القيصر ديوكليتيانوس الذي تبوأ سرير مملكة روميه سنة 284 استشهد في اللاذقية تروفيموس وثالوس (انظر 11 اذار من كتاب الميناون) كما أنه استشهد فيها في زمانٍ لا يُعرف بالتدقيق ديودوروس وذيوميذيس (انظر 11

ايلول من كتاب الميناون) وذكر مؤلف سوريا المقدسة أن الكنيسة تعيد لقيديسين شهيرين تاواثيموس وباسيليانوس من اللاذقية وقال أن المؤمنين شيدوا هيكلًا عظيمًا على اسمهما على شاطئ البحر هناك (انتهى) قلت ولعلّ المزار الذي على الشاطئ المعروف بماري طادروس أو ثيودوروس هو قبر الشهيد ديودوروس المار ذكره الذي تعيد له الكنيسة الشرقية في 5 نيسان وقد التبس على المتأخرين فظنوه ثيودوروس. أو هو قبر ثيودوروس أبي الفقراء الآتي ذكره.

ومن أساقفة مدينة اللاذقية اناطوليوس الذي كتب مدققاً في العلوم الفلسفية وقرأ أسفاراً عديدة من الكتاب المقدس واشتهر بفنائه كما ذكر أوسابيوس والقديس ايرونيوس ثم خلفه جاورجيوس ذكره ثاودوريطوس وخلف جاورجيوس ثيودوروس الذي كني أبا الفقراء لمزيد رأفته وحضر المجمع النيقاوي ومن أساقفة اللاذقية ابوليناريوس نبغ سنة 350 للميلاد وكان معلماً للقديس ايرونيوس وذهب إلى أن التسليم لآريوس بأن الكلمة في طبيعة المسيح تقوم مقام النفس الناطقة في شأنه أن يعضد تعليم المجمع النيقاوي ويساعد في الرد على آريوس المذكور وبناءً على ذلك حاول أبوليناريوس هذا أن يدخل القواعد الآتية في تعاليم المجمع النيقاوي وهي. أولاً أنه لما كان لا يمكن اجتماع كائنين تامين في شخص واحد بدون أن يتولد عن ذلك مسخ كان لا يمكن أن يجتمع في طبيعة المسيح اله تام بإنسان تام. ثانياً أنه ليس في المسيح نفس ناطقه فإن الله التام فيه يقوم مقامها. ثالثاً أنه ليس في المسيح الأ طبيعة واحدة وهي ذات جهتين جهة إلهيه وجهة بشرية وأن الاتحاد بينهما من شأنه أن يحمل على الحكم بأن لكلٍ منهما من الصفات ما للآخرى. ثم لطّف رأيه هذا وقال أن المسيح لم يكن خالياً من كل النفس بل كان له جزء من النفس الحاسة به يبصر ويسمع إلا أنه كان خالياً من الجزء النطقي وذلك مأخوذ من فلسفة أفلاطون الذي كان يقول ان الإنسان مؤلف من ثلاثة جواهر وهي الجسد والنفس الحاسة والنفس الناطقة ويُقال أن أبوليناريوس كان يذهب إلى أن الثالوث اختلافاً في المقام فكان يلقب الروح القدس بالعظيم والابن بالأعظم والآب بالكلي العظمة وان من جملة ما ذهب إليه وجوب استعمال الطقوس

اليهودية وقد حرم تعليمه في المجمع الاسكندري سنة 11/362 ومما يروى عنه أنه لما شاخ أودع الكتاب المتضمن تعليمه احدى تلميذاته في انطاكيه ولما علم بذلك ماري افرام السرياني وهو في تلك المدينة استعار ذلك الكتاب من تلك المرأة والصق أوراقه بغراء ثم ردهُ إليها ولما لقيه أخذ ماري افرام يجادله عن المواد التي ادرجها في كتابه أمام جمهور غفير واذا كانت الشيخوخة قد أضعفت ذهنه قال لماري افرام أن في كتابه رداً على كل اعتراضاته. ولما استحضر الكتاب ووجده كقطعة من الخشب لا سبيل ال فتحه استشاط غيظاً وداسه برجليه واعتزل من هناك فتبعه الشعب وأوسعوه تعبيراً وشتماً حتى غاب عن أبصارهم ويقال أنه اغتاپ جداً من تلك المعاملة حتى مرض ومات كمدأ سنة 390 للميلاد وقد تبعه كثيرون ونسبوا إليه إلا أن اتباعه زادوا بعض قضايا على تعاليمه لا محل لذكرها ههنا. وقد رأيت في بعض الكتب العربية المدونة فيها أخبار المجامع السبعة المسكونية وأسماء الأساقفة الذين حضروا فيها أن ممّن حضر في المجمع الأول لفكونيوس اسقف جبله وأنه حضر في المجمع الثاني سنة 362 بفاسيوس اسقف اللاذقية ودومنس اسقف جبله وفي المجمع الثالث سنة 441 مكاريوس اسقف اللاذقية ذهب إليه في جملة من ذهب من الاساقفة مع يوحنا البطريك الانطاكي وفي المجمع الرابع سنة 455 مكاريوس اسقف اللاذقية (لعله هو نفسه الذي حضر في المجمع الثالث) وسابا اسقف بالتوس (وهي التي خراباتها على نهر السن وتعرف باسم البلده وقد مر ذكرها في الجغرافيا) وبوليكرينوس اسقف جبله وفي المجمع الخامس سنة 553 استفانوس اسقف اللاذقية ورومانس اسقف جبله وفي المجمع السادس سنة 680 ثاوذورس اسقف اللاذقية وفي المجمع السابع سنة 787 ثاوذورس اسقف اللاذقية. وروى أبو الفرج ابن العبري وذيونيسيوس بطريك اليعاقبه أن أحد أساقفة اللاذقية اسمه قسطنطين كان يدافع عن مذهب القائلين بالطبيعة الواحدة فنفاه يوستينوس الملك سنة 518 ذكره الخوري يوسف الدين الماروني في كتابه سفر الأخبار نقلاً عن السمعاني في المكتبة الشرقية في مقالته في المونوفيزيتيين وجه 90. ويقال أنه في الجيل السادس بُني دير الفاروس على اسم القديس جاورجيوس المشهور موقعه الآن ولفظه فاروس يونانية معناها

منارة ولعله دُعي بذلك لارتفاعه.

وقد افتتح اللاذقية المسلمون العرب سنة 15 للهجرة موافقة سنة 637 مسيحية تحت راية أبي عبيدة وكانت في الجيل الرابع للهجرة مقاماً للأمراء التنوخيين وفيها توفي محمد ابن اسحق التنوخي الذي رثاه المتنبي بقصيدته التي يقول في مطلعها.

انني لأَعْلَمُ واللبيب خبيرُ أن الحيوّة وإن حرصت غرورُ
الى أن يقول

وجوابه ولكلِّ باكٍ خلفه صعقات موسى يوم ذُكَّ السطورُ
والشمسُ في كبِدِ السماءِ مريضةٌ والأرضُ واجفةٌ تكادُ تمورُ
وحفيف أجنحة الملائك خلفه وعيون أهل اللاذقية صورُ
صور جمع اصور وهو المائل. يعني أن عيون أهل اللاذقية كانت مائلةً إليه أما لأنهم يحبونه فلا يصرفون عيونهم عنه وأما لأنهم يسمعون حس الملائكة فيميلون نحو الحس الذي يسمعون. وقد مدح المتنبي أيضاً الحسين ابن اسحق التنوخي في اللاذقية بقصيدة قال في مطلعها

هو البينُ حتى ما تَأْنَى الخرائقُ ويا قلب حتى أنت ممَّن تفارقُ
الخرائق جمع خريق وهو الجماعة والمعنى أن البين إذا جرى حكمه فلا تتأنى الجماعات
عن الفراق ثم خاطب قلبه فقال وأنت أيضاً ممَّن افارقه يعني بمصاحبة الأحبة الراحلين، إلى أن قال

لك الخير غيري رام من غيرك الغنى وغيري بغير اللاذقية لاحقُ
هي الفرصُ الأقصى ورؤيتك المُنَى ومنزلك الدنيا وأنت الخلائقُ
يقول غيري يطلب الغنى من غيرك ويقصد غير اللاذقية مدينتك، وأما أنا فلا أطلبه إلا منك ولا أقصد إلا مدينتك التي هي الفرص الأقصى الخ. ومداح أيضاً

علي ابن ابراهيم التنوخي فقال:

احاداً ام سـداسٌ في احادٍ لـيـلـتـنا المـنـوطـة بالتـنادي
ان الشطر الأول من البيت هو كناية عن ليالي الدهر يقول أليّة واحدة أم ليالي الدهر
كلها ليلتنا العظيمة التي امتدت إلى يوم القيامة. إلى أن قال.

وحام بها الهلاك على اناسٍ لهم في اللاذقية بغى عادٍ
الضمير في بها عائد على الخيل التي كنى عنها في بيت قبل هذا

فكان الغرب بحرّاً من مياهٍ	وكان الشرق بحرّاً من جياذٍ
وقد خفقت لك الرايات فيه	فظلّ يموّج بالبيض الحدادٍ
لقول باكبد الابل الأبايا	فسقتهم وحدّ السيف حادٍ
وقد مزّقت ثوب الغي عنهم	وقد البستهم ثوب الرشادٍ
فما تركوا الامارة لاختيارٍ	ولا انتحلوا وداك من ودادٍ
ولا اشتغلوا لزهد في التعالي	ولانقادوا سروراً بانقيادٍ
ولكن هبّ خوفك في حشاهم	هبوب الريح في رجل الجرادٍ
وماتوا قبل موتهم فلماً	مننت اعدتهم قبل المعادٍ

المستفاد من هذه الأبيات أن علي بن ابراهيم التنوخي كان يتولى امارة اللاذقية وأن بعض سكانها خرجوا عليه ونازعوه الولاية فحاربهم واستظهر عليهم وقادهم إلى الطاعة والخضوع له. ولما زحفت الجيوش الصليبية من اوروبا سنة 1096 قاصدة فتح سوريا وأورشليم واستخلاصها من يد المسلمين كانت اللاذقية على رواية مؤرخي الصليبيين المدينة الوحيدة التابعة لمملكة الروم في سوريا وفي ذلك نظرٌ فإنني لم أقف في تاريخ من التواريخ التي اطلعت عليها على ذكر كيفية دخولها تحت سلطة الروم بعد ما تملكها العرب ولبثوا فيها أجيالاً وكيف أمكنها أن تثبت وهي بعيدة ومنفردة عن مملكة الروم حال كون القوات الإسلامية تحيط بها من كل جهة اللهم إلا أن يكون ذلك جرى بعهد بين قيصر الروم والحكومة الإسلامية وكيفما كان الأمر فقد أفادتنا التواريخ الصليبية أنه في أثناء حصار الافرنج مدينة

انطاكية سافر دوق نورمانديا احد القواد الصليبيين عن انطاكية وجاء إلى اللاذقية وأقام فيها مدة ثم رجع إلى المعسكر المحاصر انطاكية بعدما استدعاه القواد رفقاؤه ثلاث مرات وفي غضون ذلك جاء إلى اللاذقية اثنتان وعشرون سفينة فلمنكيه قرصانيه وخرج رجالها إلى البر ونهبوا المدينة وقتلوا بعض سكانها ثم بعد ذلك جاء إليها قرصاني آخر يدعى غنيمير دي بولون قاصداً النهب أيضاً فاستظهر عليه أهل اللاذقية وأسروه ولما فتح الصليبيون انطاكية وولوا عليها بوهمند وساروا زاحفين إلى اورشليم كانت اللاذقية مركزاً لاجتماعهم فرافقهم بوهمند إليها فودعهم ورجع إلى ولايته وفي مدة وجودهم في اللاذقية استغل غودافروا دي بوليون الذي انتخب فيما بعد ملكاً لأورشليم غنيمير القرصاني المار ذكره واطلقه من اسر اهالي المدينة فانضم بسفائنه ورجاله إلى الجيوش الصليبية وروى البرت الذي من مدينة اكس المؤرخ الصليبي ان غنيمير دي بولون المذكور ينبغي أن يكون هو الذي توصل إلى فتح اللاذقية ثم اهداها إلى راييموند كونت طولوزا وان راييموند ردها إلى قيصر الروم ولكن عل رواية غيره أن اليكيوس قيصر الروم هو الذي وهب راييموند كونت طولوزا مدينة اللاذقية كما ذكر ذلك مكسيموس مونروند في كتابه الفرنساوي المدعو تاريخ الحروب المقدسة المترجم للعربية بقلم البطيريك مكسيموس مظلوم في الفصل العاشر من المجلد الأول حيث قال «أن كونت طولوزا إذ حلف بأنه لا يعود راجعاً إلى أوروبا انفرد في ذاته راجعاً إلى القسطنطينية حيثما اقتبله القيصر اليكسيوس باكرام كلي ووهبه مدينة اللاذقية».

هذا ولما سارت الجيوش الصليبية من اللاذقية حاصروا في طريقهم مدينة جبلة تحت قيادة غودافروا واسطاكيوس وغيرهما من القواد وكان مستولياً عليها وقتئذ القاضي محمد أبو عبد الله بن منصور المعروف بابن صليحه فلم يتيسر لهم افتتاحها ولما رحلوا عنها ارسل صاحبها ابن صليحه إلى طغتكين اتابك دقاق صاحب دمشق يطلب منه من يستلم منه جبلة ويحفظها فأرسل إليها طغتكين ابنه تاج الملك بوري فتسلمها وأساء السيرة فكاتب أهلها ابن عمار صاحب طرابلس فارسل عسكرياً فاجتمعوا وقاتلوا بوري فانهمز أصحابه وملك ابن عمار جبلة وذكر في ترجمة ابن صليحه قاضي جبلة وهو ابو محمد عبد الله بن منصور

بن الحسين التنوخي ان والده منظوراً كان رئيساً أيام كان الروم مالكين لها على المسلمين يقضي بينهم فلما ضعف أمر الروم وثب على جبله واستعان بالقاضي جلال الدين بن عمار صاحب طرابلس فتقوى به على من بها من الروم ونادى بشعار المسلمين فانتقل من كان بها من الروم إلى طرابلس فأحسن إليهم ابن عمار وصار إلى منصور بن صليحه منها مال عظيم واستمر على عادته في الحكم فيها فلما توفي منصور قام ابنه أبو محمد مقامه واحب الجندية واختار الجند فظهرت شهامته فأراد ابن عمار أن يقبض عليه فاستشعر منه وعصى عليه وأقام الخطبة العباسية فبذل ابن عمار لدقاق بن تتش مالاً ليقصده ويحصره ففعل وحصره فلم يظفر منه بشيء وأصيب صاحبه اتابك طغتكين بنشابة في ركبتيه وبقي أثرها وبقي أبو محمد بها مطاعاً إلى أن جاء الافرنج فحصروها فأظهر أن السلطان بركيارق قد توجه إلى الشام وشاع هذا فرحل الافرنج فلما تحققوا اشتغال السلطان عنهم عاودوا حصاره فأظهر أن المصريين قد توجهوا لحربهم فرحلوا ثانية ثم عادوا فقرّر مع النصارى الذين بها ان يرسلوا الافرنج ويواعدوهم إلى برج من أبراج البلد ليسلموه إليهم ويملكوا البلد فلما اتهم الرسالة جهزوا نحو ثلاثماية رجل من أعيانهم وشجعانهم فتقدموا إلى ذلك البرج فلم يزالوا يرقون في الحبال واحداً بعد واحد وكلما صار عند ابن صليحه وهو على السور رجل منهم قتله إلى أن قتلهم أجمعين فلما أصبحوا رمى الرؤوس إليهم فرحلوا عنه وحصروه مرة أخرى ونصبوا على البلد برج خشب وهدموا برجاً من أبراجه وأصبحوا وقد بناه أبو محمد ثم نقب في السور نقوباً وخرج من الباب وقتلهم فانهزم منهم وتبعوه فخرج أصحابه من تلك النقوب فاتى الافرنج من ظهورهم فولّوا منهزمين وأسر مقدمهم المعروف بكند اصطبل فافتدى نفسه بمال جزيل ثم علم ابن صليحه انهم لا يقعدون عن طلبه وليس له من يمنهم عنه فارسل إلى طغتكين اتابك يلتمس منه انفاذ من يثق به، ليسلم إليه ثغر جبله ويحميه ليصل هو إلى دمشق بماله وأهله فأجابه إلى ما التمس وسير إليه ولده تاج الملوك بوري فسلم إليه البلد. وروى البرت الأكسي المؤرخ الصليبي السابق ذكره انه في أثناء حصار أورشليم زحف بوهيمند بعساكره من انطاكية وبمساعدة سفائن الجنوبيين والبيزاويين التي

كان عددها نحو مائتين حاصر اللاذقية ناكثاً بمعاهدات السلم المنعقدة بين الصليبيين وقيصر الروم فاستولى المحاصرون على برجين من أبراجها قائمين على شاطئ البحر وقتلوا بعض من كان فيهما من الروم وسملوا عيون الباقيين وطرحوهم في البحر ثم بنوا جسرين فوق الخندق الفاصل بينهم وبين أسوار المدينة وضائقوها حتى كادوا يفتحونها وفي أثناء ذلك كان الصليبيون الذين ذهبوا لفتح أورشليم قد تملكوا المدينة المذكورة سنة 1099 وأقاموا غودافروا دي بوليون ملكاً عليها وعاد كثيرون منهم راجعين إلى بلادهم فلما وصل هؤلاء الراجعون إلى نواحي جبله سمعوا بحصار اللاذقية وكان في جملتهم الكونت رايموندي طولوزا فاغتاظوا من بوهيمند وارسلوا إليه رسلاً يطلبون منه أن يكف عن حصار المدينة احتراماً للاتحاد المنعقد مع قيصر الروم الذي يقدر أن يقلق راحة الصليبيين برجوعهم إلى أوطانهم فرفض بوهيمند اجابة الرسل ولبث مصرراً على عزمه فاعتمد حينئذ الأمراء والجيوش المار ذكرهم ان يدفعوه عن حصار المدينة بالقوة إلا أن اسقف بيزا استدرك الأمر بطريقة أخرى فانه سار وقابل رؤساء عمارة الجنويين والبيزاويين وطلب منهم أن ينفصلوا عن بوهيمند فأجابوه لذلك ولما رأى بوهيمند أن أعماله قد انحصرت في قوته الخاصة التزم أن يكف عن حصار المدينة وحينئذ جاءت الجيوش الصليبية من نواحي جبله ودخلت اللاذقية ومكثت فيها خمسة عشر يوماً في وسط الأفراح والحبور حيثما كان عندهم كل شيء غزيراً ثم تفاوض بوهيمند ورايموند بالصلح وعقدت بينهما عهود الحب والمصافاة. فعاد بوهيمند إلى انطاكيه وأما رايموند فبقي في اللاذقية. قلت ولعل رايموند بأثر ذلك سار إلى القسطنطينية فوهبه القيصر اليكسيوس مدينة اللاذقية كما ذكر آنفاً نظراً لما أبداه فيها من الحماسة والغيرة على حفظ عهود السلم ومقاومة بوهيمند.

ولما استقر رايموند المذكور الذي دعاه مؤرخو العرب صنجيل في اللاذقية زحف بجنوده على جبله وفتحها ثم حصر طرابلس وبنى بقرىها حصناً وبنى تحته مساكن فخرج ابن عمار صاحب طرابلس وأحرق المساكن فانهدم بعض السقوف المحترقة برايموند فمرض أياماً ومات ونُقل إلى اورشليم. ثم تملك الصليبيون شيئاً فشيئاً البلاد والقلاع والحصون

التي في أعمال اللاذقية كمركيه وقلعه المرقب وقلعة صهيون وحصن العيدو وذكر أبو الفداء أنهم تملكوا القدموس سنة 523 للهجرة موافقة سنة 1129 وانه في سنة 527 موافقة سنة 1133 اشترت الاسماعيلية حصن القدموس من صاحبه ابن عمرون وروى البطريق استفانوس الدويهي الماروني في تاريخه في حوادث سنة 1130 مسيحيه ان بلدوين ملك اورشليم بعد موت بوهيمند والي انطاكية اعطى ارملة التي كانت ابنة بلدوين المذكور اللاذقية وجبله وجعل انطاكية تحت محافظة أمنا ذكره الخوري يوسف الدبس في كتابه سفر الأخبار وروى أبو الفداء أنه في سنة 584 هجرية الموافقة سنة 1188 م سار السلطان صلاح الدين الأيوبي زاحفاً بجيوشه إلى مركيه فوجدها خالية ثم نزل تحت المرقب فوجده لا يُرام فوصل جبله في ثامن جمادي الأول وتسلمها وجعل فيها سابق الدين عثمان بن الداية يحفظها ثم حصر قلعتي اللاذقية وملك المدينة وسلمها إلى ابن اخيه المظفر تقي الدين عمر فحصرها ثم حاصر صهيون وتسلمها بالأمان وسلمها إلى الأمير منكورس صاحب ابي قبيس من أصحابه ثم ملك عسكره بلاطنس خالياً من الفرنج وحصن العيد وحصن الجماهرتين ثم سار السلطان عن صهيون ثالث جمادي الأخرى وروى ابن الأثير أن الفاتحين خربوا حينئذ كل أبنية اللاذقية الجميلة ولا سيما الكنائس ونقلوا ممرها ذكره موسيو بوجولا في رسائل رحلته وقال أن سكان اللاذقية المسيحيين سلموا المدينة إلى صلاح الدين بدون قتال وانسحبوا إلى القلعتين وأنه في أثناء ذلك جاء إلى مياه اللاذقية من جزيرة صقلية عمارة بحرية مؤلفة من ستين سفينة تحت قيادة امير يدعى مارغاريت وتقدمت لتدخل المينا واذا علم أميرها المذكور بتسليم المسيحيين بدون قتال احتدم عليهم غيظاً وتهدهدهم بقتل كل من يصادفه منهم بحد السيف فسلموا حينئذ أنفسهم إلى حكومة السلطان صلاح الدين متعهدين بدفع الجزية وذكر العماد الكاتب وهو كاتب صلاح الدين في تاريخه المسمى الفسيح القسي في الفتح القدسي. ما ملخصه أن قاضي جبله وفد على السلطان صلاح الدين وهو في جهة حصن الأكراد يحثه على قصدها ويقول أن الاشتغال بطرابلس مع استعدادها للحصار يذهب الزمان وأن جبله وما وراءها من المعقل ليس دونها مانع ولا عنها مدافع فسار السلطان بعسكره يوم الجمعة 4 جمادي الأولى سنة 584 قد وصل إلى طرطوس في 6

منه وفتحها وذلك اسوارها الأبرجاً للدواية فانه امتنع عليه فتركه ورحل عنه) 14 الشهر ونزل على مرقيه وقد خلت من أهلها فجاز عنها وسار تحت حصن المرقب ولم يكن بد من عبور ذلك المضيق وكان الفرنج قد حصنوا في البحر المراكب وسدوا المذاهب وذلك أن صاحب صقلية رام ان يكشف عن الفرنج أدبيته فجهز اسطولاً مؤلفاً من ستين قطعة فوصل في تلك الأيام تحت رياسة امير يُقال له مرغريط فحمى الطريق تحت المرقب بمراكبه فأمر السلطان بحمل الجفاتي إلى هناك وتصنيفها وتأليف الستائر واقعد من ورائها على مقابلة سفن القوم الكماة والرماة حتى تباعدت تلك السفن فرحل السلطان بعسكره آمناً وجاز على بانياس وقد اجفل عنها الناس ووصل إلى نهر السن فازدحم العسكر عند ذلك النهر وليس عليه إلا قنطره واحدة فتصادموا على ذلك الجسر وسار السلطان من فوق على سفح الجبل وعبر مع زمزمة عسكره ونزل على بلدة وهي على شاطئ هذا النهر حصينة البناء قد حصنها الاستبصار وقطعوا عنها سلوك الطريق بتعميق ذلك النهر فوجدها خالية من الانس وفي يوم الجمعة / 18 الشهر أشرف على جبله وكان قاضيه قد سبق من المقدمة فخرج مسلموا البلد مستسلمين وعلت على السور الرايات الناصرية ولجأ الفرنج إلى الحصنين اللذين أحدهما على المنيا والآخر في البلد وهو المعقل الأكبر فتوسط لهم قاضي جبله في أخذ الأمان بعد قبض الرهائن على أن يعيدوا من استرهنوه في انطاكية من أهله ويسلموا كل ما بهم من سلاح وعدة وخيل وذخيرة وعالة انتقل أهل الجبل إلى جبله طائعين وكان حصن بكرائيل قد تسلم من قبل فرتب فيه من حكم على ذلك الجانب وأهله وكانوا مذعنين لقاضي جبله وأقام السلطان في جبله أياماً حتى ازال شعثها وأكرم قاضي جبله ووقف عليه ملكاً نفيساً وصرفه من املاك أبانه وحكمه في ولاية حكمه وقضائه ورحل ثالث عشر الشهر يوم الاربعاء وبات تلك الليلة بالقرب من اللاذقية وقد لاذ الفرنج من حصنها بجبل عاصم وهو ثلاث قلاع متلاصقات على طول التل فهاجمتها عساكر السلطان صبيحة يوم الخميس وحاميتها تدافع عنها أشد دفاع حتى أخذت عليهم النقوب، وبلغ النقب من الشمال في الطول ستين ذراعاً وفي العرض اربع أذرع ولما عرف من فيها أنهم مدركون وأنهم يؤخذون ولا يتركون صاحوا الأمان وذلك يوم الجمعة 25 من جمادي الأولى عشية فصعد إليهم قاضي جبله يوم

السبت غدوة وسلموا القلاع بما فيها من عدة وذخيرة واسلحة وخيل ودواب كثيرة وأمنوا على أنفسهم وأموالهم وانصرفوا بنسائهم ورجالهم وذريتهم وأطفالهم ودخل بعضهم في عقد الذمة وانتقل الباقيون إلى انطاكية ثم ولي السلطان بالقلاع مملوكه سنقر الخلاطي وركب إلى البلد وطافه قال العماد الكاتب فرايتها بلدة واسعة الأقيّة جامعة الابنية متناسقة المعاني متناشقة المغاني قريبة المجاني رحيبة المواني في كل دار بستان وفي كل قطر بستان... أمكنتها مخرّمة وأروقتها مرخّمة وعقودها محكمة ومعالمها معلّمة ودعائهما منظمة ومساكنها مهندسة مهندمة وأماكنها ممكنة ومحاسنها مبيّنة ومراتبها معيّنة وسقوفها عالية وقطوفها دانية وأسواقها فضية وأفاقها مضية ومعالمها مشرقة ومرافعها موفقة وأرجاءها فسيحة وأهواؤها صحيحة لكن العسكر شعث عمارتها واذهب نضارتها وازعج ساكنيها وأخرج قاطنيها وملك دور المشركين للموحدين... ووقع في عدّة من الأمراء الزحام على الرخام ونقلوا منه أحمالاً إلى منازلهم بالشام فشوهوا وجوه الأماكن ومحووا سنا المحاسن. وقال ما ملخصه وبظاهر اللاذقية كنيسة نفيسة عظيمة قديمة بأجزاء الأجزاء مرصعه وبألوان الرخام مجزعة متوازية الزوايا متوازنة البناء فلما دخلها الناس اخرجوا رخامها وشوهوا أعلامها وكسروا أجراسها وحكموا بعد الغنى بأفلاسها وافتقرت واقفرت ثم لما طابت النفوس وتجلّى عن البلد بفتحة البوس عادت القوى إلى هذه الكنيسة وهي متشعّثة ورغب من في البلد من النصارى والأرمن في اعطاء الجزية حباً للوطن فعاد مأهول الجنباب وبتجار البحار مملو الرحاب وكانت شواني صقليه قد قابلت في البحر اللاذقية طمعاً في امتناعها فلم استسلم أهلها قصدت الشواني أخذ مركب من يخرج من أهلها لكونهم شغلوا عن حبوبها ببذلها فامتنعوا عن الانتقال وامنوا بعقد الذمة على النفس والمال وكان السلطان صلاح الدين يوم الرحيل من اللاذقية راكباً عند مينائها فطلب مقدم تلك الشواني أمانه ليصعد ويشاهد السلطان فأمنه حتى صعد فخاطب صلاح الدين بواسطة ترجمان وقال أنت سلطان عظيم وملك كريم قد شاع عدلك وذاع فضلك فلو مننت على هذه الطائفة واعدت عليها بلادها لطاعوك قريباً وبعيداً وأن ابنت وعدت على اهراق الدما جاء منه وراء البحر ملوك الفرنج بعساكر لا تقدر أن تقاومها وهؤلاء أهون منهم فاتركهم واصفح عنهم فقال السلطان

قد أمرنا الله بتمهيد الأرض ونحن قائمون في طاعته بالفرض ولو اجتمع أهل الأرض لتوكلنا على الله في اللقاء ولم نبال بأعداد الأعداء فعاد المقدم إلى شوانيه ورحل السلطان ظهر يوم الأحد 23 من جمادي واتجه نحو حصن صهيون وكان الطريق إليه في أودية من شعاب فقطع تلك الطرق في يومين وخيم على صهيون يوم الثلاثاء 29 وهي قلعة على ذروة جبل في مجتمع واديين بها محيطين من جانبيين والجانب الجبلي قد قُطع بخندق عميق وسور وثيق والقلعة ذات أسوار خمسة كأنها خمس هضاب فأحاط العسكر بها يوم الأربعاء ونقل السلطان خيمة إلى جانب الجبل وأقام الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب منجنيقين فانه اتصل بأبيه قبل الوصول إلى جبله من طريق حماه فظهر على صهيون اليد البيضاء وكان في قرنة الخندق موضع لم يكمل تعميقه فتطرفوا من تلك القرية وتعلقوا بها إلى القلعة وتملكوا الذروة ومُلكت منه القلعة ثلاثة أسوار فطلب أهلها الأمان فقرر السلطان عليهم قطيعه وأغلقت دونهم الأبواب فجبى منهم القطيعة شجاع الدين طغرل الجاندار ثم خرجوا وسلّم الحصن بجميع أعماله وسائر ما حواه إلى الأمير ناصر الدين منكورس بن خمارتكين ثم رحل السلطان ثاني يوم فتح صهيون وتسلم قلعة العيدو وقلعة الجماهيريين وحصر بلاطنس ونُدب إلى كل حصن من تسلمه وفي جمادي الأخرى سنة 586 قدم الملك المظفر تقي الدين لحفظ مدينة اللاذقية وجبله من عساكر ملك الألمان الذي قدم لإرجاع بيت المقدس ولما بلغت تلك العساكر إلى قرب اللاذقية خرج عليهم خيل اللاذقية وجبله وناوشتهم في اثناء الطريق. فاغدوا في السير حتى وصلوا إلى طرابلس وقد نقص مقدار نصفهم وفي محرم سنة 587 تسلم الملك المظفر تقي الدين ما في شرقي الفرات من البلاد التي كانت مع مظفر الدين مضافاً إلى ميافارقين فصارت معه جبله واللاذقية ومعمره وحماه وسلميه والرها وحران وسمسياط والموزر وميافارقين. ثم في سنة 1157 وسنة 1170 مسيحية حدثت زلازل هدم بها جانب عظيم من اللاذقية.

وذكر مكسيموس مونروند في الفصل السابع من المجلد الثاني من تاريخه ما مفاده انه وفي سنة 1197 مسيحية (الموافقة سنة 594 هجرية، كانت اللاذقية وجبله من جملة البلاد التي أخلاها المسلمون بأثر انتصار الصليبيين على الملك العادل وامتلاكهم بيروت. وفي

ذلك نظرٌ فإن ابن الوردي روى في تاريخه في حوادث سنة 618 للهجرة الموافقة سنة 1222 م أن الملك الكامل وأخوته بذلوا إلى الصليبيين الذين كانوا وقتئذ قد فتحوا دمياط وتقدموا إلى جهة مصر تسليم القدس وعسقلان وطبرية واللاذقية وجبله وجميع ما فتحه صلاح الدين من الساحل على أن يصالحو ويسلموا دمياط فأبوا ذلك وذكر في حوادث سنة 620 الموافقة سنة 1224 م أن الملك الأشرف لما رجع من مصر إلى حلب أرسل عسكرياً هدموا قلعة اللاذقية إلى الأرض ومن ذلك يستفاد أن اللاذقية كانت إلى ذاك الحين لم تزل تحت تسلط المسلمين وكيفما كانت الحال فالمستفاد من التواريخ باتفاق المؤرخين أنها في زمان السلطان قلاوون كانت بيد الصليبيين كما سيتضح مما سيذكر وكانوا يتحصنون في الأبراج التي كانت على البحر.

وروى ابن الوردي أنه في سنة 660 للهجرة الموافقة سنة 1262 م وصل عماد الدين ابن مظفر الدين صاحب صهيون رسولاً من أخيه سيف الدين صاحب صهيون إلى الملك الظاهر بيبس بهدية جليلة فقبلها وأحسن إليه وأنه في سنة 667 الموافقة سنة 1269 تسلم الظاهر بلاطنس من عز الدين عثمان صاحب صهيون وفي سنة 671 الموافقة سنة 1273 م توفي سيف الدين أحمد بن مظفر الدين عثمان بن نكورس صاحب صهيون فسلم ولده سابق الدين وفخر الدين صهيون إلى الملك الظاهر فأكرمهما وأعطى سابق الدين امرة طبلخانات. وفيها تسلم نواب الظاهر ما تأخر من حصون الاسماعيلية التي من جملتها القدموس وفي سنة 679 الموافقة سنة 1281 م استولى على صهيون وغيرها من الحصون سنقر الأشقر وهو قائد أرسله قلاوون امير جيش الملك الظاهر نائباً للشام ثم بعد مدة يسيره تسلم قلاوون في مصر وتسلم سنقر الأشقر في الشام فجهز قلاوون العساكر وأرسلها لمحاربته فكسرتة فهرب من دمشق وسار واستولى على صهيون وغيرها من الحصون كما مر. وفيها استأذن سيف الدين بلبان الطباخي المنصوري نائب حصن الأكراد في الاغارة على بلد المرقب والفرنج فيه... وجمع عساكر الحصون وسار إلى المرقب فانكسر وهربت عساكره وأسر منهم الفرنج وقتلوا جماعةً وفي سنة 684 (الموافقة سنة 1286 م نازل السلطان قلاوون حصن المرقب في

أوائل ربيع الأول وهو حصن الاستبار (أي الأوسبيتال أعني الرهبان ضياف الغرباء) عجيب في العلو والحصانة لم يطمع أحد من الملوك الماضين فيه ونُصبت عليه المجانيق... ولما تمكنت النقب طلبوا الأمان فأمنهم رغبةً في بقاء عمارته وحملوا ما قدروا عليه غير السلاح وصعدت إليه الصناجق السلطانية وتسلمه في ثامنة نهار الجمعة تاسع عشر ربيع الأول منها.

وذكر موسيو بوجولا في رسائل رحلة أن السيد برثولومي صاحب مدينة مرقية بنى بعد موت الملك الظاهر بيبرس (الذي كان قد استولى على مرقية حسبما روى ابن الوردي) برجاً كبيراً في البحر أمام قلعة المدينة أقامه على سفن مشحونة بالأحجار أغرقت إلى قاع البحر وجعل أحجار جدرانها متماسكة الواحدة بالأخرى بقضبان من حديد وكل رصيف منها يعلوه طبقة من رصاص وجعله مربع الشكل ذا سبع طبقات عرضه مقارب لطوله وفارغ كل جهة منه 25 ذراعاً ونصف وسماك الحيطان 7 أدرع وبنى في البرج صهيحاً يكفي عند الحاجة لمحافظة المؤلفين من مائة جندي وبنى وراء البرج ركناً يُستخدم كملجأ عند اللزوم فكان هذا البرج منيعاً جداً حتى أن السلطان قلاوون الذي استظهر على أقوى الحصون يؤس من أخذه لقلعة ما عنده من السفن اللازمة لحصره في البحر إلا أن أمير طرابلس الح على السيد برثولي بالاستسلام فأنتهى به الرجا والتهديد إلى أنه استسلم فهدم المسلمون البرج والركن بحيث لم يتركوا لهما أثراً قال ومن ذاك العهد يبتدي تاريخ خراب طلعة مرقية أيضاً التي كانت في موقع ماراتوس التي تكلم عنها استرابون (انتهى).

وروى ابن الوردي، أنه في سنة 686 للهجرة الموافقة سنة 1288 مسيحية حاصر حسام الدين طرنتاي نائب السلطنة صهيون وضايقها بالحصار والمجانيق ثم تسلمها بالأمان من سنقر الأشقر وحلف له ثم سار إلى اللاذقية وفيها برج للأفرنج يحيط به البحر فعمل طريقاً إليه وحاصره وتسلمه بالأمان وهدمه. قال موسيو بوجولا أنه في سنة 1287 اجتمعت جميع قوات قلاوون على اللاذقية التي كانت تجارتها وقتئذٍ تخيف تجار الاسكندرية وكان في وسط البحر برج منيع جداً يمنع من الوصول إلى المدينة وكان السلطان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى في الهجوم عليها وفي اثناء ذلك حدثت زلزلة هائلة هدمت جانباً من البرج كما أنها

هدمت برجاً آخر يُدعى برج الحمام ومنارةً كانت تضيء للسفن ليلاً فتشجع قلاون بهذه الحادثة معتبراً إياها كعلامة معونة من الله وشدد الحصار على المدينة بآلاته المريعة وكانت هذه الآلات منصوبة على رصيفٍ من الحجارة مبني في البحر ولم يلبث أن فُتحت له نافذة فحينئذٍ لم يعد المسيحيون يجرون على المدافعة فاستسلموا وخرجوا من البلد بالكنوز التي أمكنهم حملها فهدم المسلمون ذلك البرج الكبير الذي كان يقوم مقام قلعةٍ للمدينة من جهة البحر إلى الأرض.

أقول وقد ذُكر في بعض النبذ ما ملخصه أن المسلمين لما استخلصوا اللاذقية من يد الصليبيين استولوا على كنيسة يوحنا الكبيرة وكنيسة بندلايمون وغيرها من الكنائس الكثيرة العدد التي كانت فيها ولم يبقوا للمسيحيين سوى عشر كنائس وهي دير الفاروس وكنيسة الليمون وكنيسة اندراوس الرسول ودير ماري نيقولاوس ودير ماري جاورجيوس ودير السيده وكنيسة ماري يعقوب وكنيسة ماري سابا وكنيسة توما الرسول والكنيسة المعلقة على اسم السيده.

وقد زار اللاذقية ابن بطوطه السائح المغربي في أواسط الجيل الرابع عشر وذكرها في كتابه المسمى تحفة النظر في غرائب الأمصار الذي كتبه سنة 1356 مسيحية فقال. ثم سافرت إلى مدينة اللاذقية وهي مدينة عتيقة على ساحل البحر يزعمون أنها مدينة الملك الذي كان يأخذ كل سفينة غصباً (هو ملك ذُكر في القرآن في سورة الكهف أنه كان على عهد موسى النبي) وكنت إنما قصدتها لزيارة الوالي الصالح عبد المحسن الاسكندري فلما وصلتها وجدته غائباً بالحجاز فلقيت من اصحابه الشيخين الصالحين سعيد البجائي ويحيى السلوي وهما بمسجد علاء الدين ابن البهاء أحد فضلاء الشام وكبرائها صاحب الصدقات والمكارم... وقاضيهما الفقيه الفاضل جلال الدين عبد الحق المصري المالكي فاضل كريم تعلق بطيلان ملك الأمراء (والي طرابلس) فولاه قضاها... وبخارج اللاذقية الدير المعروف بدير الفاروس وهو أعظم دير بالشام ومصر يسكنه الرهبان (انتهى).

وروى ابن الوردي انه في سنة 740 هجرية الموافقة سنة 1340 م شُنق ابن المؤيد شرف

الدين ابو بكر الواعظ المحتسب نائب الوكالة باللاذقية خافوا بطرابلس من طول لسانه واتصاله بأعيان المصريين وقامت عليه بيّنة بألفاظ تقتضي انحلال العقيدة فحملوا عبد العزيز المالكي قاضي القدموس على الحكم بقتله وشارك في واقعة القاضي جلال الدين عبد الحق المالكي قاضي اللاذقية (وهو الذي ذكره ابن بطوطه كما مر) فتعب القاضيان بجريته وقاسيا شدائد. وفي سنة 1363 اهتم بطرس لوسينيان ملك قبرص بتجديد حرب صليبيه فلم ينجح اهتمامه في أوروبا ومع ذلك غزا بمساعدة جمهورية البندقية وفرسان رودس وبعض أنصار من أوروبا اسكندرية واحرقوها ثم اتوا بعد مدة إلى سوريا فاحرقوا طرابلس وطرطوس واللاذقية وغيرها ثم استمرت اللاذقية تحت ولاية الدولة الجركسية إلى سنة 1517 إذ استفتح السلطان سليم الأول العثماني سوريا ومصر فصارت اللاذقية تحت ولاية الدولة العثمانية كباقي المدن السورية.

قلت وقد بحثت كثيراً لكي أتوصل لمعرفة الزمن الذي حُرب فيه دير الفاروس فلم اعثر على ذلك وقد رايت في بعض الكتب ما ملخصه انه في عهد اندرونيكوس قيصر القسطنطينية (وهو الثالث بهذا الاسم الذي تملك من سنة 1386 إلى سنة 1392 والظاهر أن الروم في تلك الأوقات ولئن كانوا تحت تسلط المسلمين كانوا يلتذون بأن يذكروا القيصر الذي يكون متمكناً في القسطنطينية عندما كانوا يريدون تعيين الزمان المقصود منهم) كان في دير الفاروس من جملة الرهبان راهب حموي الأصل يدعى سابا فاتفق أن بعض اعيان المسلمين ذهبوا ذات يوم إلى الدير لأجل التفرج وفيما هم يجولون فيه ومعهم الراهب سابا كدليل وقعت بينه وبينهم مجادلة دينية بعثتهم على أن يغتاطوا منه ويحنقوا عليه فرجعوا إلى المدينة مضمينين له سوء في اليوم الثاني جاء رسل إلى الدير من قبل القاضي يستدعون إليه سابا الراهب المذكور فसार معهم ولما انتهى إلى مجلس القاضي الذي كان موقعه بجانب دير السيده أُلقيت عليه المسائل التي كانت قد أُلقيت عليه في الدير فأجاب عنها بما أجاب به في اليوم السابق فاحتدم عليه القاضي والحاضرون في مجلسه غيظاً وألقي في السجن حيثما

لبث اياماً يُعرَض عليه أن يجحد أقواله السابقة وهو يأبى ذلك ولما لم يتيسر لهم اقناعه قتلوه شنقاً .

قلت وكان في دير الفاروس انجيل يوناني قديم العهد مكتوب على رقّ نبش بعد خرابه من بين التراب وحُفِظ في كنيسة القديس جاورجيوس حيثما هو موجود حتى الآن ويُعرَف بانجيل الفاروس قيل أنه ناسخة ثاوذوسيوس رئيس الدياره الذي كان في الجيل الخامس وقيل لا بل أنه كُتب بعد ذلك العهد.

وذكر في جغرافية ملطيرون الفرنساويه عند ذكر مدينة اللاذقية ما تعريبه «أن أحد اغاوات الأتراك جدّد بناءها بعد ما خربت خراباً كاملاً باثر الأضرار التي أثارها في الأجيال المتوسطة التتر الأتراك. ومن الغرائب أن تجدد مدينة بواسطة مَنْ من شأنهم الاكتفاء «بالخراب» قلت لعله أشار بالأضرار التي أثارها التتر والأتراك إلى الحروب التي حدثت بين تيمورلنك المغولي الذي افتتح سوريا سنة 1400 م وبين الدولة الجركسية ويُقال أن اللاذقية بقيت مدةً طويلة خراباً خالية من السكان أو فيها سكان قليلون على الأصح وجُعل مركز الحكومة في جبله وأطلق على اللواء لواء جبله. ولما تولى فخر الدين ابن معن أمير جبل لبنان من حدود حلب إلى حدود القدس سنة 1624 وجال في بعض مدن ولايته قدم إلى جبله فقدم له أهلها النفقات ثلثة أيام وعشرين الف غرش فطيب خاطرهم ورثب أحوالهم ولما غضبت الدولة العثمانية عليه إذ شمت منه رائحة العصيان وأرسلت عسكرياً لمحاربته وخلعه من الولاية ارسل جعفر باشا وزير البحر من بيروت عسكرياً إلى قلعة المرقب فاستولى عليها ثم قبض على الأمير فخر الدين ورجعت اللاذقية وطرابلس تحت حكومة والٍ واحد كما كان الحال قبل ولاية الأمير فخر الدين. والمشهور إذ الذي جدّد بناء بعض ما خرب من اللاذقية وأعادها إلى بعض ما كانت عليه من الأهمية هو من بني المطرجي ولعله أرسلان باشا المطرجي الذي تولى على طرابلس سنة 1693 م أو واحد من سلالته ومن ثم أعيد مركز الحكومة من جبله إليها إلا أن الدولة استمرت تطلق على اللواء لواء جبله بحسب ما هو مقرر في قيودها إلى حين دخول الحكومة المصرية تحت راية ابراهيم باشا سنة 1832 كما سيأتي.

هذا وقد عُلم من بعض الكتب الكنايسيه أنه في النصف الثاني من الجيل السابع عشر قام على الكرسي الانطاكي بعد وفاة البطريك مكاريوس الحلبي بطريكان بوقتٍ واحد أحدهما كيرلُس حفيد البطريك المتوفي والآخر ناوفيطوس مطران حماه وبعد منازعاتٍ طويلة بينهما تنزّل ناوفيطوس عن البطريكية واستقل بها كيرلُس وصاقب ذلك وفاة المطران الذي كان وقتئذٍ على اللاذقية فأعطيت أبرشية اللاذقية إلى البطريك ناوفيطوس الممتنزل مضافاً إليها جسر الشغر والسويدية ليعيش بوارداتها فجاء إلى اللاذقية نحو سنة 1684 وأقام فيها أربع سنين ثم توفي ودُفن في هيكل مار موسى من كنيسة القديس نيقولاوس فشرطن البطريك كيرلُس شماسه اغناطيوس مطراناً على اللاذقية سنة 1688 واستمرت الجسر والسويدية ملحقتين منذ ذاك الحين بأبرشيتهما واقام اغناطيوس مطراناً فيها خمساً وعشرين سنة ثم توفي سنة 1714 ودُفن في هيكل مار موسى أيضاً وخلفه نيكيفورس القبرصي وفي أيامه جرى ترميم كنائس اللاذقية سنة 1722 وقد وقفت على تاريخ ترميمها ولا بأس من إيراده هنا بعد تصحيح عباراته مع ما فيه من التطويل لأن منه يستدل عل روح ذلك العصر وهو أنه في 9 تشرين الثاني 1133 للهجرة في زمن ولاية أحمد باشا ابن سوار على طرابلس وولده مصطفى بك على مدينة اللاذقية سقط في نصف الليل حائط كنيسة ماري نيقولاوس الشمالي وحدث ارتجاج عظيم في المحلة وفي صباح اليوم التالي بعد انتهاء القداس وانصراف المسيحيين من الكنيسة سقط الحائط الغربي بتمامه وقال مؤرخ هذه الحادثة. فأخبرنا بذلك الحاكم مصطفى بك فنزل هو والقاضي واغاوات البلد وشاهدوا الخراب ثم أمر البك برفع الأحجار وجمعها في جانب الكنيسة ناهياً عن بنائها على أنه لم يؤذن برفعها حتى اخذ مئة وخمسين غرشاً من المسيحيين. وبعد ذلك سار إليه بعض أعيان المسيحيين وترجوه أن يصير تقديم عرض حال للدولة يتضمن الاستئذان بترميم الكنائس الخمس الموجوده في اللاذقية ويستحصل لهم به؛ فرماناً شريفاً فأجابهم إلى ذلك وجمع عنده مجلساً مولفاً من قاضي اللاذقية خليل افندي ومفتيها عبد الرحمن افندي ومشايخ المدينة فكتبوا عرضحال الاستئذان وختموه وأرسلوه إلى محمد باشا والي طرابلس وبعثوا إليه بمكتوب قالوا فيه

أن الذميين لا يقيمون في المدينة بغير كنائس وإذا نزعوا ينقص المال الأميري فلما اطلع أحمد باشا على ذلك صادق على العرض وانفذه من جوحه دار إلى الدولة ومكثنا ننتظر أياماً وليالي حتى مضت نحو نصف سنة ولم يرد الفرمان وفي أثناء ذلك قدم من القسطنطينية رجل ارمني اسمه سنجوس من الصيارفه كان له دين على باشا طرابلس فذهب لزيارة القدس وبرجوعه منها مرّ عل اللاذقية فرأينا من الضروري المخابره معه لأجل الفرمان إذ بلغنا أنه مسموع الكلام عند بعض أرباب الدولة فدعاه الخواجه جرجس لطف الله إلى وليمة عنده دعا إليها المطران نيكيفورس القبرسي مطران اللاذقية ومن الكهنة الخوري الياس عرنوق والخوري موسى كريش (وهو مؤرخ هذه الحادثة في الغالب) ومن العلمانيين منصور خربان وبشاره موسى وفرح عقاد وبعد الفراغ من الطعام تداول جرجس لطف الله مع الصراف باللغة التركية في أمر الخمس كنائس وحده بكيفية تقديم عرض الاستئذان وأبطأ ورود الفرمان وترجاه ان يسعي في القسطنطينية للحصول عليه وفوضه بانفاق ما يلزم من الدراهم لأجل ذلك فأجابه الصراف بالايجاب وتعهد له باستحصال الفرمان وعند سفره كرّر الرجا له بالحاج أيضاً ثم انتظرنا بعد ذلك مدةً طويلة كانت ترد فيها مكاتيب منه تتضمن الوعد بصدور الفرمان من يوم إلى آخر مع وصف صعوبة استحصال فرمان كهذا بترميم خمس كنائس دفعةً واحدة. ثم بعد تعب جزيل ومصاريف وافره صدر الفرمان وورد إلى اللاذقية نهار السبت في 30 كانون الأول سنة 1134 للهجرة فاستدعى الحاكم جرجس لطف الله وبشره بوروده وأرسله ليبشر المطران ويخبره انه سيرسله إلى أحمد باشا ليصدر على موجه بيورلدي ثم ارسل الفرمان نهار الأحد نحو الظهر إلى طرابلس فأعيد مرافقاً ببيورلدي من الباشا وكان ورودهما يوم الخميس (4 كانون الثاني فعزم البك أن يعقد مجلساً يوم الجمعة الموافق بارامون الغطاس فالتمس منه مراد الصراف الذي كان وقتئذٍ صرافاً في الحكومة أن يؤخر ذلك إلى ما بعد الغطاس فأجاب التماسه وفي يوم الأحد الموافق عيد القديس يوحنا المعمدان استدعى البك المطران نيكيفورس والخوري الياس عرنوق من كنيسة ماري نيقولاوس والخوري موسى الكيس من كنيسة ماري اندراوس والخوري نقولا الحبشي من

كنيسة ماري سابا والخوري موسى كريش من كنيسة ماري جاورجيوس والخوري سليمان من كنيسة السيده. ومن الأعيان الخواجه جرجس لطف الله وبشاره موسى والخواجه سلامه خربان والمقدسي عبدالله الرشيدى فسرنا إلى دار الحكومة وجلسنا في الايوان ننتظر حضور اغاوات البلد والمشايخ قال وفيما نحن جالسون بالانتظار جيء برجل مسلم إلى أمام البك متهم بذنوب عظيم فأمر بجلده فجلد أماناً أكثر من خمسمائة جلده ثم نُفي أيضاً. وبعد ذلك عُقد المجلس ودخلنا إلى داخل ووقفنا جميعاً، فأخرج البك الفرمان الشريف وأمر بقراءته أمام الجمهور ولما تمت قراءته قال للحاضرين من المسلمين ما قولكم تأذنون لهؤلاء الذميين أن يرمموا كنائسهم حسب منطوق الفرمان السلطاني فقالوا جميعاً أن أمر مولانا السلطان مقرون بالسمع والطاعة وكلنا نوافق على ترميم كنائس الذميين لأن منهم فائدة في المال الأميري في المدينة فأمر البك حينئذ بالركوب للكشف على الكنائس وركب هو والقاضي والمفتي والاغاوات والمشايخ وكانوا أكثر من مائة نفس وسرنا نحن أمامهم مشاة إلى كنيسة ماري نيقولاوس فدخلوا الكنيسة وعينوا المهدوم وخمنوا الترميمات المقتضية لها من داخل ومن خارج وكتبوها في دفتر لكي لا يُزاد في البناء حجر واحد على ما كُتب ثم فعلوا كذلك في الكنائس الأربع الأخرى ولما ضمنوا ترميمات كنيسة السيده جرت محاوره طويلة لجهة ترميم بيت النساء لأنه كان يستدعي الهدم والبناء مجدداً نظراً لكثرة تشعبه وبعد جهدٍ جهيد اذنوا بذلك وهكذا في كنيسة ماري سابا ولما انتهى التخمين حصل فرح عظيم عند المسيحيين وفي اليوم الثاني نهار الاثنين 8 كانون الثاني صباحاً شرعنا في ترميم حائط كنيسة ماري نيقولاوس وحائط كنيسة ماري اندراوس الخارجيين وذهب المطران وجرجس لطف الله لكي يستخرجا أعلاماً بالبناء من القاضي فوجدها قد عدل عما صار عليه القرار من التخمينات بالأمس وقال لهما لا يمكنني اعطاء اعلام حسب التخمين لأنني أخشى على نفسي فتوسلا إليه كثيراً فلم ينفعهما التوسل فوقعنا في حيرة وارتباك لأننا كنا قد شرعنا في العمل بدون اعلام وهدمنا جانباً من بيت النساء في كنيسة السيدة وفي كنيسة ماري سابا فأوقفنا حينئذ العمل للحال وسرنا إلى المفتي وسار جرجس لطف الله

إلى حسين افندي كاتب الحكومة فاستدعى إليه القاضي وتجاوز معه طويلاً بشأن إعطاء الاعلام فلم يجبه إلى ذلك. فصرفنا حينئذ البنائين من كنيسة ماري نيقولاوس نحو ساعتين حتى نستحصل رضى القاضي إلا أن القاضي أنفذ من قبله رسواً يدعى قره محمد قامر البنائين أن يشتغلوا في الحائط الخارجي إلى حين صدور الاعلام ثم أن حسين افندي دعا النصارى فمضيا إليه وكان القاضي لم يزل عنده فطلب منا فتوى كنا قد اخرجناها من المفتي فدفعناها له ولما قرأها القاضي قال أنني لا أقبل هذه الفتوى وإنما اريد فتوى تتضمن تسويغ هدم البناء المائل إلى السقوط وتعميره ثانية (مشيراً بذلك إلى بيتي النساء في كنيسة السيد ماري سابا) فذهب بعضنا إلى المفتي واخبروه بذلك فأعطاهم فتوى وافية بالمقصود لأنه كان مساعداً لنا لأننا كنا قد اخرجنا له العطاء فيما سبق فأخذوا الفتوى إلى القاضي الذي كان لم يزل عند حسين افندي فترجمت له إلى التركية لأنه لم يكن يعرف العربية فلم تعجبه فأظهر حينئذ حسين افندي الغيظ ثم مضى القاضي من عنده إلى بيته فمضينا نحن إلى المفتي وأخبرناه بما جرى فقام ومضى إلى القاضي وحاووه كثيراً بحدّة وكان القاضي حديث العهد بالمجيء إلى المدينة فلم يكن يعرف أحوال ومشارب أهلها ثم بعد العناء والجهد الوافر اقتنع وكتب الاعلام نسختين متضمناً الاذن بالبناء على حسب التخمين وفي يوم الأربعاء صباحاً جاء نائب القاضي ومعه نسختا الاعلام واستدعانا للذهاب إلى حسين افندي فصار معه المطران وجرجس لطف الله فدفع النائب نسختي الاعلام إلى حسين افندي فقرأهما ثم دفع واحدة إلى المطران وأعاد الثانية إلى النائب ليكون ناظراً على البناء لئلا يحدث فيه تجاوز لما هو مقرر وأوصى المسيحيين بالاسراع في اتمام العمل بلا تماهل فانصرفوا من عنده وهم يكادون يطيطون فرحاً ثم جرى الشروع بالبناء في الكنائس الخمس في يوم واحد بنشاط وهمة لا مزيد عليهما فكان في كنيسة مار نيقولاوس عشرة معلمين ومائة فاعل وفي كل من باقي الكنائس ستة وسبعة معلمين وخمسون أو ستون فاعلاً وكان نائب القاضي يأتي كل يوم صباحاً ويقيم إلى المساء مناظراً للعمل وفي ظرف عشرين يوماً انتهى البناء والترميم في الكنائس الخمس وكنا في أثناء هذه المدة نستعطف خاطر الكبير والصغير من المشايخ

وغيرهم من المسلمين وبلغت الدراهم التي بُذلت في سبيل هذا العمل سبعة آلاف غرس عدا مصروف البناء (انتهى).

وفي سنة 1744 مسيحية أظهر أهل الجبال النصيرية العصيان على الحكومة فلم يتمكنوا من بيع حاصل تلك السنة من التبغ بسبب انقطاع المواصلات بينهم وبين أهل المدينة فعلقوه في سقوف بيوتهم ودخل عليهم الشتاء وهم على هذه الحال فجعلوا يوقدون النار في البيوت كعادتهم في كل شتاءٍ لاصطلاء من البرد فالتصق دخانها بالتبغ المعلق بالسقوف فاسودَّ لونه وفي السنة التالية اصلحوا أمورهم مع الحكومة، ورجعت المواصلات بينهم وبين أهل المدينة إلى ما كانت عليه فاشترى منهم التجار ذلك التبغ بثمن بخس لاسوداده وتغيَّر هيئته بالتدخين وارسلوه إلى دمياط كجاري عادتهم فوافق طعمه ورائحته مذاق المصريين وراجت سوقه عندهم وجَدَّ طلبه فلما علمت تجار اللاذقية بذلك أشارت على أهالي الجبال أن يعلقوا محصول السنة التالية ويدخنوه كالذي قبله ومن ذلك الحين جعلوا يعالجونه على هذه الصفة كل سنة وهو التبغ المعروف الآن بالجبلبي أو الأبو ريحه.

ويستفاد من الآثار الكنائسية، 4 تموز سنة 1767 توفي في اللاذقية البطيريك الانطاكي فيليميون ودُفن في هيكل مار موسى من كنيسة القديس نيقولاوس. هذا وأُنْما لم نعثَر على ما يُستدلُّ منه على زمان وفاة المطران نيكيفورس وإنما خلاصة ما استدللنا عليه أنه في سنة 1783 كان على اللاذقية مطران يُدعى سيلبسترس ثم خلفه يوانيكوس.

وفي سنة 1796 حدثت في اللاذقية زلزلة هائلة كتب عنها أحد رجال ذلك الزمان ما ملخصه «أنه في يوم الثلاثاء خامس عشر شهر نيسان سنة 1796 م الموافق 18 شوال سنة 1210 هجرية وهي السنة السابعة من جلوس السلطان سليم العثماني على تخت القسطنطينية في زمن ولاية عبدالله باشا ابن محمد باشا العظم على دمشق وولاية موسى باشا على طرابلس واللاذقية في الساعة الثالثة من النهار حدثت زلزلة مريعة هائلة في اللاذقية وُسْمعت أصوات مفزعة كالرعد القاصف في جوف الأرض فهُدمت أكثر منازل المدينة وقُتل كثيرون تحت الردم وكثيرون سقط فوقهم الردم فبقوا تحته حتى كُشف عنهم وأُخرجوا سالمين

ومنهم مَنْ كُسُرت وتعلّلت بعض جوارحه وأما عدد الذين ماتوا تحت الردم فلم يُضَبَّط مقداره أما الذين سلموا فهربوا إلى البراري والبساتين وصنعوا لهم خياماً ومظلات أقاموا تحتها أشهراً ونَقَلَ صيادوا السمك الذين كانوا عند مصب النهر الكبير وقت حدوث الزلزاله أن مياه النهر غارت وقتئذٍ وحكى غيرهم أن الأرض في بعض الأماكن كانت تنشق وتنفّج كالوديان ثم تنطبق وبعضهم رأوا السواقي والينابيع نشفت ثم خرج منها ماء أحمر كالدم. أما معظم الخراب فقد كان في الأماكن الواقعة في وسط المدينة إلى طرفها الغربي على أن الأماكن التي لم تسقط تزعزعت واضطر أصحابها إلى هدمها وبنائها مجدداً فكانت الرزية فيها عامة وأصبحت المدينة وسكانها في أسوأ حال وفيما هم في هذه الشدة وفد إليهم متسلماً محمد ابن العكش ابن السباعي ملتزماً مال اللاذقية من قِبَل موسى باشا والي طرابلس واللاذقية ومعه مايتا عسكري فجذعت المدينة لقدمه وكان المتقدم فيها ابراهيم آغا أبو بلطه وهو رئيس تجار كرخانة الدخان فسعى هو والتجار بجمع دراهم من التركمان والصهاونة وسكان بيت الشلف لأجل ارضائه خوفاً من وقوع محذور وفي شهر حزيران سافر المتسلم المذكور إلى حلب ومات فيها بعد شهر وفي سنة 1799 طُلب من اللاذقية مال ورجال إلى عكا للمعاونة على طرد بونابارته الذي كان قد أتى بالجيوش الفرنساوية لفتحها فذهب ابراهيم آغا أبو بلطه بعددٍ من الرجال إلا أنه لم يقدر على جمع مؤنة كافية لهم فوعده حنا كبه وهو رجل مسيحي من الروم الأرثوذكس ومتقدم بين تجار الكرخانة بأنه يسعى بارسال مؤنة كافية له بعد ذهابه بمدة قصيرة فذهب وجعل ينتظر المؤونة الموعود بها فلم تُرسل اليه فأقسم انه يرجوعه إلى اللاذقية سيشنق جميع تجار الدخان وفي مقدّماتهم حنا كبه لكنه مات بالطاعون في عكا ولم يبلغ مأربه وفي هذه المدة كان أهالي اللاذقية قد ضجروا من حكومة باشاوات الجردة وهم ولاية طرابلس واللاذقية وتضييقهم وشدتهم فإن هؤلاء الباشاوات كانوا يلتزمون مال طرابلس واللاذقية من الدولة ببدلٍ معلوم ويتعهدون بقيام الجردة أي بتقديم لوازم الحجاج إلى آخر حدود أرض الشام فإذا آن زمان الحج ضايقوا الأهالي بطلب الأموال والاكلاف على حسب ما يعنُّ لهم فكان سكان اللاذقية يطلبون طريقة للتخلص من

حكومة هؤلاء الباشاوات وكان حنا كبه الذي مرَّ ذكره رجلاً حاذقاً مقدماً جسوراً محباً للتقدم فلم يؤخره كونه مسيحياً عن أن ينتهز الفرصة التي تقضي له بالوجهة والتقدم فجعل يتخاير مع وجوه مسلمي البلدة حتى اقنعهم بوجوب السعي في اكتساب الراحة بكل وسيلة وأن يفوضوا الأمر إليه فيستحصل لهم الاستقلال بما عنده من الوسائط والتعهد للدولة بمال اللاذقية رأساً بدون واسطة باشاوات طرابلس فوقع كلامه هذا موقع القبول والاستحسان في أعين القوم الذين كانوا يئنون تحت حمل أثقال وأكلاف الباشاوات فأجابوه لذلك فشرع يستعمل الوسائط اللازمة للحصول على المقصود وارسل إلى القسطنطينية ميخائيل ديب أحد مسيحي حلب لكي يسعى في ذلك بواسطة أخيه ثيودور زكي ديب المقيم فيها بوظيفة كاخيه امير الفلاخ والبغدان وكانت له وجهة لدى الوزراء ووكلاء السلطنة فاستحصل فرماناً يتضمن سلخ اللاذقية عن طرابلس وجعلها محصلية مستقلة متعلقة رأساً بالباب العالي وتعيين محصل مسلم بكفالة حنا كبه الذي تعهد بتوريد مال لواء اللاذقية (الذي كان نحو مائتين وعشرة آلاف غرش سنوياً) فلما وصل فرمان اللاذقية وجرى اعلانه وبلغ ذلك الباشا الذي كان وقتئذ متولياً على طرابلس غضب وجمع عساكر من عكار والمرقب وتلك الجهات واتى بها إلى اللاذقية للانتقام من حنا كبه ولما بلغ ذلك حنا كبه شرع بعمل سور للمدينة وتحصينها على قدر الاستطاعة وجمع اسلحة ومهمات ووزعها على الأهالي مسلمين ونصارى ووعد بهبة مالية كل من يقتل شخصاً من الأعداء في ساحة الحرب ويأتيه برأسه. على أنه كان خائفاً من كثرة عساكر عدوه واقتدارها فقدّر الانكسار واعدّ سفائن في المينا ليهرب فيها بعائلته إذا دارت الدائرة عليه ولما وصل الباشا إلى خارج اللاذقية بعسكره دارت رحى الحرب بين الفريقين وكان حنا كبه ينشط الأهالي ويوجد على كل من أتاه برأس من عساكر العدو ويعطيه وافرته فتولدت الغيرة والحماصة عند الأهالي وثبتوا في ساحة القتال إلا أن عساكر العدو ازاحتهم أخيراً عن مواقعهم وهجمت على المدينة ودخل بيرقدارها وشك البيرق في دار الحكومة وكاد الانتصار يتم إلى الباشا لكن من الاتفاق الغريب أنه فيما أن البيرقدار يشك البيرق إذا برصاصة اصابته فخرّ قتيلاً وسقط البيرق من يده فكانت هذه

الحادثة كافيةً لاجفال عساكر الباشا ورجوعها فتشجع حينئذ الأهالي وهجموا عل عساكر الباشا الذين اصابهم الفشل والهلع فاستظهر عليهم الأهالي وما زالوا يفتكون بهم حتى اركنوا إلى الفرار فولوا مدبرين ووئى الباشا معهم ولم يزل الأهالي يتبعهونهم حتى مزقوهم كل ممزق وعادوا ظافرين فعظمت بذلك هيبة حنا كبه وامتد صيته وسطوته فدانت له البلاد ساحلاً وجبلاً وصار أهلها يأتون له بالمرتبات والأموال الأميرية واستخدم عنده عسكرياً مشاةً وأرناوطاً وفرساناً واستحضر إليه عمر آغا كوله أحد أغاوات جبل الأكراد وجعله دالي باش أي رئيس الفرسان فكان إذا تمردت عليه احدى المقاطعات وتمنعت عن أداء الأموال يسوق عليها عساكره أو ينفذ إليها أهالي المقاطعات الأخرى وهكذا تمكن من إدارة الأمور وجبر جميع سكان لواء اللادقية وجبله إلى الانقياد له ثم شرع في بناء ترميم المساجد والكنائس التي هدمتها زلزلة سنة 1796 وأصلح بعض الطرق في المدينة والاسكله وفي غضون ذلك جاء إلى اللادقية محمد باشا أبو مرق من اخضاء الصدر الأعظم يوسف ضياء باشا فاستقبله حنا كبه بمزيد الاكرام وانزله في منزله وعيّن له النفقات والخدم كما يليق بشأنه فسرّ بذلك أبو مرق غاية السرور وكتب إلى الصدر الأعظم يعلمه بقصته أما الجزّار فلما بلغه أن أبا مرق ملتجىء عند حنا كبه كتب إليه يطلبه منه فأبى حنا كبه تسليمه فحنق عليه الجزار وفي أثناء ذلك وردت الأوامر من الصدر الأعظم باعادة أبي مرق إلى يافا كما كان وتحذير الجزار من التعرض له فعاد أبو مرق إلى ولايته وكتب إلى الصدر الأعظم يصف له الجميل الذي أولاه اياه حنا كبه ويطنب له بمديحه ويلتمس مكافأته. أما الجزار فقصد الانتقام من حنا كبه وكاتب عدده آغا صاحب المرقب يهيجه على العصيان على حنا كبه والسعي بهلاكه فأجابه إلى ذلك وتمنع عن أداء الأموال مشهراً العصيان فساق حنا كبه العساكر لمحاربته فتحصن عدده آغا في قلعة المرقب ولم يظفر به حنا كبه فرجع عنه وكان عمر آغا كوله قد وقع اسيراً عند عدده آغا ولما وصل حنا كبه إلى اللادقية ذهبت إليه امرأة عمر آغا كوله والتمست منه إنقاذ زوجها فكتب إلى عدده يطلبه منه ويخبره بالصلح فانفذه إليه وتقرر بينهما الصلح وقيل أن عدده آغا لم يطلق عمر كوله حتى أخذ عليه عهداً وميثاقاً بأنه يقتل حنا

كبه. هذا وكان حنا كبه قد قلَّ معه المال ومُلَّ من كثرة المصاريف والوظائف فصرف أكثر الفوارس الي كانت تحت قيادة عمر آغا كوله وصرف الارناؤط أيضاً وكانوا مسيحيين فأشار عليه بعض أقاربه واصحابه أن لا يصرفهم لأنهم يحمون جانبه فلم يقبل مشورتهم أما عمر آغا كوله فأظهر الغيظ والكدر من صرف عساكره وقال أهذه هي المكافأة التي استوجبها على اتعابي وأسري في خدمتي لهُ وجعل يستغيب حنا كبه متطاولاً ولما بلغ ذلك حنا كبه لم يبال به. وقال انما هو من بعض خدامي ولا يجسر على اجراء شيء ضدي. لكن عمر آغا كوله كان قد صمم على قتله وكان عدره في المرقب والمسلمون في اللاذقية يحثونه على ذلك ليتخلصوا من حكومة رجلٍ نصراني فنزل ذات يوم إلى خان الاسكله الذي كان يُعرَف وقتئذٍ بخان الدخان وكان مركز اقامة حنا كبه ومقر أشغاله فدخل إليه ومعه بعض رجاله ثم طلب من حنا كبه علائف العساكر فوعدهُ بها فلم ينكفَ عن طلبها معجلاً بقحةٍ فانتهره حنا كبه فرفع حينئذٍ بارودته ليطلق عليه الرصاص لكنه ارتدَّ ولم يفعل فاندفع إذ ذاك رجل يُقال لهُ الهيطلي واطلق الرصاص على حنا كبه فقتله وكان عندهُ رجل اسمه ميتا يوناني الجنس غني مرَّ مسافراً على اللاذقية فحسَّن لهُ حنا كبه بالاقامة فيها فأجابهُ إلى ذلك وصار خزنداراً عندهُ فلما قُتل قتلوهُ معه وكان قاتله رجلاً يقال لهُ مصطفى الكلَّ وحدث ذلك سنة 1803 ولما قُتل حنا كبه دهموا بيته ومنازله وضبطوا جميع موجوداته وأملاكه ولم يتركوا لعائلته شيئاً تعيش به سوى ما أمكن امرأته أن تخبئه من الحلبي عندما فاجأها خبر قتله. وكان إذ ذاك قد وصل إلى الصدارة العظمى عرض ابي مرق المتضمن مديح حنا كبه وقبل وصوله كان قد بلغ إليها عرض من والي حلب يتشكى فيه من حنا كبه بأنه يهيج علي آغا رستم احد اغاوات جبل الأكراد على الاغارة والنهب من الشجر ونواحيها التابعة ولاية حلب وأنه قد كاد يخرب تلك الجهات وهو رجل نصراني قد عتا وتكبَّر واضرَّ بالمسلمين فلما اطلع الصدر الأعظم على هذا العرض احتدم غيظاً إلا أنه فيما هو على تلك الحال ورد إليه عرض ابي مرق الذي كان محبوباً منه وثيق بصداقته فلما قرأه سُرَّ وقال أن والي حلب كاذب وللحال بعث إلى حنا كبه بخلعة سنية ودبوس وغداره مما كان يستعمله البكاوات في تلك الأيام وأنعم عليه بلقب بك

وجاء بذلك من القسطنطينية بريد مخصوص ولما وصل البريد إلى انطاكيه بلغه خبر قتل حنا كبه فضرب بقلنسوته الأرض وجعل يندب سوء حظّه على ما فاتته من الهبة. ومن الاتفاق الغريب ما حكته لي امرأة حنا كبه نفسها وأعرفها عجوزاً عمياء قد جاوزت الثمانين فقالت أنني في ليلة اليوم الذي قتل فيه رأيت في الحلم أنني امضيت إلى الحمام ولما استحمت خرجت لكي البس ثيابي فلم أجد بينها عصابتي فلما انتبهت من النوم قصصت عليه ذلك الحلم فتشام منه فقلقت لذلك ونهيته عن النزول إلى المينا في ذلك اليوم فلم ينته... قلت ولما قُتل حنا كبه كان أبوه لم يزل في قيد الحياة وكان وحيداً له فحزن عليه الحزن الشديد وحبس نفسه في بيتٍ لم يخرج منه إلى أن مات. وكان لحنا كبه ابنان أحدهما يُدعى جرجس والآخر ديمتري وبنّت تُدعى ايرين فبعد قتله ذهبت امرأته بأولادها إلى طرابلس ثم أشير عليها ان تمضي إلى محمد باشا أبي مرق في يافا فلا بد أن ترى منه خيراً مكافأةً لمعروف زوجها معه ثم تزور بيت المقدس فاستحسنّت هذا الرأي وسافرت بأولادها إلى يافا فاستقبلها أبو مرق أحسن استقبال وعين لها النفقات الجزيلة وعاملها أكرم معاملة وقال لها انها ستمكث عنده لأنه سيزوج ابنتها بسمعان صالح رئيس كتاب تلك الأيالة ويربي ولديها الذكرين ويعلمهما لأنهما عنده بمنزلة ولدين له ثم استدعى سمعان صالح واعلمه بالأمر وكان لسمعان صالح خطيبة أخرى فاعتذر فلم يقبل له عذراً بل قال له أعطِ خطيبتك تلك إلى ابنك (وذلك لأن سمعان صالح كان وقتئذٍ ارملة وله ابن شاب من امرأته الأولى يُدعى سالماً وعدة بنات) وحُذ أنت هذه فأنها جميلة وكريمة الحسب والنسب وهي بمنزلة ابنتي فهل لك أن ترفضها فخجل حينئذٍ أن يخالفه والتزم القبول أما أرملة حنا كبه فقد شقَّ عليها امر التغرب وحنّت إلى وطنها وأهلها فتوسلت إلى أبي مرق أن يعفيها من الإقامة ويسمح لها بالعودة إلى بلدها فوعدها بإجابة مرغوبها ولما علم سمعان صالح بالأمر، وكان قد مال إلى الاقتران بالابنة راجع أباً مرق في ذلك وحمله على الأخلاف بوعده وعدم السماح لأرملة حنا كبه بالرجوع ثم جرى عقد خطبة ابنتها على سمعان صالح. هذا وكان الجزار لم يزل يضرر السوء إلى أبي مرق وأبو مرق يتأهب للمدافعة فالتمست امرأة حنا كبه من سمعان صالح أن

يسمح لها بأن تذهب بأولادها إلى وطنها ثم تعود عندما تسكن الأحوال فأجابها إلى ذلك فسافرت إلى طرابلس.

وفي سنة 1804 شُـرطن على اللاذقية المطران غفرئيل خليفةً للمطران يوانيكوس وفيها توفير الجزار وتوجهت ولاية عكا على سليمان باشا فقرَّب سمعان صالح ووُلَّى على فلسطين باشا من غلمانهِ يُكْنَى أبا بُتوت وسكنت الأحوال في تلك البلاد فانفذ سمعان صالح رسولاً إلى طرابلس ليذهب بأرملة حنا كبه وأولادها إلى يافا فحاولت التردُّد عن الذهاب غير أن معارفها قالوا لها لا حيلة لك إلا بالذهاب لأن سمعان صالح قادر أن يأخذك جبراً نظراً لوجهته عند سليمان باشا فامتثلت وبعد وصولها إلى يافا مع أولادها جرى عقد زواج ابنتها على سمعان صالح وأما ولداها جرجس وديمترى فبعد أن أقاما مدةً في يافا سافرا إلى القطر المصري فتوفي ديمترى فيه شاباً غريباً وأما جرجس فأقام عند باسيلي فخر المشهور في دمياط نظراً لصداقة كانت بينه وبين أبيه وتثَقَّف على يديه ثم صار ينتقل إلى فلسطين واللاذقية ولما قُـتِل صهره سمعان صالح كما سيأتي توطن في اللاذقية وقضى حياته فيها غريباً وتوفى سنة 1857 وانقطعت به سلالة حنا كبه من الذكور وكان جرجس كبه ظريفاً مزاحاً لذيذ المعاشرة له مراسلات وتآليف هزلية مضحكة منها كتاب روضة العزبان الفه سنة 1824 في مدينة القدس وهو يتضمَّن تفضيل حالة العزوبة على حالة الزواج وشرح صعوبات الزواج وعواقبه وكتاب كبه وكرنبه ألفه سنة 1831 في مدينة غزة وهو يتضمن بيان الفرق الكائن بين العوائد والملابس الافرنجية والعربية على أسلوب جدالٍ بينه وبين كرنبه وهو اسم استنبط لرجل افرنجي ليس له رسم في عالم الوجود ونسب إليه التحزب للملابس والعوائد الافرنجية وبنى مناقشته معه. وقد طُبِع مؤخراً كتاب روضة العزبان في مصر ببعض تغيير محذوفاً منه اسم مؤلفه وهذا عيب على مَنْ طبعه. ولهذين التأليفين طلاوه مع كونهما غير معربين لأن مؤلفهما لم يكن يعرف قواعد العربية. أما أرملة حنا كبه فبقيت في فلسطين عند ابنتها مدةً تنوف عن عشرين سنة حتى قُـتِل صهرها سمعان وعَلَّة قتله أن أبا بُتوت والي فلسطين بعد أن تولى حكم تلك البلاد مدة طويلة سئمت الرعية من حكومته وافتعلت له

سبباً أوجبه للذهاب إلى عكا. ولما عاد منها أغلقت في وجهه أبواب يافا وهاج عليه الناس فخاف وفرّ هارباً فنُسبت هذه الثورة إلى سمعان صالح اعتقاداً بأنه لو لم تكن له ارادة بها لأمكنه ردع الأهالي وبعد مدة من الزمان توّلى على دمشق بطريق الوكالة حسين باشا وكان من غلمان سليمان باشا رفيقاً لأبي نبوت ومحباً له كأخ فلما أقيم وكيلًا في ولاية دمشق وكان مرجع حكومة فلسطين إليها قصد الانتقام من سمعان صالح وانفذ إليه أمراً يستدعيه فيه بالحضور إلى دمشق لتقديم محاسبة البلاد فاعتذر وارسل ولده سالمًا بالمحاسبة فلما وصل إلى دمشق وضعه حسين باشا في السجن وأرسل يتهدد والده في قتله إذا لم يأت بنفسه إلى دمشق فسار إليها وبوصله وضعه في السجن وبعد ذلك بيومين شاع خبر قرب وصول والي الأصيل وكانت له معرفة بسمعان صالح فخشي حسين باشا من أنه يطلقه بعد وصوله فشنقه للحال وشنق معه صهره زوج ابنته قسطنطين برهومة الذي كان قد رافقه من يافا ثم لما كان المساء حُلًا من المشنقة فوجد قسطنطين برهومة لم يزل فيه رمق من الحيوة فترك وبعد شفائه من تأثير الاختناق بُلص بمبلغ من الدراهم ثم العفو عن الجهاز عليه ثم عاش بعد ذلك سنين كثيرة في مدينة الرملة واستمرت جورة حلقه بارزةً من أثر الشنق. وأما سمعان صالح فكان قد قُضي عليه فأمر حسين باشا بوضعه في الحجرة المحبوس فيها ولده سالم وقفل الباب عليهما وفي الغد أمر بدفنه ثم أصدر الأوامر إلى يافا والقدس بضبط جميع موجوداته ومقتنياته لجانب الحكومة فلم يسلم منها إلا ما خبأته عائلته عند سماعها بقتله، وما كان وديعةً في دير الروم ثم أطلق سالم وعاد إلى القدس. وحسين باشا هذا، قد كان في زمن ولاية أبي نبوت على فلسطين مدير كمرك في اللاذقية تحت اسم حسين آغا كما سيأتي. أما أرملة سمعان صالح فكانت قد ولدت منه ذكرين وهما الياس وموسى وثلاث بنات فلما قُتل زوجها صممت على الرجوع بأولادها وأمها أرملة حنا كبه إلى اللاذقية إلا أن سالمًا ابن زوجها منعها من ذلك فلبثت تنتظر فرصةً وفي أثناء ذلك مات ولدها الياس وهو فتى ولما زحف إبراهيم باشا ابن محمد علي باشا من مصر بعساكره على بر الشام سنة 1831 كان سالم في عكا فحاصرها إبراهيم باشا وهو فيها فانتهزت حينئذ امرأة أبيه الفرص وسار

أخوها جرجس كبه بها وبأولادها وبأمه إلى اللاذقية أما أمه فقضت بقية حياتها عنده وعاشت طويلاً غير أنها عميت في أواسط عمرها وماتت قبل موته ببضع سنين وأما ارملة سمعان صالح فزوجت بناتها في اللاذقية وفي سنة 1837 تزوج ابنها موسى بامرأة أقامت معه أربعين يوماً وماتت فتزوج بأخرى ووُلد له منها خمسة بنين ذكور عاش منهم ثلاثة وهم الياس وهو مؤلف هذا التاريخ، ولد في 26 كانون الثاني سنة 1839 وسليم ولد في 29 كانون الأول سنة 1844 ويوسف ولد في 23 أيلول سنة 1847 ولما كان موسى غير ناجح في اشغاله اضاع كل الميراث الذي خصه من ابيه ووقع تحت ثقل الدين في اللاذقية فسافر منها إلى القدس وأقام مع اخيه سالم وبقيت امرأته وأولاده في اللاذقية أما أمه فتزهت في أواخر حياتها هناك وفي سنة 1862 توفي سالم في القدس وله ابنان سمعان وصالح وسبع بنات. وكان لسمعان صالح أخ يُدعى خليلاً يتولى رئاسة كتبة غزة وتوفي فيها قبل قتل اخيه وله ولد ذكر يُدعى سليمان ويكنى أبا دواود ثم في سنة 1867 توفي موسى والد المؤلف في القدس. هذا ما أردنا ذكره من هذا القبيل على سبيل الاستطراد ولنرجع الآن إلى ما كنا في صدره من تاريخ اللاذقية فنقول.

انه لما بلغ الدولة في الاستانة خبر قتل حنا كبه أرسلت محضلاً إلى اللاذقية فجاء إليها وشرع يستقصي عن قاتلي حنا كبه وموجوداته المضبوطة فدعاه أعيان المسلمين إلى وليمة في قلعة المينا فسقط منه على أحد حيطانها وقيل لا بل هم دفعوه عنه فوقع في البحر فمات وبعد ذلك زحف إلى اللاذقية علي آغا رستم من جبل الأكراد برجاله واستولى عليها وادعى ان قصده الأخذ بثأر حنا كبه فجعل يجور على السكان ويصادر النصارى والمسلمين فهجم عليه المسلمون وقتلوه في دار الحكومة ثم تولى عليها عبد الرحمن باشا وكان يُلقب جربان باشا لحكّة كانت في جلده وكان قبل ذلك والياً في قبرص فجاء معه ألف عسكري من الأتراك وفرقة من الارناوط وفي ذات يوم دخل عليه كبير الارناوط وطلب منه العلائف فوعده فلم يقبل بالوعد بل أصرّ على الطلب فانتهره الباشا فخرج إلى خارج فأطلق عليه الرصاص فأخطأه فأمر حينئذ جربان باشا بالقاء القبض عليه وقتله وقتل جميع الأرناوط معه

فهجم الجنود والأتراك على الأرناؤط وفتكوا بهم وقتلوا أكثرهم وفرَّ الباقون فقطع جربان باشا عشرين رأساً من رؤوس الأرناؤط المقتولين وارسلها إلى الاستانة مدعيّاً أنها رؤوس المتمردين الذين قتلوا حنا كبه وغيره من الحكام فانعمت الدولة عليه ورفعت رتبته ووجهت عليه ولاية جده فتعين بعده عمر آغا كوله متسلماً في اللاذقية ومصطفى آغا هارون تفنكجي باشي (أي رئيس الضابطه) وابراهيم آغا صاغصون كبير انكشاريه وكان هذا الأخير مستبدّاً بالأحكام ويده الحل والعقد ولم يكن لعمر آغا كوله من المتسلمية إلّا الاسم وفي نحو سنة 1808 عزل عمر آغا كوله وعُين أحمد بك متسلماً مكانه من قِبَل صهره يوسف باشا والي دمشق وفي أيامه اسلم دوجي والعامه يسمونه الغوجي وكان وكيل قنصل انكلترا فيها وسبب إسلامه أنه اعتم ذات يوم بعمامة بيضاء وخرج إلى السوق فحيّاهُ بعض أعيان المسلمين بتحية الإسلام عن غير روية فردَّ عليه السلام ولما انتبه له وعرفه هاج وهاج معه الحاضرون من المسلمين فخاف دوجي منهم واسلم تخلصاً من القتل. وقيل لا بل أنه اسلم عن قبول ورضى ليتزوج بخادمة مسلمة عنده كان قد احبها وتعلق بها. ثم بعد ذلك سافر إلى جبل لبنان وارتد فيه إلى النصرانية وقد اسلم غيره كثيرون من النصاري في هذا الحين ومن بعده بسبب الاضطهاد والظلم. أقول ولعلَّ مَنْ يطلع على تاريخنا ويرى فيه أن قنصل انكلترا كان يتعمم بالعمامة يعدُّ ذلك من جملة الأمور المستغربة. على انه في الأوقات التي نحن بصدددها لم يكن أحد في اللاذقية وغيرها من بلاد الدولة العثمانية يجسران يظهر باللباس الافرنجي بدون خطرٍ على حياته من فتك المسلمين به فكانت القناصل تلتزم أن تلبس الجبة والقنباز وتعتم بالعمائم كما أنه كان إذا أتى مركب افرنجي إلى اللاذقية لا يجسر قبطانه، أن يخرج إلى البر بدون أن يؤخذ له إلى المركب ملابس وطنيه ليلبسها قبل خروجه. وفي سنة 1810 وجهت ولاية الشام على سليمان باشا علاوة على ولاية عكا، فأرسل عثمان آغا طرطوسي متسلماً للاذقية ولما وصل إليها القي القبض على ابراهيم آغا الصاغصون وعلى مصطفى آغا هارون فنفي ابراهيم آغا إلى صيدا، وكان ذلك آخر العهد به ونفى مصطفى آغا هارون إلى حماه فتعين فيها تفنكجي باشي والأصح أن عثمان آغا طرطوسي إنما تعيّن من قِبَل مصطفى

آغا بربر الذي عيّنه سليمان باشا متسلماً لطرابلس واللاذقية وأن نفى ابراهيم آغا الصاعصون ومصطفى آغا هرون انما جرى بعد هذا التاريخ وذلك في العهد الذي فيه قرضت الدولة زمرة الانكشارية، فانهما كانا منهم وكيفية وقوع القبض عليهما هي أن مصطفى آغا بربر قدم إلى اللاذقية ومعه فرقة من العساكر خرج وجوه المدينة لاستقباله فدخلها باحتفال عظيم ليلة عيد الفطر ولما قابله الانكشارية ترحب بهم ووعدهم بانعامات وافرة وأمرهم أن يصرفوا نهار العيد بالحظ والسرور وأن يحضروا إليه ثاني يوم العيد فانصرفوا من عنده مسرورين ولما جاء الميعاد اجتمع ابراهيم آغا الصاعصون ومصطفى آغا هرون وسائر اغاوات الانكشارية واتباعهم وساروا بملابسهم الرسمية إلى مصطفى آغا بربر وكان مصطفى آغا المذكور قد وضع عساكره في المراكز الموافقة من دار الحكومة فلما وصلت الانكشارية دخل اغاواتهم عليه فاستقبلهم بالاكرام وبعدما جلسوا عنده برهة وشربوا القهوة أمر بنزع سلاحهم فانكروا منه هذه المعاملة وسأله كبيرهم ابراهيم آغا الصاعصون قائلاً: هل أنا أيضاً ممن ينبغي أن يسلموا سلاحهم فوضع يده مصطفى آغا بربر على القربينه التي كانت أمامه مع عدة أسلحة (وذلك لأن حكام تلك الأيام كانوا إذا جلسوا يضعون بجانبهم أسلحة متنوعة). وقال له نعم وأنت أيضاً فهجمت حينئذ العساكر وأحاطوا بالانكشارية ونزعوا اسلحتهم وقادوهم إلى السجن ثم جرى نفيهم وكان ممن نفى ابراهيم آغا الصاعصون ومصطفى آغا هرون كما ذكر. وكان حسن آغا شومان بيرقدار الانكشارية حين حدوث هذه الواقعة في قرية دمسرخو التي كانت في التزامه (وذلك لأن اغاوات الانكشارية كانوا يأخذون قرى الساحل بالالتزام ويستولون حواصلها) فلما بلغه ما وقع برفاقه في المدينة ركب جواده وأطلق له العنان قاصداً الآستانة بنية تقديم الشكوى إلى رئيس الارطة التي كانوا تابعين لها فلما بلغ الآستانة رأى أن الدولة قد أوقعت بجميع الانكشارية وأن ذلك جرى بعهد من السلطان محمود لقرضهم من المملكة فاستولى عليه الرعب والخوف ورضي من الغنيمة بالإياب فرجع متنكراً إلى طرسوس ثم جعل يترامى ويكتب من يتوسط له لدى الحكومة في اللاذقية حتى أذن له بالرجوع إليها والإقامة فيها بصفة تاجر فعاد إليها لازماً حده.

وفي زمن ولاية مصطفى آغا بربر على طرابلس وعثمان آغا طرطوسي على اللاذقية أظهرت النصيريه العصيان فجرد مصطفى آغا بربر العساكر وزحف بها لمحاربتهم فاستظهر عليهم وقتل منهم نحو مائتين وثمانين نفساً وأرسل بعض رؤوسهم إلى الاستانة صعبة تترى مخصوص فصدرت الإرادة السنية بالعفو عنهم وكف القتال.

وأقام عثمان آغا طرطوسي متسلماً في اللاذقية مدةً طويلة وتضاعف في أيامه ذل النصارى وقد أمرهم أن يلبسوا السواد المحض من العمامة إلى الحذاء على أنه لم يكن يلبسهم أو يعذبهم وكان عادلاً في الحكم. وفي أثناء مدته كان حسين آغا مديراً في كمرك اللاذقية. وهو الذي توجه عليه أخيراً لقب باشا وقتل سمعان صالح جد المؤلف في الشام كما مرّ ذكر ذلك، وكان حسين آغا يكره عثمان آغا طرطوسي ويعتبر نفسه حاكماً في الأسكله كما أن عثمان آغا حاكم في البلد ومما يحكى أنه كان في أيامه حداد نصراني في الاسكله فمرّ به ذات يوم فارس من المستخدمين عند عثمان آغا وأوصاه على نعالٍ لفرسه ثم بعد أيام عاد إليه وطلب النعال فاعتذر ووعدّه إلى الغد فاغتاظ الفارس منه وشتمه وضربه فسمع حسين آغا الضوضاء. وسأل ما الخبر ولما أخبر بالقصة غضب واستدعى بالفارس وأمر بطرحه عن فرسه وخربه بخشية القبان حتى غشي عليه ثم القاه في البحر قائلاً هذا جزاء من يتناول على من كان في حماي. وحسين آغا هذا هو الذي بنى السبيل الذي في إدارة الكمرك في الاسكله واجرى إليه الماء في أقيّة تحت الأرض من بستان مارى يعقوب الذي وراء الخان وبنى السوق الذي بجانب البحر من جهة الجنوب ورصف بعض عقبة السفكون التي في الطريق المؤدية من اللاذقية إلى حلب. وفي سنة 1816 قدم إلى اللاذقية البطريق الانطاكي سيرافيم فشكا إليه بعض وجوه المسيحيين من اطوار المطران غفرئيل وافراطيه في شرب الخمر وطلبوا خلعه وفي أثناء اقامته بدا له من سلوكه ما رجّح لديه صحة الشكوى واحسّ المطران بتغيير خاطر البطريق عليه فهرب في حالة سكره من القلاية إلى بيت موسيو لانوس قنصل فرنسا طالباً حمايته ولما علم بذلك البطريق طلبه من القنصل فسلمه إليه فأخذه معه محفوظاً إلى القسطنطينية حيثما أقام

سنتين ومع أن المطران المذكور كان غير محبوب من أكثر وجوه مسيحيي اللاذقية قد كان محبوباً من العامة والفقراء لأنه كان يحسن إليهم فاتفق أن حنا غالي رئيس سفينة من اللاذقية سافر إلى الاستانة فصادف فيها المطران وكان هو ونوتيته يحبونه ففرحوا برؤيته ودعوه إلى العودة معهم إلى اللاذقية وقدموا عرضاً إلى البطريك كنواب عن شعب اللاذقية يلتزمون منه اعادته فأجابهم إلى ذلك وعند السفر نزل معهم المطران وسافروا به إلى اللاذقية ولما بلغ الشعب خبر قدومه اظهروا الرضى بما حصل وعاملوه بالحسنى وكانت عودته سنة 1818.

وفي نحو سنة 1821 خرج عبدالله باشا والي عكا عن طاعة الدولة فسلخت الدولة طرابلس واللاذقية عن ولاية عكا واعادتهما إيالة تحت حكم والٍ واحد يتعهد بقيام الجرده كالقديم وولت عليهما حسين باشا فأقام مدة ثم عزل وتعيّن مكانه محمد باشا ابن المن وفي أيام ولايته مرّ رجل فرنساوي في سوق اللاذقية متعمماً بعمامة بيضاء فاعترضه بعض المسلمين واهانه فاشتكى إلى قنصله فأرسل القنصل ترجمانه عطاالله عازار ليكشف الأمر فجاء الترجمان إلى السوق وسأل عمّن اهان الفرنسي ولما اهتدى إليه سأله عن سبب اهانتة للفرنساوي فأجابه لكونه متجاوزاً حدّه ومتعمماً بعمامة بيضاء فقال له إنما تعمم بها بحق المعاهدات الدولية فاغتاظ الرجل من الترجمان وشتّم المعاهدات الدولية ثم هاج وهاج المسلمون معه وادعوا على الترجمان انه شتم الشرع الشريف وهجموا عليه ففرّ من بين أيديهم فتبعوه فاعتكف من مدخل قريب ودخل بيت قنصله أما هم فلم يزالوا ثائرين وسائرين حتى وصلوا إلى أمام بيت القنصل وكان قد أغلق بابه قبل وصولهم فأكثروا من الجلبة والصياح والشتايم والتهديدات ثم رجعوا عنه وكان ابن المن حينئذ في طرابلس فأرسلوا يعلمونه بالخبر على حسب مدعاهم وأرسل القنصل يعلمه به على حسب مدعاه ومدعى الترجمان أما هو فلم يركن إلى احد الطرفين بل وعدهما أنه سيأتي ويحقق الأمر بنفسه وبعد مدة جاء إلى اللاذقية وجعل يحقق ويستقصي سرّاً وعلناً فتأكد صحة ما ادعاه القنصل وترجمانه فقاص الطرف الآخر ونفى الشيخ ابراهيم حكيم قاضي اللاذقية مع مفتيها إلى جزيرة ارواد فأقاما فيها مدة فساء المسلمين سلوكه هذا وحنقوا عليه ثم زعموا أنه

نصيري لأنه كان يراعي جانب النصيرية وقيل أنهم تحققوا ذلك من اجتماع النصيرية إليه ومن لهجته باللغة العربية فأنها كانت كلهجتهم ومنهم من يقول بتأكيد أنه تزوج سرّاً بأحدى بناتهم فجعلوا ينتظرون فرصةً للفتك به وكان الجندي أحمد من أبناء الطريفي تفنكجي باشي فعزله ابن المن ولما دخل شهر رمضان أرسل منادياً ينادي في الأسواق أن كل من يجلس في القهاوي ويقامر بالورق فجزاؤه الحبس فذهب بعض أبناء الطريفي وجلس في القهوة وجعل يقامر تعرّضاً ولما سمع الباشا بخبره أرسل فحبسه فهاج حينئذٍ أبناء الطريفي وساروا إلى الشيخ محمد المغربي يستشيرونه في قتله، فأوماً إليهم بيده أن يقتلوه فاندفعوا حينئذٍ ركضاً وتبعهم جمهور كبير من المسلمين. وهجموا عليه في دار الحكومة وقتلوه وقتلوا معه كاتبه عطى الله سليمان فتولى بعده سليمان باشا العظم وأرسل متسلماً إلى اللاذقية علي آغا خزنة كاتبه.

وفي سنة 1822 حدثت في اللاذقية زلزلة هائلة هدمت فيها أبنية كثيرة فهرب الناس من البيوت وأقاموا في البساتين تحت الخيام مدة طويلة قال موسيو بوجولا السائح الفرنسي الذي زار اللاذقية سنة 1831 في رسالات رحلته ما تعريبه: «أن مدينة سلوقس هذه (اي اللاذقية) قائمة في أرضٍ بركانية والظاهر أنها تتزلزل بلا انقطاع حتى أنه يصعب عليها أن تثبت متمكنة وهي لا تنتهي من الاشتغال في النهوض من سقطة خراباتها وقد كانت زلزلة سنة 1822 مشؤومة على هذه المدينة بنوع الخصوص لأن انتقاضها قلب حاراتٍ منها برمتها حتى أن خانها الكبير لم يتمكن من الثبات... والاسكله تتألف من طريقين على جانبيهما مخازن عريضة قد خربت نصف خراب في الزلزلة الأخيرة (انتهى) ثم عزل سليمان باشا العظم وخلفه علي بك المرعب ويدعى علي بك الأسعد وهو من عكار فجاء إلى اللاذقية نحو سنة 1825 وكان عبدالله الياس احد وجوه مسيحيي اللاذقية كاتباً ومقرباً عنده ثم غضب عليه وقتله خنقاً وضبط موجوداته قيل أن سبب غضبه عليه أنه أمره أن يكتب له أسماء أغنياء البلدة من المسلمين والنصارى ليصادروهم لأجل مصروف الجردة فاعتذر فغضب عليه واتفق له من هيج غضبه واغراه بأن يبلصه مطعماً إياه بأن منه وحده يمكن الحصول على

المبلغ اللازم من النقود فبلصه بمبلغ وافر ووضعه في السجن ولم يطلقه حتى قبض منه المبلغ تماماً، ولما أطلقه سعي لديه أنه عازم على السفر إلى الشام ليشكوهُ إلى واليها فألقى القبض عليه ثم استحضر شاهدين شهدا عليه أنه طعن في الشيخ محمد المغربي وقال أنه من الواجب طرده من البلده فحكم بقتله فقتله خنقاً كما مرَّ.

ثم في سنة 1826 عُزل علي بك المرعب وتولى مكانه امين باشا فعين مصطفى آغا هرون كاخيه عنده يُقال أن امين باشا هذا كان من المماليك البحرية الذين كانوا في مصر ولما قتلهم محمد علي باشا والي مصر إذ استدعاهم إلى قلعة القاهرة بوسيلة لعب الجريد نجا امين بك (حسبما كان يلقب وقتئذ) بواسطة الفرار على جواده إذ اطلق له العنان فوثب من فوق سور القلعة إلى خارجها وعندما اقترب الجواد من الوصول إلى الأرض تفلت منه امين بك وألقى نفسه عنه فوصل إلى الأرض سالماً أما الجواد فتحطم وقُتل ثم توارى امين بك وفر من القطر المصري إلى الاسنانة حيثما دخل في خدمة الدولة وما زال ينتقل في المناصب حتى وجهت عليه ميرامانية طرابلس واللاذقية.

وفيها توفي المطران غفريل في قرية السويدية ودُفن فيها وذلك في السنة الثانية والعشرين من رياسته. وفي سنة 1828 حدث طاعون في اللاذقية مات به كثيرون وممن مات الشيخ محمد المغربي وكان عند المسلمين بمنزلة ولي عظيم وُلد في سوس من اقليم تونس في بلاد المغرب من سلالة أحمد ابن التاجر سنة 1774 ونشأ فيها ثم جاء إلى سوريا وحلَّ أولاً في مدينة حلب فلم تُقبَل فيها تعاليمه فسار إلى ادلب فطُرد منها ثم جاء إلى اللاذقية فصادف فيها قبولاً وترحاباً وكان بشوشاً كثير الصدقات فصيحاً اجتذب إليه الالباب ببلاغة الخطب التي كان يلقيها كل نهار جمعة في الجوامع وقيل أنه كان ذا فراسة غريبة أيضاً وأنه كثيراً ما أخبر عن أمورٍ قبل حدوثها فحدثت كما قال فعُدَّ المسلمون له ذلك من الكرامات واعتقدوا به الولاية ورفعوا منزلته إلى الغاية وصاروا يعتبرون أقواله وأوامره ونواهيهِ كوحي ومن جملة تعاليمه أن مال ودم وعرض النصيرية حلال ومنه نشأ هذا الاعتقاد عند مسلمي اللاذقية وكانت اقامته في منزل محمد آغا خزنة دار فلما توفي وغُسل ازدحم المسلمون على

تملية أوعيتهم من غسلته وجعلوا ينضحون بها أجسادهم تبرُّكاً فأصاب عدوى الطاعون كثيرين منهم وماتوا ثم دفنوه في الطرف الجنوبي من قلعة الزيتون شرقي المدينة وبنوا على قبره جامعاً شاهقاً ظريف البناء وهو جامع المشهور انفقوا على بنائه نحو ألفي كيس.

وفي هذه الاثناء أُلغيت باشاوية الجردة من طرابلس واللاذقية وصار الحاقهما إلى عكا فُعِين عليهما متسلماً مصطفى آغا هرون فأقام في طرابلس ووضع ابنه كنج آغا في اللاذقية وكيلاً وفي أيامه ورد امر من الدولة بقتل ثلاثين شخصاً من أعيان مسلمي اللاذقية قصاصاً على قتلهم محمد باشا ابن المن فأرسل كنج آغا أعوانه إلى ساحل اللاذقية فشرعوا يقتلون كل مَنْ صادفوه منفرداً من النصيرية حتى قتلوا ثلاثين شخصاً واتوه برؤوسهم فأرسلها إلى والي عكا على أنها رؤوس الأعيان المطلوبة وأرسلت من عكا إلى الاستانة وفي سنة 1829 عُزل مصطفى آغا هارون وخلفه شاهين آغا فأقام محمد آغا خزنة دار وكيلاً له في اللاذقية وورد امر من والي عكا بمصادرة مصطفى آغا هارون وولده كنج آغا بألف كيس فألقى محمد آغا خزنة دار القبض على مصطفى آغا وسجنه وأما كنج آغا فهرب واحتتمى في بيت الخواجه لازري قنصل النمسا. وكان كل يوم يصير اخراج مصطفى آغا من السجن وجلده وطلب المال منه ثم يعاد إلى السجن وفيما هو على هذه الحال ورد أمر من عكا بالعفو عنه وتعيينه متسلماً لطرابلس واللاذقية ففرَّ محمد آغا خزنة دار إلى عكا واقام فيها مدةً ثم استحصل امراً بعزل مصطفى آغا هرون عن طرابلس واللاذقية وتعيينه هو متسلماً للآذقية وكان محمد آغا المذكور رَأُوفاً بالنصارى فكانوا يفرحون بتوليته لأنه لم يكن يتعرض لضررهم كما كانوا يحزنون بتولية مصطفى آغا هرون وابنه كنج آغا لانهما كان يضطهدانهم ويبلصانهم ويعذبانهم العذابات المتنوعة ويُحَكِّي انه في ايام ولايتهما كان يُحَمِّي صدر النحاس حتى يصير كالجمر ثم يُحَبَس عليه النصراني المقصود بلصه وتعذيبه ويوضع كعبان على صدغيه ويشدَّان حتى تبرز عيناه وتوضع حلمة ثدي المرأة تحت طبقة صندوق ويُغَلَّق ثم يُقْفَل عليها وما شاكل ذلك من العذابات القاسية البربرية التي تقشعر منها الابدان. قيل أن مصطفى آغا المذكور القى ذات يوم القبض على رجل مسيحي يُقال له فرح الاسود وأودعه السجن

وجعل يعذبه بالعذابات المختلفة المار ذكرها فذهبت امرأته وترامت على الخواجه لازري قنصل النمسا لكي يشفع بزوجها ويتوسط امره فأرسل القنصل ترجمانه إلى مصطفى آغا يسأله بلطفٍ عن ذنب فرح المذكور فلما دخل عليه وجد أمامه مملوءاً عناباً وهو يأكل منه فحيّاه متأدباً فأمر له بالجلوس فجلس ثم سأله بتلطفٍ من طرف القنصل عن ذنب المسجون فقال له كُ من العناب فأكل ثم بعد برهة أعاد عليه السؤال فقال له كُ من العناب فأكل ثم سأله ثالثة فقال له وما هذا القنصل الذي اتيت من قبله لعل كل من كان افرنجياً ووضع على رأسه منفضاً صار قنصلاً هل تريدون أن تعرفوا ذنب المسجون قل لي ما اسمه فقال اسمه فرح قال وما لقبه قال الأسود قال أو سمعت قط أن الفرّح يكون أسود أو ما كفاه هذا الذنب أذهب وأخبر قنصلك ان جزاء هذا الرجل كذا مبلغاً متى أوردّها يُخلّى سبيله ثم لم يطلق حتى باعت امرأته كل موجوداته وأدّت المبلغ المطلوب. ومما يُحكى انه في أيامه نزل ذات ليلة التفنكجي باشي ومعه بعض انفار الضابطه وتسلقوا على جدار كنيسة ماري نيقولاوس وسرقوا ما فيها من الأواني الثمينة فلما أصبح الصباح وظهر للمسيحيين وقوع سرقة في الكنيسة عرضوا ذلك إلى مصطفى آغا هارون فأرسل التفنكجي باشي نفسه لإجراء الكشف والبحث عن المسروق فلما وصل إلى امام الكنيسة اجتمع إليه بعض المسيحيين فجعل يتأمل في الجدران ثم قال لا يوجد محل لتهمة أحدٍ بهذه السرقة سوى خوري الكنيسة لأنني لم أر مكاناً قابلاً لنزول اللصوص منه إليها فقال له واحد من النصارى الحاضرين من الممكن أن يكون اللصوص قد تسلقوا ونزلوا إليها من المحل الفلاني من الجدار لأنه قابل لذلك فهجم التفنكجي باشي حينئذ عليه وصفعه على وجهه قائلاً ينبغي إذا أن تكون انت السارق لأنك عرفت الطريق ثم مضى به إلى السجن حيثما لبث أياماً وكان اطلاقه بمقام تعويض عن المسروقات ويُحكى أيضاً انه ذات ليلة نزل التفنكجي باشي واستدعى قندلفت كنيسة ماري اندراوس وطلب منه مفتاح الكنيسة تحت التهديد فدفعه له ففتحتها وسلب جميع أوانيها الثمينة ثم قفل الباب وأعاد المفتاح إلى القندلفت قائلاً له إذا اخبرت أحداً بما جرى فلا تلم إلا نفسك فمضى القندلفت خائفاً ومحتاراً ولما أصبح الصباح وفُتحت الكنيسة افتقد

خوريها الأواني فوجدها جميعها مسروقة فعرض المسيحيون ذلك للحكومة ومضت أيام ولم يحصلوا على ثمرة ثم حدثهم القندلفت تحت السر العميق بكل ما جرى معه فعذروه والتزموا السكوت خوفاً على حياته. هذا وقد عرفت مما سبق كيف تدرج مصطفى آغا هرون إلى المتسلمية ويقال أنه كان في الأصل قهواتياً ثم صار تفنكجي باشي بعد أن دخل في زمرة الانكشارية كما علمت. وأما محمد آغا خزنة دار فقد كان أبوه علي آغا أمين خزينه عند بعض الباشاوات ثم توطن في اللاذقية وذلك في زمن ابي بلطه الذي كان قبل حنا كبه وكان هو وأبو بلطه كأخويه (الأصح أن علي آغا خزنة دار وابراهيم آغا ابا بلطه كانا أخوين نسيبين وهما من المماليك).

ثم في سنة 1831 زحف ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا والي مصر المشهور بعساكره لفتح البلاد الشاميه وحاصر عكا فقدم إلى اللاذقية من قبل الدولة عثمان باشا حاكماً على طرابلس واللاذقية وعلوش باشا والياً لعكا، ومعهما أبو حطب قائداً للعساكر ونحو 8 آلاف عسكري فأقاموا في اللاذقية نحو أربعة أشهر وابراهيم باشا على عكا، ثم سار عثمان باشا إلى طرابلس وعيّن مصطفى آغا هرون متسماً لللاذقية وبقي علوش باشا في اللاذقية مدة حتى بلغه فتح ابراهيم باشا مدينة حلب فهرب إلى طرسوس وسار معه مصطفى آغاهاون فجاءت عساكر ابراهيم باشا واستولت على اللاذقية سنة 1832 وعيّن محمد آغا خزنة دار متسماً لها مدة قصيرة ثم عزل وتعين عوض سعيد آغا عنتابي. واعلم أن جميع الحكام الذين مرّ ذكرهم قبل حنا كبه وبعده كانوا كباقي حكام الدولة العثمانية في سائر المدن يأخذون الولاية بالالتزام فيحكمون في الرعية بحسب أهوائهم وكان حكمهم قاسياً جافياً فكانت الأهالي عموماً والنصارى خصوصاً في كل وقتٍ تحت خطر الحبس والبلص والجلد والعذاب والقتل وكان النصارى يُعاملون بالإذلال والاهانة ليس من الحكام فقط بل من الأهالي المسلمين أيضاً فكانوا يعدّون أنفسهم سعداء إذا اكتفى الحاكم بأبقائهم في الذل والهوان ولبس السواد وتكّرم برفع الضرب وصنوف العذابات عنهم وكان أصحاب الدكاكين منهم يصرفون نصف نهارهم في خدمة جيرانهم من المسلمين فكان إذا اقتضى للمسلم حاجة

يسخر بقضائها المسيحي الذي لم يكن يتجاسر أن يتأخر عن قضائها ولو كان في معظم ثقله وكان شتم دين المسيحي وملتته وصلبيه وما شاكل ذلك على أدنى سببٍ فاشياً ومباحاً حتى للسفلة الرعاع من المسلمين في الشوارع والأسواق وكانت بعض أبواب الكنائس يوجد مكان المفتاح من القفل منها محشواً بالنجاسة كل صباح أحدٍ وكان كلما مرَّ أحد الخوارج في شارع من الشوارع يجتمع وراءه أولاد المسلمين ويرشقونه بألفاظ الاهانات والشتائم.. وكانت تعديات المسلمين الخفية على النصارى تُلقَى فيها التهمة على النصارى أيضاً فيقاصُّ بعضهم علاوةً على ما يكون قد جرى على البعض الآخر من التعدي كما علمت مما مرَّ ومما يُحكى أنه لما هرب الناس في زلزلة سنة 1822 من البيوت واقاموا تحت الخيام في البساتين اجتمع بعض عائلات من النصارى وضربوا خيامهم في محلٍ واحدٍ وكانوا كل ليلةٍ يسهر منهم جماعة يطوفون حول الخيام لحراستها ففي ذات ليلة نحو نصف الليل فيما كانت احدى النساء منكبةً على السرير ترضع طفلاً لها إذا برجلٍ تعلق برأسها قاصداً نزع ما عليه من الحلي فتعلقت بأهداب ثوبه وصرخت وكان الحراس قريبين منها فركضوا ودهموا ذلك اللص وأمسكوه واوثقوه ولما أصبح الصباح ذهبوا إلى الحاكم وأخبروه بالقصة فأرسل بعض الضابطين ليأتوه باللص ومضى المشتكون النصارى في حال سبيلهم مؤمنين أن الحكومة تؤدبه ثم بعد برهة جاء بعض الضابطين يستدعي زوج المرأة لمواجهة الحاكم فسار معه ولما مثل بين يدي الحاكم قال له يا خبيث أما كفى ان امرأتك عاشقة لهذا الرجل وهي التي استدعته ليأتيها ليلاً حتى انكم اتهمتموه أيضاً بالسرقة وهو رجل مسلم تقي ثم قال للضابطين ألقوه فألقوه إلى الأرض وجلدوه حتى غشي عليه فكان ذلك بدلاً من جزاء السارق. وما زال النصارى يكابدون شدائد واهانات كهذه إلى حين استيلاء ابراهيم باشا المشار إليه.

انتهى المجلد الأول. ويتلوه المجلد الثاني

الجزء الثاني

من كتاب

آثار الحقب في لاذقية العرب

تأليف
الياس صالح اللاذقي

عُفي عنه

لما استولى ابراهيم باشا على اللاذقية ساوى بين عموم الأهالي فيها كما في سائر البلاد التي استولى عليها ورفع عن النصارى الذل والاضطهاد ومنحهم الحرية في أملاكهم وموجوداتهم ومتاجرهم فدخلوا من ذلك العهد في عصرٍ جديد منه يبتدي تاريخ تقدمهم وثروتهم وجعل المحاكمات وفحص الدعاوي والأمور المختلفة بيد المجالس تتألف من جميع الطوائف فكانت الحكومة الاجرائية مقيّدة بهذه المجالس إلّا فيما ندر. فتغيّرت الحال مع أهل الإسلام وثقل على طبعهم تقدم النصارى وامتداد سطوة القناصل والافرنج فأبغضوا حكومة ابراهيم باشا وحركوا سراً سكان الجبال النصيرية والمسلمين على التمرد والعصيان فخلعوا الطاعة وانتهزوا فرصة فروغ اللاذقية من العساكر المصرية وجاءوا بجماهيرهم من الجبال ودهموا المدينة ودخلوا دار الحكومة وانتشروا في الأسواق ودخل قوم منهم بعض بيوت النصارى المتطرفة ونهبوها فارتاع النصارى واختبأوا في بعض البيوت وفي السفن التي كانت راسيةً وقتئذٍ في المينا. ثم أن النصيرية حاصروا سعيد آغا متسلم اللاذقية في داره ولما بلغ خبر ذلك ابراهيم باشا اصدر أمراً إلى سليم بك احد امراء اللواء في العساكر المصرية فجاء إلى اللاذقية بفرقه من العساكر ومعه امراء من جبل لبنان وهم الأمير خليل ابن الأمير بشير الشهابي المشهور والأمير أفندي والأمير جهجاه والأمير سعد الدين والأمير أحمد برجالهم فلما بلغ النصيرية ذلك فروا هاربين من المدينة فجاء سليم بك والأمراء بعساكرهم وخيموا في قرية البهلولية ففرّ النصيرية من تلك المقاطعة فغنمت العساكر مواشيهم وغلاتهم ومتعتهم وأحرقت بعض قراهم ثم ارسل سليم بك عسكرياً يحرق القرى القريبة منهم فالتقاهم النصيرية والتحم القتال بين الفريقين وكانت الدائرة على العسكر المصري فولّى منهزماً إلى المعسكر فسار إليهم الأمير جهجاه بألف مقاتل فانهمزمت النصيرية أمامهم

فأحرقوا لهم نحو ثلاثين قريةً وفي الغد سار الأمير خليل والأمير أفندي والعرب الهنادي وبعض الفرسان المصرية وشنوا الغارة على قرية جبلايا فقابلهم النصيرية فقتل من الفرسان المصرية ثلاثة من حاملي البيارق ثم دارت الدائرة على النصيرية فانكسروا وقُتل منهم خمسة رجال وأحرقت لهم العساكر قرى كثيرة وقُتل من عسكر الأمير خليل رجلان ثم نهض سليم بك بالعساكر من البهلوية إلى مقاطعة صهيون وكان سكانها قد حاصروا في القلعة فخيّمت العساكر شمالها فجاء من مقاطعة بيت الشلف نحو ألفي مقاتل ليدهموا العساكر فاشتبكت معركة بين الفريقين كانت الدائرة فيها على النصيرية فقتل منهم 15 رجلاً ومن عساكر الأمير خليل رجلان ثم هجم العسكر على القلعة وتسلموا ثلاثة أبراج منها ووضعوا فيها نحو مائة مقاتل فأضرموا نار الحرب على المحصورين وعند نصف الليل طلب المحصورون الأمان فأعطوهم الأمان ففروا هاربين من القلعة ودخلتها العساكر ثم حضر أهل مقاطعة دريوس وسلّموا وانتقلت العساكر إلى مقاطعة بيت الشلف فحضر أهل المزيرعه والعمامرة وسلموا وكان أهل بيت ياشوط والسرابطه والقراحله قد ربطوا نهر السن فوصل إليه خمسمائة مقاتل مرسلون من قبل الأمير بشير الشهابي نجدةً للعساكر فاشتبكت الحرب بينهم وبين النصيرية فانهمزم اللبنانيون وقُتل منهم 36 رجلاً ومن النصيرية ستة رجال فلما بلغ خبر هذه المعركة إلى المعسكر جاء الأمير سعد الدين والأمير أحمد بعسكرهما مع ثلثمائة فارس مصريين ففرّ النصيرية أمامهم هاربين فأحرق اللبنانيون مساكنهم وقتلوا منهم 8 رجال ومن الغد زحف العسكر على تلك المقاطعات ونهبها وأحرق أكثر قراها ثم سلّم أهالي مقاطعة القرداحة وتعهدوا بتقديم أسلحة المقاطعة جميعها فقدموا بعضها واعتذروا عن تقديم الباقي فنهض سليم بك بالعساكر للمقاطعة ولما وصلوا إلى أولها شرع العسكر ينهبون ويحرقون، فانهمزم النصيرية إلى الجبال فنهب العسكر قراهم وأحرقوها ثم صعدوا إلى الشعرة وأحرقوا نحو 50 قرية ثم رجعت العساكر اللبنانية إلى بلادها أما العساكر المصرية فلبثت حتى مهدت كل أحوال الجبال شيئاً فشيئاً وجمع جميع أسلحة أهلها ونشرت الأمن في جميع أطرافها بنوعٍ لم يسبق له مثيل.

وفي هذه الأثناء أي في سنة 1834 سُـرطن على اللاذقية المطران ارثامبوس خليفةً للمطران غفرئيل ثم عُزل سعيد آغا عن متصرفية اللاذقية وخلفه خليل آغا ورده الدمشقي. وكان أمياً جاهلاً فلم يلبث أن عُزل وعُيّن الحاج يوسف بك شريف أحد أعيان حلب مديراً لللاذقية وطرابلس وكانت اقامته في اللاذقية وجرت الأحكام بإدارته على أتم نظام وفي أيامه تم جمع السلاح من النصيرية وقُتل معظم رؤسائهم واشقيائهم وقتل أيضاً عبدالله آغا عدره صاحب قلعة المرقب وكان من الرجال المعدودة وسبب قتله أنه أهان ضابطاً من ضباط العساكر المصرية وهو ماز في ناحية المرقب فشكاه الضابط إلى ابراهيم باشا فأصدر أمره إلى حكومة اللاذقية بقتله ولما اطلعت الحكومة المذكورة على الأمر كتمته بالسر العميق واستدعت عبدالله آغا إلى اللاذقية ولما قدم إليها قُبض عليه فُضرب عنقه في وسط السوق وكانت العساكر واقفة في السوق فكان كل مَن أراد من أصحاب الدكاكين أن يقفل دكانه طلباً للانصراف عن ذل المشهد تمنعه العساكر من الانصراف فكان ذلك اليوم شديداً على المسلمين. وفي هذه الاثناء توفي مصطفى آغا هرون وكان بعد دخول الحكومة المصرية من جملة أعضاء المجلس في اللاذقية.

وفي سنة 1840 اتفق مع الدولة العثمانية بعد أن تبوأ سرير السلطنة السلطان عبد المجيد خان دول روسيه وانكليتره والنمسا وبروسيا على اخراج الدولة المصرية من سوريا وانتشرت بوارج الدول المتحدة في موانئها لطرد ابراهيم باشا وجاءت منها بارجة انكليزية إلى مياه اللاذقية واطلقت المدافع على المدينة اطلاقاً غير مقصود به خرابها بل للتحويل على العساكر المصرية لتخرج منها فلم يلحق بالمدينة ضرر وخرجت بقايا الجنود المصرية منها وعُيّن فيها متسلماً من قبل الدولة العثمانية محمد آغا خزنة دار فاستمر نحو سنة ثم عُزل سنة 1841 وجُعِلت حكومة اللاذقية مقسومةً إلى إدارتين مستقلتين إدارة ضابطيه وإدارة مالية فعُيّن محمود حلمي بك مأموراً للضابطه وشاكر أفندي مأموراً للمالية وفي سنة 1842 عُزل الاثنان وعُيّن فضلي بك للضابطه وصالح أفندي للمالية ثم عزلا سنة 1843 وجرى تغيير الترتيب فتحولت الحكومة إلى قائم مقاميه وجُعِلت المصالح المالية تحت إدارة مدير بمعية

القائم مقام وعُيِّن بهزاد آغا قائم مقاماً. هذا ولما خرجت الحكومة المصرية ورجعت الحكومة العثمانية بقي ترتيب المجالس على ما كان عليه في عهد الحكومة المصرية غير أن مسلمي اللاذقية شرعوا يتظاهرون بالتعدييات والتطاول على النصارى مفكرين أنه قد جاء الوقت لارجاعهم إلى حالة الذل والاضطهاد القديمة واتفق انه سنة 1844 اسلم الخوري عبدالله احد خوارنة الروم الأرثوذكس فيها وسبب ذلك أنه كان في اللاذقية وكيل قنصل لدولة اليونان يُدعى ديمتري وكان متزوجاً في بلاده فادعى أن زوجته ماتت وطلب الزواج بكاترين ابنة الخوري ميخائيل النحال فلم يؤذن له المطران ارثاموس بذلك ما لم يستحضر ورقة شهادة من مطران مدينته تُعلن صحة وفاة زوجته فتقرب ديمتري فرصة غاب فيها المطران عن المدينة واستحضر الخوري عبدالله فكلّله على كاترين المذكورة واتفق بعد ذلك بأيام قليلة أن حضر ابنٌ لديمتري المذكور من بلده وانذهل من زواج ابيه واعلن أن أمه لم تنزل حيّة، فلما عاد المطران من سفره وعلم بذلك اطلق حرماً كبيراً على ديمتري وزوجته الجديدة وعلى الخوري عبدالله أشرك فيه معهم كل من يخالط أحداً منهم أو يكلمه أو يقبله في بيته فكان الخوري عبدالله يجول من مكانٍ إلى آخر في المدينة ويترامى على كبير الطائفة وصغيرها ليتوسطوا أمره فلم يكن أحد يرد عليه جواباً بل كان كل من صادفه منها يحوّل وجهه عنه لكي لا يراه ولا يكلمه واستمر على ذلك أياماً حتى ضاقت به الدنيا بما رحبت ولم يبقَ له احتمال فمضى إلى مشايخ المسلمين واسلم فقبلوه بالترحاب واحتلفوا به غاية الاحتفال وبعد أيام من إسلامه طافوا به في المدينة يوم احد بجمع غفير لأجل ختانه وهم يعزفون بالآلات الطرب ويضربون الطبول ويطلقون البنادق فبلغوا في طوافهم إلى امام دير الرهبان الفرنسيسكانيين وكان شعب اللاتين مجتمعاً فيه لاستماع القداس فوقف الجمهور أمام الباب وجعلوا يصيحون ويضجون بالشتائم واللعنات فاعترضهم بعض من كان داخل الدير وسألهم الانصراف فهاجوا عليه وازداد ضجيجهم وصراخهم وهجموا على الدير فأغلق بابه دونهم فجعلوا يطلقون عليه الرصاص فاندعر الذين كانوا داخل الدير وكان في جملتهم الخواجه لوسين جفروا قنصل فرنسا والخواجه بليه قنصل النمسا والخواجه مازوليه

قنصل روسيا وعائلاتهم وغيرهم من الرعايا الفرنسيين فهربوا إلى دار الخواجه لوسين جفروا قنصل فرنسا الملاصقة للدير تسلُّقاً على الجدران ولما اشعر بذلك جمهور المسلمين الهائجين تحولوا إلى بيت القنصل المومي إليه وحاصروه واستمروا على هذه الحال إلى أن جاء الشيخ صالح الطويل أحد معتبري مشائخهم وفرَّقهم فاستدعى الخواجه لوسين جفروا بهزاد آغا القائم مقام طلباً للأمنية فجاء إليه مع بعض الأعيان والوجوه لكنهم عوضاً عن أن يتلطفوا به وبباقي الافرنج ويعدوهم بقصاص أرباب الفتن اظهروا عدم الاكتراث بما وقع لا بل أن الحاج محمد صوفان أحد أولئك الوجوه تناول على الخواجه جفروا بالكلام وانصرفوا من عنده بلا نتيجة فأعرض حينئذ واقعة الحال إلى قنصلة الجنرال في بيروت وكذلك قنصل النمسا وروسيا فجاءت بعد أيام سفينة حربية فرنساوية وسفينة نمساوية ونقلتا الفرنسيين والنمساويين الموجودين في اللاذقية إلى جزيرة أرودا ثم ورد أمر من الولاية في بيروت إلى الحكومة بارسال جماعة من الوجوه ورؤساء الفتنة مقيدين إلى بيروت وكان من جملتهم الحاج محمد صوفان السالف الذكر والشيخ مرزوق والحاج مصطفى شريط وغيرهم فأرسلوا وبعد مدة جاءت سفينة عثمانية من بيروت حاملة المجرمين المذكورين ومعها طابور عسكر وجاء على أثرها البارجتان الفرنسيات والنمساوية ومعهما الفرنسيون والنمساويون الذين كانوا في جزيرة أرواد ثم استدعى القائم مقام جماعة الفرنسيين والنمساويين وجميع قناصل الدول لأجل اجراء قصاص المذنبين بحضورهم حسب الأمر الوارد له فذهب الفرنسيون والنمساويون وتراجعين سائر القناصل إلى دار الحكومة مع قباطين البارجتين وضابطهما وتلى أمامهم الأمر الوارد بقصاص المذنبين وذلك بجلد كل منهم عدداً معيَّناً ثم ألقى كل منهم وجُلد بدوره ولم يكن يُنْقَص لأحدٍ منهم عن العدد المعين إلا إذا استجار بدولة فرنسا أو بالمذهب المسيحي أو بالصليب ولما جُلدوا جميعاً دُهب بهم إلى بيت قنصل فرنسا وسُئل إذا كان قد رضي بهذا القصاص فأجاب بالرضى كتابةً ثم ساقهم الضابط العسكري الذي كان معهم إلى السفينة فسارت بهم إلى بيروت ليقضوا مدة النفي التي حُكم عليهم بها. فكانت هذه الحادثة عبرةً اعتبر بها المسلمون مدة طويلة. هذا وقد

ذكرنا أن الخواجه يوسف مازوليه وكيل قنصل روسيا كان في جملة الذين وُجدوا في الواقعة وهو من رعايا دولة فرنسا فلما جاءت البارجة الفرنسية ذهب هو وعائلته مع مَنْ ذهب فيها من الفرنسيين إلى جزيرة أرواد ولما بلغ ذلك الخواجه قسطنطين باسيلي قنصل جنرال روسيا في بيروت اغتاض منه لعدم انتظاره امره والتجائه إلى الفرنسيين في هذه المسألة ثم عزله من وكالة القونسلاتو فشق ذلك عليه وارسل ترجمانه الخواجه الياس مرقص ليتوسط امره عند القنصل الجنرال فذهب ثم عاد وقد تعيّن ترجماناً للقونسلاتو الجنراليه ومدير أشغال وكالة قنصلاتو اللاذقية واعتذر للخواجه مازوليه بأنه لم يقبل ذلك إلا بعد أن بذل في أمر اعادته جهد المستطيع ورأى أن القنصل الجنرال من المستحيل أن يعيد الوظيفة إليه وأنه التزم إذ ذاك أن يمثل أمر القنصل الجنرال باتخاذ إدارة القونسلاتو على نفسه. ثم بعد مدة عُيّن الخواجه الياس مرقص المومى إليه اصيلاً في وكالة قونسلاتو روسيا في اللاذقية. ثم عُزل بهذاد آغا من قائم مقامية اللاذقية وخلفه خمسة قائم مقامين متعاقبين وذلك من سنة 1845 إلى سنة 1850 وهم حليم بك وجعفر بك وشاكر أفندي ومسرور بك وصالح بك وفي سنة 1846 توفي الخواجه قسطنطين ويتالي قنصل هولاندا وساردينيا فُرُفِع الصليب في جنازته وهي أول مرة تجرأ فيها نصارى اللاذقية على الخروج بالصليب أمام موتاهم في الأزقة والشوارع وخلفه في قنصلية هولاندا ولده الخواجه ثيودوري وفي قنصلية ساردينيا ولده الخواجه اسكندر وفي سنة 1848 انتشر الهواء الأصفر في سوريا وامتد إلى اللاذقية واستمر فيها نحو ثلاثة أشهر وفي سنة 1850 عُزل صالح بك القائم مقام وخلفه أمين بك وفيها جاء حسين باشا الفريق إلى اللاذقية لاجراء القرعة العسكرية وهي أول قرعة عسكرية جرت فيها فأجراها في صهيون وجبل الأكراد ثم انتقل إلى بيت الشلف (وباقي مقاطعات النصيرية) فقابلهُ أهلها بالسلاح فعاد إلى اللاذقية أما أهالي بيت الشلف فاستدركوا الأمر وقدموا ضده الشكايات إلى الولاية ونسبوا له من سوء التصرف والارادة ما ينشأ عنه نفور العامه وعصيانهم فعُزل من هذه المأمورية وجاء مكانه طاهر باشا فأجرى القرعة في بيت الشلف وباقي مقاطعات النصيرية والتي هي أحسن جارياً على مراد رؤساء المقاطعات ثم

بعد ذلك أجرى القرعة في نفس اللاذقية وفي سنة 1851 عُزل امين بك القائم مقام وخلفه مصطفى أفندي وفيها نُسب إلى كنج آغا هرون ارتكاب الرشوة وكان يتقلد الوظائف في مجالس اللاذقية وفي مأمورية تحصيل المال في الجبال فطُلب إلى بيروت وحُجز فيها تسعة أشهر ثم اتفق أن بعض نساء من عائلة ميساق آغا احد الصيارفة الأرمن المنظورين في الآستانة الذي كان ملتزماً كمارك سوريا كنّ مسافراتٍ براً فخرج عليهنّ بين جبله وبانياس علي الحجاج من كبار اللصوص مع جماعة وسلبوهنّ جميع ما معهنّ فتدخل حينئذ كنج آغا في بيروت متعهداً باسترجاع المسلوبات إذا فُوض إليه امر ذلك فعينه الوالي مأموراً لاستردادها وعاد إلى اللاذقية بهذه الوسيلة ثم اجتهد باستخدام الوسائط والأساليب اللازمة فاسترجع أكثرها وفي سنة 1852 عُزل القائم مقام مصطفى أفندي وخلفه اسماعيل حقي بك وفيها جاء إلى اللاذقية محمد أمين باشا والي ايالة صيدا (التي كان مركزها في بيروت وكانت اللاذقية قائم مقامية تابعة لها) وأقام فيها نحو 30 يوماً ومما أجرأه تبديل أعضاء المجلس وإبعاد محمد آغا خزنة دار وكنج آغا هرون وعبد الرزاق افندي فتاحي النائب ومصطفى أفندي المفتي عن تقلد الوظائف والمأموريات في الحكومة قيل وفيما هو في اللاذقية جاءه خبر عزله عن أيالة صيدا فسافر منها وفي سنة 1853 عُزل اسماعيل حقي بك وخلفه مصطفى بك وفي أيامه جاء أحد أولاد جبور من نصارى قرية المزيرعة إلى قرية فديو في ساحل اللاذقية فُسّم فيها ومات وقد سبق فذكرنا في قسم الجغرافيا كيفية ارتباط بعض أهالي الجبال ببعضها بواسطة ما يسمونه كتابة الدم ولما كانت نصارى المزيرعة مرتبطة بكتابة الدم مع عشيرة بيت الشلف هاجت العشيرة المذكورة ودهم جماعة منها قرية فديو فنهبوها وكانت البلاد فارغة من العساكر النظامية لاشتغال الدولة بالحرب مع دولة روسيا المعروفة بحرب القرم فأرسلت حكومة اللاذقية فرساناً غير نظامية من السلك المعروف بالباشيو زوق فنهبوا واحرقوا بعض قرى في بيت الشلف كقصاص على نهبهم فديو وفي سنة 1854 عُزل القائم مقام مصطفى بك تحت تهمة ارتكاب الرشوة وخلفه علي بك وكان رجلاً عادلاً وصارماً يناسب ظروف الوقت الذي تولى فيه فانه بسبب خلو اللاذقية من العساكر النظامية

كان قد وقع فيها الخلل وضعفت سطوة الحكومة وطمع المسلمون في النصارى واجروا عليهم بعض تعدييات فلما تولى علي بك انفذ الأحكام على حقها مستعملاً الصرامة في الاجراءات بمقدار ما كانت تستدعي الظروف فانتظمت الحال في المدينة ولزم كل حده وفيها جاء إلى اللاذقية نعيم افندي نسيب وامق باشا والي آيالة صيدا مأموراً بتحصيل مطلوبات الكمرك من التجار وكان التجار قد حجزوها تحت فرق التعريفه وذلك أن الدولة كانت قد وضعت تعريفه جديدة للكمارك دئت فيها رسم كمرك الدخان عن التعريفه التي قبلها فملتزموا كمارك سوريا اخفوا التعريفه الجديدة واستمروا يستولون الرسم بحسب التعريفه القديمة ودام ذلك نحو خمس سنين دفعت فيها التجار زيادات باهظة ثم اشتهرت التعريفه الجديدة ولُوحظ فيها تاريخ العمل بموجبها فانكشف الفرق للتجار فحجزوا ما كان يُطلب منهم إلى الكمرك تحت هذا الفرق فلما جاء نعيم افندي ضايق الذين هم من رعايا الدولة العثمانية منهم أشد مضايقة وتهدد الحمائيات أي الذين هم تحت حماية قناصل الدول الأجنبية الذين كانوا كثيري العدد في ذلك العهد فأنه كان لكل قنصل ثلاثة تراجمين أو أربعة ونظيرهم قواسه وكاتب وأمين مخزن وسمسار وعدة خدام ولكل من التراجمين والكاتب سمسار وخدمة كما أن لكل من التبعة الأجنبية سمسار وأمين مخزن وخدمة أيضاً فكان يؤلف من هؤلاء الحمائيات العدد الأكبر من نصارى المدينة ولم يكن للحكومة تسلط على أحد منهم وانما كانت تلتزم أن تلتفت إلى قناصلهم في جميع ما يتعلق بهم عند الاقتضاء ولذلك لم يتمكن نعيم افندي من انفاذ مآربه بهم وأما الذين هم من تبعة الحكومة من التجار فقد استحصل منهم كلما هم حاجزوه بعد مضايقة شديدة. وفي السنة المذكورة قدم إلى اللاذقية القس لايد الإنكليزي وهو من كنيسة البروتستانت الاسقفية للتبشير بين النصيرية بالديانة المسيحية واشترى قطعة أرض في قرية بحمرا من مقاطعة القرداحة وبنى فيها مدرسة على مصروفه. وفيها وقع خلاف بين الخواجه اسكندر ویتالي قنصل ساردينيا وبين قنصله الجنرال في بيروت فاستعفى من الوظيفة وتولج بها الخواجه لوسين جفروا قنصل فرانساً. وفيها دخل رجل من أهالي القرداحة إلى مقثاة في المهالبة وقطف منها خيارة فأطلق صاحبها

الرصاص عليه فقتله فهاج أهالي القرداحه وثاروا على المهالبة وعظمت الفتنة وتحزب أهالي ساحل بني علي للمهالبة وأهالي بيت الشلف وجبل بني علي للقرداحه فجرت بين الفريقين وقائع قُتل فيها عدة قتلى وكان وقتئذٍ القائم مقام علي بك في البهلوية مشغلاً بتحصيل المال ولم يكن عنده من القوة ما يكفي لردع الطرفين وإطفاء الفتنة فأرسل لأحدهما محمود آغا خزنة دار وهو ابن محمد آغا خزنة دار ولآخر قره محمد آغا من وجوه البائر وكان كل منهما دالي باش أي ضابطاً على نحو مائة فارس من الباشيوزق لكي يستحضر كل منهما وجوه الفريق الذي ذهب إليه بالأساليب الحسنه فمضيا ولم يتمكنوا من إحضارهم إلا بإعطائهما لهم صك أمانٍ على أنه لا يمسُّهم ضرر أو اهانة فحضر من القرداحه المقدمون اسماعيل عثمان وحسن الشندي وحبیب مخلوف ومن المهالبة محمد هيفا وخير بك وغيرهما مؤملين أن القائم مقام يصالحهم مع بعضهم ثم يطلقهم لكنه قد خاب أملهم لأن القائم مقام أرسلهم إلى اللاذقية فوُضعوا في سجنها فشق عليهم ذلك وعلى محمود آغا خزنة دار نظراً لصك الأمان المُعطى منه واعتبر سجنهم مخلاً بشأنه وشرفه فاستعفى من مأموريته. أما علي بك فكان على ما قيل من نيته أنه عندما يكون قد تمّ تحصيل المال في البهلوية وصهيون وجبل الأكراد وعاد لللاذقية يأخذ عليهم التعهدات الكافية بعدم الرجوع إلى الفتنة ثم يطلقهم معتبراً أن ذلك أكثر لياقةً في شأن وسلطة الحكومة إلا أنه لم يتم له المقصود فإن صقر فاضل مقدم قرية البودي في جبل بني علي وغيره من مشايخ القرداحه جمعوا نحو ثلاثماية رجل وجاءوا بهم إلى اللاذقية ودخلوها ليلاً وهجموا على دار الحكومة وكسروا باب السجن وأخرجوا المسجونين وذهبوا بهم إلى أماكنهم وقيل أن ذلك لم يتم إلا باتفاقٍ بينهم وبين أبي خليل طريف في التفكجي باشي ولعله لا يبعد عن التصديق. أما مقدموا المهالبة فبعد خروجهم من السجن لم يذهبوا لمقاطعتهم لكي لا يتهموا بالاشتراك في هذا العمل بل بقي بعضهم في اللاذقية والبعض الآخر توجهوا إلى القائم مقام وأخبروه بالحادثة فاحتمد القائم مقام غيظاً لما في ذلك من الخلل على ناموس الحكومة واستأذن من حكومة الاياله لأجل جمع نفر عام لقصاص العصاة أهالي القرداحه والمتحيزين لهم ولما حصل

على الإذن دعا إليه رجالاً من أهالي المدينة والمقامات فاجتمع عنده نحو ألفي مقاتل من المدينة وصهيون وجبل الأكراد والباير والبوجاق والقدموس وباقي المقاطعات المنقادة للطاعة والتقوا جميعاً في جبله حيثما كان قد ذهب القائم مقام ينتظر اجتماعهم ثم جعل أولاً يخاطب العصاة ويحرضهم بكتاباتهِ على الانقياد طالباً منهم حضور المقدمين للسجن كما كانوا رداً لكرامة الحكومة وأن يتعهدوا بالمال والاقلاع عن الفتن والتعديت لكي يصير العفو عنهم وتخليه سبيلهم فكانت ترد منهم أجوبة مبهمة غير وافية بالمرام تتضمن الإقرار بالطاعة والخضوع لأوامر الحكومة إلا أنها لا تتضمن شيئاً فيما يتعلق بحضور المقدمين والتعهد بالأموال وما شاكل ذلك فنهض حينئذ القائم مقام بمن اجتمع عنده من النفر العام إلى قرية بشلاما المتوسطة بين القرداحة والنواصره وكان معه من وجوه اللاذقية عبد الرزاق افندي فتاحي وعلي أغا هرون والحاج محمد صوفان مؤملاً أنه بحلوله في تلك القرية ينتشر الرعب بين العصاة وإذا لم يمثلوا نصائحهم وإنذاراته يدهمهم بالرجال ويفتك بهم إلا أنه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن لأنه فيما هو مشغول بالإنذارات والاستعدادات وأهالي القرداحة واحزابهم في اليوم الثالث من حلوله في تلك القرية قبل الغروب في الوقت الذي كان فيه كل من النفر العام مشغلاً بعلف فرسه ولم يكن احداً منهم متوقفاً أو متأهباً للقتال فلما دهمهم الرجال وانقضوا عليهم باطلاق الرصاص من كل جانب استوى عليهم الانذهال وأخذ منهم الرعب والخوف كل مأخذ ولما كانوا خالين من كل ترتيب ونظام وليس لهم ضباط أو قواد لم يمكن جمعهم وصفهم للقتال بل هب كل منهم إلى فرسه والقى نفسه فوقها واطلق لها العنان طالباً النجاة بالفرار وجعل كل واحد يسبق الآخر بالهرب وفي لمحة بصرٍ تفرقت تلك الجموع بفشلٍ وخيبةٍ لم يسبق لهما مثال وظهر منهم من الخوف والجبن ما لا مزيد عليه فلما رأى القائم مقام علي بك ذلك الفشل اشتعلت به نار الحمية وركب جواده واستل سيفه وصرخ بالهاريين يشجعهم ويحرضهم على الرجوع إلى ساحة الحرب ثم اندفع على العصاة ليحمل جماعة على الاقتداء به فلم يكن منهم من يلتفت لصراخه وتحريضاته ولم يبق حوله إلا بضعة فرسان من جملتهم قره علي أحد أغاوات مقاطعة البايير الذي قُتل في

تلك المعركة وفيما كان علي بك على تلك الحال اصابته رصاصة قاتلة فلما أحس بها لوى عنان فرسه طلباً للرجوع لكنه لم يقدر أن يتمكن على ظهر جواده بل سقط عنه عما قليل وانطرح على الأرض مضرجاً بدمائه فتم بذلك تفرق جماعة عنه وأمسى منقطعاً وحيداً بين زمرة العصاة الذين سكروا حينئذٍ بخمرة الانتصار وغنموا موجودات المعسكر واجتمع مقدموهم واصطفوا حول القائم مقام وكان على ما قيل لم يزل بين حي وميت وجعلوا يهزأون به ونزعوا عنه ثيابه وألبسوه ثياباً من عندهم وما زالوا يحتقرونه ويعيرونه حتى اسلم الروح وفي الغد جيء بجثته إلى اللاذقية ودُفنت جنوبى جامع الشيخ المغربي رجع كل من النفر العام إلى بيته ثم تولى وكالة القائم مقامية رجل يُدعى محمد آغا مدّة ثم عُيّن عبد القادر ناجي باشا قائم مقاماً وجاء من الاسطانة بمعية محمد نديم باشا الذي عُيّن وقتئذٍ والياً لايالة صيدا عوضاً عن وامق باشا ومراً بطريقه على اللاذقية وكان عبد القادر ناجي باشا طرابلسي الأصل شاعراً لبيباً ولكنه لم يكن خبيراً بإدارة الأحكام وبعد وصول محمود نديم باشا إلى بيروت ارسل شكري افندي من ارباب مجلس الاياله إلى اللاذقية مأموراً بملافاة الأمور ومرافقاً بأمرٍ يتضمن العفو عن نصيرية الجبال فاعلنه لهم وتداخل معهم بالتي هي أحسن مكتفياً منهم بالاقرار بالطاعة والوعد بأداء المال والكف عن الخصومات والفتن فذهب بذلك دم القائم مقام علي بك هدرًا كأنه لم يكن شيئاً مذكوراً وشمخت أنوف النصيرية ولم يعودوا يبالون بالحكومة البتة وكثر السلب وقطع الطرق والفتن فاصطلت نار فتنةٍ بيد أهالي بيت الشلف وأهالي البهلوية وشن رجال بيت الشلف الغارة على حرف شقيتا واحرقوا بعض قرأه وسلبوا اغنامها وأبقارها فهاجت الضغائن بين الفريقين وجعل كل منهما يتخذ أحزاباً من أهالي المقاطعات الأخرى فابتدر المقدم ابراهيم جديد من مقدمي بيت الشلف وتظاهر بالميل لاطفاء الفتنة واصلاح ذات البين وسار إلى قرى حرف شقيتا مستدعياً مشايخها ووجوهها للصلح وبعض مفاوضات كثيرة اقنعهم بأن يذهب سبعة من مشايخهم معه تحت عهده وذمائه إلى بيت الشلف وهناك يتم الصلح بينهم وبين وجوه تلك المقاطعة بشروط موافقة للطرفين وكان ذلك منه حيلةً عليهم فأنه بعد أن وصل بهم إلى بيت الشلف

هجم أهلها عليهم بالسلاح وقطعوههم جميعاً إرباً إرباً. أما حكومة اللاذقية فلم تتجراً على إطفاء الفتنة بالقوة وإنما نهض القائم مقام بفرقة من العساكر والباشيوزق ونصب خيام الإقامة في بعض قرى الساحل وجعل يرسل كل يوم بعض فرسان من الباشيوزق ليصادموا رجال بيت الشلف لذين كانوا يأتون ليدهموا قرى الساحل فوقع بين الفريقين بعض مناوشات ومعارك أعظمها معركة اشتبكت بينهما في قرية القنجره كانت الدائرة فيها على النصيرية وظهرت فيها لعبدالله آغا طريقي وجبرا منصور شجاعة فإنهما حصرا بضعة رجال من النصيرية في مزارٍ ولما كان المزار غير مسقوف قحما جداره بجواديهما وفتكا بالمحصورين فيه وجاء برؤوسهم إلى المعسكر ثم توسط الجندي عثمان الأحمد مدير صهيون الأمر وهدأت الفتنة وعاد المعسكر إلى اللاذقية. وفي سنة 1856 عزل عبد القادر ناجي باشا وخلفه مظهر أفندي وعاد النصيرية في أيامه إلى ما كانوا عليه من التمرد والطغيان وجعلوا يعثون في القرى والسواحل فكان يرسل فرسان الباشيوزق لتحمي بعض الساحل فتشتبك بينهم وبين النصيرية بعض معارك قلما يفوز بها الباشيوزق ومن جملة هذه المعارك معركة التحمت بين محمود آغا خزندار وكان دالي باش وبين نصيرية القرداحة وكان محمود آغا قد دهم بفرسانه بعض قرى القرداحة واستاق ماشيتها ودوابها وفيما هو راجع إلى جبله دهمه رجال القرداحة واصطلت نار الحرب بين الفريقين فكان جانب من فرسان محمود آغا يخفر الماشية والجانب الآخر يشتغل بالمدافعة فتغلب عليهم النصيرية وكسروهم شر كسرة وقُتل في المعركة المذكورة عزت آغا ابن اخي محمود آغا خزندار واسترجع النصيرية ماشيتهم ودوابهم وشقَّ على بيت الخزندار قتل عزت وعرض أهالي القرداحة عليهم بعد ذلك ديتته فأبوا قبولها قائلين انهم لا يبيعون دمه بثمن وفي سنة 1857 عزل مظهر أفندي وخلفه حسن آغا وفي سنة 1858 عُزل حسن آغا وخلفه شاكر أفندي وفيها انكسرت على شط اللاذقية جنوبي عين السندلكس سفينة بخارية تُدعى سانت اندريا انكليزية كانت سائرة ليلاً وكان البحر ثائراً والظلام حالاً وكان قبطانها وضباطها سكارى فضاع رشدهم ولم يهتدوا إلى سواء السبيل فلطمت السفينة بصخر قريب من الشط وانكسرت وكانت مشحونة بضائع

متنوعة فاشتراها من السيكرتاه وهي في البحر الخواجه الياس مرقص ودخل بذلك معه شركاء فجعلوا ينتشلون البضائع فوجدت كميات وافرة وربحوا بها أرباحاً عظيمة، وفي سنة 1859 عُزل شاكر أفندي وعُيّن مظهر أفندي قائم مقاماً للاذقية مرةً ثانية وفيها فصل الخواجه الياس موسى الياس عن قنصلاتو انكليتره وكانت قد انتقلت إليه عن والده منذ عهد الحكومة المصرية وعُيّن قنصلاً مكانه الخواجه جون فوستر كريس رجل انكليزي جاء إلى اللاذقية وتقلد هذه الوظيفة. وفيها عازمت الدولة على ضرب وتنكيل النصيري لغلوهم في العتو والتمرد والتمنع عن أداء المال الأميري فارسلت طابورين من العساكر النظامية أحدهما ششخاته والثاني بياده تحت قيادة أمير الآلاي علي بك وعُيّن مظهر أفندي رئيساً للإدارة الملكية فساروا بالعساكر النظامية المذكورة وبنحو مايتي فارس من الباشيبوزق ونصبا خيام الإقامة في قرية حبيت من بيت الشلف ومكث المعسكر هناك مدةً بدون أن يجري شيئاً لأن أمير الآلاي لم يوافق على استعمال الحركات الحربية في تلك الجهة نظراً لعدم موافقة المركز فنهضت العساكر من بيت الشلف وخيمت في مكانٍ يُدعى الفوار بقرب جبله وجرى استدعاء مقدمي القرداحه والبودي إلى المعسكر فحضر مقدموا القرداحه وتخلّف صقر فاضل مقدم البودي عن الحضور وكانت قد انتشبت بينه وبين مقدمي القرداحه عداوة فأظهروا الطاعة والانقياد للحكومة واتفقوا معها على نشر لواء الحرب على البودي وتنكيل صقر فاضل وضربوا لذلك أجلاً مسمى ثم عادوا إلى أماكنهم لاجراء الاستعدادات اللازمة فلما بلغ صقر فاضل ذلك الخبر كاتب مقدمي القرداحه يخطئهم في اتحادهم مع الحكومة ضدهً ويحذّرهم عاقبة الأمر مبرهنًا لهم أن الحكومة بعد أن تنفذ مآربها معه بمساعدتهم تحوّل قوتها عليهم وتفتك بهم فتكاً ذريعاً ثم يحرضهم على أن يتحدوا جميعاً على الحكومة بحيث لا يمكنونها من أن تقوى عليهم بالتقسيم فلما بلغت مكاتبتهم لهم وقع لديهم رأيه بالاتحاد موقع القبول والاستحسان وبعثوا له بأجوبة تتضمن التعويل على رأيه والاتحاد معه قولاً وفعلاً ضد الحكومة. أما القائم مقام وأمير الآلاي فلما جاء الميعاد المضروب بينها وبين مقدمي القرداحه ولم يحضروا إلى المعسكر كتب إليهم يستدعيانهم للحضور إلى

المعسكر لأجل الشروع فيما قرّر عليه القرار فمأطلوا وترددوا عن الحضور وبدا منهم ما يدل على النكث بعهدهم فاغتنم حينئذٍ صقر فاضل الفرص وجاء إلى المعسكر وترامى على أمير الالاي والقائم مقام مظهرًا التذلل والخضوع وحلف لهما يمين الانقياد والطاعة حتى ثم أطلعهما على الأجوبة الواردة له من مقدمي القرداحة وبالح في الطعن فيهم وفي الشرح عن فسادهم وخيانتهم وأنه لا يليق بالحكومة أن تثق بمواعيدهم لأنهم ليسوا أهلاً للتحالف وأنه إنما هو الذي يقوم بتعهده وقوله لأولئك الانذال وأنه مصداقاً لذلك وبرهاناً على صدق تعهده بالطاعة وخدمة الحكومة بخلو من النية لا يخرج من المعسكر حتى تتم جميع الاجراءات فقبل كلامه هذا عند الحكومة وأمنتته وحولت افكارها لتكنيل اهالي القرداحة فوجّهت ذات يوم فرسان الباشيبوزق إلى اطراف تلك المقاطعة فاشتبكت بينهم وبين أهلها معركة قوي فيها النصيرية على الباشيبوزق ودفعوهم إلى الورا وضايقوهم أشد المضايقة وكان أمير الالاي والقائم مقام وباقي المأمورين الملكية والعسكرية ينظرون إلى ذلك من على تلٍ مشرفٍ على ميدان القتال ويشاهدون تقهقر الباشيبوزق وفوز النصيرية فتأثر منه ذلك بكياشي يدعى علي آغا وخفق جنانه للقتال وتوسل إلى أمير الالاي أن يؤذن له بأن يزحف ببعض انفار من عساكر النظامية للفتك بالنصيرية وبعد جهدٍ أذن له بالذهاب ببلوكين من عساكر الششخانه فسار لساعته ولما اشعر فرسان الباشيبوزق بقدوم عساكر الششخانه انتشروا مصطفين في وجه النصيرية ليواروا عنهم مجيء الششخاته إلى أن يكونوا قد اقتربوا منهم وجعلوا يشغلونهم باطلاق الرصاص وبعد برهة انفصل فرسان الباشيبوزق إلى شطرين وظهرت عساكر الششخانه من ورائهم واطلقت البنادق والمدافع دفعةً واحدة على النصيرية فزعزعتهم وما برحت تطلق عليهم الرصاص والكرات (الكلل) حتى مزقتهم كل ممزق وقتلت منهم نحو مائة رجل فوّلّى الباقون هاربين وللنجاة طالبين ثم قطع الباشيبوزق روس المقتولين وجاءوا بها إلى المعسكر ورجعت عساكر الششخانه وأمامها الموسيقى العسكرية تضرب بألحان النصر والظفر وفي الغد انفذت الحكومة أوامر إلى العصاة تستدعيهم إلى الاستسلام والانقياد وتحثهم على حقن دمائهم وأن يتخذوا لأنفسهم عبرةً من المعركة التي

جرت بالأمس بأنهم لا يقدرّون أن يثبتوا أمام العساكر النظامية السلطانية فجاءوا بأنهم لا يستسلمون ما لم يجربوا أنفسهم مرةً أخرى بمحاربة العساكر ثم شرعوا يتجمعون ويتأهبون للقتال وانحاز لمساعدتهم أكثر عشائر جبال النصيرية حرصاً منهم على حفظ ذمامهم وعدم تمكين الحكومة من الفوز عليهم ثم اشتبك القتال بينهم وبين طابور الششخانه وفرسان الباشيوي زق وكان عدد النصيرية في هذه المعركة على ما قيل نحو ثمانية آلاف مقاتل ولعلّ في ذلك مبالغة ولم تمضِ برهة من الزمان حتى دارت الدائرة على النصيرية وانكسروا أي انكسار فتشت شملهم وتبدّد جمعهم وصار بعضهم يطرحون أنفسهم في الوديان وآخرون يلتجئون وراء الصخور والغابات وآخرون يتسلقون إلى اعالي الجبال هرباً من نيران البواريد الششخانه والمدافع وقُتل منهم في تلك المعركة كثيرون وكان ذلك اليوم شديداً عليهم لقوا فيه من الأهوال ما مكّن في قلوبهم خوف محاربة العساكر النظامية إلى ما شاء الله. وفي اليوم التالي جاء مقدموهم إلى المعسكر مترامين وطالبيين الأمان وتعهدوا بأداء الأموال الأميرية ومصرف المعسكر وسلموا أولادهم رهائن للحكومة فأرسلوا للاذقية واستمروا في سجنها حتى قام أبائهم بتعهداتهم عن آخرها. أما مظهر أفندي القائم مقام فلبث في المعسكر في جيله لأجل استيفاء المال وكان معه عبد الرزاق أفندي فتاحي فاتفقا على ارتكاب الرشوة وإجريا لهذه الغاية من الظلم والغدر أموراً كثيرة وابتلعا أموالاً وافرة ومن الفظايح التي أجريها أنهما ارتشيا من أحد المقدمين على قتل الشيخ نصر أحد مشايخ النصيرية المعتبرين فاستدعياه بالأمان فلما وفد عليهما تهدداه وارتشيا منه أيضاً وبعد ذلك أرسل غلمانهما إليه ليلاً فقتلوه واخفوا جثته ولما انتهت الإجراءات عاد القائم مقام ومن معه إلى اللاذقية وفي تلك الاثنا أجرى أحمد آغا عبد القادر مدير الخوابي على أهالي قرية بهرميل إحدى قرى مديريته وهم نصارى من الروم الارثوذكس جوراً وظلماً وصادرهم بمال غير شرعي فنفروا من القرية بنسائهم وأولادهم وجاءوا إلى اللاذقية يتظلمون إلى الحكومة فلم يأخذ القائم مقام وتعصب مع من في المجلس من أعضاء المسلمين إلى أحمد آغا عبد القادر فتدخل بذلك وكلاء قناصل الدول الأفرنجية وجرت بينهم وبين القائم مقام مراسلات كانت ثمرتها

مضاعفة تعصبه لأحمد آغا عبد القادر فكتبوا بذلك إلى قناصلهم الجنرالية في بيروت فلم يجد ذلك نفقاً واستمر أهالي بهرميل مشنتين في اللاذقية يقاسون شديد البرد والجوع مدة الشتاء ولما لم يروا فائدة من طول مكثهم ذهب كل منهم في الربيع إلى مكان طلباً للرزق وهجروا قريتهم بالكلية. وفيها أي في سنة 1859 قدم إلى اللاذقية الخواجه ضدس والخواجه بيتي الأميركيان وهما قسيسان من الكنيسة البروتستانتية الجمهورية وباشرا فتح مدارس في المدينة وفي جبال النصيرية لنشر مذهبهم وبهما تأسست جمعية المرسلين الأميركية في اللاذقية ولما مات القس لايد الإنكليزي أوصى للجمعية المذكورة بمدرسته بحمرا. وفي سنة 1860 كانت حادثة سوريا المشهورة ابتدأت الفتنة فيها بين الدروز والموارنة في لبنان ثم اتسعت واتحد بها المسلمون مع الدروز في بعض الأماكن فأوقعوا بالنصارى ولا سيما في دمشق حيثما ذبحوا منهم مئاتٍ واحرقوا جميع منازلهم وبيوتهم بعد سلب ما فيها فخاف النصارى في باقي مدن سوريا واشترك بهذا الخوف نصارى اللاذقية أيضاً ولا سيما عندما شاع خبر مذبة دمشق بواسطة أحد السفن الحربية الإنكليزية التي جاءت إلى اللاذقية لإبلاغ الخبر إلى حاكمها والوقوف على مقدار استعداده لوقاية نصارى المدينة فأنها بعد أن رست خرج قبطانها إلى البر وقابل الخواجه كريس قنصل انكليتره وسار معه لمقابلة مظهر أفندي القائم مقام وخلا مع القنصل وبعض متوظفي القنصلات وأخبره سراً بحادثة دمشق وسأله هل عنده من القوة ما يتكفل بوقاية نصارى اللاذقية حتى إذا كان في افتقارٍ للآلات الحربية والرجال يُخرج له من بارجته ما هو في افتقارٍ له وإلا فإنه يطلب منه صكاً يتعهد به بوقاية النصارى فالتمس القائم مقام منه مهلة بعض ساعات لإعطاء الجواب ثم جمع للحال أعضاء المجلس المسلمين من الأعيان والوجوه وقص عليهم الخبر وطلب منهم ضماناً العاقبة إذا أرادوا أن لا يقبل مساعدة من البارجة الإنكليزية فأعطوه صكاً عليهم جميعاً يتعهدون فيه بحماية النصارى ويتخذون على أنفسهم مسؤولية كل خطر يقع عليهم من المسلمين ولما حصل على هذا الصك أعطى الجواب إلى القبطان الإنكليزي بعدم الافتقار إلى مساعدة خارجية وتعهد له كتابةً بحماية النصارى من كل خطر ولما عاد القبطان والقنصل

من دار الحكومة انتشر خبر مذبحه دمشق في المدينة فحزن لذلك النصارى واستولى عليهم الارتياح ولم يكن تعهد القائم مقام للقبطان الإنكليزي كافياً لتلطيف خوفهم الباطني ولم يسكن روعهم حتى ورد الخبر بقدوم فؤاد باشا ناظر الخارجية من الاستانة إلى سوريا لتمهيد الأحوال وقدام عشرة آلاف جندي فرنساوي إلى بيروت للمحافظة مع قدوم سفائن حربية من قبل أكثر الدُول الفرنجية جعلت تتناوب زيارة كل من مدن سوريا البحرية فكان في أكثر الأيام يوجد في مرسى اللاذقية بارجة أو أكثر ودام ذلك إلى نهاية توطيد الراحة والأمن في سوريا وبعد مجيء فؤاد باشا إلى بيروت قدم خورشيد باشا والي أيلة صيدا الذي جرت الحادثة في أيامه إلى اللاذقية وأقام فيها نحو عشرة أيام ثم عاد راجعاً إلى بيروت وفي مدة وجوده في اللاذقية كانت تلوح على وجهه لوائح التفكير وانزعاج الضمير ولا عجب في ذلك فإنه بعد وصوله إلى بيروت حُجز عليه ثم حُكم عليه بالنفي بعد سلخ جميع رتبته عنه لاشتراكه أو لتقصيره في الحادثة كما حُكم على أحمد باشا والي دمشق بالقتل هذا وممن ظهرت له مآثر حميده من المسلمين في زمن خوف النصارى في اللاذقية في العهد المرقوم محمود آغا خزندار فإنه أظهر كمال الغيرة عليهم وشعائر المروءة وكان يجول على أكابرهم ويطمأنهم ويعددهم بالمساعدة والذب عنهم باخوته ورجاله حتى الموت ثم أنه ذات صباح وُجد أمام باب دار الخواجه الياس مرقص قنصل روسيا وفي أماكن أخرى من حارات النصارى أوراق مكتوبة بلا امضاء تتضمن احتقاراً وشتماً للدين المسيحي وتهديداً للنصارى عموماً وله خصوصاً فارتاعت لذلك النصارى وارسل الخواجه الياس مرقص المومى إليه اخاه وترجمانه الخواجه اسبريدون مرقص إلى بيروت حاملاً رسالات منه ومن باقي قناصل اللاذقية إلى قناصلهم الجنرالية يعلمونهم بذلك وبعد أسبوع عاد المومى إليه ببارجة روسية قدمت لتطمين النصارى وبعد أيام جاء من قبل فؤاد باشا رأوف بك احد البكباشية معاوني حربه لأجل الفحص والتحقيق عن مصدر تلك الورقة فجعل يجمع في دائرة الحومة الأهالي أصحاب الخطوط غير المشهورة من المسلمين والنصارى ويستنسخهم صوراً عليها ليقابل بينها وبين الخطوط فكان أقربهن إليها شهاباً خط ميخائيل ابن الخواجه استور يعقوب عضو

طائفة الأرمن في المجلس فوقعبت الشبهة عليه بكتابتها فألقي القبض على الخواجه استور وأودع في السجن حكماً بأنه ولئن كان ابنه الكاتب لكنه هو صاحب هذه الحركة بناءً على ما كان يُنسب له من حب الفتن والتشويش لمقاصد ذاتية على أن رأوف بك قصد القاء القبض على ابنه ميخائيل أيضاً لكنه لم يتمكن من ذلك لكونه وُجد من حمايات قونصلاتو فرنسا ثم جرى استنطاق الخواجه استور في المجلس فقويت عليه الشبهة وأرسل إلى بيروت في شهر تشرين الأول سنة 1860 وسجن فيها مدة ثم حُلّي سبيله بناءً أن لا يعود إلى اللاذقية على أنه بعد مدة استحصل امراً بالعفو المطلق وعاد إليها وفي هذه السنة توفي محمد آغا خزندار الذي تولى حكومة اللاذقية مدة قبل دخول الحكومة المصرية كما ذكر في محله وفيها قدم إلى اللاذقية اسمعيل باشا المجرى المعروف عند الفرنج باسم الجنرال كميّتي لافتقاد أحوالها من قَبْل فؤاد باشا ولما كان النصاري والقناصل متأثرين من سلوك مظهر أفندي القائم مقام في مسألة نصاري بهرميل وغيرها من أعماله الجائرة مع النصيرية وشوا به إلى اسماعيل باشا وحدثوه بأعماله المشتركة مع عبد الرزاق أفندي وما أجرياه من الظلم في جبال النصيرية وما ابتلعه من الرشوة وكان اسماعيل باشا شديد الانفعال فبلغ منه الغيظ مبلغاً حملهُ على القاء مظهر أفندي وعبد الرزاق أفندي في السجن والشروع في التحقيق عليهما قبل الاستئذان عن ذلك من فؤاد باشا ثم عرض له عما فعل ويُقال أن فؤاد باشا خطأهُ في عمله لكنه اضطر أن يجاريه حفظاً لاعتباره وانفذ له أمراً بعزل مظهر أفندي من القائم مقامية وتعيين عزت أفندي مكانه أذنه بمداومة التحقيق بمعرفة عمدة تحت رئاسة عزت أفندي القائم مقام الجديد فأجرى اسمعيل باشا تعيين العمدة وشرعت في التحقيقات ورؤية الدعاوي المتصدرة من بعض الأهالي على مظهر أفندي وعبد الرزاق أفندي على أن مظهر أفندي قد كان متجلداً ولزم الانكار المجرد في جميع حركاته وسكناته فلم يزل بكلمة وأما عبد الرزاق أفندي فكان منحلّ العزيمة واقرّ بارتكابات شتى فعلها بالاشتراك مع مظهر أفندي في جملتها قتلها الشيخ نصر ولما تمّ استنطاقهما أرسلهما مع عمدة التحقيق إلى بيروت بناءً على امر فؤاد باشا لأجل إبراز الحكم عليهما في المجلس الكبير وبعد مراجعة الاستنطاقات

فيه حكمٌ بنفي عبد الرزاق افندي نفيًا مؤبدًا عن اللاذقية وحرمان مظهر أفندي من خدمات الدولة على أن هذا الحكم لم يستمرّ مفعولُهُ ثابتًا فإن عبد الرزاق افندي توجه إلى الاستانة وأقام فيها نحو سنةٍ ثم استحصل فرماناً بالعفو عنه والاذن له بالرجوع إلى وطنه فعاد إلى اللاذقية كما أن مظهر افندي بعد سنين قليلة استخدمته الدولة وعينتهُ قائم مقاماً لطرسوس ثم في أثناء وجود اسمعيل باشا في اللاذقية حدث خصام فيها بين الروم واللاتين وسببه ان الروم شرعوا بتجديد كنيسة ماري سابا وكان في دار الكنيسة بعض قبور للاتين فجاء بعضهم وقصدوا أن يفضلوا القطعة التي كانت فيها تلك القبور عن دار الكنيسة بحائطٍ ليستقل بها اللاتين فاعترضتهم الروم وتصدر للمناضلة عن ذلك من طرف الروم الخواجه الياس مرقص قنصل دولة روسيا فتعصب اسمعيل باشا لللاتين واشتدت المحاوره لأجل ذلك في دار الكنيسة فيما بين الخواجه الياس مرقص وبين اسماعيل باشا والخواجه لوسين جفروا قنصل فرنسا والخواجه الفونس لازري قنصل النمسا ثم توقف العمل بناء ان يصير حل هذه المسألة بواسطة القناصل الجنرالية في بيروت ثم كتب كل من قنصل فرنسا وقنصل روسيه إلى قونصله الجنرال فجاء من قبل كل من الجنرالين مأمور إلى اللاذقية ولدى البحث وُجد أمر قديم من سليمان باشا والي عكا، ورد بأثر منازعة جرت بين الروم واللاتين نظير هذه المنازعة يتضمن الحكم بأن الكنيسة والمقبرة التي فيها جميعاً ملك الروم وليس لهم شريك فيهما فحينئذٍ اتفق المأموران على اعطاء القطعة الواقع عليها النزاع إلى اللاتين بثمنٍ قدره ألف فرنك تُدفع إلى طائفة الروم وتم ذلك. ثم سافر اسمعيل باشا المجري إلى بيروت فوقع بينه وبين فؤاد باشا تنافر بعثه على الاستعفاء من خدمة الدولة والتوجه إلى انكليتره ومات فيها بعد عهدٍ غير بعيد ثم في ربيع سنة 1861 قام عزت افندي القائم مقام بفرقته من العساكر إلى جبال النصيرية لأجل التحصيلات وفي أثناء وجوده فيها انتشرت رائحة فتنةٍ في جبل الأكراد ضد نصارى قرية كنسبا فإن محمد آغا يونسو احد آغاوات جبل الأكراد وأكثرهم سطوةً ونفوذاً كان وقتئذٍ مديراً في جسر الشغور فجاء إلى جبل الأكراد لأجل قطع سعر الدخان مع نصارى كنسبا السماسره وبعض تجار اللاذقية النصارى وقصد قطعه بسعرٍ باهظٍ فلم يوافق

التجار والسماسر على ذلك فاغتاظ منهم وتهددتهم ثم هيّج اغاوات جبل الأكراد والأهالي على عدم ايفائهم شيئاً من مطالبهم بدعواهُ انها جميعها أرباح ربحوها من جبل الأكراد واستعمل غير ذلك من التهديدات ظناً منه أن الظروف تساعد مع أن فؤاد باشا كان لم يزل ما بارح سوريا فخاف نصارى كنسبا العاقبة وكتبوا إلى المطران والقناصل يعلمونهم بالقصة ولما بلغ عزت افندي هذا الخبر ارسل بالحال علي آغا هرون وجبرائيل افندي عطاالله إلى جبل الأكراد لأجل اصلاح ذات البين واطفاء الفتنة بالحكمة فلم يتمكنوا من ذلك وازداد هيجان الفتنة عوض انطفائها حتى أن اغاوات جبل الأكراد أعطوهمما جواباً خطياً تحت امضائهم واختامهم بأنهم لا يضمنون سلامة نصارى كنسبا من الخطر فساروا من جبل الأكراد إلى البايبر وعرضا منه إلى عزت افندي واقعة الحال فتكدر من ذلك وأمرهما بالرجوع إلى البلد ثم ارسل عوضهما مصطفى افندي مفتي اللاذقية وبكباشي العساكر النظامية والياس افندي صوايا فساروا إلى جبل الأكراد وكانت جمعية الأهالي فيه قد انفضت على عزم الايقاع بالنصاري فاجتمعوا مع محمد آغا يونسو ثم جمعوا عنده الآغاوات والوجوه وتدخلوا معهم بالأساليب الحسنة وحلّوا ذلك المشكل وحددوا سعر الدخان بقيمة مناسبة واستحصلوا صكاً من اغاوات جبل الأكراد بضمانة سلامة مسيحيي كنسبا من الخطر وكان الحصول على جميع ذلك بحكمة وحسن تصرف الياس افندي صوايا ثم عادوا ناجحين وسكنت بعد ذلك الأحوال وفي خريف السنة المرقومة ارسل شرواني زاده رشدي افندي مفتي مأمورية اصلاحات سورية يشور على عزت افندي قائم مقام اللاذقية أن يقبل مأمورية أقلام جبل لبنان بمعية داود باشا الذي عُيّن متصرفاً للجبل المذكور فقبل وسار إلى بيروت وخلفه في قائم مقامية اللاذقية ابراهيم باشا وكان المعسكر لم يزل في جبل النصيرية فسار إليه وأقام مدةً فيه مشغلاً بالتحصيلات وألقى القبض في اثناء ذلك على مقدمي القرداحة وارسلهم إلى بيروت فتبعهم القس ضدس الأميركاني وتوسط أمرهم بواسطة المأمور الذي كان من قبل دولة انكليتره في قومسيون اصلاحات سورية الدولي فأطلقوا وعادوا إلى القرداحة وفي نيسان سنة 1862 عُزل ابراهيم باشا وكان مدمناً على شرب المسكرات فمض

في اللاذقية ولبث بعد عزله مدة مريضاً ثم سافر إلى الاسكندرية ومات فيها ثم خلفه في قائم مقامية اللاذقية صالح بك وفيها في أيلول قدم إلى اللاذقية عمر باشا الداغستاني الفريق بمأمورية الإصلاحات والتحصيلات ومعه نظيف افندي مأموراً ملكياً فسار عمر باشا بفرقة من العساكر إلى جبل النصيرية وأقام فيه مدة ثم عاد إلى اللاذقية وبقيت فرقة العساكر في الجبل لأجل التحصيلات. وفيها تحققت حكومة حلب مظالم وتعديات محمد آغا يونسو مدير جسر الشغور وعلمت أنه بنى حصناً في قرية شنبر وذخّره بالبارود والرصاص فأرسلت إليه العساكر فقبضوا على ابنه رشيد آغا ونهبوا الحصن وهدموه أما هو فهرب إلى اللاذقية والتجأ في بيت الخواجه كريس قنصل انكليتره ولما بلغ عمر باشا الداغستاني ذلك أرسل فطلبه من القنصل فلم يسلمه إياه فأرسل عسكرياً يحرس منافذ البيت كيلا يهرب ثم كتب كل من عمر باشا وقنصل انكليتره إلى ولي امره في بيروت واقعة الحال وكان أهالي الجسر يطلبون من الحكومة إرسال محمد آغا يونسو إلى انطاكية ليحاكموه فيها على المظالم التي عاملهم بها لكون أنطاكية هي مرجع مديرية الجسر وهي أقرب مجالاً للأهالي أما محمد آغا يونسو فكان يحاذر ذلك فقر القرار فيما بين الولاية وقوصلاتو جنراية انكليتره في بيروت أن يصير تسليم محمد آغا يونسو للحكومة على شرط أن تصير محاكمته في اللاذقية لا في انطاكية فسلمه الخواجه كريس إلى حكومة اللاذقية واستمر مدة في سجنها تحت الاستنطاق والمحاكمة ثم أرسل إلى بيروت حيثما أقام مدة ثم جرت تخليه سبيله وفيها في شهر أيلول عاد عمر باشا الداغستاني إلى بيروت وفي شهر تشرين الأول قدم أحمد باشا والي صيدا من بيروت إلى اللاذقية مصحباً معه بعض أعضاء المجلس الكبير للتحقيق على ما كان قد انتشر من اخبار ارتكاب الرشوة وعدم الاستقامة في مأمورية القرعة العسكرية التي كانت تجري وقتئذ في جبال النصيرية ولدى وصوله استدعى إليه مأموري القرعة وهما علي رضى بك امير الالاي وكنج آغا هارون ووضعهما في السجن ووضع معهما علي آغا هارون مأمور الأملاك ثم اطلقه بعد أيام قليلة وعاد إلى بيروت مصحباً معه علي رضى بك وكنج آغا فحُجز علي كنج آغا في بيروت نحو ثمانية أشهر ثم جرت تخليه سبيله وعاد إلى اللاذقية ثم مدّ

السلك التلغرافي منها إلى طرابلس وبيروت وفيها استعفى صالح بك من قائم مقامية اللاذقية وخلفه اسكندر بك وفي شهر كانون الثاني سنة 1863 تم ربط سلك التلغراف من اللاذقية مع حلب وديار بكر حيثما هو مربوط من الطرف الواحد مع بغداد ومن الطرف الثاني مع الاستانة وفيها في شهر نيسان وقع شقاق في المرقب بين بني عذراء المسلمين وبين بني عرنوق النصارى فسار بنوا عذرا برجالهم لمهاجمة قرية المتن فخرج أهاليها المسيحيون مع بني عرنوق لدفعهم فجرت بين الفريقين معركة ذهبت بأثرها مجروحان من كل طرف ثم جمع بنو عذرا أهالي القرى من جهات المرقب وزمرين وغيرهما وقصدوا قرية المتن ثانيةً فلما أحس بهم المسيحيون هربوا بغتةً فدخل بنو عذرا القرية ونهبوها وسلبوا امتعة الكنيسة ولما ورد الخبر إلى اللاذقية سار اسكندر بك القائم مقام إلى مكان الحادثة وسافر المطران ارتامبوس مطران اللاذقية وجبرائيل افندي عطاالله عضو طائفة الروم في المجلس إلى بيروت وقدم الشكوى إلى أحمد باشا قيصرلي الوالي فجاء معهما بنفسه إلى المرقب براً وقبض على سبعة عشر شخصاً من رؤساء الحركة المسلمين واستحصل قسماً من المنهوبات وردّه بعينه إلى أصحابه ثم أخذ تعهداً من الأهالي المسلمين بارجاع بقية المسلوبات في برهة 15 يوماً على أنهم إن لم يجدها ويردوها يدفعوا قيمتها العادلة وأنهم يلتزمون عدم صدور قباحة من أحد منهم ويسلمون كل من يرتكب شيئاً من ذلك إلى الحكومة لكي تجري جزاءه وأن كل من يتهاون بتسليم المذنب يُقاض بذنبه ثم سمح للمنهوبين بستة آلاف غرش فوق ما تعوض عليهم للاعانة على معاشهم وعاد بعد ذلك إلى بيروت مصحباً معه المقبوض عليهم من بني عذرا وبعد وصوله إلى بيروت نفى بعضهم إلى ما وراء الاستانة نفياً موقتاً فمات أكثرهم في المنفى وعاد بعضهم بعد أن قضوا المدة المعيّنة إلى المرقب.

وفيها عاد عمر باشا الداغستاني بمأمورية الإصلاحات والتحصيلات أيضاً إلى اللاذقية وسار بفرقة من العساكر إلى الجبال وأقام فيها اشهرًا وسلك مع النصيرية باللين فكانت أمور التحصيلات والقرعة العسكرية تجري ببطء وكاد يحصل تشويش وخلل بواسطة فساد اسماعيل عثمان أحد مقدمي القرداحة فإنه أغرى أهل النويصرة مع التظاهر بالعصيان وكان

عندهم إذ ذاك موسى ابن الخواجه الياس موسى الياس قنصل انكليتره سابقاً كان مرسلأً من قبل ابيه وعمه الخواجه يعقوب الياس قنصل بروسيا لأجل تنزيل دخانهم الذي كانا قد اتفقا معهم عل دفع ثمنه إلى الحكومة من أصل المال المطلوب منهم فحجزوه عن النزول إلى البلد ما لم يدفع لهم ثمن الدخان المذكور غير قابلين بدفعه للحكومة فبلغ أباه وعمه ذلك فأرسلا يطلبانه من عمر باشا وكان اسماعيل عثمان كتب إليه يخبره عن تظاهر النواصره بالعصيان ويثلب بحقهم تظاهراً بأن لا مداخله له معهم فارتبك عمر باشا في ذلك واحتار ما بين أن يرسل العساكر لتكبيهم وأن يستعمل وسائط أخرى وكان عنده يومئذ الياس افندي صوايا فعرف أن في الأمر حيلة عالمأً أن أهالي النواصره لا يقدرّون على اشهار راية التمرد والعصيان إلأ بموافقة ورضى اسمعيل عثمان وباقي مقدمي القرداحة وتسلمتهم عليهم نظراً لانحصار جبلهم من كل ناحية بمقاطعة القرداحة فاستأذن من عمر باشا بأن يذهب هو وحده ويصرف هذا الأمر بلا حاجة إلى إرسال العساكر فاذن له فسار وبلغ مساءً إلى القرداحة فلم يشاهد اسمعيل عثمان فيها فإنه كان في جبل النواصره فبات تلك الليلة في القرداحة واجتمع إليه مقدموها يسألونه عن سبب مجيئه فأفهمهم أنه ذاهب إلى النواصره من قبل عمر باشا ليرى سبب عصيانهم فلما فهموا منه ذلك أرسلوا بالرجال يخبرون اسماعيل عثمان سراً بالأمر فنهض حالأً وجاء إلى القرداحة ليلاً وفي السحر اجتمع بالياس افندي صوايا وجعل يحذرهُ من الذهاب إلى النواصره ويهوّل عليه الخطر الذي يحيق به إذا سار إليهم فتأكد الياس افندي حينئذ الحيلة وأجابه أنه لا يمكنه إلأ أن يتمم أمر عمر باشا فلما رأى اسمعيل عثمان اصراره على الذهاب خشي من أنه إذا تركه يذهب تنكشف حيله ومفاسده فترجاه أن يبقى في القرداحة وتعهده له باحضار موسى الياس وتسكين أهالي النواصره واستحضار موسى الياس فأرسل إلى ابيه وعاد الياس افندي إلى المعسكر فسرَّ عمر باشا بما أجراه. وفيها أي في سنة 1863 توفي الخواجه ثيوذوري ويتالي قنصل هولاندا وخلفه في وظيفته ابن اخيه الخواجه نقولا ويتالي وفيها عزل اسكندر بك القائم مقام وخلفه اسمعيل بك وعاد عمر باشا الداغستاني إلى بيروت وفي ايام اسمعيل بك وقعت فتنة بين طائفة الروم منشأها أن الخواجه

الياس مرقص وكيل قونصل روسيه تنافر مع اسمعيل بك فكتب اسمعيل بك له تحريراً دفعه إلى جبرائيل افندي عطا الله ليوصله له ويبلغه كلاماً شفافاً فسار إليه وأعطاه التحرير فلما قرأه غضب وطرح التحرير إلى الأرض وتكلم مع جبرائيل افندي عطا الله كلاماً حاداً فأجابهُ بمثلها واشتبك بينهما خصام بسبب ذلك فاضمر حينئذٍ الخواجه الياس مرقص الشر إلى جبرائيل افندي عطا الله وحصل بعد مدةٍ على عرضحال مختوم من كثيرين من الطائفة باسم الحكومة المحلية يتضمن طلب عزله من عضوية المجلس وتعيين جرجس افندي ميخائيل الياس الذي كان أمين صندوق الحكومة عوضه فلما بلغ جبرائيل افندي عطا الله ذلك جاء إلى الياس افندي صوايا وطلب منه أن يساعده هو وأصحابه في هذه المسألة فساعده وجرى استحصال عرض حال من الطائفة ضد ذاك العرض يتضمن أن العرض الأول ختم فيه كثيرون بالحيله بدون أن يعرفوا حقيقة مضمونه وكان المطران ارثاموس متحزباً للخواجه الياس مرقص وقد دفع له ختمهُ يكتب ما يختاره عن لسانه للحكومة وكانت الحكومة المحلية متحزبة لجبرائيل أفندي عطا الله فبعد تبادل مكاتبات حادة بين الجهتين رُفعت القضية إلى حكومة الايالة فصدر أمر الوالي لحكومة اللاذقية بإبقاء جبرائيل افندي عطا الله في عضوية المجلس وعدم الالتفات لتحريك المتحزبين ضده فاستمر في العضوية إلى حين التشكيلات التي سيأتي ذكرها التي في قوانينها تعيين الاعضاء بالانتخاب فأنْتُخب حينئذٍ جرجس افندي ميخائيل الياس باتفاق الحزبين حسماً للنزاع. أما نصيرية الجبال فقد كانوا في أيام اسمعيل بك كما في أيام القائم مقامين الذين سلفوه حتى وفي حال وجود عمر باشا والعساكر في الجبال غير سالكين سلوكاً تاماً في سبيل الطاعة والانقياد للحكومة وكانوا حيناً فحيناً يتعدون على ابناء السبيل ويسلبون ما يقع بأيديهم وكانت الحكومة تتساهل في صرف الأمور معهم سواء كان من جهة التحصيلات أم من جهة القرعة العسكرية أما مسلوبات الأهالي ومطالب حقوق التجار فقلما كان يُلتفت إليها كما هو الحال في أكثر الأوقات إذا لم نُقل في جميعها على أن اسمعيل بك كانت له غيره على وقاية المزروعات في قرى الساحل حيثما تنتهي سطوته فكان يلزم كل صاحب دابةٍ أطلقت على المزروعات بدفع جزاء

نقدي بلا تساهل فسلمت بذلك مزروعات تلك السنة من الأضرار التي طالما تصيبها من جراء إطلاق الدواب فيها كما هي عادة النصيرية الذميمة التي قلما يعتني أحد من حكام اللاذقية بإبطالها وفي شهر نيسان سنة 1865 غيرت الدولة ترتيب الأيالات في مملكتها وضمته إلى ولايات ودعت هذا التغيير تشكيلات فجعلت أيلة صيدا وأيلة الشام ومتصرفية القدس ولاية واحدة مقسومة إلى ألوية والألوية إلى قضاوات والقضاء إلى نواحي وجعلت لقب حاكم اللواء قائم مقاماً وحاكم القضاء مديراً فتألف في سوريا قومسيون (عمدة) من كبار المأمورين لترتيب الألوية والقضاوات وكان حمدي بك قائم مقام طرابلس إذ ذاك منسوباً إلى بعض أعضاء القومسيون المذكور فلقي يوسعوا دائرة حكومة الغوا لواء اللاذقية وقسموه إلى قضاوات وألحقوها جميعها إلى طرابلس فضاقت دائرة حكومة اللاذقية وقُسم لواءها القديم إلى أربعة قضاوات مستقلة أي كلٌ منها مرجعه إلى طرابلس مركز المتصرفية رأساً وهي قضاء اللاذقية وقد تألف من المدينة والساحل والبهلولية والباير والبوجاق وقضاء صهيون وقد تألف من نواحي صهيون وجبل الأكراد وبيت الشلف والمهالبة ومركزه قرية بابنا وقد عُيّن مديراً له محمود آغا خزندار وقضاء جبله وقد تألف من نفس جبله وقرى الوقف والشمسيات ونواحي بني علي والقرداحة والسمت قبله وقد عُيّن مديراً له على آغا هرون وقضاء المرقب وقد تألف من نواحي المرقب وزمرين والخوابي والقدموس ومركزه قلعة المرقب. وقد عُيّن في اللاذقية سعدالله بك مديراً والياس افندي صوايا كاتب مال عوض مدير المال وكان قبل ذلك معاوناً له ثم جرى تغيير هيئة الإدارات فأقيم في اللاذقية مجلس إدارة تنقسم أعضاؤه إلى قسمين أعضاء طبيعية أو دائمة وأعضاء غير طبيعية أو موقته فالأعضاء الدائمة هم النائب والمفتي والرؤساء الروحيون وكاتب المال والأعضاء المؤقتة هم الذين يجري انتخابهم بمعرفة الأهالي ويتغير كلٌ منهم أو يتجدد انتخابه كل سنتين وهم أربعة أعضاء اثنان مسلمان وواحد روم وواحد ماروني وهذا المجلس من متعلقاته جميع الأمور الأميرية والسياسية ورئيسه المدير ومجلس دعاوي يتألف من أربعة أعضاء مسلم وروم وأرمني ونصيري وجميعهم من الأعضاء الموقته يتغير أو يتجدد انتخاب كلٍ منهم كل

سنتين ومن متعلقات هذا المجلس فصل الدعاوي الحقوقية والجنائية ورئيسه النائب ولكلٍ من هذين المجلسين كاتب لكنه ليس له صوت في المجلس على أن من هؤلاء الكتاب مَنْ يحصر إدارة المجلس بيده إذا كان ذا استعداد ولئن لم يكن له صوت فيه. ومجلس بلدي يتألف من رئيس مسلم وأربعة أعضاء اثنين مسلمين وواحد روم وواحد ماروني وكلهم ينتخبون بمعرفة الحكومة وليس لانتخابهم مدة معيّنة ومن متعلقات هذا المجلس اصلاح البلدة واجراء التحسينات فيها ووارداته تبلغ نحو خمسة وعشرين ألف غرش سنوياً وهي رسومات مرتبة على المجرز والسمك وغيرهما خلا ما يدخل من الجزاء النقدي وجميعها تستهلك بلا فائدة للمدينة لأن نصفها يستولي عليه مجلس بلدية طرابلس مركز اللواء ولا أدري بأي حق والنصف الآخر يُصرف علائف للرئيس والكاتب وثمن مفروشات وترميمات في دار الحكومة ومع أن المجلس البلدي ينبغي أن يكون من أهم المجالس لأنه يشخص بهيئته كل أهالي المدينة فهو بالعكس حطيط المقام ولا تنظر إليه الحكومة بعين الاعتبار فلذلك استنكف معتبروا المدينة من الانتظام في سلك اعضائه فبات بلا أهمية. ثم قُسمت المدينة إلى دوائر وجُعل لكل دائرة مجلس مؤلف من مختار وأربعة أعضاء وجُعل للنصارى دوائر مستقلة منهم غير مختلطة مع دوائر المسلمين ومن متعلقات مجلس الدائرة أن ينوب بأزاء الحكومة عن اهالي دائرته في انتخاب أعضاء المجالس والأمور العمومية على أنه يقال في مجالس الدوائر ما قيل المجلس البلدي فهي نظيره بلا أهمية. ثم عُيّن في كل قريةٍ من القرى مجلس مؤلف من مختار واعضاء. ومتعلقاته كمتعلقات مجلس الدائرة في المدينة. وفي السنة المذكورة شُرع بتوسيع أسواق المدينة بواسطة هدم مصاطب الدكاكين التي كانت بارزة على مساواة أبوابها ورصف الأزقة والشوارع على مصروف الأهالي على أن الرصف المذكور ليس بشيء حسن فإن حجارته خشنة محدبة تتلف الأحذية وتوجع الأقدام وفيها قدم حمدي باشا قائم مقام اللواء إلى اللاذقية وأحال مال قرى الساحل إلى عشر وأعطاه بالالتزام في المزايدة وكانت قبل ذلك مالاً مقطوعاً ثم عاد إلى طرابلس وجاء بعد ذلك مرة ثانية وسار إلى صهيون لأن مقدمي بيت الشلف كانوا قد تخلفوا عن تقديم الأنفار العسكرية

للقرعة فكتب محمود آغا خزندار مدير صهيون إلى حمدي باشا يفيدُهُ عن تخلفهم وينسبهم إلى التمرد والعصيان غير أن سعدالله بك مدير اللاذقية كتب إليه بعكس ذلك ونسب محمود آغا إلى التعصب ضدهم وذلك لأن المتقدمين كانوا قد قدموا عرضاً إلى سعدالله بك يعلنون فيه طاعتهم واستعدادهم لتقديم الأنفار إلا أنهم لا يريدون أن يكونوا ملحقين إلى مديرية صهيون ويطلبون الحاقهم إلى مديرية اللاذقية فجاء حمدي باشا ليكشف حقيقة الأمر ثم سار إلى بيت الشلف فاستقبله المقدمون مظهرين لَهُ الطاعة والانقياد ووعدوه بتقديم الأنفار بعد أيام ولما جاء الميعاد اخلفوا بوعدهم وما زالوا يعدونه ويخلفون حتى ملَّ من الانتظار وأخيراً بعثوا إليه بعض أنفار غير أهلٍ للعسكرية فتأكد إذذاك خبثهم وعدم خلوصهم وقبَّد أنفارهم جميعاً عسكرياً بلا قرعة. وفيها توفي المطران ارثامبوس في قرية المتن من أعمال المرقب في السنة الحادية والثلاثين من رياسته ووقع شقاق بين الروم لعدم اتفاقهم على شخصٍ ينتخبونه خلفاً لَهُ فأصلح البطريرك الانطاكي السيد ابروئوس بينهم بانتخابه الشماس ملاتيوس دوماني الدمشقي ورسامته اياه مطراناً لهم ثم استرضى الحزبين المختلفين فقبلاه وجاء إلى اللاذقية في شهر تشرين الثاني من السنة المذكورة. وفيها توفي الخواجه بندلي زخريا وكيل قونسلوس اليونان في اللاذقية وهو أخو المطران ارثامبوس فولجت قونسلاتو بيروت الخواجه الياس مرقص بإدارة الوكالة مؤقتاً فنوي على استحصال الاصاله وجعل يسعى بذلك فوقع هذا الأمر موقعاً مؤثراً على الخواجات ويتالي لأنهم اعتبروه تعدياً عليهم لكونهم يونان الأصل ولهم الأولوية بالقنصلية على الأجنبى فنشأت عن ذلك فتنة بينهم وبين الخواجه الياس مرقص وتحزب اليونان جميعهم للخواجات ويتالي واستدعوا فصل الخواجه مرقص عن الإدارة الموقتة وتعيين الخواجه اسكندر ويتالي ويكلاً اصيلاً للقونسلاتو فورد الأمر من وزارة اليونان باجابة التماسهم واستلم الخواجه اسكندر ويتالي الوظيفة. وفيها انتشر الهواء الأصفر في سوريا ممتداً إليها من الحجاز عن طريق القطر المصري وعم فيها كل المدن ما خلا مدينة اللاذقية فأنها سلمت منه بمفردها بين جميع المدن السورية وذلك من الغرائب مع أنها ولئن كانت قد جرت فيها قوانين التحفظ لم تسلم من التعرض

للخطر إذ قد التجأ إليها عدد وافر من الناس هاربين من القطر المصري وغيره حاملين رائحة هذا الوباء المريع لكنها مع ذلك قد سلمت منه بسراً غريب ثم دخلت سنة 1866 وفيها جاء إلى اللاذقية مأمورون من قبل حكومة الولاية وعدوا نفوسها ومسقفاتها ورتبوا على أهالي المدينة عموماً رسم التمتع وعلى النصارى خصوصاً رسم العسكرية على تعديل جديد وعلى المسقفات رسم الوريكو وذلك بمعرفة مجالس الدوائر وبعض أعضاء أضيفوا إليهم من قبل الحكومة ولما انتهى ذلك صادقت مجالس الدوائر على دفاتر هذه الرسومات الكائنة بيد المأمورين المذكورين بدون أن تجتمع مبالغها وتُفَقِّطَ لفضلة من مجالس الدوائر فزاد المأمورون بعد ذلك ما أرادوه على رسم كل اسم استحسَنوا أن يزيدوا رسمه وترسخ ذلك في دفاتر الحكومة على الأهالي ولحقهم بواسطة غدر ولا سيما النصارى فإن أكثر الزيادة صُمت عليهم وقد عُذروا أيضاً بواسطة عدد الأنفس التي نزحت منهم من المدينة وتوطنت في مُدن أخرى وازدادة رسم عسكريتها عليهم وهو يبلغ نحو عشرة آلاف غرش سنوياً على النصارى لم يدفعوا ذلك وتشكو للحكومة لأجله ولا يزالون يلتمسون منها رفعه عنه وهو يتقيد عليهم في جملة البقايا من سنة إلى أخرى. وفيها تمرد أهالي جبل دريوس فسار إليهم محمود آغا خزندار مدير صهيون ببعض العساكر واحرق بعض قراهم وتمرد اهالي القرداحة فتقدم حمدي باشا من طرابلس وسار إلى تلك المقاطعة بشرذمة من العساكر وأحرق قراهم. وفيها عُزل علي آغا هارون مدير قضاء جبله وخلفه طاهر افندي وعُزل الخواجه اسبريدون ويتالي من قنصلية أميركا وتعين مكانه الدكتور داود مثنى الاميركاني وفيها أحدث القبطان ميشيل الفرنساوي الفئارات أي المنارات لهداية المراكب في شطوط سوريا باتفاق مع الدولة العثمانية فأنشأ في اللاذقية فئارين أحدهما في قلعة المينا ثابت لون نوره أحمر للدلالة على المراسي والآخر في راس ابن هاني دُوار لون نوره اعتيادي للدلالة على وجود الرأس. ثم دخلت سنة 1867 وفيها عُزل سعد الله بك عن اللاذقية وخلفه حالت بك وهو صهر راشد باشا والي سوريا زوج اخته وعُزل محمود آغا خزندار عن صهيون وخلفه زاكي افندي وفيها غيرت الدولة القاب المأمورين فجعلت لقب حاكم اللواء متصرفاً وحاكم القضاء قائم مقاماً

ولقب كاتب مال القضاء مدير مال ولم يكن في حكومة اللاذقية مديراً مستقلاً للتحريات بعد التشكيلات بل كانت كتابة التحريات فرعاً من فروع مديرية المال فجُعِلت في هذه السنة دائرة مستقلة وعُيِّن ابراهيم أفندي حكيم مديراً لها وعُدَّ في جملة الاعضاء الدائمة في مجلس الإدارة وفيها عُزل طاهر أفندي من قائم مقامية جبله وخلفه علي رضى أفندي وفي هذه الاثناء كثرت الشرور والفتن في جبال النصيرية وانتشرت لصوصهم في الطرقات وتفاقت التعديات والخطف على أبناء السبيل ومما زاد الأحوال خللاً تفريق القوة عن الجبال بواسطة تقسيم لواء اللاذقية فكان إذا عانت نصيرية احدى القضاوات في قضاء آخر وسلبوا راحة سكانه لا يتوصل حاكم ذلك القضاء إلى تأديبهم لكونهم تحت تسلط حاكم غيره. ولما عظم الاختلال تشكت حكومة اللاذقية من ذلك فقدم إليها خورشيد باشا متصرف اللواء من طرابلس لأجل الإصلاح وأقام بعض أيام في اللاذقية حينما وقف على بعض حقائق من جهة أحوال النصيرية ثم سار إلى جبله وألَّف فيها معسكراً من الجنود النظامية ومن الأهالي الذين استدعاهم من المقاطعات الإسلامية وسار به وصدَم قرية البودي التي هي أَمْنَع قرية في جبل بني علي فاشتبك القتال بين أهلها والمنحازين إليهم وبين العسكر فتغلبت النصيرية على العسكر ودفعتهم إلى الورا فوقع الفشل بينهم ورجعوا على الأعقاب وتبعَت النصيرية أثرهم وأوقعت بهم وما زالوا يولون الأدبار حتى انتهوا إلى جبله وقد قُتل منهم كثيرون فساء ذلك خورشيد باشا وقرر الواقع إلى الولاية فأنجدهُ بطابور من العساكر النظامية فقام به وبالعساكر الأخرى ودهم البودي ثانية على أهلها والمنحازين إليهم وقتل منهم كثيرين وأحرق جانباً من القرية ثم عاد إلى جبله ظافراً فاستولى حينئذٍ الرعب على جمهور النصيرية وصار كل فريقٍ منهم يتظاهر بالطاعة والانقياد وعدم الاشتراك مع أصحاب القلاقل وقدم بعض المقدمين إلى خورشيد باشا يظهرون خضوعهم فكان كل ما وفد إليه وافد منهم يستقبله بالبشاشة واللين ويُطلق له الحرية بالذهاب والحضور ويعدُّه بالإكرام والحسنى حتى استأنسوا جميعهم واستأمنوا على نفوسهم ولم يبق للخوف من باعث عندهم ولما شعر منهم بذلك قام من جبله إلى صهيون واستدعى إليه جميع مقدمي ورؤساء النصيرية

بوسيلة أن له مذكرات معهم عائدة لخيرهم فسعوا جميعاً إليه آمنين مطمئنين فجعل يلاطف كل قادم منهم كعادته ويستميله بالحديث والمذاكرة ولما عرف أنه قد كمل وفدهم واجتمعوا جميعاً في محل واحدٍ أمر فرقةً من العساكر فانطبقت عليهم من كل جانب وقبضت على جميعهم وقيدتهم وكانوا اثنين وسبعين نفساً كلهم من المقدمين والوجوه وفي جملتهم الشيخ ابراهيم سعيد أكبر مشائخ فرقة الكلازية وساقتهم إلى جبله وكان خورشيد باشا قد كتب إلى الولاية فجاءته باخرة عثمانية فشحنتهم فيها من جبله إلى طرابلس وأودعوا في قلعها وهذه هي المرة الأولى التي وقع فيها هذا المقدار من مقدمي ووجوه النصيرية من جميع المقاطعات دفعةً واحدة في يد الحكومة ثم أن خورشيد باشا سار من جبله إلى اللاذقية وشرع في تمهيد الأحوال وأصدر بيورلديات إلى القائم مقاميات تتضمن بعض تعليمات وهذه صورة البيورلدي الصادر منه إلى قائم مقامية اللاذقية بحروفه.

مفاخر الأمجاد والأكارم حاوي المحامد والمكارم قائم مقام اللاذقية رفعتلو حالت افندي دام مجده وعمدة العلماء الكرام مكرمتلو نائب افندي ومفتي افندي زيد علمهما ومفاخر الأمجاد اعضاء مجلسي الإدارة والدعاوي ووجوه المملكة وأعضاء مجلس التجارة والبلدية وقومسيون الأملاك رفعتلو وقتوتلو وحميتلو افنديه واغاوات زيد مجدهم ومفاخر الاماثل مختارين واعضاء مجالس الدوائر وعموم اختيارية الأهالي زيد قدرهم المنهي اليكم كما قد صار معلوم الجميع أنه بناء على الأوامر والإرادة الكريمة المعطاة لنا من جانب عالي الولاية الجليلة بحق اصلاح احوال قضائي جبله وصهيون واستئصال جماعة الاشقياء وقطع عنصر الشقاوة والفساد الممتد من القديم إلى الآن في القضاءين المذكورين وإعادة الأمانة العمومية لمركزها واستحصال راحة الأهالي وديعة رب الكبريا بيد الخلافة العظمى فحين وصولي إلى طرابلس شام مركز المتصرفية المتحول لهعهدتي قد تجردت لحضوري بالذات فوراً لهذا الجانب قبل أن آخذ أقل راحة وحيث بوصولي إلى هنا قد وجدت أن اشقياء نصيرية أولئك القضائين قد تماردوا بالفضائح من قتل ونهب وسلب وقطع الطرقات حتى ما بقي امنية لابناء السبيل بالمرور في طريق اللاذقية وجبله

بدون وجود عساكر ضبطيه لأجل المحافظة ومن الجملة تجاسروا على قتل أونباشي العساكر الشاهانية ونفر ضبطيه وخلافهما أيضاً بالطريق المذكور كما تضمنت لي مفصلات قبائحهم من مضابطكم ومضابط قضاء جبله ورابورتات جناب وكلاء قناصل الدول الفخيمة المتحابية المعطاة لي ببحث احوال هؤلاء الاشقياء الذين قد أعطوني برهاناً حاضراً أيضاً على شقاوتهم بحضور جماعة منهم بعد وصولي للاذقية بيومين ثلاثة إلى قرية القنجره الكائنة بمسافة ساعة زمان عن البلدة وشأحو ثلاثة أربعة أشخاص معلومين من أهالي اللاذقية بذاك المحل وجرحوهم واغتصبوا منهم ما كان معهم الأمر الذي قد اثر بنا جداً وبدون أخذ راحة أيضاً قد هرعت بالعزيمة لمركز قضاء جبله حيث وجدت نواحي القرداحة وجبال الكلبيه والبودي التابعات للقضاء المذكور أكثر شراً وشقاوةً وطغياناً عن غيرهم وبالتوكل على العناية الصمدانية والاستمداد بروحانية حضرة سيد المرسلين شرعت بإجراء الإصلاح على ما تقضيه المواقع والأحوال وتوفيقاً للمعدلة السنوية الملوكانية قد بذلت بأول الأمر أنواع النصائح اللازمة إلى أهالي تلك المحلات ليتجردوا عن هذا التمرد والشقاوة ويهرعوا إلى تحت أقدام الحكومة السنوية مسلمين اشقياءهم وسالكين جادة الطاعة والاستقامة قولاً وفعلاً ولكن حيث ما حصل لذلك النصح من تأثير فصار سوق العساكر الملوكانية المضطربة على المحلات اللازمة واجراء التربية العادلة بحقهم وبطل الموفقيه الملوكية صار القبض حرباً وقهراً وتدبيراً على رؤسائهم واشقيائهم ورؤساء بيت الشلف وأشقيائها المحركين الفساد والقوة العاملة لتمرد الأهالي عن الانقياد واعطاء الأموال والقرعة الشرعية ومطالب الحكومة السنوية والقاطعين الطرقات والسالبين الأمانة من الخاص والعام وصار ارسالهم لمركز المتصرفية مع اعطاء التأمينات العمومية لجميع أهالي الجبال الذين يوجدون من الآن فصاعداً بصورة الطاعة والانقياد وسوق مأمورين لتلك النواحي مع تسير البيورلديات القاطعة لأجل القبض على كل نفس وجد في جماعة الاشقياء وها أنه من جراء الإرهاب الذي حلّ بسياسة السطوة القاهرة الملوكانية في قلوب الجميع فأولئك الذين كان لهم العادة من القديم إلى الآن أن يمشوا الاشقياء على الفضائح والحرام ويمنعوا تسليم من تطلبه الحكومة

منهم قد اضحوا الآن باقر المهابة والرعب يمسون مَن يقع بيدهم من اشقيائهم المتهورين ويسلمونه لجانب الحكومة كما صار منظور جميعكم ذلك وإن يكن بظل السطوة الملوكانية قد جرى من الإصلاح ما يتكفل ديمومة الراحة والامنية وتمتعت الأهالي داخلاً وخارجاً بحرية المرور في الصحارى والجبال كما أنهم اعلنوا ممنونيتهم من ذلك بالمحاضر التي قدموها لنا بواسطتكم وسيقع باليد أيضاً من كان مختفياً من الاشقياء وقطاع الطريق ويصير استراحة الناس من شره وعلى آمال اكمال الاجراءات الإصلاحية قد اخترت الإقامة مدةً مناسبة بهذا الطرف غير أنه كما هو غني عن البيان أن ديمومة الامنية والاستراحة المطلوبة يحتاج أيضاً لوضع قضية الضبط والربط بصورة لا تقبل الفساد والخلل وأن الحكومة المحلية تعرف على الدوام اعتناءها بذلك فوان يكن قضاء اللاذقية لا يُعتَبَر بمثابة قضاءي جبله وصهيون بكثرة الاشقياء وايصال التعدي والاذى والتخلف عن الانقياد غير أنه كما هو أمر محقق بأنه لا يخلو من وجود أشخاص اشقياء به حتى ونفس اللاذقية أيضاً لا تخلو من وجود أشخاص مشبوهي الأحوال وبالجملة فلا بد من وجود اشخاص بالساحل والنواحي صائرة بيوتهم مأوى الحراميه والمجهولين الأحوال كما وعلى ما صار الاستخبار يوجد بالساحل أكثر الأهالي مألوفين على السرقة والتعدي على محصولات بعضهم بعض أما طمعاً وأما مكيدةً وضرراً وعلى هذه الصورة فكثيراً يصبحوا وليس على أشجارهم نصف ثمرها وحيث ذلك مغاير الرضى العالي بالكلية وموجب سلب الأمانه مع تخديش الراحة وتكوّن الشر والمقال بين الأهالي فلأجل عدم وجود مجال إلى شخص الفرد بعد الآن أن ينوجد بصورة التعدي والفساد قد روي بتعيين الاجراءات اللازمة لهذا الخصوص وافراغها بالتسعة بنود الآتي شرحها لتكون من الآن فصاعداً دستور العمل وهو انه:

أولاً يصير اجراء اصول الكفالة المتسلسلة في كل قرية ومحل بناء أن كل شخص من الأهالي يتكفل من آخر والآخر من غيره إلى أن ينوجد جميع الأهالي بوجه الافراد مرتبطة بكفالات والذي لا يوجد له كفيل أما لكونه مجهول الأحوال أو لسبب اطواره المنفوره سيكون بالطبع عرضةً للتهمة ويجري بحقه النظام العالي وعلى هذه الصورة لا يبقى شخص

مجهول وحيث كان ذلك أول الاسباب المتممة لأمر الراحة العمومية فيقضي سرعة المبادرة لاجراء أولاً بنفس البلدة ثم وبسائر المحلات ذات الأهالي وأخذ سندات تعهدية مهمورة بذلك.

ثانياً بما أن المحلات التي يعبر عنها قرايا ومزارع هي عبارة عن كم بيت قلائل واذا وقع سرقة بتلك القرية والمحل من أحد أهاليها أو من جماعة أغراب أو اتى إليها حراميه لعند احد منهم فلا يخلو الأمر من معرفة أهاليها بذلك فيقتضي جلب مختارين ومجلس اختيارية كل قرية بقريتها لمجلس القضاء ويصير ربطهم بتعهد وكفالة على أنه إذا وُجد بينهم شخص مشبوه أو له اسبقية بالسرقة ولو كان حبة زيتون أو بكونه يطبق للحراميه أو له تردد ومخالطة مع جماعة الأشقياء فعلاً أو رأياً بمجبورين أن يمسكوه ويسلموه حالاً للحكومة ويبينوا أحواله بمضبطه مخصوصه وإن وقع منهم أدنى مسامحة بذلك فهئية القرية تكون مسؤولة عن تلك الجناية وأولئك الأشخاص على أشد درجة المجازاة القانونية ولكي لا يبقى لهم عذر فليكونوا مأذونين بناء إذا تمرد ذاك الشخص الحرامي عن تسليم حاله وأشهر السلاح فيصير مقابلته منهم بالمثل ومسكه بأي حالٍ كان وجلبه بموجب نظام الدولة العلية لدار الحكومة.

ثالثاً حيث كان نقل السلاح ممنوع تحت إرادة سنية قاطعة فغير مأذون إلى أحد خلاف الضبطية أن ينقل سلاحاً بلا تذكرة رخصة حسب النظام وكل شخص ينقل سلاح بلا تذكرة فمجبورين مختارين الدوائر والقرايا ومجالس الاختيارية على جلبه وتسليمه للحكومة وكل محل يصير به تسامح بهذا النظام فالجزاء يلزم مختارين ومجالس اختيارية ذاك المحل.

رابعاً حيث ممنوع نظاماً نقل خانه من قرية إلى قرية بلا رخصة من جانب الحكومة فليؤخذ تعهد على مختارين ومجالس القرايا بناء انه إذا أراد أحد من قريتهم ينقل خائنه فمجبورين لعرض الكيفية بمضبطه للحكومة ولا يدعوهُ ينقل خائنه بلا رخصة وهكذا القرية التي يريد الانتقال إليها لا تقبله بلا مضبطة رخصة تكون بيده من مجلس قريته مبنية على رخصة الحكومة ومَن يتعدى ذلك فسيجازى بموجب القانون العالي وإن صار كنتم كيفيته

فهيئة القريتين يكونوا مسؤولين شديداً عن ذلك.

خامساً حيث قضية المرور هي من أهم الأمور الانضباطية وكان من النظامات السنية غير جائز إلى أي أحد أن يسافر من قضاء إلى غيره بلا تذكرة مرور من مركز ذاك القضاء فيقتضي الإعلان إلى الجميع بناءً أن لا أحد من أهالي اللاذقية يتوجه إلى قضاء آخر بلا تذكرة فيصير مسكه وتسليمه لجانب القائم مقامية لتعامله بموجب نظام المرور وكل قرية التي يحضر إليها شخص من قضاء آخر بلا تذكره ولا تحضر للحكومة فهيئة تلك القرية تكون تحت الجزاء النقدي والمسؤولية الشديدة وعلى الخصوص ينبغي التدقيق بقضية نظام المرور فوق الغاية بنفس البلدة على الذين يحضروا أو يتوجهوا براً وبحراً.

سادساً حيث كان جانب المدعى عليهم لجانب مركز القضاء متوقف على أخذ تذكرة احضارية بيد المدعي من جانب الحكومة وعرضها على خصمه وإلى الآن ما صار اعتبار هذا النظام كالواجب ويوجد اشخاص يحاولوا عن الحضور ويحصل لهم المحاماة من مختارين ومجالس اختيارية قراياهم وبهذه المحاولة يصير لهم مجال للهروب فلأجل لا يبقى بعد الآن مجال للهروب المدعى عليه فليؤخذ تعهد من ساير القرايا كل قرية بقريتها على أنه عند صدور تذكرة احضارية بطلب شخص لأجل دعوى ما فإذا حضر خصمه فمجبورين بأنهم لا يتركوا له مجال للهروب وأن يحضروه للحكومة حيث نظراً لبعد المسافة عن المركز فبينما يعطي المدعي الخبر ويحضر ضبطيه بطلب خصمه فيصير مرور وقت طويل وفرص لهروبه وعلى هذه الصورة تقع حقوق ودعاوي الخلق بالمشاكل والتأخير والمختارين والمجالس التي تتهاون بإجراء ذلك على الوجه المشروع فليكونوا تحت مسؤولية وضمانة الدعوى التي على ذاك الشخص.

سابعاً كل شخص الذي يكون تحت دعوى جنائية ينبغي رؤية الدعوى عليه تطبيقاً للقانون العالي في قومسيون التحقيق الذي صار تشكيله مختلطاً بهذه الاثنا موقتاً باتفاق العموم من الذوات الموثوق بهم.

ثامناً حيث بطل المعدله الملوكانيه قد ترتب لكل قرية مختارين ومجالس اختيارية

مخصوصاً لرؤية وتسوية أمورها وجميع أموالها وتسليمها لصندوق المال وذلك مجرداً لعدم ترك مداخلة إلى الرؤساء والمقدمين الذين اتخذوا من القديم إلى الآن الأهالي كأغنام لهم يأكلوا خيراتهم ويحرموهم ملذاتها فقد صار لغو لفظة مقدم بناء بعد الآن لا يعود يتقاس بها أحد لا من رؤساء ولا خلافهم وكلمن يتقاس أو يلفظ هذا الاسم يكون تحت المسؤولية.

تاسعاً قد أُعطي التأمين والعفو العمومي بناء أن الأهالي يتمتعوا بحرية التردد لمحللات مقصدهم إن كان اللاذقية أو القرابا لأجل أشغالهم الذاتية ولوازهم المقتضية بشرط أن يكونوا بحد ادبهم وغير ناقلين السلاح فيقتضي توفيقاً للمعد له السنية عند حضور اشخاص من هكذا جماعة لنفس اللاذقية أو لمحل ما فيكون لهم الحماية والصيانة توفيقاً للمعدلة السنية والغاية حيث كما تقدم الشرح أن ديمومة أمر الراحة والأمنية العمومية متوقف على اعتناء الحكومة المحلية بأجراء أمور الضبط والربط بالدقة والاعتناء على الوجه المحرر وإنفاذ القانون العالي فعلاً بدون مراعاة خاطر ولا مسامحة فالمأمول من درايتك المسلمة أنت أيها القائم مقام المنصف بحسن الروية والصدقة والاقدام الذين اثبتهم لي بالفعل منذ حضوري لللاذقية إلى الآن أن تبادر بالحال لاجراء وإنفاذ هذا البيوردي على الوجه الأتم لنهاية عشرين يوم من تاريخه وتقيدوا لطرفنا بمضبطه عمومية عن إجراء ذلك بظرف المدة المذكورة وتعتني فوق الغاية بعدم وقوع الخلل على شيء منه وإذا وجد أحد في حالٍ وحركة مغايرة للوجه المطلوب فجنابكم مأذونين بأجراء مجازاته القانونية بأول درجة وهكذا أنتم جميعاً أيها الافندية والاغاوات المخاطبون يلزم أن تكونوا يدأ واحدة في رفقتلو قائم مقام افندي المومى إليه لإجراء العمل بالوجه المحرر حالاً واستقبلاً بالفعل وتبدلوا غيرتكم واعتناكم بهذا الخصوص فوق العادة لأن هذا جميعه عائد لخير البلاد والأهالي وتجعلوني بذلك متشكراً من جميعكم وبالعكس لا سمح أنه إذا انوجدتم بصورة التراخي والاغفال فتكونوا معاتبين ومسؤولين شديداً والغاية يلزم الاعتناء بالاتفاق للحركة بالوجه المحرر واستحصال الدعوات الخيرية وقتاً بوقت من طرف الجميع للجانب العالي الملوكاني ولحضرة صاحب الدولة والي الولاية الجليلة الأفخم وبناء عليه صار تسطير هذا البيورلدي

من ديوان متصرفية لواء طرابلس شام وارمكاه اللاذقية ليكون العمل والحركة بموجبه اعتمده (5 جمادي الاخرى سنة 1284 انتهى بحروفه)).

ثم أن خورشيد باشا استمر مقيماً في اللاذقية فقوي نفوذ الحكومة وشوكتها في جبال النصيرية وانحلت عزائم أهاليها بعد ابعاد المقدمين والرؤساء فأصبحوا كالأغنام بين يدي الجزار فشرهت نفس خورشيد باشا إلى تحصيل النفع الذاتي إذ رأى الفرصة مناسبة لذلك وكان قد ضرب على النصيرية مبلغاً تحت مصروف المعسكر وسعى بجمعه ثم ورد له أمر من الولاية باعفائهم منه فأخذ ما جمعه لنفسه وكذلك استحصلوا لهم عفواً عن الانفار الذين كُتبوا بالعسكرية بلا قرعة في أيام حمدي باشا وباعهم اياه بثمانٍ استولاهُ منهم ثم التفت إلى اطلاق المسجونين في قلعة طرابلس فكان يتفق مع اقارب كل أحدٍ منهم على مبلغ معلوم يدفعونه له ثم يطلقه وبمأنه كان قد مهّد سبيلاً لمقاصده في الولاية إذ أنه كتب إليها عند القائه القبض على المقدمين والرؤساء أن أكثرهم لا يستوجبون سوى سجن مؤقت وكانت الولاية قد رأت نجاحه في الإجراءات فاعتمدت عليه وأركنت إليه وكانت تجيبه بالإيجاب على كل التماس يتضمن إطلاق أحد المسجونين أو غير ذلك فبهذه الوساطة أطلق أكثرهم وجمع بذلك مالاً وافراً بالاشتراك مع الخواجه الياس مرقص وكيل قونسولوس روسيا فإنه اتفق معه واعتمد عليه في جميع أموره وكان يستجلب خواطر جميع الناس بالتودد والتلطف ولا سيما القناصل فاستمال بذلك أكثر القلوب إليه ومما قوى استمالة أهل المدينة إليه اظهاره لهم ميله واعتماده على السعي بجعل اللاذقية متصرفية وإرجاعها إلى رونقها القديم بالحاق المقاطعات التي سلخت عنها بها واجتهاده في تحسين طرقاتها فإنه أصلح أكثر عقبة السفكون ووسع الطرق المؤدية من المدينة للاسكلة ولا سيما الطريق الشمالي وهو أعظمها فإنه فتح له منافذ جديدة محولاً مأخذه القديم ليجعله مستقيماً على قدر الامكان وكان يشغل فيه بيده ليشوق الأهالي على اقتفاء اثره واجتهد بتحويل نهر الصنوبر إلى مجراه القديم الواقع تحت الجسر لكنه لم يتمم هذا العمل. وفي هذه السنة عُزل علي رضى افندي من قائم مقامية جبله وخلفه سليمان افندي وعُزل زاكي افندي من قائم مقامية صهيون وخلفه

نظيف افندي وهو الذي اتى اللاذقية مأموراً ملكياً مع الفريق عمر باشا الداغستاني سنة 1861 وفيها أيضاً عقد راشد باشا والي الولاية مجلساً عمومياً في بيروت مؤلفاً من جميع متصرفي الألوية ومن عدد معلوم من اعضاء المجلس والوجوه من كل لواء وقضاء للنظر في صوالح مَدَن الولاية فسار خورشيد باشا إلى طرابلس واستدعى إليه الأعضاء الواجب أن يرافقوه إلى المجلس العمومي من لواء طرابلس فسار إليه من اللاذقية الانفار المطلوبة من الاعضاء والوجوه من المسلمين والنصارى وكذلك من صهيون وجبله والمرقب وبناء على وعد خورشيد باشا بالمساعدة كتب أهل اللاذقية عرضاً إلى الوالي وقدموه مع اعضاء مدينتهم وهذه صورة العرض.

إنه غير خافي علوم دولتكم الشريفة ما كانت عليه مدينتنا اللاذقية في الزمن القديم من الشهرة والثروة واتساع المتاجر والزراعات والمناجج ومن الأمور المسلّمة أن ذلك لم يقيم إلا بمناسبة ما وهبتها إياه يد الطبيعة من حسن المركز والموقع الجغرافي والملحقات الداخلية واتصالها بـجبالٍ وأرضٍ مخصبة ذات قابلية لانتاج محصولات مختلفة ووافرة غير أنه نظراً لتقلب الأحوال والعوارض التي داهمتها أخذت في الانحطاط شيئاً فشيئاً حتى انتهت إلى الحالة الحاضرة التي وإن يكن جعلتها حقيرة بالنسبة إلى شهرتها الأولى لكنها لا تُعدُّ حقيرة بالنسبة إلى اخواتها باقي اساكل سوريا لأنه وإن يكن رونقها القديم قد زالت آثاره لكن موقعها وقابليتها وجبالها وأراضيها لم تنزل هي هي وبالوسائل اللازمة ترجع إلى ما كانت عليه من التقدم وال عمران لأن عمرانها القديم لم يكن ناتجاً من أسباب خارجية يزول بزوالها كغيرها من المدن التي انحطت بل من وضعها الأصلي وبما أن مدار كل حركة تجارية كانت أو زراعية متوقف على وجود أمنية دائمة وكانت أهالي جبالها وهي جبال النصيرية في حال التوحش والتمرد وفي غالب الأوقات يوجدون في درجة الاختلال والتشويش فمن قلة الامنية التي كانت تحدث من وقت إلى آخر من جراء تعدي هؤلاء اقتصر الناس في الزراعة والغرس فأخذت المحصولات في التناقص ونجم عن ذلك تقهقر التجارة والأضرار على الأموال الأميرية أولاً لقلّة الرسومات والأعشار بسبب قلة المحصولات وثانياً لتراكم البقايا

نظراً للفقر الناتج أما على سكان السواحل والأهالي الطائعين فمن الزهد في الأعمال الزراعية الحاصل من انسلاخ الأمانة وأما على أهالي الجبال فلتمردهم والتهائم بهذه السلب الوقتية عن فائدة الأشغال الدائمة فبناء على ذلك كان اصلاح هذا الحال مفتقراً لجعل اللاذقية مركزاً أقوى مما كان عليه في زمن القائم مقامية التي كانت قبل التشكيلات الجديدة ليكون أشد مهابةً وسطوة على أهالي الجبال يغني بارهابه الدائم عن الاحتياج إلى سوق العساكر واحتمال تكاليفها سنوياً لأجل التحصيلات وباقي مطلوبات الحكومة السنية كما هو جارٍ وأكثر أمانةً لأهالي السواحل والمدينة كما قد شوهد ذلك بالتجربة عند وجود مأمورين كبار وبالعكس عند تفريق القضاة وتدنية مركز اللاذقية الأمر الذي زاد الاختلال حتى قاد سعاد تلو حميد باشا في العام الماضي لضرب الجبال واحراق قرية كلماخو ولكن عند رجوعه وعدم وجود سطوة دائمة رجع الحال إلى أكثر مما كان عليه من الاختلال والتشويش وانسلاخ الأمانة إلى حين تشريف صاحب السعادة خورشيد باشا المتصرف الحالي وإجراء ما قد أجرأه من الإصلاحات الجليلة والآثار الجميلة وإيجاد الأمانة الذي من اقتضاء حكمته الباهرة عدم رجوعه بالسرعة إلى طرابلس المركز البعيد وإقامته بمدينة هنا هذه الأم الطبيعية لهذه الجبال فاستمرت المهابة موجودة في الجبال والإصلاحات غير متزعزعة وأخذة في الازدياد فبذلك مع ما يبذل يومياً فيوماً من غيره السامية على توطيد الإصلاحات وتمهيد الطرق والسعي بتنظيف المينا والتشويق بتوسيع دائرة الزراعة والغرس قد جعل هذه المدينة تشعر بالانتعاش وترى في مرآة هذه الأعمال الحسنة تشخيص عمرانها القديم الذي كانت تحجبه براقع الاختلالات وقلة الأمان فتواجدت الرغبة بالزراعة والغرس وجرى الشروع بأعمال الأراضي التي كانت مهملة من الزهر وبحوله تعالى وبالظل الملوكانى الظليل ستتضاعف الخيرات والنواتج غير أنه لما كان من الأمور الواضحة عندنا التي لا يشوبها ادنى ارتياب أنه متى تحرك سعادة المتصرف المشار إليه بالعودة من هذا الطرف تظهر رؤوس الاشقياء ويرجع الاختلال إلى اشد مما كان عليه بحسب المعهود والمجرب من حركات وأطوار أهالي الجبال وتعود كل هذه الإصلاحات كأنها لم تكن ولا يضمن استقلال

الأمنية إلا دوام وجود اللاذقية مركزاً عالياً وكان جل المقصود العالي من التشكيلات الجديدة إنما هو عمران البلاد والأهالي وترقي الواردات الأميرية وراحة الحكومة حتى أنه عندما شوهد عدم موافقة بعض المراكز تحولت إلى غيرها مجرداً لاصلاح الحال فبناء عليه نتجاسر بتقديم هذا العرض محضر العمومي لاعتاب دولتكم مع اثنين مخصوصين من ذوات مدينتنا وهما اسمعيل افندي صالح وعبدالله افندي كومين مترامين على ساحة عناية دولتكم وغيرتكم أن يصير التعطف بتوطيد ما جرى من الإصلاحات في مدينتنا ومتعلقاتها على أساس الدوام والزيادة وذلك بالفضل بجعل مدينتنا هذه مركزاً للمتصرفية الأمر الذي لا يؤثر أدنى تشويش على مدينة طرابلس المركز الحالي لأنها بحسب انصلاح ما كان تابعاً لها من الجبال وانضمامه إلى متصرفية لبنان مع تهذب أهالي باقي أطرافها بالنسبة إلى أهالي جبالنا وبُعدها عن باقي قضاوات اللواء لم يكن فيها الأهمية واللزام للذان في مدينتنا وكيفما كان مركزها تكن في حال الانتظام ولا سيما أن اتخاذها مركزاً لم يأت بشيء من اصلاح اللواء بل زاد به التشويش والاختلال وبذلك يصير احياء خيرات هذه الجهة العائدة للحكومة السنية والأهالي الذين بتواجد الأمنية الدائمة تتضاعف اهتماماتهم بالأشغال الزراعية والصناعية فتكسبهم الثروة التي تجعلهم يؤدون المطلوبات الأميرية بأوقاتها بدون تأخير بقايا كالماضي وتنتج لهم محصولات تضاعف الواردات العشرية والرسومات وبما أن المحسنات الجليلة والآثار الجميلة الصادرة من عناية دولتكم الغزيرة قد شملت اطراف وأكناف الولاية السعيدة بذاتكم السامية فتأمل أن يكون لهؤلاء العبيد النصيب الأوفر منها باجابة استرحامنا في جعل مدينتنا مركزاً لهذه المتصرفية ولوالي حين لأجل التجربة وظهور الفرق وبذلك تتضاعف الابتهالات الصميمية والدعوات الخيرية بتأييد وتأييد شوكة واقتدار السلطنة السنية وازدياد عمر واقبال دولتكم وينطبع في جباه عموم سكان هذه الديار منةً لأيديكم الكريمة لا تمحوها يد الزمان وفي كل حال وأوان الأمر لحضرة افندينا ولي الأمر والاحسان (انتهى بحروفه).

قلت ولما وصل منتخبو اللاذقية إلى بيروت مع خورشيد باشا وقدموا العرض المذكور إلى راشد باشا والي الولاية وجرت المذاكره به قر القرار على إلغاء قائم مقامية

صهيون فقط والحاكما باللاذقية ثم عُزل قائم مقام جبله سليمان افندي وعُين مكانه رفعت بك ابن خورشيد باشا فغضَّ خورشيد باشا الطرف عن المساعدة في الغاء قائم مقامية جبله والحاكما باللاذقية وصار الاكتفاء بالحاك صهيون فقط بها كما انه بعد مدة ليست بطويلة أُلغيت قائم مقامية المرقب بعد تعاقب أربعة قائم مقامين فيها وهم أمين افندي وعبد اللطيف افندي سلكه و خليل افندي ومحمد آغا انجه وأُلحقت بقائم مقامية جبله وهكذا صار لواء اللاذقية الملغى مقسوماً إلى قائم مقاميتين قائم مقامية اللاذقية وقائم مقامية جبله. وفي السنة المذكورة توفي الخواجه لوسين جفروا ويس قونسولوس فرنسا ووكيل قونسولوس ايتاليا وشيعت جنازته باحتفال عظيم وأرسل خورشيد باشا فرقة من العساكر فسارت في الجنازة على نغمات الموسيقى العسكرية وكان ذا جاهٍ واعتبارٍ جزيلين وقد استعفى من وظيفتيه قبل وفاته لاستيلاء مرض الفالج عليه وخلفه فيهما ولده الخواجه ادولف جفروا. ثم لما كان أكثر رؤساء ومقدمي الجبال قد اطلقهم خورشيد باشا بالتتابع على ما سبق بيانه هان عليهم الرجوع إلى مفاسدهم وتمردهم لأنهم اعتبروا أن كل ذنب يُغفر بواسطة المال وأن القصد في مسكهم إنما كان لأجل تحصيل الانتفاع الذاتي سيما وقد رأوا أنه لم يُفرق بين المذنب والبري منهم ولئن كان وجود هذا الأخير نادراً بينهم فجعلوا يتدرجون في العود إلى اطوارهم السالفة وفيما كان عبدالله آغا طريفي مدير المهالبة وبيت الشلف موجوداً في عمامرة بيت الشلف مع بعض العساكر النظامية والفرسان لأجل تحصيل المال قابله أهالي بعض القرى بالسلاح باغراء المقدم محمد خليل الذي كان قد أطلق حديثاً من قلعة طرابلس ولو لم يُستدرك الأمر لاشتبكت بين الفريقين معركة. وهكذا نرى أن الاجراءات التي حصلت بأيام خورشيد باشا اقترنت بشائبة جعلتها قليلة الجدوى.

وفي سنة 1868 توفي حالت افندي القائم مقام في اللاذقية ودُفن في المولويه وكان ذا اخلاقٍ كريمة فأسف عليه الناس ثم خلفه مصطفى افندي وفيها عُين الخواجه نقولا ويتالي فيجه قنصل لدولة انكليتره في اللاذقية عوضاً عن الخواجه كريسن الذي كان قد استعفى من الوظيفة ورحل من المدينة. وفيها أطلق باقي المسجونين من النصيرية في قلعة طرابلس

وكان قد عُزل خورشيد باشا من المتصرفية وخلفه كامل باشا ثم جاء كامل باشا إلى اللاذقية وسار إلى جبال النصيرية وجال فيها ولعدم خبرته بأحوال أهلها عاملهم معاملة المتمدين ولما كان من طبعهم التوهم بأن من يتلطف بهم يكون تلطفه فاشياً عن الضعف وقصر الباع كانت معاملته لهم سبباً لازدياد فسادهم والعود إلى ما كانوا عليه من التمرد والعدوان ثم في هذه السنة عُزل مصطفى افندي قائم مقام اللاذقية وخلفه سعدالله بك وهي المرة الثانية وكان خلل أحوال الجبال يزداد في أيامه وفي سنة 1869 عُزل سعدالله بك وخلفه صالح بك وفي أيامه سارت لصوص من صهيون ليسرقوا بعض قرى بيت الشلف فاحسَّ بهم أهلها واطلقوا عليهم الرصاص فقتلوا رجلاً منهم وفر أصحابه راجعين إلى صهيون فثار اهالي صهيون جميعاً وحشدوا للأخذ بثار المقتول وكان أهالي بيت الشلف قد ضجروا من تعديات لصوص صهيون على قراهم فقصدوا الانتقام أيضاً وتجمعوا وانحاز إليهم جماعة من مقاطعات النصيرية الأخرى ودهموا قرية تفيل المتاخمة بيت الشلف من صهيون فقابلتهم رجال صهيون واشتبكت المعركة بين الفريقين فاستظهرت النصيرية أهالي بيت الشلف وأحزابهم على المسلمين أهالي صهيون ومزقوهم كل ممزق وقتلوا منهم جماعة ثم أحرقوا قرية تفيل وعادوا إلى أماكنهم ولما رأت حكومة اللاذقية امتداد الاختلال والتشويش عرضت الواقع إلى المتصرفية فقدم إلى اللاذقية رأوف باشا متصرف اللواء وكان قد تعيّن بعد عزل كامل باشا من المتصرفية وبعد أن وقف على حقائق الأحوال بنفسه عرض عنها إلى راشد باشا والي الولاية الذي كان وقتئذٍ في بيروت فقام منها وجاء بنفسه إلى اللاذقية بطريق البر فوصلها في 8 أيار سنة 1870 وأقام فيها يومين ثم اتجه إلى جبله مرافقاً برأوف باشا المتصرف ونصب خيام الاقامه في عين طبرجه من مقاطعة بني علي وفي 12 منه قدم إلى اللاذقية بحراً علي رضي باشا فريق العساكر النظاميه وقومندان موقع بيروت وسار إلى عين طبرجه في اليوم نفسه وفي اليوم الثاني ترتبت تحت رئاسة الفريق المشار إليه وإدارة رأوف باشا المتصرف هيئة عسكرية مؤلفة من طابورين من المشاة ومأتي خيال نظامي ومدفعين من مدافع الجبال وسيقت هذه الفرقة على النواصرة التي هي نقطة استناد تلك الناحية وفي

ظرف نحو أربعة ساعات ضُبطت تلك القرى وتشتت اهاليها بعد أن تركوا فريقاً منهم موتى وجرحى ثم أُحرقت القرى المذكورة بأجمعها وتُركت قاعاً صفصفاً بقصد أن لا تسكنها الأهالي فيما بعد بل يُعطوا محلاً آخر للسكن على أن هذا القصد لا يتوصل إلى إجرائه بالفعل لأن الأهالي بعد أن تبعد القوة عنهم يجددون بناء قراهم بسهولةٍ لقلّة اكلافها عليهم وبساطة مواد انشائها مما يوجد بكثرةٍ في جبالهم وغاباتهم كما جرى في قرية البودي التي جدد اهاليها بناءها بحال ما بعدت القوة في زمان متصرفية خورشيد باشا عنهم حتى التزم راشد باشا في 14 الشهر المار ذكره أي ثاني يوم احراق النواصره انه ارسل إليها فرقةً من العساكر فأحرقتها أيضاً وقبضت على جانبٍ من أهاليها واغتنمت قسماً من مواشيها وأبقارها بعد تشتت من بقي من أهلها. ثم أرسلت فرقة أخرى لناحية القرداحة فأحرقّت نفس القرداحة مع معظم قرى الناحية وأوثقت بعض أهاليها والباقيون تشتتوا في الأودية والجبال وأرسلت فرقة ثالثة إلى ناحية القراحلة وأدخل جانب من المقبوض عليهم في السلك العسكري ووُضع أكثر مقدمي النواحي المار ذكرها في السجن وبعد اتمام هذه الإجراءات في قضاء جبله قام راشد باشا بجانب من العساكر إلى الجبال التابعة قضاء اللاذقية علاوةً على العساكر الموجودة فيها ونصب خيام الإقامة في قرية عفاره من قرى ناحية بيت الشلف وللحال بادر اهالي جبالها يقدمون خضوعهم وانقيادهم لأوامره وتعهدوا بتسليم السلاح ودفع الأموال وتقديم انفار العسكرية ومصاريف المعسكر وشرعوا باتمام تعهدهم ولم يتخلف عن الحضور سوى أهالي حبيت وجبلايا وكيمين والمزيرعة فسيقت فرقة من العساكر وأحرقّت كل بيوت النصيرية الهاريين من القرى المذكورة ولما كان في بعض هذه القرى سكان من المسيحيين ارسل الوالي محافظين إلى بيوتهم فأحرقّت القرى دون أن يمس بيتاً من بيوتهم ضرر ثم سار الوالي المشار إليه مصحوباً بفرقة من العساكر إلى رؤس الجبال وانقضّ على قرية شطحه في ملزق حماه فأحرقها وأحرق غيرها من القرى في الملزق وضبط مواشيها وأبقارها وانعطف إلى جبل كلبية حماه عائداً عن طريق جبله وبعد أن أقام يوماً في جبله عاد إلى قرية عفاره وفي 7 حزيران رجع منها إلى جبله مرافقاً برأوف باشا متصرف اللواء وباقي المأمورين وقسم من

العساكر وأبقى القسم الآخر في عفاره مع قائم مقام اللاذقية صالح بك وأما الفريق علي باشا فإنه قدم رأساً إلى اللاذقية وسافر منها في 11 الشهر المذكور إلى بيروت ثم لدى وصول والي إلى جبله أمر بإجراء محاكمة المقبوض عليهم من النصيرية في مجلس مؤلف من ضباط عسكرية وأمورين ملكيه تحت رئاسة رأوف باشا المتصرف فحكم على أربعة منهم بالقتل وهم اسبر درويش واسماعيل عثمان من مقدمي القرداحة وسلطان فاضل مقدم البودي وتامر هويجه من بيت ياشوط وعلى أربعة عشر رجلاً بالنفي وجرى إطلاق الباقيين الذين وُجدوا أبرياء ثم شُنق الأربعة المحكوم عليهم بالقتل سحر الثلاثا في 14 حزيران أحدهم وهو تامر هويجه في اللاذقية والثلاثة الباقون في جبله ومن الاتفاق الغريب أن هؤلاء الثلاثة وهم اسبر درويش واسماعيل عثمان وسلطان فاضل قد شُنق أباؤهم بوقتٍ واحدٍ معاً أيضاً في عهد الحكومة المصرية ثم أن النصيرية تعهدوا بتسليم ثمانية آلاف قطعة من السلاح للحكومة وسلموا أكثرها إلا أن ما سلموه كان من السلاح القديم العديم النفع فلم ينقص بواسطة تسليمه شيء من قوتهم ولما تم شنق الأربعة الأشخاص المار ذكرهم سار راشد باشا والي من جبله عائداً إلى مركز الولاية بطريق البر وذلك بعد أن أعطى تعليماتٍ تتعلق بتتبع الاجراءات والإصلاحات يُسلك بموجبها ونشر بين النصيريين قبل إيايه الاعلان الآتي.

صدر مرسومنا هذا إعلاناً إلى طائفة النصيرية القاطنين في جبال جبله واللاذقية والسواحل البحرية بوجه العموم تحيطون علماً.

لا يخفاكم أنكم لما انخدعتم باغواء مقدميكم وكباركم واملتم آذانكم إلى اغراء أرباب الفساد المتوطنين في بلادكم وجواركم عمدتم إلى ارتكاب الجرائم والكبائر وانغمستم في أحوال العصيان وأمست السرقات وقتل النفوس وقطع الطرقات لكم من جملة العادات ونبذتم وراء ظهوركم تنبيهات العمال وكم من مرة حاولت الحكومة السنية ابعادكم عن مثل هذا العدوان وساقطكم بقليلٍ من التربية إلى طريق الاذعان وجاءتكم بخلق الكاظمين الغيظ والعافين عن الناس فظننتم ذلك عجزاً منها وتقصيراً وازددتم تمرداً وغروراً وتقاعدتم عن ايفاء مرتباتكم الأميرية وامتنعتم عن أداء القرعة العسكرية وأفرطتم في التسلط على الماريّن

والعابرين والمسافرين من ابناء السبيل والمأمورين وما غادرتكم منكرأ ولا تركتم عملاً مستقبهاً إلا وكنتم له فاعلين فلم يسع الحكومة الصمت عن عدوانكم وكان فرضاً علينا تعجيل تأديبكم وابقائكم عند حدكم لمقصد تأكيد مباني الأمن في الولاية السورية وانقيادكم إلى الطاعة كسائر التبعة والرعية وقد شاهدتم ما فعلت العساكر المظفرة بزمرة الأشقياء من التنكيل وما لاقاه العصاة من عادل الجزاء وقد كان في رغبتنا أن نعاملكم بما هو فوق ذلك من شديد التربية وانما وجدنا الاكتفاء بما جرى الآن اليق لنحو الرعية وأن العفو أوفق في شأن الدولة العلية ولمعرفتنا أنكم قد عرفتم اقتدار السلطنة السنية واستعداد عمالها في كل آن لتدمير أهل البغي والطغيان وفيما نالكم عبرة مؤثرة لكم ولامثالكم فسييلكم أن تسلكوا من الآن فصاعداً مسلك التابعين منقادين دائماً للطاعة وانفاذ أوامر الحكومة العلية مثابرين على ايفاء مرتباكم الأميرية وقرعتكم العسكرية والشرعية مبتعدين غاية البعد عن قطع الطرقات واجراء الشقاوات لترتعو في بحبوحة الأمن وروض الأمان في ظليل ظل حضرة ولي نعمتنا بدون امتنان مولانا السلطان خلد الله سرير ملكه العالي إلى آخر الدوران وليكن معلوماً بأنه إذا عدتم فيما بعد إلى ركوب مطية الغرور وسلكتكم سبيل أهل الشرور ونبذتم الأوامر والتنبيهات وتقاعدتم عن إيفاء القرعة والمرتبات فتدور عليكم الدائرة وتكون النعل لكم حاضره وتخرب اطلالكم والديار وتُقلَع منكم الآثار وتمسون بدون ملجأ ولا نصير ويكون مصيركم بئس المصير فأذعنوا إلى هذا النصح والإنذار الأخير واعرفوا قدر نعمة العفو الذي نلتموه الآن واطردوا من بينكم أهل الشقاوات لئلاً يتسببوا في مضرتكم ومَن سلك منكم سبيل الاعتساف والعدوان فاقبضوا عليه وسلموه إلى الحكومة لتؤدبه وتدفع عنكم بلاء شره وأن أعجزكم مسكه فأخبروا به عمالكم لتريحكم من مكره وتخلصوا من تهمة الاشتراك معه وتُنقذوا من المجازاة بسوء فعله ونحن قد اجرينا التنبيهات الفعالة على عمالكم ليعاملوكم بالرفقة والرفق والمرحمة ويمنعوا عنكم الظلم والتعدي ويدروا عنكم المضرات وينظروا في أموركم ومصالحكم بالعدل والحق فإن لم ينهجوا هذا المنهج فشأنكم أن تشكوا حالكم إلى الحكومة السنية الرئيسية لتردعهم وتمنع أذيتهم عنكم وتعنتي بتريبتهم أما أنتم فاحذروا

أن تقابلوا أحداً منهم بالتحقير لئلاً تقعوا في الأمر الخطير والحكومة السنية هي دائمة الاستعداد لمساعدتكم وقصارى مطلوبها إنما هو استراحتكم ورفاهيتكم وازدياد سعادة أحوالكم ونجاحكم فأنكم تبعتها ومن جملة رعيتهافاقلعوا إذا عما يجلب لكم المذلة والهوان والخسران وانهجوا جادة الاستقامة والصواب فها قد أنذرناكم فاعتبروا يا أولي الأبواب (انتهى).

ثم بعد أن سافر الوالي المشار إليه من جبله قدمت له أهالي اللاذقية العرض الآتي.

أن المنن العظيمة التي طوقت بها يدي احسانات دولتكم احياء هؤلاء العبيد بما قد تفضلت بمباشرته بالذات من الاجراءات الجليلة والإصلاحات السامية الجميلة في جبال النصيرية من أساساتها الراسخة إلى رؤوسها الشامخة هي من يقصر كل شكرٍ عن إيفاء ما يجب لها فإن من قابل عتو وفساد وعدوان أهالي الجبال المذكورة منذ سنين كثيرة قد سلبوا فيها راحة العباد وامنية البلاد وأوغلوا في التعديات على أبناء السبيل وأهل العرض والقرى المطيعة من القتل والسلب والغارات بما وجدته عناية دولتكم الجليلة الآن من الأمنية واستئصال عرق الفساد وجمع الأسلحة واستعمالها الرفق والمرحمة مع الأبرياء الطائعين والقصاص المريع بحق العتاة الطاغين واجرائها من التربية والتدابير السامية ما يتكفل بتوطيد الراحة العمومية وابقائها بهذه الحوالى حضرة صاحب السعادة رأوف باشا المتصرف الأفخم الذي طالما أبان وهو سمعة دولتكم من شعائر الهمة والحزم والأقدام ما قيدنا بقيد المحنونة والشكر الجزيل لسعادته لأجل توطيد الإصلاحات وتتبع آثار الباقيين من الاشقياء الذين التجاؤوا متخبيئين في الأوكار والكهوف نظير أذل الوحوش من مهابة وسطوة دولتكم يعرف مقدار الفضل والاحسان الذي ترتب لفخامتكم على سكان هذه النواحي الذين بعد أن كانوا فريسة لمخالب ذوي الخيانة والغدر أضحوا بظل ظليل سيف العدل الملوكانى يرتعون بمراتع الأمن والاستراحة كما أنه من راقب الهمة السامية والحزم الباهر الذي اظهرته عناية دولتكم مع المتاعب التي تحملتها بمباشرات الإجراءات بالذات وقصد الأماكن التي لم تنل قبل الآن ووطنها واحراقها تلك القرى الكائنة مأوى وملجأ لجماعة اللصوص

وحشرات الفساد من كل فجٍ التي لم تطأها قدم اصلاح لا قبل ولا بعد التسخير⁽¹⁾ وعرف ما هنالك من أوعار المسالك وصعب المراقي الفائقة التصور ورأى الموفقية التي قارنت أعمال خديوانيتكم بأسرها الأمر الذي أوقع الاشقياء أنفسهم سكان تلك الأوعار في أتم الحيرة والاندھاش والارتباك حاسبين أن ما حق بهم يكاد يكون من الأعمال السحرية يقضي بأن المنة والآلاء التي تستوجب لأيادي فخامتكم الجليلة على هؤلاء العبيد لا تمحوها يد الاعصار ولا ينسخها كرور الأيام ولما كانت محسنات دولتكم هذه التي طالما كنا نحسب أن التمتع بجزءٍ منها هو من أجل النعم قد حركت احساسات هؤلاء العبيد للضحيج بلا فتور بالأدعية لدوام تأييد شوكة واقتدار حضرة ولي نعمتنا بدون امتنان افندينا وسلطاننا الأعظم دام سرير ملكه ما دام العالم الذي من جملة إحسانات ذات ملوكانيته العلية التي لا يفيها شكر تسليمها زمام الولاية الجليلة ليد غيرة خديوانيتكم وكان اقتضاء الحال الذي استدعى حركة ركاب دولتكم السامي بالعودة من جبله دون أن تشرف مدينتنا برجوع فخامتكم إليها قبل السفر قد ملأ صدور هؤلاء العبيد أسفاً وكدرًا وعاقنا عن إيصال رنين أصوات ادعيتنا وتشكرتنا إلى آذان خديوانيتكم الشريفة حسياً نتجاسر بتقديم عرض حال العبودية لحضور فخامتكم السامية بعرض وبيان تقيدها بسلاسل الأدعية والتشكرات الأبدية واثقين بغيرة واحسان دولتكم انه بعد أن تشرفت جهاتنا بحلول ركابكم السامي فيها وانجلت قابليتها واستعدادها لنظر فخامتكم ستصبح بظل ظليل العواطف الرحيمه الملوكانيه ملحوظة بعين عنايتكم الكريمة ومشمولة بالالتفات العالي وبكل حالٍ وزمان الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر افضى (انتهى).

أما رؤوف باشا فصار من جبله إلى اللاذقية وأقام فيها لأجل انفاذ التعليمات وتوطيد الإصلاحات وبقيت فرقة من العساكر في قرية ديفه مركز مديرية بيت الشلف انتقلت إليها من قرية عفاره المجاورة لها تحت إدارة قائم مقام اللاذقية صالح بك وفرقة في جبله تحت إدارة قائم مقام ذلك القضاء نور الدين افندي وهو الذي خلف رفعت بك بعد عزله وبوشر

(1) إن الدولة تدعوا للاستيلاء على سورية بعد إخراج ابراهيم باشا منها تسخيراً.

في انفاذ التعليمات التي منها بناء بعض مراكز في الجبال لاقامة العساكر النظامية وفتح طريق بين اللاذقية وحماه مبتدأ فيه من جبله مخترقاً جبال النصيرية فُشّرَ في بناء مركز في قرية المزيرعة من ناحية بيت الشلف وفي فتح طريق حماه وعُيّن له مهندساً رجل فرنساوي يدعى ديونه واذ جرت في ناحية دريوس حركة مخالفة للتعليمات سار إليها قائم مقام اللاذقية صالح بك بجانب من العساكر التي معه وأحرق بعض قراها وألقى القبض على مقدمها بدران بدور وعدة من وجوهها كما أنه ألقى القبض تدريجاً على أكثر المقدمين واشقاهم وجرى نفيهم إلى قلعة عكا ولبثت العساكر مقيمة في الجبال إلى اوائل الشتاء فتمكنت بذلك الإصلاحات وانتشر الأمن والراحة في الجبال انتشاراً عاماً وسطاً على أهاليها الرعب والخوف من شوكة الحكومة حتى ان فارساً واحداً من فرسانها كان يخيف أهالي قرية برمتهم على أنه يجب ههنا أن نقول أن الفرسان كانوا يتجاوزون حدود الاعتدال في سلوكهم مع النصيرية مجرداً لنفع الذات كما هو دأبهم فكثيراً ما كان بعضهم يتعدى على من يراه من النصيرية أو يتعرض له مخصوصاً ويقبض عليه مدعيّاً أنه مرسل ليقوده إلى المعسكر ولا يطلقه حتى ينال منه رشوة وكثيراً ما كان يأتي بعضهم إلى قرية من القرى ويسلبون منها ما يشاؤون على أنه للمعسكر مع أنه يكون لأنفسهم لأن المعسكر وقتئذ لم يكن يأخذ من أحد شيئاً إلا بالثمن فاحتمل بذلك أفراد النصيرية والقرى تعديات كثيرة من هذا القبيل من الفرسان ولا سيما المستخدمين منهم من أهالي صهيون وهذه التعديات لم تكن مقصورة على الأشرار منهم فقط بل كانت تجري على الضعفاء والأرامل وكل من ساقه سوء حظه إلى الوقوع بين يدي أحد هؤلاء الفرسان ومع أن النصيرية عموماً هم أمة باغية مفطورة على أضرار الناس إن لم يكن بالقوة فبالخيانة ولا تستحق الشفقة فأعمال كهذه غير شرعية ضد الضعفاء منهم هي ما يستدعي الشفقة ولا بد ههنا من الملاحظة على نقص الإصلاحات المار ذكرها من جهة عدم قصاص أهالي صهيون وعدم القبض على أحد منهم مع أن لصوصهم كانت اصل الفتنة الأخيرة التي انتشرت بينهم وبين أهالي بيت الشلف على أن هنا النقص لا يعزى إلى الوالي راشد باشا بل إلى صالح بك القائم مقام وباقي المأمورين الذين لم يبلغوا الوالي المشار إليه الحقائق على

صحتها إذ لا ريب أنه لو علم بحقيقة أطوارهم لما غَضَّ الطرف عن مجازاتهم نظراً لما عُرف به في الولاية السورية من حيث الإصلاح وإزالة عرق الفساد أينما كان منبته وعدم كونه ذا تعصبٍ مضر يبعثه على غض الطرف عن سيئة المسيء لمجرد العلاقة المذهبية ومن الأدلة على ذلك أنه إذا عرف أنه يوجد في بعض قرى صهيون وجبل الأكراد شردمة من النصارى يقتضي لها التفات مخصوص من قِبَل الحكومة لتكون أمانة على راحتها طلب قبل سفره من جبله وجوه جبل الأكراد وصهيون ولما علّق المقدمون النصيرية على المشنقة استدعاهم إليه وأراهم المعلقين قائلاً لهم اعرفوا جيداً أنكم لستم عند الدولة اعز من هؤلاء المشنوقين لأنكم جميعاً رعاياها بدرجة متساوية وإذا علمتم ذلك فاعرفوا أنكم إذا أسأتم إلى النصارى القليلين الموجودين بينكم وتعديتهم عليهم بما يغيّر رضى الدولة تصيرون إلى ما صار إليه هؤلاء المقدمون ثم أمرهم بالانصراف ولهم مما رأوه وسمعوه عبرةً يعتبرون بها وهكذا كان لا يهمل شيئاً من واجبات ما يصل خبره إليه.

ثم في السنة المذكورة شُرع في بناء قشلة الرديف المعروفة بالديبو في اللاذقية شرقي قشلة العسكرية العمومية ومنذ ذاك الوقت شرعت الحكومة تجمع انفار الرديف كل سنة من أهالي القضاء ويجري تعليمهم الحركات العسكرية مدة شهرين وجرى نظير ذلك في جبله أيضاً وبُنيت فيها ديبو محاذية لدار الحكومة.

وفي السنة نفسها توفي السيد عبدالرزاق افندي فتاحي كان شاعراً أديباً تولى قضاء اللاذقية مدةً طويلة وكان مرفوع الشأن والمقام إلا أنه في السنين الأخيرة من حياته عُزل من القضاء ولما كان قليل ذات اليد ضاقت به المعيشة ففُضى عيشةً ضنكة وفي هذه السنة سافر إلى الآستانة ثم عاد منها متولياً منصب القضاء لكنه مات بعد برهة وجيزة من وصوله.

وفيها توفي أيضاً الخواجه الياس مرقص وكيل قنسلوس دولة روسيا نشأ يتيماً وكان ذا جرأة وإقدام في الأعمال التجارية لا يبالي بالأخطار في سبيل التقدم وتحصيل المال وكان كريماً جواداً وقد خدمه التوفيق فحاز ثروةً وجاهاً واعتباراً لم يحزنه غيره من نصارى اللاذقية في عصره إلا أنه كان حاداً الطبع محباً للتسلط يرغب أن يكون الجميع منقادين إليه

في كل أمر فكثرت بسبب ذلك مخاصماته مع الناس. وبعد وفاة قصدت قونسلاتو روسيا الجنرالية في بيروت أن تعين ولده الخواجه جرجس مكانه فرفضت الحكومة قبوله لكونه من رعايا الدولة العثمانية الذين لا يجوز تعيين قناصل منهم في بلادها للدول الأجنبية بمقتضى المعاهدات الدولية الجديدة فولّجت عمه الخواجه اسبريدون مرقص اخا المتوفي وترجمان القونسلاتو بإدارتها مؤقتاً.

وفيها في كانون الأول عُزل صالح بك من قائم مقامية اللاذقية وخلفه أحمد بك شريف وهو حلبي الأصل ابن اخي يوسف بك الذي كان مدير طرابلس واللاذقية في زمان الحكومة المصرية. ثم دخلت سنة 1871 وفيها مُدَّ سلك التلغراف بين اللاذقية وجزيرة قبرص في البحر وعُيّن في مركز تلغراف اللاذقية إدارة اللغات الافرنجية - وفيها توفي الخواجه الفونس لازري وكيل قونسلوس دولة النمسا والمجر ودولة اسوج وعين مكانه في وكالة قونسلاتو دولة النمسا والمجر ابن شقيقة الخواجه الفونس جفروا وأما وكالة قونسلاتو دولة اسوج فجرى الغاؤها.

وفيها لُطخ باب كنيسة ماري جاورجيوس للروم الارثوذكس بالغائط في إحدى الليالي ولما شوهد ذلك عند الصباح اظهر أحمد بك القائم مقام كدره من هذا الأمر وأمر بتغيير باب الكنيسة بباب جديد على مصروف المجلس البلدي واشتغل باجراء البحث والاستقصاء عن فاعليه فوَقعت الشبهة على بعض أوباش المسلمين فألقى عليهم القبض وجرى استنطاقهم فثبت عليهم ذلك وأرسلوا إلى طرابلس وسُجنوا فيها مدة ثم أُخلي سبيلهم. وفيها توفي عالي باشا الصدر الأعظم وخلفه محمود نديم باشا فغزل راشد باشا من ولاية سورية وأقام مكانه صبحي باشا فلما استقر في الولاية اصدر امره لكل الألوية بتغيير اعضاء المجالس جميعاً بدون استثناء وانتخاب غيرهم ولما ورد هذا الأمر إلى اللاذقية بوشر في الانتخاب وكان حينئذ انطانيوس افندي ديب نعمه عضواً لطائفة الروم في مجلس الإدارة وجرجس افندي مخائيل الياس عضواً لها في مجلس الدعاوي ففُصلا وجرى التشبث بانتخاب عضوين غيرهما من الروم واعضاء آخر من باقي الطوائف وكان وقتئذ السيد ملاتيوس مطران اللاذقية

غائباً في انطاكيه بالوكالة من قبل البطريك الانطاكي السيد ايروثيوس للنظر في أمور رعيتهما فاجتمعت جمعية التفريق وناب فيها عن المطران وكيله مخائيل افندي سعادته فانتخبت من طائفة الروم ستة انفار بحسب النظام ثلاثة لمجلس الإدارة وهم مخائيل افندي سعادته نفسه والخواجه عبدالله ابراهيم وانطانيوس افندي سعادته كومين وثلاثة لمجلس الدعاوي وهم الخواجه جرجس عبدالله الياس وعبدالله افندي كومين والمؤلف. على أن مخائيل افندي سعادته استعفى من وضع اسمه مع أسماء المنتخبين فلم تقبل جمعية التفريق استعفاءه ولما كان كثيرون من الطائفة المذكورة يتهافون على الانتظام في سلك اعضاء المجالس وكان منهم الخواجه جبرائيل الياس فاجتمع مع بعض العامة وجاء بهم إلى جبرائيل افندي عطالله وكان رجلاً يحب السيادة والتصدر فاغروه بأن الانتخاب الذي جرى انما هو إهانة عليه لأن وكيل المطران لم يستشره عمّن يجب انتخابهم من الطائفة مع أنه من الذين يجب استشارتهم بل أدخل بالانتخاب من أراد بالاستبداد وهيجه بمثل هذا الكلام إلى التظاهر والسعي بعدم قبول المنتخبين فهاج معهم وتفاوض مع الخواجه اسبر بدون مرقص واخوته فقر قرارهم على المجاهرة بعدم قبول المنتخبين وجذب من يقدر على جذبه من الطائفة لحزبهم. أما الذي حمل الخواجات مرقص على أن يقتفوا اثر جبرائيل افندي عطالله مع أن ليس لهم عذره لأن مخائيل افندي سعادته كان قد استشار اكبرهم الخواجه انطانيوس مرقص وبرأيه أدخل عبدالله افندي كومين بالانتخاب فإنما هو رغبتهم في أن يقع الانتخاب على صهرهم عبدالله افندي كومين في مجلس الدعاوي وخوفهم من أن وجود هؤلاء المنتخبين معه يحول دون انتخابه نظراً لميل أحمد بك القائم مقام لهم مع اعتقادهم بأن وقوع الانتخاب على غير عبدالله افندي كومين من هؤلاء المنتخبين لا يوافق صوالحهم وبناء عليه قصدوا ابطال هذا الانتخاب واقامة انتخاب جديد ينتخب فيه مع عبدالله افندي كومين بعض اقربائهم أو أشخاص بلا أهمية ليكون راجحاً عليهم معتقدين أن بهذه الحركة أيضاً ينبهون في احساسات القوم بعض الوجاهة التي كانت لعائلتهم وخسرتها بعد وفاة اخيهم المرحوم الياس مرقص فاستدعوا للاجتماع في القلايه مساءً بعض الطائفة وجمهوراً من العامة

والأسافل منها ولما انعقدت الجمعية تفاوضوا بحمافة في أمر الانتخاب وصرخوا بعدم قبولهم به وطلبوا أن يكون الخواجه نقولا حنا مرقص في جملة المنتخبين وطعنوا في انطانيوس افندي سعادته كوميّن احد المنتخبين وكان حاضراً في الجمعية فاشتبك بينه وبينهم الخصام وصرخ الخواجه يوسف مرقص بصوت جهير أننا لا نقبل أن يكون المنتخبون من الفراماسون وكررت اخوته هذا القول فعلا الضجيج والضوضاء من الأسافل الذين كانوا في الجمعية فشرع من كان فيها من ذوي الحشمة بالانسحاب وانفضت الجمعية على هذه الحال المعيبة أما الذي حملهم على المجاهرة بنسبة المنتخبين إلى الفراماسونية فإنما هو شروع صبحي باشا والي الولاية بأثر وصوله إلى دمشق في عزل كثيرين من النصارى في الولاية من مأمورياتهم وان بعضهم من الفراماسون فتوهم بعض الناس أن عزلهم إنما هو لكونهم فراماسون مع أنه كان سياسة مخصوصة كما سيأتي ثم أن المتحزبين ضد الانتخاب بعثوا بخبر شفاهي إلى الحكومة مضمونه عدم قبولهم بالمنتخبين والتماس تجديد الانتخاب وارسلوا إلى سيادة المطران في انطاكية رسالةً تلغرافية يعلمونه بذلك أيضاً ويطلبون منه أن يرسل رسالةً تلغرافية إلى حكومة اللاذقية يؤيد فيها طلبهم أما حكومة اللاذقية فبعثت برسالةً تلغرافية إلى المطران تطلب فيها بيان رأيه وأفكاره بهذه المسألة فورد لها منه جواب مضمونه المصادقة من طرفه على المنتخبين الذين صادق عليهم وكيله مخائيل افندي سعادته ولما وصلها هذا الجواب ما عادت التفتت إلى مقال المتحزبين ضدهم ووزعت أوراق الانتخاب إلى الدوائر والقرى لاجل تقرير الاصوات فهذا ما كان من جهة الروم وأما ما كان من جهة الأرمن فأنهم لما كانت طائفتهم قليلة العدد في نفس اللاذقية لم يكن فيها من هو أهل لمنصب العضوية سوى الدكتور يعقوب افندي ملكون العضو السابق أو أحد أخويه فانتخبت جمعية التفريق اخويه عبدالله وجبرا ورجلاً ثالثاً معهما يدعى حنا الطحان وكان طحاناً بالفعل وكان الخواجه استور يعقوب وأولاده يطمعون في أن ينال أحدهم العضوية إلا أن الحكومة المحلية لم تكن تصادق على ذلك أما من جهة استور نفسه فوجود أوامر سابقة تحرمه من الاستخدام في دوائر الحكومة وأما من جهة أولاده فلعدم استقامة أحوالهم وكانوا

جميعاً يكرهون يعقوب افندي ملكون وعائلته مع كونه صهرهم فقدموا عدة تلغرافات للوالي ممضية منهم ومن بعض اقربائهم مضمونها التماس تغيير الانتخاب الذي أجرته جمعية التفريق من طائفهم لأنهم يرفضون قبول عبدالله وجبرا ميلكون بين المُنتخبين لأسباب منها انهما ينتميان إلى الفراماسون الذين اخوهما منهم أما الوالي فأحال النظر في ذلك إلى الحكومة المحلية فلم يستفيدوا شيئاً وبقي الانتخاب على ما كان عليه. وأما طائفة الموارنة فقدمت تلغرافات إلى الوالي مضمونها أنه ليس في طائفهم من فيه الأهلية للعضوية سوى اسكندر افندي شدياق العضو القديم ولذلك تلتمس إبقاءه فلم يجبها الوالي لطلبها وحتم بوجوب انتخاب عضو جديد فانضمت منها جمعية التفريق يوسف شددود من العامه سنة 1871 وآخرين معه، وأما النصيرية فكان عضوهم القديم الشيخ مسلم حاتم من فرقة الشمالية وكانت فرقة الكلازية قدمت عرضاً تشكى فيه من أن عضوية المجلس من النصيرية قد استقل بالتعاقب فيها أشخاص من فرقة الشمالية خلافاً لقاعدة المساواة ولذلك تلتمس أن يُنتخب في هذه المرة العضو النصيري من الكلازية فانضمت جمعية التفريق اثنين من الفرقة الكلازية المذكورة والشيخ سليمان حاتم من الشماليه. وقد جرت مسألة الانتخاب هذه في شهر كانون الأول سنة 1871 وفيه فصل الياس افندي صوايا من مديرية المال بأمر من صبحي باشا بلاجنة وخلفه محمد بك اليكن من أهالي طرابلس وفصل ايضاً السيد محمد سعيد افندي الحسيني القدسي الذي تعيّن نائباً للاذقية بعد وفاة عبد الرزاق افندي وخلفه محمد سليم افندي الدمشقي وكان كلا المفصولين مشهوداً لهما بالامانة والاستقامة والدراية وفي كانون الثاني سنة 1872 عُزل ويسى باشا متصرف اللواء وهو خلف رؤوف باشا وعين مكانه حقي بك وعُزل قائم مقام الاذقية أحمد بك وخلفه محمد صالح افندي الكردي الاصل وكان أحمد بك مشكور السياسة في الاذقية إلا من الفرنسيين الذين فيها لنفور وقع بينهم وبينه بأثر مطالبته اياهم ببقايا كانت متراكمة عليهم من مال ويركو الأملاك ثم صدر أمر الوالي صبحي باشا بكف الشغل في طريق حماه وعزل المهندس وذلك بعد أن كان تمهّد نحو 8 ساعات منه وأنفق عليه مبلغ من النقود من مال الأهالي وكلفهم اتعاباً كثيرة وهذا مما يستحق

الأسف ثم عُزل نور الدين افندي قائم مقام جبله وخلفه اسعد أفندي، وكان نور الدين افندي قد بنى في جبله داراً جميلة للحكومة فأمسك بدعوى كثرة ما أنفقه عليها من المال مع أنه بمقتضى تخمين المهندسين كانت تساوي تلك النفقة ومصروفها لم يكن من مال الحكومة بل من مال الأهليين ولم يشكُّ أحد منهم إلا أن السبب الباطن في التضييق عليه هو انتماءه إلى راشد باشا وفلتات لسانه فتعصب عليه صبحي باشا وحقى بك وبقي نحو سنتين تحت الدعوى. ثم أهمل أيضاً بناء المركز الذي شُرع في بنائه في قرية المزيرة للحكومة وأستدل بذلك وبغيره من اعمال صبحي باشا أن غايته مغايرة والغاء جميع مشروعات سلفه راشد باشا مع ما فيها من الخير والنفع العام وكان راشد باشا بعد الإصلاحات التي أجراها في جبال النصيرية وضربه اياهم من الجهة الواحدة بسيف العدل كحاكم صارم هياً لهم من الجهة الأخرى ضمام المرحمه كاب شقوق إذ نظر شقاءهم وتعاسة أحوالهم فاستحصل أمراً سامياً باعفائهم من البقايا الباهظة المتراكمة عليهم منذ ثلاثين سنة وبالسماح لهم بها لكون تحصيلها منهم يفضي بهم إلى الخراب التام كما أنه بواسطة مأموري البقايا قسّط عليهم البقايا الممكنة التحصيل لاجال معلومة تناسب احتمالهم فلما تولى صبحي باشا رَسَخ عليهم البقايا مرّة ثانية والغى التقاسيط وشرع القائم مقام صالح افندي يطالبهم بها دفعةً واحدة فكان ذلك سبباً للضرر عوض النفع للحكومة لأن الأهليين بعد أن كانوا يدفعون كل قسط يستحق عليهم من البقايا تخلفوا عن الدفع بالكلية ثم لدى تولي حقى بك المتصرفية ومحمد صالح افندي القائم مقامية كانت أوراق انتخاب الأعضاء أرسلت إلى طرابلس فسافر إليها من اللاذقية جبرائيل افندي عطاالله ومعه جرجس افندي مخائيل الياس العضو السابق الذي كان من حزبهِ وكان قصدهما الظاهر في هذه السفرة التظلم من حكومة اللاذقية لكونها حصّلت منهما مبلغاً عن ذمة ابي بشاره أمين صندوق الخزينة المتوفي المكفول منهما على أن قصدهما الباطن كان المداخلة بمسألة الانتخاب وتوفيقيها على حسب أهواء حزبهما فتداخلا مع المتصرف بالوسائل وطعنا له في أكثر المنتخبين بكونهم تراجمين عند الأجانب وانهم ربما لا يستعفون من ترجمتهم فمال إليهما المتصرف بذلك وأجابهما على انتخاب

عبدالله افندي كومين عضواً في مجلس الدعاوي على أنه لم يجبهما على عدم انتخاب انطانيوس افندي سعادته كومين في مجلس الإدارة لكونه ليس له علة الترجمة وكان قد سافر إلى طرابلس الشيخ مسلم حاتم من طائفة النصيرية الشمالية وقرر انتخاب اخيه الشيخ سليمان حاتم وسافر أيضاً بعض المنتخبين المسلمين وهم أسعد آغا هرون ومحمد افندي الأزهري وقررا الانتخاب لأنفسهما وكان إذ ذاك صالح افندي القائم مقام في طرابلس قادماً إلى اللاذقية يستلم زمام القائم مقامية فعادوا من طرابلس بمعيتهم وبموجب أوامر المتصرفية التي جرى عليها القرار تعيّن في مجلس إدارة اللاذقية أعضاء أسعد آغا هرون وأحمد آغا خزندار من المسلمين وانطانيوس افندي سعادته كومين من الروم ويوسف شذود من الموارنة وفي مجلس الدعاوي محمد افندي ازهري من المسلمين وعبدالله افندي كومين من الروم وحنا الطحان من الأرمن والشيخ سليمان حاتم من النصيرية إلا أن أحمد آغا خزندار إذ لم يرَ للأعضاء منزلةً واعتباراً عند صالح افندي القائم مقام استعفى بعد أيام قليلة من عضوية مجلس الإدارة وعُين مكانه اسمعيل افندي صالح ولقائلي ههنا أن يقول أن تعيين الأعضاء إنما يكون بأكثرية أصوات الشعب بمقتضى نظام الانتخاب فكيف تصح المداخله لأجل رفع مَنْ له أكثرية الأصوات ووضع من له الأقلية فالجواب ان مسألة الانتخاب والأصوات إنما هي رسم لا فعل إذ في الحقيقة والواقع أن الشعب لا صوت له في الانتخابات لأن جمعية التفريق المؤلفة من أعضاء الحكومة كما علّمت انفاً هي التي تنتخب أشخاصاً يناسبونها بقطع النظر عن الشعب وتعرض أسماءهم على دوائر الشعب في أوراق مخصوصة لتقرر كل دائرة صوتها فيها على مَنْ تختاره من هؤلاء المنتخبين فاذا انتهى تقرير الأصوات واعيدت الأوراق إلى الحكومة فإن وجدت الحكومة أن الذين لهم أكثرية الأصوات هم أكثر المنتخبين موافقة لها صادقت عليهم وعينتهم وإلا فتعيّن غيرهم ممّن هم أكثر ملائمة لها ولئن كانت لهم أقلية الأصوات فمن هذا ترى أن مدار الانتخاب إنما هو على المأمورين أولاً وآخرأ لا على الشعب هذا ما نراه جارياً الآن. أما وصول صالح افندي القائم مقام الجديد إلى اللاذقية فكان في أول شهر شباط سنة 1872 ولدى استلامه زمام القائم مقامية عامل القناصل

معاملة غير مألوفة فلم يحتفل بهم عندما زاروه زيارة السلام وحوّل الضابطون ببعض مطلوبات من التراجمين دون أن يخاطب بذلك قناصلهم حسب النظام وتهدد بعضهم بالحبس وطالبهم بالمال المحجوز منهم على الكمرك تحت فرق التعريفه فتأثر من ذلك بعض القناصل وقابلوه بالمثل غير محتفلين به عندما ردّ لهم زيارة السلام فوقع بينهم وبينه النفور وتبادلت بين الطرفين المكاتبات الرسمية بصدد تحويله بالتراجمين بدون مخابراتهم فكان لا يكثر بكتاباتهم ثم طالب قنصل فرنسا الخواجه أدولف جفروا بمال ويركو الأملاك الذي على الفرنسيين بشدة وكان معظم النفور واقعاً بينه وبين قنصل فرنسا المومى إليه وبين الخواجه يعقوب الياس قنصل المانيا فاشتكى كل منهما إلى قنصله الجنرال على القائم مقام وكان المومى إليه في أثناء محاوراته مع القناصل يشدد على المسيحيين بطلب المال مع بقايا ويركو العسكرية مع كونها مقسّطة لأجل معيئة ووضع كثيرين منهم في السجن وجمع أكابرههم وطلب منهم المال المنظور برمتيه فوعده إلى مجيء المطران الذي كان غائباً في انطاكية ليوزعه ويجعلوا له تسوية فلم يقبل منهم هذا المقال واجباهم أن ليس للمطران مداخلة في ذلك وأنه لا يطلبه إلا منهم وإذا لم يوجد في الطائفة سوى واحدٍ مقتدر فيحصله جميعه منه ثم أوقفهم في دار الحكومة برهة ولم يخلّ سبيلهم حتى وعدوه بالشروع في توريد المال المذكور فتضايق المسيحيون من هذه الحال ورأوا معاملة جديدة غير مألوفة انتشر بواسطتها روح التعصّب ضدهم في الأمورين والأهالي المسلمين وعُرف إذ ذاك أن سياسة محمود نديم باشا الصدر الأعظم متجهة لكسر شوكة القناصل والأجانب وتضعيف المسيحيين لأن هذا الروح انتشر في كل المملكة عموماً وفي ولاية سوريا خصوصاً وذلك لأن صبحي باشا كان كما اشتهر عنه قد طالع مقدمة تاريخ ابن خلدون وتعلم منها التشبث بالعصية فجعل يعزل المستخدمين المسيحيين من وظائفهم وعمل على ضرر النصارى عموماً وسلب ثروتهم وأملأهم وانتشر هذا المبدأ في كل الولاية ولا سيما في طرابلس واللاذقية نظراً لميل حقي بك المتصرف وصالح افندي القائم مقام إلى هذا المبدأ طبعاً فكانت كل دعوى تقع بين مسلم ومسيحي يُحكّم بها للمسلم على المسيحي ولئن كان

الحكم جائراً وبات القانون والنظام وقتئذٍ في حيز العدم فكانت ارادة القائم مقام والمتصرف هي القانون وقد تغلبا على المجالس فكانت تحكم وتجري المضابط حسب أهوائهما وأما الأعضاء المسيحيون في المجالس فكانوا بلا صوت ولم يكن يعبأ بهم سواءً صادقوا على الحكم واعترضوا عليه بل كان يجري انفاذه بمجرد قرار الأعضاء المسلمين وهكذا كل جزئيات ومضابط الدعاوي التي كان يحال الحكم بها من اللاذقية إلى طرابلس ومن طرابلس إلى الشام فكان يُحكم بها في المتصرفية والولاية ضد صالح النصارى ولئن كانت الأخصام نصيرية فضلاً عن كونهم مسلمين فازدحم إذ ذاك المسلمون والنصيرية على تصدير دعاوي على المسيحيين وكان كل من باع هو أو أبوه ملكاً لمسيحيي يصدر الدعوى بأن ذلك البيع كان بيع غبن مثلاً أو غير ذلك من الادعاءات الواهنة فتقبل دعواه ولو كان قد مضى على البيع عشرون سنة وبيتدي القائم مقام والنائب والأعضاء المسلمون يفتشون على مسند شرعي مهما كان ضعيفاً ولو بمغالطة المسيحي ليحكموا للمسلم بدون اعتبار جوهر وحقانية الدعوى حتى أن الحجج الشرعية الجارية في المحكمة التي كان يبرزها النصارى بالأموال المدعى عليهم بها لم يكن يُنظر إليها بنظر الاعتبار بل كانوا يُطلب منهم أن يأتوا بالشهود المحررة أسماؤهم فيها ليشهدوا مجدداً أمام المجلس لفحواها وبما أن شهود الحجج هم من المسلمين فبعضهم كان يعرض عن أداء الشهادة والبعض يتعذر بأنه قد شردت من فكرة تلك المسألة لطول المدة وهكذا بهذه الوساطة قد انتزعت بعض الأملاك من أيدي بعض المسيحيين في اللاذقية وسُلمت للمدعين المسلمين والنصيرية وفي تلك الأثناء سار محمود بك مدير بيت الشلف ومعه الكاتب علي آغا شومان إلى قرية المزيرعة طالبين من مسيحييها مايتين غرش بقايا اعانة وكان المسيحيون المذكورون يعلمون أن ليس عليهم بقايا فاجتهدوا في اقناعهما بمقتضى الوصولات التي بيدهم فلم يقبلوا لهم مقالاً وأمر المدير الفرسان الذين معه بضرب بعض المسيحيين وحبسهم فسمع الخوري اسكندر خوري القرية الصراخ فخرج من بيته وإذ فهم الواقع اعترض المدير فضربه المدير بحجر واطلق عليه الطبنجا فلم تنطلق فجاء الخوري ومسيحيو القرية وقدموا شكواهم للقائم مقام فتعصب القائم مقام

للمدير وتفرّض في اجراء الاستنطاق واجرى مضبطة نفى فيها الذنب عن المدير وخطأ الخوري والمسيحيين فلم يؤخذ بيدهم في هذه الدعوى.

وفي 22 آذار سنة 72 في الساعة الحادية من النهار حدثت زلزلة قوية في اللاذقية أخافت الأهالي ولا سيما إذ ورد الخبر بالتلغراف أن مدينة انطاكية قد خرب ثلثها بتلك الزلزلة وقُتل كثيرون فيها وكان المطران ملاتيوس لم يزل موجوداً فيها لكنه سلم من غوائل الزلزلة فخرج اهالي اللاذقية من بيوتهم وأقاموا في الفلاة نحو يومين ثم رجعوا إليها.

وفي أثناء ذلك قدم حقي بك متصرف طرابلس إلى اللاذقية واجل النظر في دعاوي قنصل فرنسا وقنصل المانيا على القائم مقام بحسب أمر الوالي ولدى وصوله خاطب القنصلين المومى إليهما طالباً منهما بيان شكاياتهما على القائم مقام فأجابه كل منهما بجواب يتضمن تفصيل المعاملات المهنية التي أجراها بحقه وحق حماياته وبعد أيام إذ لم يظهر من ذلك نتيجة بعث قنصل المانيا إليه بخطاب مضمونه أنه إذا كان القائم مقام ينكر معاملاته معه فإنه مستعد لاثباتها عليه فأجابه حقي بك بأخذ المعلومات من كل من الطرفين وعرضها للولاية ثم أنه كتب إلى الولاية متعصباً للقائم مقام ونفى عنه صحة دعاوي القنصلين المومى إليهما عليه وبالعكس جعل القائم مقام هو المحق وجعلهما المخطئين ناسباً قيامهما ضده لتأثرهما من مطالبته إياهما بالديون التي عليهما للحكومة من مال ويركو الأملاك ولما وصل للولاية ما كتبه إليها المتصرف بعثت تحتج به إلى جنرالي فرنسا والمانيا كأنها مقتنعة بصدقهِ. وفيما كان المتصرف المومى إليه في اللاذقية اقتضى للخواجه مثيني فيجه قونسلوس أميركا ان يزور القائم مقام فبعث يُعلن له ذلك فأجابه بالاستعداد لقبوله فذهب القونسل المومى إليه إلى دار الحكومة فلم ير القائم مقام في قاعة الاستقبال ولم يشاهد أحداً من المأمورين يستقبله فعاد إلى منزله معتبراً ذلك اهانةً عليه وبعد نحو ثمانية أيام بعث إلى القائم مقام بخطاب يخبره فيه عن أمر قنصله الجنرال أنه إذا بظرف 24 ساعة لم يأت إلى بيته ويعتذر منه على ذلك القصور الذي أجراه بحقه يرفع العلم الأميركي ولا ينزله حتى تسترد كرامته فلما اطلع المتصرف على هذا الخطاب أمر القائم مقام برفض ذلك

الطلب فرفع في الغد عَلم اميركا وكتب كل من الطرفين إلى ولي أمره واستمر مرفوعاً نهائياً وليلاً مدة نحو أربعين يوماً وكان مما اشتكى به المتصرف على قنصل اميركا أنه عند قدومه إلى اللاذقية لم يقدم له زيارة السلام حسب العادة فبعد هذه المدة ورد الأمر إلى قائم مقام اللاذقية أن يذهب ويقدم اعتذاره إلى الخواجه مثنى كما ورد أمر إلى قنصل اميركا في طرابلس أن يزور المتصرف (فأنه كان قد عاد إلى طرابلس) ويعتذر إليه بالنيابة عن الخواجه مثنى عن عدم تقديمه زيارة السلام له في اللاذقية فسار صالح افندي القائم مقام إلى منزل الخواجه مثنى واعتذر منه فجرى حينئذ تنزيل العَلم الاميركاني علامةً لاسترداد الكرامة كما أن قنصل طرابلس قدم الزيارة للمتصرف.

ثم في ليلة الاثنين ثاني ليلة الفصح الشرقي الواقع في 16/4 نيسان سنة 1872 نحو الساعة 4 من الليل حدثت زلزلة شديدة في اللاذقية ارتعش منها جميع سكان المدينة لأنها ايقظتهم من رقادهم فخرجوا جميعاً إلى البراري والبساتين في ذلك الليل الدامس وجلين مرتاعين ولما كانت الأخبار متواصلة من انطاكية عن تعاقب حدوث الزلازل فيها اشتد خوف اهالي اللاذقية مسلمين ونصارى ولئن كان لم يسقط فيها بالزلزلتين المار ذكرهما إلا حادث واحد قديم فهجروا منازلهم ونصبوا الخيام في الحدائق والبساتين خارج المدينة وأقاموا تحتها وكان كثيرون منهم يشعرون بحدوث زلازل خفيفة في أكثر الأيام فلبثوا تحت الخيام مدة نحو أربعين يوماً حتى سكن روعهم ورجعوا إلى بيوتهم.

ثم في تلك الأثناء عُزل اسعد افندي قائم مقام جبله وعُيّن مدير التحريرات لواء طرابلس وخلفه في قائم مقامية جبله سالم أفندي.

أما الدعاوي على النصارى فكانت آخذة في الازدياد ووقعت على بعضهم تعديات واهانات من طرف بعض المسلمين وكانت جميعها مقرونةً بغض الطرف من القائم مقام فكتبوا إلى المطران يستدعونه من انطاكية ليساعدهم في تلك الظروف الصعبة التي عجزت عن دفعها مداخلات الأجانب وسطوة القناصل وكان المطران مشغلاً بأسعاف ومداواة المصابين بالزلزلة في انطاكية وقراها فلما مكنته الفرصة قدم إلى اللاذقية فاجتمعت إليه

طائفة الروم واخبروه بالتعديت الجارية عليهم والتمسوا منه أن يقدم تشكياته لأجلها حتى إلى الباب العالي فكتب المطران إلى المتصرف حقي بك يلتمس منه اتخاذ الأسباب لازالة هذه الشدة الواقعة على المسيحيين في اللاذقية ومعاملتهم بالانصاف فأجابه بجواب ينفي به حصول شدة على المسيحيين مستنداً أن الحوادث الواقعة إنما هي حوادث إفرادية لا أهمية لها في الهيئة العمومية وهي من الوقائع التي تحدث في كل محل ولم يلتفت إلى تشكياته فتكررت المراسلات بين المطران وبينه بلا فائدة وفي أثناء ذلك سار المطران إلى المرقب ليطوف على طائفته فيها.

وفيهما كثر اللغط في المدينة على الشيخ محمد ترك كاتب مجلس الإدارة ومحمد بك مدير المال باشتراكهما في ارتكاب الرشوة وابتلاع أموال كثيرة من الأهالي واجتمع السيد علي زريق أحد التجار المسلمين بالقائم مقام وبلغه ذلك فاغتاظ وأمر الشيخ محمد الترك فقدم استعفاه من كتابة المجلس وعين مكانه علي آغا شومان.

وفي شهر تشرين الثاني سنة 1872 والمطران في المرقب أطخ باب كنيسة مار جاورجيوس في اللاذقية بالغائط كما جرى في أيام أحمد بك القائم مقام السابق إلا أن صالح افندي قد غاير مسلك أحمد بك فإنه في صباح ليلة الحادثة المذكورة ذهب إليه مخائيل افندي ساعده وكيل المطران وعبدالله افندي كومين عضو الروم في مجلس الدعاوي واخبراه بها فأظهر عدم الاكتراث وأجابهما أن هذا الفعل إنما هو فعل نصارى وبعد بعض ساعات إذ شوهده أنه لم يشرع بشيء من الإجراءات عادا إليه وأوضحا له عظم كدر وتأثر طائفة الروم من عمل كهذا مهين لمعبدهم وأن مقابلة ذلك بالإهمال مما يشدد عزيمة أو بأس المسلمين على الامتداد والتوسع في اهانة المعابد والمذهب المسيحي فأجابهما قائلاً ماذا تريد طائفة الروم أن أجري لها هل تريد أن الحس الغائط عن باب الكنيسة بلساني أو لعلها تظن أن لهذه القضية كبير أهمية كلاً أنها ليست من الأمور المهمة وفاعلها ليس عليه كبير جزاء ثم بعد ذلك ذهب نحو نصف النهار وكشف على باب الكنيسة واستحضر بعض أهل المحلة ومجلس الدائرة من المسلمين فطلب منهم أن يبينوا أسماء من تقع عليهم الشبهة بهذا الأمر

في مدة ثلاثة أيام وكرر القول أمامهم أن هذا الفعل إنما هو فعل نصارى فلما علمت أفكاره هذه انصرفت أفكار مجلس الدائرة عن التدقيق وبيان أصحاب السوابق إلى القاء التهمة على شخص ما من المسيحيين فاتهموا رجلاً يُقال له نصر الله طباع زعموا أنه وقعت بينه وبين خوري الكنيسة منازعة قبل يوم فألقي القبض عليه ووضع في السجن ثم أن أنفار الضابطية صادفوا رجلاً خولياً يُقال له حنا منها بعد الحادثة بليتين خارجاً نحو الفجر ليتوجه إلى القرية فقبضوا عليه ووضع في السجن تحت التهمة فازداد بذلك تأثر المسيحيين وشبهوه بالوقائع الاضطهادية التي كانت تحدث على النصارى في أيام المظالم قبل دخول الحكومة المصرية فكتبوا إلى المطران يعلمونه بالأمر فعاد من المرقب وكتب إلى المتصرف حقي بك يعلمه بهذه الحادثة المهينة وبسلوك القائم مقام فيها ناسباً وقوعها إلى التراخي وغض الطرف في الوقوعات السالفة بحق المسيحيين وواصفاً خوفهم من المحذورات التي تقع عليهم إذا دامت الحال بدون تلافٍ. وصدف في ذلك الحين أن محمود نديم باشا عُزل من مسند الصدare وتولى مكانه مدحت باشا وكان المتصرف حقي بك من المنسوبين إليه فسافر إلى الآستانه وأقيم وكيلاً له محمد صالح افندي قائم مقام اللاذقية نفسه فتعذر بذلك ارسال تحرير المطران للمتصرفية فأرسل المطران صورته إلى والي صبحي باشا والتمس منه استدراك أزاله هذه الأحوال فتغاضى صبحي باشا عن المجاوبة مدة ولم يظهر من قبله اجراء شيء يستدل منه على أن له عناية بأمر المسيحيين وكان وقتئذ السيد ايروثيوس البطريك الانطاكي موجوداً في الاستانه مُستدعى مع باقي البطاركة من قبل البطريك القسطنطيني لعقد مجمع في شأن المسألة البلغارية فكتب المطران عرضاً إلى الصدر الأعظم يشكو له فيه صعوبة الأحوال الواقعة على طائفته في اللاذقية ومخاطرها وارسله عند البطريك الانطاكي في الاستانه فأحيل من الصدر الأعظم إلى صبحي باشا والي سورية لأجل إجراء التحقيقات واجراء ايجاب ازالة أسباب التشكيات ولما كانت هذه التشكيات هي بالتالي ضد سياسة صبحي باشا كان بالطبع يجتهد بتكذيبها وتخطيئة المطران فبعث بالعرض إلى قائم مقام اللاذقية الخصم نفسه الذي كان وكيلاً للمتصرف كما ذكر انفاً والقائم مقام أرسل إلى اللاذقية

اسعد افندي مدير تحرير طرابلس كوكيل له ولدى بلوغه إليها طلب من مجلس الدعاوي مضبطة تتضمن تكذيب تشكيات المطران والشهادة بحسن سياسة القائم مقام صالح أفندي فحصل عليها وختم فيها عبدالله افندي كومين عضو طائفة الروم في المجلس المرقوم اما لعدم انتباهه إلى تأثيرها كما اعتذر هو أو لخوفه على وظيفته وكان عضو الأرمن حنا الطحان مريضاً فأرسلت إليه واذا رأى فيها ختم عضو الروم ختم فيها هو أيضاً ولما تمت حسب المرغوب رجع بها أسعد افندي حالاً إلى طرابلس وسلمها إلى القائم مقام.

وفي تلك الأثناء أي في شهر تشرين ثاني سنة 1872 سافر الدكتور ميثي فيجه قونصل اميركا إلى بلاده موقتاً فولجت القنسلاتو الجنرالية بإدارة قونسلاتو اللاذقية مؤلف هذا التاريخ ترجمان القونسلاتو وفيه خرج الوالي صبحي باشا من الشام قاصداً الجولان في بعض مدن الولاية فسار إلى بعلبك وحمص وحمص وطرابلس ولما بلغ المطران ملاتيوس حصول المضبطة المار ذكرها أرسل إلى صبحي باشا عرضاً يعلن له فيه فسادها وخلوها من الصحة وأنه من الواجب أن يصير إجراء فحص وتحقيق صحيح عادل على تشكياته بواسطة مأمورين خاليي الغرض وأنه إذا تم ذلك فهو مستعد لإثبات جميع تشكياته بالبينّة والبرهان فوصل العرض المرقوم إلى صبحي باشا في أثناء وجوده في طرابلس لكنه لم يلتفت إليه وفي اثناء ذلك عاد حقي بك المتصرف من الاستانة ملقباً بلقب باشا حيث ترقى إلى رتبة ميرميران وبوصله إلى طرابلس استحصل من مجلسي الإدارة والدعاوي فيها مضبطة ضد مطران اللاذقية ومطران عكار الذي قد تشكى أيضاً للصدارة عن التعديّات التي كانت حاصلة على مسيحيي ابرشيته التابعة لواء طرابلس وقد قيل أن الأعضاء النصاري أبوا في بدءاً الأمر أن يهتموا في المضبطة المرقومة لكنهم اخيراً ختموها بواسطة تهديدات حقي باشا لهم وههنا يجب القول أن أعضاء المجلس في وقتنا الحاضر سواء كانوا مسلمين أو نصارى يتخذون العضوية وسيلةً للانتفاع الذاتي فكثيراً ما يضحون الصوالح العمومية لأجل صوالحهم الخصوصية وفي كل الأحوال يلتزمون بمجاراة الحاكم إذا كان نافذ الكلمة عند أولياء الأمور ويخضعون لأرادته وأوامره خوفاً من العزل ثم أن صبحي باشا استلم المضبطة المذكورة

وارسلها إلى الباب العالي وفي أثناء ذلك تحركت المسئلة البلغارية في سورية وبيان المسئلة المذكورة هو أن البلغار التابعين للكرسي القسطنطيني كانوا منذ عشر سنين يطلبون أن تسام عليهم أساقفة من جنسهم لا من اليونان فلم يجبهم الكرسي إلى ذلك فوقعت المنازعات بين الطرفين ونشأ عن ذلك توسع البلغار في الطلب حتى أنهم طلبوا أخيراً الاستقلال بواردات أديرتهم وكنائسهم ومداخل مطارينهم وأن يُسام عليهم اكسارخوس يكون إليه مرجع أساقفتهم وأمورهم الروحية إلا أنه يكون خاضعاً رسماً للبطريرك القسطنطيني وأصروا على هذا الطلب وصدر لهم فرمان سلطاني بذلك في أيام صدارة عالي باشا إلا أن الصدر المشار إليه أوقف إجراء إجابته لعلمه بالشقاق الذي يتولد عنه فلما مات عالي باشا وخلفه محمود نديم باشا انفذ مضمون فرمان بواسطة مداخلة الجنرال اغناتيف سفير دولة روسيا التي كانت تميل إلى استقلال كنيسة البلغار تقويةً للعصبية السلافية؛ بقامة اكسرخوس فساموه رغماً عن ارادة البطريرك القسطنطيني فلما عُزل محمود نديم باشا عقد البطريرك المشار إليه مجمعاً في القسطنطينية استدعى إليه بطاركة الاسكندرية وانطاكية وأورشليم ورئيس أساقفة قبرص واساقفة الكرسي القسطنطيني فبرزوا حكماً بانشقاق البلغار وحرموهم وصادق على ذلك كل من البطاركة ما خلا كيرلس البطريرك الأورشليمي فإنه لما عرف نوايا المجمع سافر من الاستانة تخلصاً من الاشتراك في ابراز هذا الحكم راجعاً إلى القدس بوسيلة استقبال الغراندوق نقولا اخي قيصر روسيا الذي كان إذ ذاك آتياً لزيارة أورشليم ولما بلغ طائفة الروم في سورية صدور هذا الحكم المجمعى استعظموه واعتقدوا أنه مغاير لروح الكنيسة لأن البلغار لم يزلوا في شيء من قواعد الايمان الأورثوذكسي وأن منشأه العصبية اليونانية وطمع الكرسي القسطنطيني وأن هذه المسألة سياسية أكثر من كونها كنائسية فلا تقتضي مجمعاً كنائسياً بل اتفاقاً مدنياً وأن للبلغار حقاً في طلب تخلص كنيستهم من النير اليوناني لأن قوانين المذهب لا تستدعي سيادة اليونان على الكنيسة فتأثرت رعية البطريرك الانطاكي وبعض اساقفة من مصادقته على هذا الحكم ومن ذهابه إلى المجمع بدون مخابرة اساقفة كرسيه ولا سيما أنه بعد ذهابه كتب إليه ثمانية من اساقفته رسالةً في حزيران سنة 1872

حرّضوه فيها أن يكون وسيط الألفة والاتحاد وحذروه من الخلاف فلم يعبأ بها فلما عاد من الاستانة وقعت المخابره بين الشعب في مُدن الكرسي الانطاكي وكان رأس هذه المخابرات مدينة بيروت نظراً لمدخلات وتهيج قونسلوس جنرال روسيا وترجمانه الخواجه مخائيل شحاده للشعب ضد البطريرك ثم جرت المخابرة أيضاً بين الأساقفة وقر القرار على عقد مجمع في بيروت مؤلف من أساقفة الكرسي للنظر في ذلك فسار مطران اللاذقية إلى بيروت وكان عدد المطارنة المجتمعين فيها اربعة هم ملاثيوس مطران اللاذقية صفرونيوس مطران طرابلس وغبرئيل مطران بيروت ومتوزيوس مطران زحلة وجميعهم وطنيون وقد كان الاجتماع في أواخر شهر تشرين الثاني سنة 1872 فجعلوا ينتظرون باقي المطارنة إلّا أن بعضهم لم يرد الاشتراك بهذا المجمع لكونهم يونان الجنس كمطران حمص ومطران عكار وغيرهما والبعض الآخر من الوطنيين كمطران حماه ومطران صور وصيدا وغيرهما ارسلو للمطارنة الأربعة وكالة من قبلهم فشرع المطارنة الأربعة في المفاوضات بهذه المسئلة وكان بعض شعب بيروت ولا سيما الحزب الروسي يهيجهم على الحكم بعزل البطريرك ومال إلى ذلك صفرونيوس مطران طرابلس طمعاً في الارتقاء إلى منصب البطريركية أما ملاثيوس مطران اللاذقية فقاوم هذا الرأي وارتأى انه من الواجب أولاً مخاطبة البطريرك ليحتج عن نفسه ثم يُنظر فيما يستدعيه احتجاجه وبعد جلسات متعددة انقادوا إلى هذا الرأي وكتبوا رسالة إلى البطريرك مضمونها الاستفهام عن المسوّغات الناموسية التي سوّغت له أن يذهب إلى المجمع القسطنطيني بدون مخابرة أساقفة كرسية وأن لا يفعل بموجب رسالتهم المنفذة إليه إلى الاستانة في شهر حزيران سنة 1872 وأن يساهم على إفراز البلغار حال كونهم لم يخلّوا في شيء من قواعد الايمان المستقيم الراي وأرسلوها إليه وبعد ارسالها ورد خبر عزل كيرلاس البطريرك الأورشليمي وذلك أنه بعد رجوعه إلى اورشليم هاج عليه اساقفة ورهبان الكرسي الاورشليمي الذين جميعهم من اليونان لأجل عدم انحيازه إلى العصبية اليونانية في الحكم بافراز البلغار وطلبوا منه أن يكتب إلى المجمع معلناً مصادقته على الحكم المذكور فأبى فنادوا بعزله واعلنوا ذلك للحكومة المحلية وأرسلو به رسائل تلغرافية

إلى البطريك القسطنطيني والباب العالي فانتصر له شعب كرسية وقدموا محاضر للحكومة المحلية ورسائل تلغرافية إلى الباب العالي يعلنون فيها ممنونيتهم من تصرف بطريركهم ويوضحون تعدي مجعته عليه ويلتمسون قصاص اصحاب الفتنة من الاساقفة والرهبان لتناولهم على البطريك وكان الباب العالي إذ ذاك قد عدل عن سياسة محمود نديم باشا ومال إلى العصية اليونانية في الحكم بافراز البلغار فلم يتلفت للتماس الشعب بل أصدر أمره لحكومة القدس بعزل البطريك اجابةً لطلب الرهبان وارساله تحت محافظة العساكر إلى يافا حيثما ستأتي بارجة مخصوصة لتسير به إلى الآستانة فلما انتشر هذا الخبر قويت عزيمة البطريك الانطاكي فأرسل تحريراً إلى المطارنة المجتمعين في بيروت يلومهم فيه على اجتماعهم بدون إذنه ويؤمر كلاً منهم بالرجوع إلى ابرشيته وكانت المطارنة قد انحلت عزائمهم من خبر عزل كيرلس البطريك الأورشليمي فعادوا إلى ابرشياتهم وعاد في جملتهم المطران ملاثيوس إلى اللاذقية.

أما ما كان بعد رجوع المتصرف حقي باشا إلى طرابلس فهو أن المومى إليه أتى إلى اللاذقية مرافقاً بالقائم مقام صالح افندي في أول كانون أول قاصداً إجراء المصالحة بين القائم مقام المذكور وبين المطران وقنصلي المانيا وفرنسا وكان المطران قد سبق فسافر إلى بيروت كما تقدم القول فلم يتوفق اجتماعهما معه فصالحه مع القنصلين وعاد إلى طرابلس وفي أثناء ذلك عُزل سليم افندي نائب اللاذقية وخلفه محمد سعيد افندي وهو عبد اسود اشتراه في صغره رجل من أكابر جزيرة قبرص، وأعتقه واعتنى بتربيته وتعليمه وكان ذا استعداد وذكاء فترشح بواسطة ما اكتسبه من العلم للمناصب واتصل إلى خدمة الحكومة فاستخدمته في بعض المأموريات ثم قلّدتُه مناصب النيابة. وفي تلك الأثناء أيضاً عُزل سالم افندي قائم مقام جبله وخلفه رفعت بك وكان في بداءة قدومه شديداً على النصارى إلا أنه عدل عن هذا المسلك أخيراً.

ثم عُزل صبحي باشا والي سورية وخلفه حالت باشا فابتدأ قائم مقام اللاذقية صالح افندي أن يحسن سلوكه مع القناصل ومال لاصلاح ذات البين مع المطران الذي كان قد

رجع من بيروت فتوسط بينهما البعض فتصالحا في بيت الياس افندي صوايا حيث دعاهما إلى العشاء وفي أثناء ذلك ترجى القائم مقام الياس افندي صوايا أن يقبل كتابة مجلس الإدارة موقتاً إلى أن تلايم الفرص لاعادته إلى مديرية المال فأجابه إلى ذلك.

وفي 18 شباط سنة 1873 وردت رسالة تلغرافية من البطريك الانطاكي إلى المطران ملاتيوس يخبره فيها بأنه ورد أمر من نظارة الخارجية بعزله وعزل صفرونيوس مطران طرابلس عن أبرشيتهما ويؤمره بتسليم موجودات المطرانخانة إلى وكلاء والاستعداد لمبارحة اللاذقية لكنه لم يوضح فيها سبب عزلهما وبقي ذلك مكتوماً فلم يُعلم هل نشأ عزلهما عن مضبطة حكومة طرابلس أو عن غيظ البطريك الانطاكي بسبب سفرهما إلى بيروت لأجل المسئلة البلغارية والأرجح أن عزلهما نشأ عن اتحاد السبيين المذكورين لأنه لو كان عن تأثير مضبطة طرابلس وحدها لوجب عزل مطران عكار لا مطران طرابلس أو لو كان عن تأثير المسألة البلغارية وحدها لوجب عزل مطران زحلة الذي كان أشد على البطريك من مطران اللاذقية والظاهر أنه لما اجتمع السبيان اتفق البطريك وصبحي باشا وبالتالي الباب العالي والبطريك القسطنطيني على عزل هذين المطرانين قاصداً كل من الفريقين التأثير لغايته فلما وردت الرسالة التلغرافية المار ذكرها أصاب طائفة الروم في اللاذقية كدر لا مزيد عليه وصممت على عدم التسليم بعزل مطرانها ملاتيوس وعدم قبول غيره مطلقاً وأقامت عمدة مؤلفة من أعضاء جمعية المطرانخانة مع اضافة بعض الذوات إليها ووكلتهم بموجب خطاب ممضي من العموم وكالة مطلقاً من قبلها باجراء تمام السعي باعادة المطران المومى إليه وعدم قبول سواه لا بالاصالة ولا بالوكالة. أما المطران فانه سلم الموجودات إلى اعضاء الجمعية أنفسهم وكتب إلى البطريك رسالة تلغرافية يخبره بانفاذ أمره فورد له الجواب أن يذهب إلى دير ماري جاورجيوس الحميراء، وكان المطران منحرف الصحة لا يحتمل مشاق سفر البر فضلاً عن كون اقامته في الدير تكون كناية عن نفى له فاستأذن من البطريك بالسفر إلى الشام ووسط لديه أناساً فأتاه الجواب بالإيجاب وسافر إلى الشام في شهر أذار المرقوم وأصحبته الطائفة برسائل إلى البطريك مضمونها

شدة التأثر والحزن من عزله واجتماعها على عدم قبول غيره بنوع من الأنواع والالتماس بأن يصير السعي بسرعة اعادته ولما بلغ إلى الشام استقبله البطريرك استقبلاً حسناً وظهر له تأسفه وكدره من جراء عزله متجاهلاً عن معرفة سببه كما أن الوالي حالت باشا اكرمه عند مقابلته إياه وظهر له الأسف أيضاً والميل لمساعدته لأنه كان يعرفه من ذي قبل واجتمع معه بمروره في الوابور على اللاذقية حينما كان قادماً للولاية وظهر له حباً وميلاً. أما حقي باشا متصرف طرابلس فسُرَّ بعزل المطرانين كقائم مقام اللاذقية ولأجل تمكين تعكير الخواطر من جهتهما ارسل صورة ثانية من مضبطة طرابلس إلى الوالي حالت باشا الذي كان يجهلها لأنها تقدمت في أيام صبحي باشا ولأجل فتح ميدان واسع للأفكار للحكم على المعاملة التي جرت مع المطران ملاتيوس لا بأس من وضع صورة المضبطة المرقومة هنا وهي هذه بحروفها.

مكتبة التاريخ العثماني

لجانب معالي ولاية سورية الجلية

مجلس إدارة لوا

طرابلس شام

لقد تشرف مجلس العجزة بقراءة الأمانة السامي الصادر من جانب عالي الصدارة العظمى المؤرخ في 6 رمضان سنة 1289 و 22 تشرين الثاني 1288 والمزين بنومرو مائة وأربعة وأربعين المحال من طرف دولتكم المتضمن فحواه المنيف بارسال المحضرين المتقدمين بادعاء وقوع أمور منافية للحقانية بحق الخرستيان من أهالي قضاوات اللاذقية وعكار وصافيتا وذلك من اجراء مساحة الأراضي مع المظالم والتعديت التي شاهدها من مأمورين الحكومة المحلية والمعاملة الغير مرضية الجارية بحقهم من نصيرية قضاء صافيتا وصدر الأمر السامي بأنه حيث أن مندرجاتها تجلب نظر الدقة والأحوال المشتكى بها إذا كانت صحيحة لا يمكن تجويزها فمن اللازم اجراء التحقيقات المدققة واجراء ايجاب الحال وعرض وانهاء الكيفية وجميع ما صدر به الأمر السامي وأمر دولتكم صار قرين الاذعان وقد تقابل بالإطاعة والامتثال ولدى مطالعة القطعتين أوراق المذكورة فوجدت

احدهما من مطران طائفة الروم في عكار وصافيتا والثانية من مطران الملة المذكورة في اللاذقية، ووجد زبدة مال معروض مطران عكار المومى إليه بأن بكاءات واغاوات عكار ينهبون اموال الخرستيان ويسخرون حيواناتهم وأنه بهذه السنة بواسطة تحويل أراضي الشمسية لثمن المثل حصلت زيادة دونمات بالمساحة عليهم من طرف مأمورين المساحة، وأنه لما توجه أحد الخوارنة مع الأهالي للتشكي من ذلك أمر متصرف اللواء بحبسهِ وبقي يومين في الحبس وأن نصيرية صافيتا يقتلون الخرستيان بالسيوف والأحجار حتى أنهم في ظرف خمس سنوات لأن صاروا قاتلين ثلاثة وعشرين نفرًا ويخطفون بناتهم وأنه ما عاد لملة الخرستيان قدره على السكن والاقامة بالقضاوات المذكورة وأن الحكومة المحلية تغض العين عن هذه الأفعال. والعرضال الثاني المتقدم من مطران اللاذقية وجد يتضمن بأن قائم مقام اللاذقية صالح افندي مظهر الكراهة إلى الخرستيان ويعاملهم معاملة تحقيرية وأن مدير ناحية بيت الشلف قوص خوري ناحية المزيرعة بالطابنجه وأنه لما كان المطران المومى إليه غائباً في انطاكيه قدم الخوري المومى إليه الشكاية للقائم مقام المومى إليه فصار يجتهد بتبرئة المدير وتكاثر الشتم والسب على الديانة النصرانية وأن الخوارنه عندما تتوجه إلى الكنائس صارت عرضة للاهانة وأنه إذا انطلب أحد من الخرستيان للحكومة لأجل عشرين غرش من الاعانه العسكرية أو لأجل سخره تتراكم لجلبة جملة ضبطية ويجرؤونه بالعنف والاهانة وإذا أحد منهم تجاسر على الشكاية يتبدل الحق ويصير محكوماً عليه بالحبس والجزاء النقدي وإن بعض أعضاء المجلس يميلون للمبادئ الذي نشرها القائم مقام مع كونه متغلب على المجلس لأنه يفتخر بالقول أن كلامه لا يُراجع وأنه لما تهدد الاعضاء المسيحية عندما يبدون فكراً مخالفاً لارادته وأنه صار فتح أبواب دعاوي قديمة على المسيحيين وسلب أملكهم بواسطة دعاوي مصطنعه وباطله وأن مجلس اللاذقية لا يلتفت إلى كتاب البيوع المرسول من طرف الدولة العلية وأنه إذا أحد قدم الشكاية للقائم مقام بعرضحال يمزق عرضحاله وأنه تدرج الحال إلى تدنيس المعابد وظهرت نجاسة ملطوخه على باب كنيسة مار جاورجيوس، وأنه لما صار بيان الكيفية إلى القائم مقام جاوب على

الفور بأن هذه عمل نصارى وأظهر عدم الاكتراث ومسك بعض المسيحيين لأجل هذه القضية ووضعهم في الحبس. هذا ملخص مآل ما درجه مطران اللاذقية في عرض حاله، وبما أن عرض وانتهاء حقيقة الحال كما هو الواقع منه واجبات الذمة وفي هذا الزمان العادل جميع الأحوال والتصرفات مكشوفة لنظر العموم ودائماً الحكومة السنية تمد أنظار الدقة بمعرفة المجلس الملحية لاكتشاف حال ومسرى المأمورين الموجودين بالمعية وحكومة مركز اللواء لا تفتقر عن التحقيقات والتدقيقات الخفية والجلية عن حال قائم مقامية القضاوات وسلوكهم وعما يتوقع في كل قضاء كما أن جميع الأهالي حتى رعاة الأغنام الذين يوجد أكثرهم لم يدخلوا للمدن والأمصار صاروا عارفين النسبة الخيرية الملوكية بحق عموم التبعية الشاهانية بلا استثناء لأن الغزيتات والجرائد الموضحة والكاشفة لجميع الأمور دائماً تتوزع على جميع القرايا بكل جمعه ليتكشف عنهم الغطاء، ويعرفون حقوق النعم الجليلة فلا يوجد ميدان ولا مجال لأحد على أن يدعي بأنه انظلم ولم يقتدر على عرض ظلامته لأنه بهذا العصر العادل بظل السطوة الملوكية ما عاد موجود واحد يقدر على ظلم أحد أو غدره وإلا ينال الجزاء الذي يترتب عليه على حسب درجة مجاسرته وهذا الحال لا يستطيع أحد على انكاره أما بكاوات وأغاوات عكار ما انسمع عنهم بكل هذه المدة حصول تعدي بنهب أو سلب أموال أو أملاك أحد من الخرستيان، ولا من خلافهم ولا تسخيرهم بشيء كما أنه غير مقتدرين على ذلك، وإذا بالفرض حصل تعدي من شخص على آخر تكون من الأمور العادية التي لا يخلو الكون من هكذا وقوعات، وبالحال يجري استنطاق من المتجاسر ومحاكمته وإجراء ما يحكم عليه القانون به فهذه النسبة عارية عن الأساس وخالية من الصحة والذي يظهر أن ذكرها ليس هو إلا لقصد تشويش أفكار الحكومة بلا سبب للتوصل إلى الغايات الذاتية لأن الحال الحاضر والمشاهد بنظر العموم يُظهر ويؤكد نوال الجميع الراحة والاطمئانية والأمنية التامة واتساع أمور زراعتهم وغرس الأشجار والعمار للأملاك وعند حدوث دعوى بين شخصين من أي ملة كانا، ولو كان المدعى عليه ربيعاً والمدعى وضعياً فإنه مشاهد حضور المدعى للحكومة وتقديم الشكاية ونواله بحقانيه ولم يحصل تشكي

على أحد إلّا وصار جلبه واجراء محاكمته وقد سبق أن بعض البكاوات والاغوات من المسيحيين أم خلافهم كانوا يدعون عليهم فبالحال يصير جلبهم واجراء محاكمتهم ونوال الحق حقه بظل الشوكة القاهرة الملوكية. وأما قضية البحث عن مادة ثمن مثل الأراضي وحضور الخوري للحكومة. فإن الأراضي الشمسية التي هي ملك همايون وتُعطى بالالتزام بكل سنة للطالبيين وأكثرها بيد الإسلام قد صار اجراء مساحتها لأجل ادخالها تحت نظام الطابو وحصلت المساعدة للزارع بتفويضها لهم بثمان المثل مقسّطاً بمعرفة قومسيون مخصوص مشكل من جانب الولاية الجليلية وقد صار تخمين الأراضي بمعرفة مخمنين من ذوي الخبرة من سائر الملل من أهالي تلك المحلات وخلافهم الخالين الغرض والجميع بالفيئة المعتدلة وباشروا بدفع القسط ما عدا بعض زراع قرية السمونية من الخرستيان، فأنه حركهم الخوري المذكور للشكاية بزيادة الفيئة والادعاء بأنه حصلت زيادة عليهم بالمساحة فصار تفهيمهم بأن الفيئة معتدلة وأنه من اللازم دفع القسط وأن دعواهم بزيادة المساحة فأنه يُنظر بإيجابها الحقاني فلم يقنعوا فعندها صار توقيف بعض الأهالي المتعنتين عن دفع القسط لأن ادعاهم واهي وأكبر دليل على ارتكابهم الغرور والطمع وأنهم محركين على الشكاية وأن الفيئة معتدلة لأنه موجود طالب لأراضي القرية بزيادة مايتين الف غرش عن ثمن المثل الذي تخمّن عليهم حالة كونها مقدرة على جميع الأهالي بمايتين وستين ألف غرش فلما شاهد ذلك الخوري أراد يدخل القضية للمغالطة وصار يتكلم كلاماً غير لائق بالحدة، ورفع الصوت وقال ما دام صار توقيف هؤلاء فإني أحبس نفسي معهم وتوجه للحبس معهم فمَنعهُ الضبطية من الدخول للحبس حسب تنبيه المتصرف وقعد على باب اليرموق ومراراً صار تكليفه بالتوجه بواسطة الأعضاء من أبناء ملته وغيرهم فلم يقبل حتى أن مطران افندي الروم بطرابلس لما سمع القضية أرسل له خبر بالحضور لطرفه فلم يقبل وبقي مصرّاً ولم يخرج من قوناق الحكومة حتى حضر مطران عكار الذي الآن قدم الشكوى. وأرسل له خبراً فتوجه لعنده وقد تحررت بذلك مضبطه مفصله إذ ذاك وتقدمت لجانب الولاية الجليلية في 7 رجب سنة 289 و 21 اغسطس سنة 288 وأما الادعاء الحاصل بقتل

الثلاثة وعشرين نفرًا من الخرستيان في صافيتا فمن مراجعة القيود يظهر عدم صحتها، وأنه لربما هذا الادعاء هو عن وقوعات قديمة من سنين عديدة، ولكن بما أن القضاوات جسيمة ومتسعة وفي كل محل لا يخلو من وجود الصالح والطالح كما أن الوقوعات الكونية لا يخلو محل منها ولا تخلو مملكة من الممالك من حدوث هكذا أحوال لأنه إذا صودف وجود اشقياء في جبال النصيرية الذين هم ملة غير متمدنة ودخلوا إلى بيت أحد من سكان القرايا والجبال للسرقة وخرج عليهم صاحب البيت فقوضوه ومات متأثراً وصادف مرور أحد منفرداً في الطريق، ووجده أحد من الاشقياء وأراد غصب ماله وقوضه ومات فإن الحكومة المحلية لا تتسامح ذرة واحدة من تعاطي أسباب رمي القبض على المتجاسر وإجراء محاكمته ومجازاته الشرعية والقانونية ومن تتبع قيودات المجلس من سنين للآن تظهر جميع الاجراءات التي حصلت بحق كل قضية وقعت من الأمور الجنائية لأن هكذا وقوعات ليست مخصوصة بحق ملة دون ملة بل الكون لا يخلو منها بحق جميع الملل كما أنه يوجد قتل من كل ملة كذلك ينوجد اشقياء متجاسرين على القتل من كل ملة أيضاً ولحد الآن كم وكم ارتسل إلى قلعة عكا أشخاص مرتكبين الجنايات بحق الخرستيان وخلافهم ولربما صار مقتول من النصيرية في سنجاق طرابلس، بالإصلاحات التي حصلت في جبال النصيرية في مدة الثلاث وثلثين سنة المذكورة وغيرها عن كل نفر مقتول من الخرستيان، اكثر من خمسمائة نفر وانتفى منهم في أوقات مختلفة جمع غفير بحسب حال كل قضية والآن ينوجد في حبس طرابلس أكثر من ثلاثين نفرًا من النصيرية لأجل هكذا دعاوي صار لهم أكثر من ستة أشهر بناء على ادعاء خرستيان صافيتا عليهم وكلما صار طلب المرقومين للمحاكمة، لا يحضروا بل يرغبون المجازاة من دون مرافعة حتى أنه بهذه المرة تأكد بإرسال المدعين من الخرستيان المرقومين فوراً الجواب من مجلس صافيتا بمضبطه بأن المدعين من الخرستيان امتنعوا عن الحضور للمرافعة مع المحبوسين. وادعوا انهم لا يقدرين على الاثبات عليهم وإذا صار ربط المدعى عليهم بكفالة وإطلاقهم يتشكوا ويقولوا ضاع حقنا والحاصل ما سبق حصول قضية رديه نظير قتل النفوس أو سلب الأموال أو خلافها، وصار السكوت عنها من

طرف الحكومة، ولو صار البيان عن اسامي الذي صار الادعاء بقتلهم كان يصير مراجعة القيد، وبيان الاجراءات التي حصلت بوقت وقوع القضية وعندها يظهر إن كان حصل تسامح أم لا. وأما عند اجراء المرافعة بتقديم الشكايات ونقل الأمور من طور إلى طور آخر وذكر الدعاوي القديمة التي جرى ايجابها بوقتها بصورة الاجمال، والنسبة بأنه صار مقتول كذا من دون بيان اجراءات الحكومة بأوقات وقوع القضية يكون ذلك مبني لقصد اعظام الأمور ودخالها لصورة المغالطة والحال أنه في هذا العصر المحصور بمزيد المراحم الملوكية له الحمد سطوة الحكومة السنية باسطة وشوكة اقتدار الدولة العلية قوية على كل متعند ومتجاسر ولا يحق لأحد على أن ينسب للحكومة السنية أدنى ذرة من القصور بالاجراءات وبقضية الضبط والربط واستكمال الراحة والأمنية لأن هذا الوقت يُعدُّ غرةً في جبين الدهر حيث أن مأمورين الحكومة الكبار والصغار دائماً متيقظون ومجتهدون بكل ما فيه راحة الأهالي وأمنيتهم وخصوصاً في سنجاق طرابلس الشام فإنه يُعدُّ السنجاق الأول في قطعة سورية بالراحة والأمنية وائتلاف قلوب الأهالي مع بعضهم والمحبة الوطنية بين جميع الملل، وأما ما ذكره مطران افندي اللاذقية بعرضه بحق قائم مقام اللاذقية صالح افندي والمواد التي عددها حرفياً فإنه من مراجعة مضبطة مجلس اللاذقية المختومة من جميع اعضاء الخرستيان أيضاً المؤرخة في 28 شعبان سنة 289 وفي 18 تشرين الأول سنة 288، بناء على الاشعارات المؤكدة الصادرة من مركز المتصرفية المبنية على تشكي المطران المومى إليه ظهر أن الدعوى التي تصدرت على مدير ناحية بيت الشلف من خوري المزيعة صار رؤيتها في مجلس اللاذقية وانمسك بها زورا ودُرج به الاستنطاق ولم يتبين صحة ما ادعاه الخوري بل ظهر أنه محقوق وصار الاستئذان من جانب الولاية الجليلة بجلبه للمحاكمة والآن صدر أمر دولتك المؤرخ في 7 شوال سنة 89 ذيلاً على الأمر السامي الصادر من جانب مقام الصدارة العظمى باستحضار الخوري المذكور واجراء محاكمته لأن الخوري المذكور له سوابق بالتحريك حتى أن حضرة والي الولاية السابق دولتو راشد باشا تحقق لديه حاله حين شرف إلى جبال النصيرية للاصلاحات صدر أمره إلى مطران المله بحبسه

تأديباً له، وأما نسبة كراهة القائم مقام المومى إليه للخرستيان لم يوجد لها سبب ولا مستند لأنه غريب الديار وليس له غرض مع أحد ومجرب الأطوار بالخدمات في جملة محلات وعارف الأصول والنظامات السنية، ومن ذوي الوقوف والدراية والمعرفة بحال ونزاکة الوقت فلم يبدو منه هكذا حالات منافية مخالفة للديانة والإنسانية ولواجبات المأمورية وإنما لتمسكه بالحقانية وعدم اصغاه للتكاليف الغير المحقة والمخالفة للنظامات السنية يفتعلوا منه ويشيعوا عليه هكذا أخبار لكي أما يطاوعهم على مقاصدهم الذاتية وإذا انعزل يتوقى خلفه مخالفتهم وأما قضية تلويث باب الكنيسة فما حصل تسامح من الحكومة عند وقوعها ومن جملة الاجراءات الدائرة الشمالية المأمورة بالتحري على هذه القضية أيضاً أوقعت الشبهة على شخص مسيحي، ومن الجملة صار استحضاره واستنطاقه حيث كانت وقعت مشاجرة بينه وبين خوري الكنيسة وبالاستنطاق لم تقع الشبهة القوية عليه ولم يزل صائر البحث والتحري على المتجاسرين، وأما قضية تراكض الضبطية لجلب أحد المسيحيين عند لزوم جلبه لدفع الاعانة العسكرية بالاهانة والشتم فإنه لم ينسمع وقوع ذلك وأنه كان من الواجب عند وقوع هكذا قضية من أحد الضبطية بالحال يعرض من عومل بذلك دعواه للحكومة السنية فاذا ما نال الحقانية يعرض لمحل أعلى لأن باب الحكومة السنية مفتوح لكل قاصد وأن ما درج من فتح الدعاوي القديمة على الخرستيان وسلب أملاكهم والحال أنه لربما المقصود من هذه الدعاوي هي دعوى حسن حوريه من أهالي اللاذقية على عبدالله اسبريدون من الخرستيان بقضية طاحون وكان صار اعطاء القرار بها بموجب مضبطه ولما تقدمت المضبطة لمركز اللواء وطلب المدعى عليه استئناف الدعوى صار طلب الفريقين لمركز اللواء، ولأن ما حضر المدعي لكون المدعى عليه كان مشغولاً بتعليم الرديف وأنه قريباً يصير ارساله لمركز اللواء مع خصمه وأن مادة تمزيق العرضحالات لم يصير معلومية للمجلس بها ولا أحد ادعى بذلك، وأن الدعوى الثانية التي صار الأعراض بها من المطران المومى إليه بالادعاء أنها من عشرين سنة فأنها دعوى على مبيع دار هي الآن بيد أرملة الخواجه موسى ابراهيم، ولم يمضي على بلوغ المدعى المتصدره منه الدعوى المدة المانعة

من سماعها ومع ذلك يصير استثنائها في مركز اللواء ويظهر الحق وأن المطران المومى إليه ذكر بأن ذلك سبب فتح المطامع على المسيحيين والحال أن مثل هكذا دعوى حقوقية دائماً تقع من الإسلام مع بعضهم ومن الأخ على أخيه ومن مسلم على مسيحي وبالعكس، ولا يكون ذلك سبباً لفتح باب من أبواب المحاذير وإنما بعد المرافعة يظهر المحق من المحقوق ويجري الإيجاب الشرعي بالأمور الشرعية والمسوغ النظامي بالأمور النظامية وبالحقيقة أن دعاوي الحقوق إن كانت قديمة أو حادثة لها حكم لأن الشرع الشريف والقانون المنيف لم يترك شيئاً بلا نص صريح وإذا كانت كلما تصدرت دعوى حقوقية من مسلم على خرستيان أو من خرستيان على مسلم يصير نقلها لهيئة العموم والتشبت بالقول بأن هذه الدعوى تفتح أبواب مطامع على أبناء ملّة المدعي عليه حينئذٍ ينفّث باب لاضاعة كامل الحقوق، وهذه هي التي تكون محركاً لمطامع وغرور ذوي المطامع وقد أدرج بالمضبطة المذكورة أنه بظل السطوة الملوكية راحة جميع الأهالي بلا استثناء في محورها اللائق وأنه بحوله تعالى لا يوجد ميدان لطائفة على سلب راحة طائفة أخرى ولا يوجد سبيل على سلب راحة وأمنية أحد هذا مآل المضبطة المذكورة مع كونها وردت من مجلس دعاوي اللاذقية حالة كون القائم مقام المومى إليه لم يكن في اللاذقية بل كان في طرابلس، وهذا مما يؤكد عدم صحة ما نُسب من كون القائم مقام المومى إليه متغلب على المجالس، وأنه يتهدد من يبيدي منهم فكراً مخالفاً لارادته وبالتأمل الدقيق يظهر أن الدولة العلية الأبدية الدوام أسست المجالس من وجوه البلاد من إسلام وخرستيان وبقية الملل بانتخاب الأهالي وصار تقسيم المجلس وعينت لكل مجلس وظائف مخصوصه بموجب نظامات ومأمورين الحكومة لم تعين لهم مأمورية بسماع الدعاوي بل هم مأمورون بالاجراء بعد المرافعة والمحكمة وصدور الحكم وورود المضبطة فلذلك لا سبيل للاعتراض على الحكومة المحلية بقضية دعاوي الحقوق ولا عذر للمجلس بذلك وإنما إذا حصل تسامح بالإجراء حينئذٍ يحق نسبة ذلك إلى مأمورين الحكومة الاجرائية ومصرح بالنظامات أن أعضاء المجلس بأجمعهم من دون استثناء مأذونون ببيان آرائهم بلا تحاشي وعند عدم الاتفاق يشرحون تحت امضاهم وجعلت رأس

اللواء مركزاً لاستئناف دعاوي القضاء ومركز الولاية محلاً لاستئناف الدعاوي التي تُرى في مركز اللواء فلذلك لا يوجد سبب لأحد على الاعتراض بشيء لكن كما يظهر من الدلائل الثابتة بالوقائع المماثلة أن البعض عندما تحصل قضية غير موافقة لهم يريدون أخذ الأمور بالمغالطة ونقلها من طور إلى طور ظناً بأنهم يتوصلون لمقاصدهم والحال أن في هذا العصر المحصور بمزيد المراحم زالت هذه الأمور أيضاً وكل شيء تركّز في مركزه وارتبط بنظامه وكل مأمور له وظائف مخصوصة وكل مادة انوضع لها نظام محكم وانسدّت أبواب التدليس واشتهرت للجميع حقائق النسبة الخيرية بحق عموم التبعة الملوكية بلا استثناء والجميع تفتحت آذانهم وتنورت بصائرهم فلذلك طرق التدليس والشكايات الغير المحققة صارت مسدودة لأن التحقيق المحق يظهر الحقائق وبما أن الدولة العلية أسست مجالس بكل ناحية وقضاء ولواء مشكلة من جميع الملل بانتخاب الأهالي وجميع الدعاوي ترى في المجلس بحسب درجات نظامها فلا سبيل لمداخلة الرؤساء الروحية بأمور الحكومة ودعاوي الأهالي مع بعضهم لأن ذلك ليس هو من متعلقات الأمور المذهبية فعدم اعطاهم ميدان للمداخلة الموجبة للبشلة أوجب تعديهم لهكذا شكايات وتجسيم الأمور وتصديق أفكار الحكومة السنية لكي يتوصلوا إلى مقاصدهم الذاتية وبينما كان مع اقتضاء الوظائف المذهبية المترتبة على الرؤساء الروحية نصيحة الأهالي برفع النزاع واتباع الحقانية وامتنال أوامر الحكومة السنية فالآن تصديهم للعكس بالحقيقة أنه يوجب التأسف وحيث هذا حقيقة الحال ولله الحمد والمنه بظل الموفقية الملوكية وأنظار دولكم الصفية كافة الأهالي من جميع الملل رايعين في بحبوحة الراحة والأمنية بلا استثناء فلأجل أن يحيط العلوم الشريفة تفصيل الكيفية حصل التجاسر بتقديم هذه المضبطة من مجلسي إدارة وتمييز لواء طرابلس شام وبكل الوجوه الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر احترام في 9 شوال سنة 289 و 26 تشرين الثاني سنة 288

مجلس تمييز الدعاوى		مجلس الإدارة	
الداعي	الداعي	الداعي	متصرف لوا
رئيس	مفتي	نائب	طرابلس
(السيد أحمد)	(السيد مصطفى)	(عبد الحليم)	(اسماعيل)
لمعي	لطفي	لمعي	حقي
مميز محمد رشيد زيلعي	مميز عبدالله السيد أحمد	مخاسبة جي أوقاف	اعضاء
(مخايل آرنأوط)	(ابراهيم انطانيوس)	(السيد احمد (الحاج عثمان)	السيد
زريق	تدمري	عبدالله	
اعضا		اعضا	
(الياس الخوري) بطرس	(رغول الداية)	(حنا صراف)	

انتهت بحروفها

فلما وصلت صورة المضبطة المرقومه إلى الوالي حالت باشا ارسل نسختها إلى البطريك فسلمها البطريك إلى المطران اللاذقية فأجاب عنها المطران بعرض قدمه إلى الوالي وهذه صورته.

لقد اطلعت بواسطة غبطة بطريك افندي على صورة المضبطة المتقدمة من متصرفية لواء طرابلس شام الساميه لجانب الولاية الجليلة بمدة حضرة صاحب الدولة صبحي باشا رقم 9 شوال سنة 89 و9 تشرين الثاني سنة 880 والمتكرر تقديم صورتها مؤخراً من جانب المتصرفية المومى إليها لاعتابكم الكريمة وتفضلتم بارسالها لغبطة البطريك المومى إليه ولدى مطالعتها وجدت مضمونها عبارةً عن ثلاثة موضوعات الموضوع الأول الرد على تشكياتي المتقدمة لأعتاب الصدارة العظمى عن الوقوعات والتعدييات التي كانت جارية على الطائفة الارثوذكسية في اللاذقية وعلى كنيستها وعلى خوري قرية المزيرعة بعد تعيين رفعتلوا صالح افندي قائم مقاماً. والموضوع الثاني تهمة هذا الداعي بالنفاق وتصديق افكار الحكومة السنية وتعليم الشعب محبة النزاع واتباع الباطل والتمرد على الحكومة السنية. والموضوع الثالث اظهار حكومة طرابلس ما هي عليه من الانتباه والدقة لاجراء المعدلة

والقوانين السنية، واستراحة الأهالي، ومراقبة أعمال القوائم مقامية الذين هم ضمن اللواء، حيث كان الحال يستدعي بالمجبورين بيان الحقيقة استرحم الاذن من لدن دولتكم لاعرض ما يستدعيه ايجاب الحال الآن لاحاطة علومكم السامية، فأولاً من جهة الموضوع الأول، أعني الرد على تشكياتي أقول أنه لو كانت حكومة طرابلس أجرت مقتضيات القوانين السنية من ارسال اعضاء إسلام ومسيحيين لاجل تحقيق هذه القضايا في محلها، بالنظر لجهتي بصورة المدعي ولجهة المأمورين المحليين بصورة المدعى عليهم لكان ظهر الحق لي أو عليّ وكان حينئذ يسوغ أن يقال أن مضبطة مجلس طرابلس هي مضبطة مستوفية النظام، ولكن بما أن الحال بخلاف ذلك وقد جعلت الخصم ذاته محققاً وحكماً واعتبرت قوله هو المعوّل عليه وسندته بتلك المضبطة، وجميع ذلك بدون سؤال مني أصلاً فالمعدلة السنية تمكني أن أقول، أنني امسيت ضحية للغرض حتى أن حضرة سلف دولتكم لعلمه عدم موافقة هذه المضبطة للنظام من جهة، وأنني مستعد لاثبات تشكياتي كما عرضت لدولته عندما بلغني حصول هذه المضبطة من جهة أخرى أصدر تحريرات لغبطة البطيرك يمكن الاستنتاج منها أن المقصود صرف النظر عن هذه المسائل، وإيقافها عند هذا الحد ثم أنه ولئن يكن الآن معدلة دولتكم تساعد على إجراء التحقيقات النظامية لاثبات تشكياتي إلا أنه يمنعني عن التجرد لذلك جملة موانع وهي أولاً أن ما يلجئني لظهار صحة معروضاتي لأجل حفظ مركزي بنظر الحكومة السنية قد زال لأنني عزلت من سياسة ابرشيتي الروحية بلا محاكمة ولا تحقيق نظامي أو ثبوت جنحة عليّ لا سياسية ولا روحية ثانياً أن المعدلة لا تقتضي بأنه عندما استدعيت اجراء المحاكمة لاثبات تشكياتي بأوقاتها وأنا في مركزي لا يصير الاصغاء لاستدعائي هذا الحقاني وأن أتكلف لذلك الآن بعد أن عزلت. ثالثاً أن تشكياتي قد كانت لأجل وقوعات مصدرها سوء إدارة بعض المأمورين وقتئذٍ ولكونه بعد انفصال حضرة صاحب الدولة صبحي باشا وتشريف دولتكم قد تغيرت الإدارة وتحسنت المعاملة، فلا يوجد لزوم لتجديد تشكيات قد مضى أمرها رابعاً بما أن قائم مقام افندي اللاذقية بعد انفصال حضرة سلفكم قد عاهدني بحضور ذوات من وكلاء قناصل ووجوه تبعة وتجردني لإثبات تشكياتي ضده الآن يجعلني ناكثاً للعهد فلا أريد أن أكون منعوتاً بهذا النعت، وبناء على كل

ما دُكر اجتنب الآن البحث في اثبات صحة هذه التشكيكات ثانياً من جهة الموضوع الثاني الذي به تتهمني مضبطة طرابلس، تُهماً مختلفة اجيب أنني لا أعلم على أي سندٍ حقاني وأي ذمة عادلة وأي رخصة سنية جاز لمجلس طرابلس أن يتهمني بهكذا تهمٍ حال كون حب المداخلة والنفاق الذي يُقصد، التوصل للأغراض الذاتية هو لأناسٍ معلومين ومشهورين بالاسم والأعمال شرهين للاغتناء وجمع الثروة من أموال العباد وكسب الشهرة والنفوذ المتغلبين على الحق وليس هو لشخصٍ مثل هذا الحقير من جماعة الرهبان مع أنني لو كنت كما تتهمني تلك المضبطة لكنت اختار الدخول في مجلس الإدارة المحلي منذ التشكيلات للآن بصف الأعضاء الطبيعيين حيثما كان يتيسر لي المداخلة لنوال المقاصد التي تشير عنها المضبطة بخلاف أن ابقى خارج المجلس حال كوني تكلفت لذلك مراراً وأبيت القبول حباً في عدم المداخلة وأما تشكيكاتي فليست إلا ابلاغ حقيقة الأحوال لمسامع ولية نعمتنا الدولة العلية وعرض وبيان عدم مجرى الأمور طبق مرضاتها وقوانينها قياماً بفروض عبوديتي لها وإيفاءً لما تقتضيه واجبات الذمة لنحو المعابد والخوارنة الذين هم ضمن إدارتي ولنحو الشعب المنوطة بي رياسته الروحية لكي يدوم متمتعاً بنعم المعدله الملوكانية الأمر الذي بحمده تعالى وبظل العناية الشهانية كنا حاصلين عليه بواسطة اعتناء حضرة ولاة الأمور العظام المجبولين بالمرحمه نظير دولتكم والمأمورين المحليين الذين سلفوا لحين حصول تلك الوقوعات المشكي عنها، فلعل هذا الاجتناب بعدم مداخلة في المجلس لم يوجد كافياً في نظر حضرة أصحاب المضبطة لأن يقيني من تهمة حب المداخلات والمقاصد حال كونه لي مدة ثمانين سنين مطراناً في اللاذقية ولم يظهر لي ولا مقصد ذاتي أوجب تصديق أفكار الحكومة السنية. ولم يوجد أحد قط من أبناء طائفتي ارتكب شيئاً مغايراً لرضاها حتى يجوز أن أنسب لهكذا منكرات على أنني لله الحمد بسياسة ولية نعمتنا الدولة العلية قد حزت بهذه الثمانين سنين ما يجب الافتخار من التفات حضرة ولاة الأمور لنحوي لما تحققوه من صدق العبودية والحب والخلوص القلبي الذي بي لصوالح ولية نعمتنا الدولة العلية وأهل العرض عموماً وإذا كان مجلس طرابلس ينكر عليّ ذلك فحكومة الولاية التي استحصلت لي نيشان المجيديه العاليي تعرفه وبالحقيقة لو كان واقعاً فساد من طائفة الروم باللاذقية أو

كان موجوداً منها عاصٍ أو قاطع طريق أو متمرد أو أحد مشكوكٍ عليه بشيء يغيّر الرضى العاليى لكنت اسلم أنه يجوز لمجلس طرابلس أن يتهمني بتعاليم مغايرة على أنني في زمن ولاية حضرة سلف دولتكم كنت أغلب تلك المدة غائباً في انطاكية فما هي المقاصد التي كانت لي وأنا غائب ولأجل عدم رواجها تصديت هذا التصدي أو ليس أن تهمني كل هذه التهم التي لا أثر لها في الواقع أجازت لكثيرين أن يفتكروا أن ذلك مقصود به تشويش أفكار حضرة أولياء الأمور من جهتي لتكون تشكياتي غير مثمرة، فلا يعود أحد فيما بعد يجسر على التشكي من أحد المأمورين إذا خرج عن النظام، توهماً أن ذلك يرجع لحكم المأمور نفسه وعوضاً عن أن يكون المشتكي مظهرًا للانصاف يصير عرضةً للانتقام وأما استناد مضبطة اللواء على مضبطة دعاوي اللاذقية وكونها مختومة من الأعضاء المسيحيين فهذا أمر اشتهر كيف جرى، وبأي صورة حصل ولكن حيث مضى وقته وانتهى امره فلا موجب للبحث فيه. ثالثاً من جهة الموضوع الثالث الذي هو عبارة عن شهادة حكومة مركز اللواء لنفسها بالانتباه والدقة لإجراء المعدلة والقوانين السنوية إلى آخره فأني أتمنى لها كل الموفقيه في هذه النوايا الخيرية لأنها مدار الخير العمومي لكن يحق لي أن أقول عن نفسي مع الأسف أن الظاهر أن سوء حظي جعل عدم اجراء التحقيقات القانونية من طرفها على تشكياتي حاصلاً بنوع مستثنى، ولم يوهلني أن أكون مشتركاً في اقتطاف ثمرات هذه النوايا، والغاية بما أن عناية ولية نعمتنا الدولة العلية الأبدية الدوام ستستوضح حقائق الأمور بحكمة من كان نظير دولتكم من وزرائها العظام وتظهر لديها صداقة المخلصين العبودية لها حقيقةً ولكون هذا الداعي على كل حال من جملة عبيدها المواظبين على تقديم الادعية الخيرية بتأييد وتأييد شوكة واقتدار السلطنة السنوية اتجاسر بتقديم عرضالي هذا ببيان الحال وبكل الوجوه الأمر والفرمان لحضرة من له الأمر والإحسان افندم. (انتهى)

فلما اطلع الوالي على هذا الرد قال أن مطران اللاذقية لم يُعامل بالانصاف ووعدّه بالمساعدة وكان يتلطف به في كل مقابلاته معه ويكرم مثواه.

وفي هذا الأثناء جرى الانتخاب على نصف اعضاء مجلس اللاذقية حسب العادة فأنتخب اسكندر افندي شدياق عوضاً عن يوسف شرود وعلي آغا هرون عوضاً عن ولده اسعد آغا في مجلس الإدارة ومحمود آگاهرون عوضاً عن محمد افندي ازهري، وعبدالله افندي فهده عوضاً عن عبدالله افندي كومين، ويعقوف افندي ميلكون عوضاً عن حنا الطحان في مجلس الدعاوي. وفيها جرى انشاء صندوق المنافع فضربت الحكومة على كل صمد مبلغاً معلوماً ثم جمعته ليكون رأس مال للصندوق لأجل دين من يحتاج من الزراعين بفائدة 12 في المائة سنوياً. وفي شهر نيسان طرح قائم مقام اللاذقية أعشار قرى ونواحي القضاء في المزايدة، ولما كان الملتزمون في السنة السالفة قد تكبدوا خسائر باهظة، وكانت أيضاً حواصل السنة الحاضرة غير مقبلة لم يتجرأوا على ايصال بدلها إلى البدل السابق، وكانت الأوامر الوارده للقائم مقام تتضمن فيما قيل عدم تجويز تقرير التزام الأعشار ببذل انقص من بدلها السابق كأنما الأراضي مجبورة على الدوام أن تعطي حواصل لا يتسبب معها نقص واردات الأعشار السنوية فلما رأى القائم مقام عدم رغبة الملتزمين في المدينة سار إلى القرى وجعل يلزم أهالي كل قرية بأعشار قريتهم ببذلها السابق والذين كانوا يتمتعون منهم عن القبول كان يُحبسون ويُضربون حتى يقبلوا ويكتبوا على انفسهم سندات ببذل الالتزام وعلى هذه الصورة قرر التزام أكثر القرى وأصاب الأهالي من ذلك غدر جسيم ولا سيما أهالي جبل الأكراد فقدموا عرضاً إلى مجلس إدارة اللاذقية مضمونه أن القائم مقام أكرههم على التزام أعشار قراهم بقيمة باهظة وأنهم يلتمسون رفع الالتزام عنهم فطُرح عرضهم هذا في زاوية الإهمال وأرسل عضوان من قِبَل المجلس إلى الجبل المذكور ليتمما إجبار الأهالي على الالتزام ويختما منهم الصكوك فانقادوا إليهما صاغرين لعدم وجود من يأخذ بيدهم ولما هو

معلوم من أنهم إذا تشكو إلى مركزٍ أعلى يُحال عرضهم إلى القائم مقام نفسه حسب العادة فيهن عليه استحصال مضبطه من المجلس تتضمن تكذيبهم وأنهم التزموا برضاهم إلا أنهم بعد أن التزموا قصدوا العدول وتشهد له بحسن المعاملة والسلوك وقد قال القائم مقام نفسه أمامي في مجلسٍ دار فيه ذكر هذه المسئلة «أنني أمين من جهتها لأن الأهالي إذا قصدوا المحاكمة معي ينفقون من المال قبل الوصول إلى اثبات دعواهم أكثر من قيمة الاعشار التي يطلبون التخلص منها، وبما أنهم يعرفون ذلك فلا خوف من أنهم يتصدون للدعوى».

ثم في أول شهر أيار حلَّ القائم مقام المذكور في قرية البهلوية بوسيلة الالتزام وكان فيها مدرسة من قبَل المُرسلين الأميركان لتعليم أولاد أهالي القرية الذين هم من طائفة النصيرية فلما علم بها استدعى أهالي القرية وشتهم موبخاً لهم بسبب وضعهم أولادهم في تلك المدرسة، وبواسطة التهديدات حصل منهم على عرض مضمونهُ التماس ابطال المدرسة، وترحيل المعلم من قريتهم تحت جنحة أنهم لا يريدون أن يعلموا أولادهم المبادئ المسيحية حال كونهم فرقةً من الفرق الإسلامية ثم استدعى معلم المدرسة وأمره أن يبارح القرية فأجابه أنه لا يمكنه ذلك بدون إذن من رؤساء المُرسلين الأميركان في اللاذقية فأرسل القائم مقام خطاباً للمؤلف متولج قونسلاتو اميركا يطلب فيه ابطال المدرسة ورفع المعلم من القرية، وكانت نية وسعي القائم مقام متجهين لتعطيل جميع مدارس المُرسلين المفتوحة لتعليم أولاد النصيرية ليزيل أسباب دخولهم في النصرانية وكان يجتهد في أن يقنع العموم أن النصيرية هم مسلمون، وكان في قرية كيمين مدرسة أيضاً فأرسل أمراً إلى أهاليها ينهاهم فيه عن وضع أولادهم فيها كما أنه كان يحذّر جميع النصيرية الذين تحت حكمه من تعليم أولادهم في مدارس المرسلين ويتهدهم بالقصاص إذا سلكوا بالخلاف، ولما كان في تلك الأثناء قد سافر من بيروت مستر بلدوين هاي قونسلوس جنرال دولة اميركا في سورية قاصداً زيارة طرابلس واللاذقية توقف المؤلف عن مجاوبة القائم مقام حتى يحضر الجنرال لللاذقية ويعرض المسئلة له وفي 22 أيار وصل الجنرال ومعه زوجته وتجرمانه اسبر افندي شقير وكان قبل وصوله بثلاثة أيام قد أعلن المؤلف خبر قدومه إلى القائم مقام الذي

كان لم يزل في الخارج فورده منه جواب يعتذر فيه عن عدم امكان حضوره لملاقاة الجنرال، وأرسل ابراهيم افندي حكيم مدير التحريرات ليستقبله من طرفه وانفذ امراً إلى علي آغا هرون وكيله في القائم مقامية أن يرسل إلى المينا أنفار الضبطية وفرسان الحكومة لاجراء استقبال احتفالي له أما الجنرال فبعد وصوله إلى اللاذقية لم يقبل اعتذار القائم مقام لأنه كان يريد أن يجتمع به لأجل فض مسائل تختص بالأميركان وهي كسر قفل باب المقبرة الأميركية، وسرقة حجر ذي قيمة عن أحد قبورها ووقوع تعدد من قبل يوزباشي الضابطين على قواس القونسلاتو ومسئلة مدرسة البهلوية التي كانت عرضت له فبعث برسالة تلغرافية إلى والي يطلب منه فيها أن يصدر أمراً تلغرافياً إلى القائم مقام أن ينزل من الجبل لمقابلته فورده له الجواب بالايجاب ولما نزل القائم مقام اجتمعا وتفاوضا من جهة المسائل الواقعة فلم يحصل بينهما اتفاق إلا على مسئلة القواس، بأن قدّم اليوزباشي اعتذاراً للمؤلف متولج القونسلاتو بحضور الجنرال والقائم مقام وجرت مصالحة مع القواس وأما مسئلة المقبرة والمدرسة فقر القرار على مراجعة والي فيهما، على أنهما قد اتفقا من جهة المدرسة على إبقاء كل شيء على ما كان عليه ليكون العمل بحسب القرار النهائي الذي يحصل بخصوصها فيما بين والي والجنرال لكن القائم مقام بعد سفر الجنرال الذي كان في 27 أيار من اللاذقية عائداً إلى بيروت لم يثبت عند هذا الاتفاق بل استمر يسعى في تعطيل المدارس.

ولنرجع إلى ذكر ما جرى من جهة المطران فنقول أن البطريرك والوالي اتفقا على اجراء مبادلة بين المطرانين بنقل مطران اللاذقية لطرابلس ومطران طرابلس للاذقية وتقدمت الانهاء من الولاية، بذلك إلى الباب العالي أما قنصلاتو جنرالية روسيا في بيروت فأشاعت أنه صدر الأمر من الصدارة العظمى بإعادة كل من المطرانين إلى ابرشيته وأنه لذلك ينبغي أن كلاً من شعب الابرشيتين يقدم عرضاً إلى الصدارة العظمى يتضمن الشكر مع التماس عدم إنفاذ القرار الذي جرى في الولاية بالمبادلة فأرسلت جمعية مطرانخانة اللاذقية إلى الصدارة العظمى وكان يتولاها حينئذ شرواني زاده محمد رشدي باشا عرضاً تلغرافياً بتاريخ 15 نيسان باللغة التركية وهذه ترجمته.

لقد صار مسموع العبيد شر فصدور ارادة فخامتكم السامية باعادة مطراننا ملاتيوس افندي لمأموريته وبناء عليه نتجاسر بالاشتراك مع سائر ملة الروم الموجودين تحت إدارة المطران المومى إليه الروحية بعرض وإبراز شعائر عبوديتنا الحقيقية، وتشكراتنا غير المتناهية لعتبة السلطنة السنية العالية ولذات فخامتكم. على أنه قد رُوي أنه حصل الآن التصور في الشام بإجراء المبادلة في المأمورية بين المطران المومى إليه ومطران طرابلس صفرونيوس أفندي، ولما كان ذلك مغايراً تماماً لعقائدنا الدينية وقوانيننا المذهبية ولا سيما أن انفصال ملاتيوس افندي عن اللاذقية لم يكن مبنياً على جنحة سياسية أو روحية تبينت وتحققت عليه عقيب محاكمة عادلة بل انما نشأ عن نفسانيات وأغراض متحققة وكان في هذا الزمان الموسوم بالمعدلة عزل هكذا مطران غير متبين عليه جنحة ومشهود له بصدق العبودية للدولة العلية وتعيين غيره بمحلّه كما أنه مغاير للمعدلة السنية هو مخالف لآحوالنا المذهبية أيضاً فنسترحم ونستدعي من مراحم فخامتكم المساعدة بسرعة اعادة ملاتيوس افندي إلى اللاذقية مركز مأموريته الروحية لأجل عدم وقوع خلل في رسومنا وطقوسنا المذهبية، وبكل حال الأمر لفخامتكم (انتهى).

وفي أوائل أيار ورد خبر توجيه نظارة الخارجية على راشد باشا والي ولاية سورية الأسبق فسرت طائفة الروم في اللاذقية بذلك لأنه كان محباً للمطران، فقدم له المطران من الشام رسائل تهنئة كما أن جمعية مطرانخانة اللاذقية قدمت عرضين تلغرافيين له باللغة التركية أحدهما يتضمن تهنئته والآخر يتضمن التماس اعادة المطران، وهذه ترجمة الأول.

لقد صار مسموع العبيد توجيه نظارة الخارجية الجلية بهذه المرة من العواطف الملوكانية السنية لعالي عهدة حضرة خديويتكم المعظمة فمع التجاسر بتقديم التهنية والتبريك بهذا المنصب العالي نبادر لبيان كوننا في كل آن وزمان قائمين بإيفاء الدعوات الخيرية بازدياد عمر وإقبال فخامتكم وبكل حال الأمر لمن له الأمر افندي (انتهى).

وأما الثاني فهذه ترجمته

لقد وقع قبلاً انفصال داعيكم مطراننا ملاتيوس افندي وبما أن ذلك لم يكن مبنياً على

جنة روحية أو سياسة تبينت عليه عقيب محاكمة عادلة، بل إنما نشأ عن أغراض متحققة فضلاً عن أنه أوجب انكسار هؤلاء العبيد، قد وُجد من كل الوجوه مخالفاً لقوانيننا المذهبية ولما كان صدق عبودية وخلوص محبة المطران المومى إليه لولية نعمتنا بالامتنان الدولة العلية متحققين لدى فخامتكم وكان انفصاله على هذه الصورة مغايراً أيضاً للمعدلة والقوانين السنية نسترحم ونستدعي اعادته لمركز مأموريته الروحية وبكل الوجود الأمر لدولتكم.

(انتهى)

وفي تلك الاثناء ارسل الوالي في الشام نقولا افندي نقاش عضو المواردنة في مجلس تمييز الولاية إلى البطريرك يطلب منه أن يستدعي من نظارة الخارجية تلغرافياً إعادة كل من المطرانين لبرشيتيه (ولعل ذلك بإشارة من النظارة) وبعد مفاوضات طويلة حصل منه على الاستدعاء المذكور، وفي أثناء ذلك خرج من الاستانة أمر من الصدارة لوالي سورية مضمونه اجراء المبادلة بين المطرانين بناء على الانهاء الذي تقدم إليها إلا أنه بعد وصوله إلى الولاية بيومين ورد أمر تلغرافي لها من راشد باشا ناظر الخارجية مضمونه أن تتوقف عن انفاذ إجراء الأمر المار ذكره حتى يصلها أمر آخر يتضمن إعادة كل منهما إلى ابرشيتيه بناء على قرار الباب العالي وبعد أيام ورد الأمر المرقوم، وجرى اعلانه للمطرانين بواسطة البطريرك فسافر مطران اللاذقية من دمشق وجاء إلى بيروت في 21 تموز سنة 873 فكانت مدة انفصاله خمسة أشهر وفيما هو في بيروت أتاه تحرير من البطريرك مآله أن يرافق إلى مرسين المطران جرمانوس الذي سيم حديثاً مطراناً لتلك الأبرشية وأن يجتهد باسترضاء الشعب فيها لأنه كان يرفض قبوله لكون البطريرك سامه بدون انتخابه فسافر المطرانان في أوائل شهر آب من بيروت، وقدا إلى اللاذقية، وأقاما فيها مدة عشرة أيام أرسل في اثناهما مطران اللاذقية تحارير إلى وجوه الطائفة في مرسين وترسوس يخبرهم بعزمه على الإتيان إليهم مرافقاً لمطرانهم الجديد امتثالاً لأمر البطريرك ويحرضهم على قبول مطرانهم معلناً لهم أمله بأن يصادف منهم الاستقبال الباش، وعدم الخيبة فوردت الأجوبة من بعضهم تتضمن اظهار الترحب بقدمه فسار هو والمطران جرمانوس، ولما وصلا إلى مرسين سعى

المطران ملاتيوس بالقاء السلامه والوفاق وتسكين الخواطر الهائجة وحصل على رسائل من جميعهم للبطريرك تعلن قبولهم للمطران جرمانوس ثم عاد إلى اللاذقية.

وفي تلك الأثناء فُصل ابراهيم افندي قالوش من كتابة الطابو ومحمد بك اليكن من مديرية المال وعُيّن كاتباً للطابو وأعيد الياس افندي صوايا إلى مديرية المال والشيخ محمد ترك إلى كتابة مجلس الدعاوي. ولتلفت الآن إلى ذكر ما يتعلق بالراحة العمومية، فنقول أنه لما تولى صبحي باشا ولاية سورية وعُيّن حقي باشا متصرفاً لطرابلس، وصالح افندي قائم مقاماً للاذقية وألغيت التعليمات التي كانت قد أعطيت من راشد باشا الوالي الأسبق للعمل بموجبها في قضائي اللاذقية وجبله واستنشق سكان الجبال النصيرية، رائحة تغيير السياسة انتفضوا من غبار التماوت الذي نشرته عليهم اجراءات راشد باشا وابتدأوا باجراء بعض تعديلات وسرقات متفرقة لسير الأحوال فرأوا أن ليس في طريقهم مانع، ولا عائق فامتدوا في السرقة والقتل والنهب وقطع الطرق، ومداهمة قرى الساحل ليلاً وسلب ما يقع بأيديهم منها وكانت حكومة اللاذقية لا تكثرث بكلمة يقع من هذا القبيل ليس في الخارج فقط بل في نفس اللاذقية أيضاً ومما وقع في نفس اللاذقية أن رجلاً جاء إليها من مرسين بحراً ومعه امرأة وبعد خروجهما من السفينة إلى البر وقع نزاع بين الرجل والمرأة لا تُعلم أسبابه ف ضربها بجارحة كانت في يده فقتلها وفرّ هارباً ومع كون المحل الذي قتلها فيه لا يبعد سوى بعض خطوات عن مركز الضابطة لم يتبعه أحد من الضابطين ويُلق عليه القبض فنجا بنفسه من دون أن يصادف مشقة وطُمس خبر هذه الحادثة في الحكومة كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً هذا والمتصرف والقائمقام كانا يكابران ويقولان أن الراحة منتشرة في اطراف وأكناف اللاذقية. ويقترحان على المجالس اجراء مضابط شهادة ب صحة مدعاهما، والوالي صبحي باشا يؤيد هذه المدعاءات إلى الباب العالي لكي لا يُنسب هذا الاختلال لسوء سياسة وسياسة المأمورين الذين استخدمهم حتى أنه لما زار طرابلس في أواخر شهر تشرين الثاني سنة 1872 كما ذكر آنفاً، وكان أهل اللاذقية قد عيل صبرهم من انسلااب الأمانة اغتتموا فرصة غياب القائم مقام في طرابلس، وقدموا عرضاً لوكالة القائم مقامية تشكوا فيه من تمادي اختلال

الحال والتمسوا عرض ذلك للوالي املاً بأنه قد اتى طرابلس مركز اللواء فلا بد أن ينظر في مقتضيات اللواء المذكور، ووكيل القائم مقام عرض ذلك تلغرافياً للمتصرفية إلا أن عرضه لم يُلتفت إليه، وذهب على غير طائل واستمر الخلل يتضاعف والفساد ينمو وجعلت الفُتن تنتشب بين عشائر النصيرية فجرت بينهم عدة مخابرات، وعقدوا جمعيات وأغار بعضهم على بعض وقُتل في وقايح متعددة جمهورية وافرادية خمسة وعشرون نفساً، وكان اللصوص وقطاع الطرق يزدادون يوماً فيوماً، ويمتدون في سلب القرى وأبناء السبيل حتى أنهم في شهر تموز سنة 873 دهموا جماعةً ذاهبين إلى حلب بالقرب من قرية سفوبين التي تبعد نحو ساعةٍ عن اللاذقية وسلبوا منهم ما قيمته خمسة عشر ألف غرش فيما قيل، ولم يكتفوا بذلك بل صاروا يتهددون أطراف المدينة حتى أن القائم مقام صالح افندي مع كل عناده ومكابرتة التزم ذات ليلةٍ من الأسبوع نفسه أن يضع في خارج البلدة ضابطين وفرسان لأجل المحافظة وفي أوائل شهر آب دهم اللصوص ليلاً قرية جناتا وقرية ستخيرس وسلبوا منهما ما ظفروا به من الدواب، وأشهر أهالي القرية من ناحية عماره بيت الشلف السلاح على مدير الناحية ويوزباشي الفرسان اللذين توجهتا لتلك القرية لأجل جمع المال ومنعهما من دخول القرية، وكذلك أهالي قرية البلاط والليسونية من الناحية المذكورة، عاملوا الفرسان المُرسَلين من قبَل المدير واليوزباشي المذكورين نفس تلك المعاملة وصرخوا لهم بأنهم لا يدفعون شيئاً من الويركو ثم أن أهالي جبل العماره المذكور انقسموا إلى حزبين أحدهما رؤساؤه المقدم سعيد جديد، والمقدم محمد خليل والآخر مؤلف من أهالي قرية ليفين ومن ينتمي إليهم وانحاز إلى المقدم سعيد جديد وجماعته أهالي جبل القرداحة والنواصره وعين الكروم كما انحاز إلى أهالي قرية ليفين وجماعتهم أهالي دباش والجوبه من ناحية المهالبة وبيت محمد من المزيرعة ورصد كل من الفريقين الآخر للقتال، فلما رأى القائم مقام صالح افندي أن الخرق قد اتسع اتساعاً لا يمكن اخفاؤه سافر إلى طرابلس لمخابرة المتصرف في مداواة ما انتهى إليه الحال، فلم يربا بدءاً من مكاشفة الولاية بحقيقة الحوادث فقرر قرار الولاية على سوق عساكر لضرب النصيرية وفي 30/18 آب وصلت إلى جبله الباخرة العثمانية اركاديا

حاملةً المتصرف حقي باشا وطابور عساكر نظاميه مشاة تحت قيادة أمير الالاي فريديريك وكان قبل يوم ذهب إليها من اللاذقية القائم مقام صالح افندي فجرى تأليف عمدة دعيت باسم قومسيون الإصلاحات اعضاؤها علي آغاهاون وابراهيم افندي حكيم واسكندر افندي شدياق من مجلس اللاذقية، ويسين افندي علي ديب ويوسف افندي عرنوق من مجلس جبله وعُين صالح افندي قائم مقام اللاذقية مأموراً للإصلاحات ثم كُتبت أوامر إلى وجوه ومختاري جبال النصيرية تتضمن طلبهم إلى المعسكر فجاء إليه مقدموا ناحية المهالبة وبعض مقدمي القرداحة ومختارين من ساحلي بني علي والسمت قبله، وبعد أربعة أيام عاد المتصرف إلى طرابلس بالباخرة، وقبل عودته عزل رفعت بك من قائم مقامية جبله وأقام نائبها وكيلًا إلى حين تعيين قائم مقام جديد ثم انتقل قومسيون الإصلاحات مع المعسكر إلى قرية مرج معيربات في ناحية القرداحة، وقد سبق الذكر أن قائم مقام اللاذقية صالح افندي كان من مبادئ تعطيل مدارس الأميركان ففي أواخر شهر آب استدعى المعلمين الوطنيين الموجودين في مدرسة بحمرا الذين كانوا من أولاد النصيرية وتنصروا فجاء منهم إليه سليم خليفة وحسن مخلوف، ويقال له داود سليمان أيضاً ويوسف جديد وهؤلاء الثلاثة كان قد مرّ على تنصرهم أكثر من عشر سنين وبعضهم تنصّر في عهد القس لايد الإنكليزي وجاء معهم تلميذ من تلاميذ المدرسة يدعى حازماً لم يكن متنصراً فلما قابلوا القائم مقام طلب من المعلمين الثلاثة أن يرتدوا عن النصرانية فأبوا فزجرهم وشتمهم وتهدهدهم فلم يُجِدِه ذلك نفعاً فأمر بحبسهم أما التلميذ حازم فإذ به قرر بأنه ليس مسيحياً أطلقه في حال سبيله وبعد يومين ارسل المعلمين إلى جبله ومنها أرسلوا إلى دمشق حيثما أدخلوا في السلك العسكري فتدخل قنصل جنرال انكليترا وقنصل جنرال اميركا مع الوالي لأجل اطلاقهم على أنهم مسيحيون ويجب أن يُعاملوا معاملة المسيحيين فلم يفعل واجابهما أن تنصرهم لا يعفيهم من الخدمة العسكرية المفروضة عليهم لكونهم لم يؤلّدوا مسيحيين.

وفي تلك الأثناء قُبض على المقدم ابراهيم جديد من بيت الشلف إذ أتى إلى المعسكر ووضع في السجن أما أهالي النواصرة فأخلوا بيوتهم وهدموا سقوفها واختبأوا في الأحراش

والوديان ورؤوس الجبال، ولما كان مقدموا القرداحة يترددون على المعسكر طلب منهم القائم مقام أن يكتبوا على أنفسهم سنداً يتعهدون فيه بالقاء القبض على أشقياء ولصوص ناحيتهم واحضارهم للمعسكر في مدةٍ معيّنة، فأبوا إلا أنه بواسطة التهديد والتشديد عليهم اكرههم على اعطاء السند المرقوم وفي أواخر شهر ايلول إذ لم يقوموا باجراء مضمون السند القى القبض عليهم في المعسكر وسُجنوا وهم حسن الشندي وابنه واسماعيل جبور وحمود ابن اسمعيل عثمان وحسن جركس وأبو علي رحال وصافي ابراهيم الذئب، وفي أوائل تشرين الأول تعيّن عبد اللطيف افندي سلّكه، قائم مقاماً لجبله، وجاء إلى مركز مأموريته وفيه سارت فرقة من المعسكر لحرق بعض القرى، وفي أثناء مسيرها أطلقت بارودة من بعض الأعراش علامة لسكان القرى لكي يهربوا فأطلقت الفرقة الرصاص على الحرش فأصيب فتاة برصاصة في معصمها ثم داومت الفرقة مسيرها، وحرقت قريتي نينة ونينته في جبل بني علي، وقريتي القرامه، ودير حنا في ساحل القرداحة، وفيه القى المقدم محمد خير بك من المهالبة القبض على عيسى سعد وعلي السوسي، وكانا في قرية مرداش في ملزق حماه، وأتى بهما إلى المعسكر فسُجنا وكلاهما من قطاع الطرق والأول منهما اصله من قرية سقويين كان قبل سنةٍ من اهالي السكينة مقيماً في قريته فهوى احدى الفتيات وكانت مخطوبة بالاكراه إلى ابن عم لها، فاتفق معها وهرب بها إلى طرابلس حيثما اسلما وأزوجهما النائب زواجاً شرعياً، بعد أن حُكم بعدم سواغية اكراهها على الاقتران بابن عمها، ثم رجعا إلى القرية ومعهما أمر إلى حكومة اللاذقية بأن لا تدع أحداً يتعرض لهما وكان الوصول إلى هذه النتيجة قد كلف الرجل عيسى سعد مبلغاً من الدراهم استدانها من طرابلس أما حكومة اللاذقية فبواسطة المداخلات غيرت أفكار حكومة طرابلس من جهته وعملت على تخليص المرأة منه وتحصيل الدين الذي عليه في طرابلس، إذ كان صاحبه يستدعي تحصيله فلما رأى عيسى سعد هذا التعصب الجاري عليه فرّ إلى الجبل وانخرط في سلك اللصوص، وأما الثاني أي علي السوسي فهو مسلم من نفس اللاذقية خرج قبل هذا العهد بثمانين سنين، واشترك مع قطاع الطرق، ثم ألقى القبض في اللاذقية على كنجو يوسف من

مقدمي المزيعة وأشقيائها كان قد أتى إلى اللاذقية، وانتظم في سلك عسكر الرديف إذ طُلب إليه، وهذا كل ما كان يحفظه من قواعد الانقياد املاً بأنه لا يُمسك، وهو لايس لباس الرديف فأخرج من طابور الرديف ووضعه في السجن وفي أثناء ذلك قامت فرقة العساكر قاصدة النواصره، وأتى لمعاونة العساكر رجال المهالبة وعمامرتها وساحل بني علي الذين هم اعداء النواصره ومظهرون الانقياد للحكومة فوصل رجال المهالبة قبل غيرهم فقابلوهم أهل النواصره بالسلاح، والتحم القتال بين الفريقين فقتل من رجال المهالبة بعض أنفار أما فرقة العساكر ففيما كانت سائرة صادفت ثلاثة رجال في الطريق فقبضت عليهم فادعوا انهم من ساحل بني علي فوعدوا بالإطلاق إذا تحقق مدعاهم ثم سيقوا مع المعسكر وفي أثناء الطريق قالوا للقائم مقام ورؤساء العساكر أن هنا طريقاً أقرب إلى النواصره من هذه الطريق إذا شتتم نكون لكم ادلاءً فيها فصدقوهم واتخذوهم ادلاءً وقللوا من التحفظ عليهم ظناً بأنهم حقيقةً من ساحل بني علي فلما قطعوا مسافةً دخلوا في مسالك ضيقة وعسره ورأوا هنا وادياً عميقاً أما الأدلاء الثلاثة فلما وصلوا إلى هناك القوا بأنفسهم في طريق الوادي طالبين الفرار فتبعهم انفار من العساكر واطلقوا عليهم الرصاص وما زالوا يركضون في أثرهم حتى بلغوا أسفل الوادي، فرأوا عدداً كثيراً من الماشية والدواب والأمتعة مخبأة فيه فتبعهم بقية العساكر وأخذوا تلك الموجودات غنيمةً، واطلقوا الرصاص على من وجدوه هناك ثم لازموا مسيرهم حتى انتهوا إلى النواصره حيثما كانت المعركة منتشية بين أهلها ورجال المهالبة كما مر فلما وصلت العساكر النظامية هربت أهالي النواصره، فأحرقت بقايا قراهم وأغتنتم ما وُجد فيها ثم أحرقت العساكر قرية بشلاما في القرداحة واغتنتم اسلابها وبعد رجوع الفرقة إلى مركز المعسكر اطلق القائم مقام حمود بن اسمعيل عثمان احد مقدمي القرداحة، وبعد أيام اطلق أيضاً صافي ابراهيم الذئب وفي 30/18 تشرين اول سنة 1873 عاد القائم مقام مع المأمورين الذين معه وفرقة العساكر إلى اللاذقية ومعهم المقبوض عليهم المار ذكرهم فحبسوا في اللاذقية وانحلت مأمورية الإصلاحات وكان تأثيرها في الجبال قليلاً وكان جملة من قُتل في هذه الاجراءات من النصيرية نحو ثلاثين نفساً في المعارك وغيرها.

وفيها تعين الخواجه شارل بجوسوزكي وكيلاً لقوصلاتو دولة اسبانيا خلفاً للخواجه مرسى ابراهيم الذي توفي سنة 1872 الماضية.

وفيها في 20/8 كانون الأول توفي كنج آغاهاون بداء السكتة وقد ذكرنا بعضاً من اخباره قبل الحكومة المصرية وبعدها.

وفي 24/12 الشهر المذكور عاد من اميركا الدكتور داود مثنى وقد سيم فيها قسيساً فبعد رجوعه إلى اللاذقية استمر متقلداً وظيفة القنصلية أيضاً.

وفي هذه السنة وضعت الحكومة المصرية رسماً على التبغ الذي يدخل إلى القطر المصري، عشرين غرشاً على الأقة وعينت يوماً معلوماً لبداءة أخذ هذا الرسم فاجتهد تجار اللاذقية وشحنوا كل التبغ الذي كان عندهم بظرف أيام قليلة فبلغ إلى القطر المصري قبل اليوم المعين لأخذ الرسم وأملوا فيه بأرباح وافرة على أنهم ضعف أملهم بإمكان المتاجرة بالصنف المذكور في المستقبل. ثم دخلت سنة 1874 وكان الشتاء قاسياً والأمطار غزيرة فسدت الطرق وقُلَّ وارد الحبوب من جهة ولاية حلب، وارتفعت أسعارها فبلغت كيلة الحنطة إلى 53 غرشاً والشعير إلى 35 غرشاً ولقلة الاشغال تكاثر عدد المحتاجين والفقراء في المدينة واشتدت الفاقة في الجبال فكان أكثر أهاليها يقتاتون بالنبات ولما أتلّفهُ سقوط الثلج نزل كثيرون منهم إلى السواحل ليرعوا في السهول وكثيرون نزحوا إلى جهاتٍ أخرى ومن أسباب ارتفاع أسعار الغلال إلى هذه الدرجة في اللاذقية طمع بعض أهاليها الذين افضى بهم أخيراً إلى الندم فإن الأهالي اشعروا منذ شهر أيلول سلفاً بما سيحل في المدينة من الاحتياج إذا دام شحن الغلال منها فأقلقهم ذلك فمنعت الحكومة المحلية الشحن ولو دام هذا المنع لبقى في اللاذقية كفاءتها ولدامت الأسعار بدرجة معتدلة لكن بعض أصحاب الغلال تداخلوا في الحكومة وأعادوا الرخصة بالشحن، وبظرف مدةٍ قصيرة فرغت المدينة من الغلال وأصبحت مفتقرة لورود القمح إليها من ولاية حلب على أن الذين اجتهدوا بشحن الحبوب التي كانت عندهم لو أبقوها وباعوها أخيراً في نفس اللاذقية لحصلوا منها على أضعاف الفائدة التي حصلوا عليها بواسطة شحنها. هذا وقد كثر موت المواشي

في الجبال لقلّة المرعى وشدة البرد ووحوش البرية وطيور السماء لم تنتفع بجيفها لأن الفلاحين من رجال ونساء وأولاد كانوا يطردون النسور عنها والغربان ليغتذوا بلحمها وقد كثر بيع النصيرية أولادهم في هذه المدة وكثيرون منهم كانوا يسوقون أولادهم كقطيع الغنم إلى أسواق جبله (لعدم تمكنهم من أن يبيعوهم في اللاذقية) ويعرضونهم للبيع فكانت الفتاة تُباع بمايتي غرش فنازلاً ولأجل التخلص من مسؤولية الحكومة كان البيع يتم بموجب حجة شرعية مضمونها أن أب الفتاة أو عمها أو أحد قومها آجرها مدة ثلاثين سنة بمبلغ كذا وكذا. أما المزروعات فقد تلف منها كثير بالأمطار والثلوج.

وفيها قُتل يوسف العشي ترجمان قونسلاتو ايتاليا وذلك انه كان في قرية حريصون التابعة لقضاء جبله حيثما له حصة ملك ففي ذات ليلة عند ختام السهرة خرج من البيت الذي ينام فيه ليقضي حاجةً وفيما هو في الباب أطلق عليه الرصاص من الخارج فأصيب بثلاث رصاصات وقُتل لساعته فوراً من الوالي بالتلغراف إلى صالح افندي قائم مقام اللاذقية بأن يذهب إلى القرية ويجري البحث والتحقيق عن القاتل وكانت الشبهة متجهة على عرب الملك الذين هم في جوار القرية المذكورة لعداوة كانت بينهم وبينه سببها أن دوابهم كانت في إحدى السنين السالفة أطلقت على مزروعات قرية حريصون ورعت منها جانباً ففتح عليهم يوسف عشي الدعوى وحصل على أوامر بتحصيل نحو خمسين ألف غرش تعويضاً عما أتلفته ورعت الدواب وحصلها منهم فترجح في الأفكار أنهم هم الذين قتلوه انتقاماً ولما كان العرب المذكورون من المسلمين تعصب لهم صالح افندي قائم مقام اللاذقية وقصد تبرئتهم مجتهداً بالقاء التهمة على بعض النصيرية والنصارى لا بل على بطرس العشي عم المقتول وكان يضرب ليلاً بعض المحبوسين تحت الشبهة من النصيرية لكي يشهدوا زوراً بأن عمه المذكور عقد روابط مع البعض على قتله وكان الخواجه يعقوب شدياق ترجمان فرنسا موجوداً في القرية معتمداً من قبل قونسلاتو ايتاليا في التحقيق فلما رأى تعصب القائم مقام وسمع بما كان يجريه في الليل بقصد القاء التهمة على عم المقتول عاد إلى اللاذقية وأقام الحجة على أعمال القائم مقام فعرض الخواجه ادولف جفروا وكيل قنصل

إيطاليا إلى القونصل الجنرال واقعة الحال، فصدر أمر الولاية بفصل صالح افندي قائم مقام اللاذقية من مأمورية التحقيق وجرى تعيين قومسيون مخصوص مؤلف من خليل افندي الغر احد اعضاء مجلس بيروت، واسكندر افندي دحداح كاتب محكمة تجارتها السابق من قبل الولاية، وانطون افندي خلاط قنصل إيطاليا في صيدا من قبل القونسلاتو الجنرالية فقدموا إلى جبله واستأنفوا رؤية وفحص المسئلة ابتدائياً صارفين النظر عن الاستنطاقات التي أجراها صالح افندي فوقعت الشبهة على عرب الملك وقُبض على عشرة أسخاص منهم وهم الذين ظهرت الجناية عليهم في درجة الثبوت وسُجنوا في جبله ثم أرسلوا إلى طرابلس ووضَعوا في سجنها. وفي هذه الاثناء عُزل حقي باشا عن متصرفية طرابلس وكان مذموم السياسة متغلباً فُسِّرَ الأهليون بعزله وخلفه مصطفى ضيا افندي.

وفي شهر نيسان صدر أمر الدولة بحصر التبغ فجرى حصره في اللاذقية بأن عُيِّن محل واحد لهرمه تحت مناظرة إدارة الرسومات وحُصرت فيه مهارم البلدة، وفُرض على كل إنسان اشترى تبغاً من الزَّرَّاع أن يدفع على كل اقة منه خمسة غروش حين ادخاله للبلدة وإذا اراد هرمه يدفع على كل اقة ثلاثة غروش عدا اجرة الهرم فيَصْرُ بعد هرمه بأوراقٍ مخصوصة ويختتم عليها وله حينئذٍ أن يبيع الأقة منه بسعر 25 غرشاً فنازلاً وكل من يبيع أو يشرب تبغاً غير مصرورٍ بالورق المخصوص يؤخذ منه جزاء نقدي وأما الذي يريد أن يرسله لمدينةٍ أخرى من البلاد العثمانية بدون هرم برسم التجاره، فليس عليه أن يدفع سوى خمسة غروش على الأقة ويتعهد بموجب صكٍ أنه يدفع الثلاثة غروش رسم الهرم في المدينة المرسل إليها، ويستحضر اعلاماً من إدارة رسومات تلك المدينة بذلك ثم أرسل مأمورون من قبل إدارة الرسومات ليخمنوا التبغ الموجود في القرى والجبال، ويقيده في دفاتر مخصوصه موضحين فيها اسم كل إنسان من الزَّرَّاع عنده تبغ ومقدار ما عنده فيخمنونه وهو مزروع ثم يخمنونه بعد قطفه اخضر وبعد يبسه أيضاً وكل ما بيع شيء منه للتجار، وجب على بائعه أن يقرر عنه لإدارة الرسومات لكي تطرحه مما هو مقيّد على اسمه حتى إذا انتهى بيع ما عنده

فإن زاد أو نقص عما هو مخمَّن عليه عومل معاملة مهزَّب لما زاد أو نقص، فازداد بذلك ضعف رغبة الفلاحين في زرعهِ وبعضهم قلع ما كان قد زرعه.

وفيها صدر أمر اللدولة بأن يُضاف ربع عشر أيضاً إلى العشر الذي يؤخذ من حواصل البلاد، فطاف صالح افندي القائم مقام النواحي والقرى وألزم أهاليها كرهاً بالتزام العشر وربع العشر على معدل البدلات السابقة كما فعل في السنة السالفة، فكان ذلك ضربةً ثانيةً للأهالي تابعةً لضربة وجوع وضيق الشتاء الماضي.

وفيها أخلي سبيل المحبوسين من النصيرية في اللاذقية الذين قبض عليهم وقت الاجراءات كما ذكر في أخبار السنة الماضية.

وفيها حوّلت حكومة سورية تحصيل البقايا إلى مأموري العسكرية فضيَّق ضباط العساكر في اللاذقية على الأهالي بطلبها وحصلوا منهم جانباً من بقايا الأموال القديمة العهد.

وفيها في شهر آب عُزل محمد سعيد افندي نائب اللاذقية وخلفه علي رضى افندي من الأتراك، وفي شهر أيلول عُزل محمد صالح افندي قائم مقام اللاذقية فُسِّر الأهلون بعزله لأنه كان مُبغضاً من جميع الطوائف حتى من المسلمين أنفسهم مع كل تعصبه ضد النصارى لأنه كان ذميم الخلق متكبراً مع أنه وضع النسب وكانت ايام حكمته أياماً ثقيلة على الأهالي ولا سيما الفلاحين، لأنه سبب لهم أضرار وخسائر وافرة بواسطة اجباره اياهم على التزام أعشار قراهم كما مرَّ والخلاصة انه لم يتعيَّن على اللاذقية مذ عهد الحكومة المصرية حاكم اضرَّ الاهالي اضراراً عامة أدبية ومادية فأصبح مُبغضاً منهم نظيره فإنه أوصل اللاذقية وملحقاتها إلى حافة الخراب بسوء سياسته ثم خلفه في قائم مقامية اللاذقية ناجم افندي ولدى استلامه زمام الأحكام فيها سلك مسلكاً مغايراً المسلك صالح افندي فاستبشر الأهلون بسياسة حسنة في أيامه.

وفيها في شهر تشرين الأول هرب من معسكر دمشق يوسف جبور وسليم خليفه تلميذا الأميركان المتنصران وعادا إلى القرداحة وأما رفيقهما سليمان داود فإنه أُرسل إلى معسكر الاستانة. فأرسلت الحكومة فرقةً من العساكر إلى جهة القرداحة فدخلت دار مدرسة

بحمرأ وقبضت على يوسف جبور وسليم خليفة ثانيةً مع ثلاثة تلاميذ غيرهما وأدخلتهم في العسكرية وادعى يعقوب جريديني معلم تلك المدرسة أن العساكر نهبوا من المدرسة بعض أمتعة فقدم اميركان اللاذقية الشكاية إلى سفارة دولتهم في الاستانة فأرسلت السفارة ترجمانها إلى اللاذقية للتحقيق وكذلك حكومة الولاية أرسلت من قبلها أحد البكباشي مأموراً للتحقيق وكان كل من المأمورين منفرداً عن الآخر وذلك أنهما لم يُرسلا معاً ليُجرى التحقيق بالاشتراك بل كان كل منهما مأموراً من قبل متبوعه ليُجري التحقيق على حدته فتوجه ترجمان السفارة ومعه الخواجه داود مثنيني قنسلوس اميركا في اللاذقية إلى قرية بحمرأ وأخذ استنطاق معلم المدرسة وأجرى بعض تحقيقات، وبعد عودته توجه البكباشي واستنطق المعلم وقيل أنه وقع تناقض في استنطاق المعلم فإنه فهم من جهة الاميركان أنه قرر إلى ترجمان السفارة أن العساكر دخلوا جبراً إلى دار المدرسة وأهانوا امرأته وكسروا بعض الأبواب حتى قبضوا على الأشخاص وسلبوا بعض أمتعة وفهم من طرف البكباشي أن المعلم قرر له أن العساكر لم يدخلوا إلا بأذنه ولم يجروا تعدياً ولا سلباً ثم سافر كل من الترجمان والبكباشي من اللاذقية عائداً إلى مركزه.

ثم دخلت سنة 1875 وفيها في شهر اذار قدم إلى اللاذقية مصطفى ضيا افندي متصرف اللواء وأقام بعض أيام وفي اثناء اقامته عزل محمد صالح افندي صوفي من كتابة مجلس دعاوي وعيّن مكانه علي افندي شومان ثم عاد إلى طرابلس، وفي اثناء ذلك عزل عبداللطيف افندي سلّكه من قائم مقامية جبله وخلفه أحمد نوري افندي.

وفيها كثرت تعديات النصيرية أهالي قضاء جبله فانتشرت لصوصهم في الطرق وقتلوا عدة مسافرين منهم اثنان من أهالي نفس جبله قتلوهما في الطريق التي بين اللاذقية وجبله على بُعد قليل من جبله واخذوا فرسيهما وامتعتهما وآخر وُجد مقتولاً على الطريق من جهة طرابلس في مكانٍ يبعد ساعتين عن جبله يدعى المنشحة بين قريتي حريصون وعرب الملك فسار من اللاذقية في شهر حزيران ثابت افندي بكباشي الطليعة الشاهانية ومعه ثلاثة بلوكات من العساكر إلى جبله، وبعد وصوله بيوم قدم إليها من طرابلس طابور اغاسي اللواء ومعه

فرسان وقدم منها أيضاً يوزباشي فرسان الدراغون ومعه أربعون فارساً وجرى القاء القبض على اسمعيل جبور وعثمان مخلوف وهما في جبله كما أن رستم آغا خزندار وكيل مدير القرداحه القى القبض على علي العده أحد الأتقياء وأتى به إلى المعسكر وهو من سكان جبل النواصرة ومشهور بقطع الطرق وقتل النفوس وبلاستنطاق قرر عن قاتلي المقتولين اللذين وُجدا في طريق اللاذقية، وأنهم من أهالي ناحية القرداحه وأنه سمع ذلك من القاتلين أنفسهم مع أنه قد قرر أنه كان معهم وأن الفرسين اللذين أخذوهما من المقتولين مع باقي الأمتعة هي موجودة عند علي شله من أهالي عين الكروم الواقعة في جبال القرداحه من الجهة الشرقية التابعة لمتصرفية حماه، ثم صار تشكيل قومسيون في المعسكر وتوجه من اللاذقية علي آغاهرون لينتظم في سلك اعضائه واستمر المعسكر والقومسيون في جبله بقصد استحصال الراحة بواسطة التدابير السياسية إذ لم يكن مأذوناً للعساكر باستعمال السلاح وفي أثناء ذلك هرب المسجونون في اللاذقية من السجن بواسطة خرقهم أحد جدرانهم وكان في جملتهم الذين قبض عليهم من النصيرية في العام السابق وجماعة من قاتلي النفوس وقطاع الطرق نصيريه وصهاونه فكان ذلك سبباً لتعطيل تدابير القومسيون لأن الذين كانوا يترددون إلى المعسكر من النصيرية انقطعوا عن التردد خوفاً من أن يُطلب منهم تسليم الهاربين من السجن من جماعتهم.

وفي السنة المذكورة ظهر الهواء الأصفر في سورية وكانت بداية ظهوره في مدينة حماه في شهر أيار ثم امتد إلى دمشق وانطاكيه وانتشر في أكثر مدن سورية وأول ظهوره في قضاء اللاذقية كان في قرية الحفه من ناحية صهيون اتى به إليها جماعة من أهلها كانوا في أذنه وعادوا عن طريق انطاكيه فنقلوا معهم البواء منها إلى قريتهم ففتك فيها فتكاً ذريعاً وامتد إلى بعض القرى المجاورة لها ثم سرى إلى اللاذقية بواسطة امرأة صهيونية جاءت إليها مصابةً به فماتت بأثر وصولها للمدينة وكان ذلك في 19 تموز ومن ثم أخذ ينتشر فيها على أن تأثيره كان خفيفاً فإن المصابين به يومياً كانوا من 5 إلى 10 انفس والمتوفين من ثلاثة إلى 5 أنفس وأياماً نادرة كان المتوفون 10 أنفس فصاعداً كما أنه في بعض الأيام لم يتوف أحد ولدى

ظهوره فرَّ أكثر اعيان المسيحيين إلى القرى وتبعهم بالتدريج كل مَنْ كان منهم له اقتدار على الفرار حتى بلغ مجموع الخارجين من المدينة نحو مائة وأربعين عائلة، وأما المسلمون فلم يبارح أحد منهم المدينة إلّا النادر. أما وسائط التحفظ فلم يصِرَ التشبث بشيء منها من طرف أرباب حكومة من اللاذقية إلّا تكلفاً مع أن قومسيون الصحة في سورية ارسل طبيباً من الأروام إلى اللاذقية لأجل معالجة المصابين واعطائهم الأدوية مجاناً من طرف الحكومة إلّا أن هذا الطبيب وُجد عديم النفع لأنه لم يكن يذهب لمعاينة المصابين بل كان يصف لهم العلاجات عن بُعد وبعد اقامته في اللاذقية بعض أيام توجه إلى جبله لأجل معالجة المصابين فيها لأن الهواء الأصفر كان قد ظهر فيها بشدة فكان المتوفون به فيها من 15 نفساً إلى 25 يومياً، وهرب كثيرون من أهلها إلى اللاذقية فاضطر المعسكر والقومسيون المنعقد فيها إلى مبارحتها والعودة إلى اللاذقية فانحل بذلك مشروع الإصلاحات.

وفي السنة المذكورة حوّلت الدولة الاعانة التي هي على الرؤوس إلى ويركو على الأملاك وعينت مأمورين في كل جهة من بلادها دعتهم مأموري التحرير لأجل توزيع مال الإعانة على الأملاك والأراضي فجاء جماعة منهم إلى اللاذقية وشرعوا في إجراء مأموريتهم في قرى الساحل، والنواحي حتى انتهوا إلى قرية الجنجينية في جبل عمامرة بيت الشلف في شهر آب وبعد أن فرغوا من تحرير أراضيها وأملاكها تأهبوا للانتقال إلى غيرها فلم يجدوا في القرية دواب لأجل تحميل امتعتهم فحملوها على ظهور الرجال والنساء، وكان بين الأمتعة صندوق ثقيل لم يقتدر حامله على حمله فوضعه من على ظهره فجاء أحد مأموري التحرير وسبّه فقابله الفلاح بالسب فضربه المأمور فقابله بالضرب أيضاً فعظم ذلك عند المأمورين وعادوا إلى اللاذقية وقدموا الشكوى على أهالي الجنجينية بأنهم صدّوهم عن إجراء مأموريتهم وعاملوهم بالاهانة والضرب والطرْد وبالغوا في تشكياتهم مبالغة تستدعي نسبة الاهالي إلى العصيان وخرق شأن الحكومة فسارت في أول شهر أيلول فرقة العساكر الموجودة في اللاذقية مع بيكباشيها ثابت أفندي، وقائمقام اللاذقية ناجم أفندي إلى تلك الناحية ونصبوا خيام الإقامة في قرية المزيرعة، وقدم أيضاً نحو مائة فارس من الدراغون من طرابلس وانضموا إلى تلك الفرقة ثم جرى استدعاء المقدم محمد خليل وصقر عروس وابن

المقدم سعيد جديد وهم رؤساء أهالي عمامرة بيت الشلف، وارسل الشيخ سعيد قسمين أحد مشايخ الطائفة الكلزية إليهم فجاءوا بواسطته إلى المعسكر ولدى وصولهم وُضعت القيود في أرجلهم وحُبسوا ولما كان بنو محمد مقدموا المزيرعة اعداءً لأهالي العمامرة كانوا يتربصون الوسائل لزيادة الأضرار بهم فطلب ذات يوم فرسان الدراغون تبناً لعلف دوابهم فاغتنم بنو محمد الفرصة وسار منهم كنجو يوسف بثلاثة فرسان من الدراغون إلى قرية الجنجينية لجلب تبن منها وشرعوا يفتشون البيوت بطلبه وانفرد أحد الفوارس فلقى امرأة من نساء القرية على حدة فأمسك بها قاصداً وطئها فصدته عن نفسها، وصاحت تستغيث بأهل القرية فبادروا لاغاثتها ودفعوه عنها فأفضى الحال بينه وبينهم إلى المضاربة ثم علم بالخبر الفارسان الآخران وكنجو يوسف فتراكضوا وانتصروا لذلك الفارس ثم عادوا جميعاً إلى المعسكر وتشكوا أن أهالي تلك القرية صدوهم عن أخذ التبن وطردوهم بالاهانة والضرب واشهار السلاح وكنموا قضية تصدي الفارس للمرأة فنهضت شزيمة من العساكر المشاة وفرسان الدراغون واتجهوا مع القائم مقام إلى قرية الجنجينية، ومعهم بنو محمد مقدموا المزيرعة فأطلقوا عليها الرصاص فقابلهم أهلها بالمثل معتذرين أنهم يرومون الانتقام من بني محمد لا مقاومة العساكر فهجم العساكر والفرسان عليهم وشتتوا شملهم وأحرقوا تلك القرية وقريةً أخرى مجاورة لها تُدعى امبرانو فخرجت نساء القريتين بأولادهن مذعوراتٍ وهارباتٍ من نيران الحريق وتراكضن تائهاتٍ في الجبال والأودية بحالةٍ يرثى لها وقيل أن بعض النساء احترقن مع أولادهن ضمن البيوت ثم نهب العسكر موجودات القريتين وساقوا مواشيها إلى المعسكر وعوضاً عن أن يصير بيع المنهوبات والمواشي وتوريد قيمتها إلى صندوق الحكومة تقاسمها القائم مقام والضباط والعساكر واشترك أهالي النواحي الأخرى بنهب ما سلم من أيدي العساكر في القريتين.

وفي هذه الأثناء عزل أحمد نوري افندي من قائم مقامية جبله وخلفه خليل بك الاسعد وهو من طائفة المتاوله من بلاد بشاره.

وفي أثناء ذلك مات نحو سبعة أشخاص في قرية المزيرعة بعارضٍ يشابه عارض الهواء الأصفر فانتقل المعسكر منها إلى قرية حبيت ثم عاد إلى اللاذقية وبقي القائم مقام ومعه

بعض المأمورين في قرية حبيت بقصد تحصيل المال أياماً.

وفي أوائل شهر أيلول انقطع الهواء الأصفر من اللاذقية وجبله بعد أن استمر فيهما نحو خمسين يوماً والذين ماتوا به فيهما وفي قرى ناحية صهيون والقرى القليلة التي امتد إليها في قضاء جبله لا يكادون يبلغون ألف نفس، وبعد انقطاعه بعشرة أيام شرع الذين خرجوا من اللاذقية في الرجوع إليها بالتتابع.

وفي أواسط شهر تشرين الأول ظهر الهواء الأصفر في قرية بسنادا التي تبعد نحو ساعة عن اللاذقية. واستمر فيها بعض أيام مات في أثنائها بضعة أشخاص في القرية.

وفي 27 من الشهر المذكور تلي في دار حكومة اللاذقية أمر سامٍ وارد من مقام الصدارة العظمى مبني على إرادة شاهانيه بأن يُعفى أهالي المملكة من دفع كل البقايا المجمعة لغاية سنة 289 هجرية (سنة 1872 مسيحية) ما خلا الأغنياء فلا يُعفون من دفعها، وبأن يُرفع عن أهل الزراعة حالاً ربع العشر الذي أضيف إلى العشر في السنة الماضية وكان صدور هذا الأمر بمدة صدارة محمود نديم باشا الثانية فإنه كان قد أعيد إلى هذا المسند منذ نحو شهرين بأثر ظهور عصيان على الدولة في الهرسك من ولاية بوسنه وسلك مسلكاً ممدوحاً مغايراً لسلوكه بمدة صدارته الأولى، ثم تلي أمر آخر وارد من ولاية سورية أبطلت فيه حكومة الولاية المذكورة جزءاً عظيماً من حكم أمر الصدارة إذا استحسنت أن السماح بربع العشر ينبغي أن يكون في هذه السنة محصوراً بالقرى التي ما جرت إحالتها إلى ملتزمين وبقيت أمانةً تحت إدارة الحكومة وأما القرى التي جرت إحالتها إلى ملتزمين فلكي لا يحصل تشويش في القيود ينبغي أن لا يشملها هذا الإعفاء فكان هذا القرار الجاري في الولاية مضرراً بنوعٍ خصوصي لأصحاب الزراعة في قضاء اللاذقية لأن أكثر القرى التي جرت إحالتها إلى ملتزمين أحيلت إلى أهاليها ببدلٍ هو نحو ضعف بدلاتها المعتدلة، وذلك بواسطة الجبر والاكراه اللذين اقتفى فيهما ناجم افندي القائم مقام أثر سلفه صالح افندي فتعاقب هذا العمل أربع سنوات متوالية قد تكبد به الفلاحون خسائر باهظة جعلتهم تحت ديون ثقله للحكومة والتجار، وطرحتهم في حضيض الفقر والفاقة وكثيرون منهم نزحوا من قراهم إلى

قضاواتٍ أخرى حتى أن بعض القرى نزح سكانها أجمعون لعدم استطاعتهم على القيام بهذا العبء الثقيل علاوة على الأموال الأخرى، وطمع وجور خيالة الحكومة ومأموري المساحة وتحرير الأملاك وغيرهم من مأموري الحكومة تاركين أراضيهم وبيوتهم خاوية خالية. على أن أهالي المحلات التي بقيت أعشارها تحت إدارة الحكومة لم يكونوا أسعد حالاً من أولئك لأن الحكومة خَمَّنت عليهم حاصلات أراضيهم تخميناً جائراً وسعرت عليهم تلك الحاصلات بزيادة نحو ثلث قيمتها المعتدلة بقصد الاستيلاء على أثمانها عوضاً عن أن تستولي عليها عيناً فربع العشر الذي أعفتهم من اعطائه ظاهراً قد أخذت منهم خفياً أكثر منه بواسطة الزيادة في التخمين والسعر.

وفي أوائل شهر تشرين الثاني عُزل ناجم افندي من قائم مقامية اللادقية وخلفه مصطفى أفندي، وهو الذي سبقت له القائم مقامية المذكورة سنة 1868، ووصل إلى المدينة في 8 من الشهر المرقوم ومع أنه طاعن في السن وقليل الاستعداد سر الأهليون بتعيينه وعزل ناجم افندي الذي بعد أن استقر في المأمورية خاب فيه الأمل، فإنه حول كل اهتمامه إلى تحصيل منافعه الخصوصية، وفتح للرشوة كيساً أوسع من أن يقبل الامتلاء وتنافر مع أعضاء المجالس، وباقى مأموري الحكومة المحلية وكانت أكثر اعماله مبنيةً على الأغراض ومن مضاره تهافته على احراق قريتي الجنجينية وامبرانو بدون داعٍ حقيقي حباباً بالسلب والأغنام.

وفي 12 من الشهر المذكور قدم إلى اللادقية بطريق البر ابراهيم حقي باشا متصرف اللواء، وكان قد خلف منذ أشهر مصطفى ضيا افندي المتصرف السابق وأقام فيها خمسة أيام قُدِّمَ له في اثنائها مضبطة من مجلس إدارة اللادقية تتضمن التماس عزل الشيخ محمد الترك كاتب المجلس بناءً على عدم استقامته وعدم قيامه بحق مأموريته فأعطى امراً بعزله وتعيين علي افندي مفتي الذي كان رئيس المجلس البلدي وهو ابن اخي مصطفى افندي مفتي اللادقية مكانه وتعيين محمد صالح صوفي رئيساً للمجلس البلدي ثم ارسل قومسيوناً مؤلفاً من اسمعيل افندي صالح واسكندر افندي شدياق من اعضاء مجلس الإدارة ونوري افندي مأمور الأعشار (وكان قد قدم حديثاً من الاستانة لأجل إدارة الاعشار التي بقيت أمانةً)

إلى جبل عمامرة بيت الشلف لاجراء التحقيق عن مسئلة احراق الجنجينية وامبرانو وفي 17 من الشهر المرقوم قام من اللاذقية راجعاً إلى طرابلس بطريق البر وثاني يوم سفره عاد أعضاء القومسيون المار ذكره من الجبل وبعثوا إليه بمضبطة إلى جبله تتضمن بيان تحقيقاتهم وتلخيصها أن ناجم افندي أحرق تينك القريتين وألقى اهاليهما في التعاسة والشقاء وأضاع أموالهما الأميرية لمجرد تحصيل النفع لنفسه من السلب والاعتنام.

وفي هذه الأثناء ظهر الهواء الأصفر في قرية كرسانا واستمر فيها أياماً مات به فيها بضعة أشخاص ثم انقطع من قضاء اللاذقية.

ثم خُتِمت سنة 1875 وكانت سنة شديدة في اللاذقية وجميع لوائها الملغى من جراء كساد التجارة وقلة الأشغال وزد على ذلك اخطار البواء، ومع أنه كان كل شيء فيها رخيصاً كان الضيق شاملاً جميع أهل اللواء لقلّة النقود وتضييق الحكومة بطلب الأموال الأميرية وغدرها الزراع بطلب الأعشار.

ثم دخلت سنة 1876 وفيها في شهر كانون الثاني قدم إلى اللاذقية اميرالاي الضابطة في ولاية سورية مرسلاً من قبل الوالي لأجل تحقيق دعاوي أهالي ناحية البوجاق على أسعد آغاهاون وأحمد آغاخضر بني علي آغاهاون فأنتهم اشتكوا عليهما إلى الباب العالي بأنهما في كل سنة يلتزمان اعشار ناحيتهما وبسطوة أبيهما الموجود عضواً في مجلس إدارة اللاذقية قد جعلاً دأبهما ظلم الأهالي وضربهم وربطهم بالشجر وتعذيبهم بعذابات مختلفة حتى لم يبق لهم احتمال ولا اقتدار، وكانوا قد اشتكوا في العام الماضي عليهما إلى الولاية، وقدم عارف آغا ابن محمد آغا شريف آغا من قرية الأوردي وكيلاً عنهم وجرت المرافعة بين الفريقين في مجلس دعاوي اللاذقية إلا أنه في أثناء المرافعة سعى البعض بمصالحتهما، واذ رأى عارف آغا أن سطوة بني هرون ونفوذهم يصدان اظهار الحق قبل بالمصالحة على شرط أن بني هارون يكفون عن التزام أعشار البوجاق غير أن هذا الشرط لم يتم لأنهم التزموا في هذه السنة أيضاً أعشار الناحية المرقومة وسار أحمد آغا خضر إليها وسلّك مع الأهالي حسب عادته فجاء ذات يوم عارف آغا من قرية الأوردي ومعه رجال مسلحون إلى القرية

التي اتخذها أحمد آغا خضر مركزاً له فلم يجده فأحرق خيمته وضرب مَنْ وجده من اتباعه ثم رفع أهالي البوجاق تشكياتهم على أحمد آغا إلى الباب العالي كما مرَّ فصدر من الصدارة العظمى امر تلغرافي إلى قائم مقام الجسر أن يسير بنفسه إلى البوجاق ويؤذن للأهالي بنقل حواصلهم من البيادر بعد كيلها وقيد أعشارها في دفتر لتُعطى إلى بني هارون على موجبهِ وكذلك صدر أمرها إلى ولاية سورية بارسال مأمور مخصوص لاجراء تحقيق دعاوي الأهالي فأرسلت الأميرالي المار ذكره وأرسل معه من المتصرفية محمود افندي المغربي مفتي جبله وغب وصولهما إلى اللاذقية سارا إلى البوجاق ومعهما ابراهيم افندي حكيم كاتب تحريرات اللاذقية وبعد أن أقاموا فيها أياماً اكتسبوا فيها معلوماتٍ تؤيد دعوى الأهالي على بني هرون حسن محمد افندي المغربي للأميرالي أن يعود إلى اللاذقية ويجري المحاكمة فيها وكان مقصوده مساعدة بني هرون فعادوا إليها وعقد الأميرالي مجلس المحاكمة وشرع الأهالي يصدرون دعاويهم فظهر منها للأميرالي تغلب بني هرون وإيقن بظلمهم للأهالي فجذَّ في اجراء التدقيق والتحقيق باعتناء تام لإظهار الحق وعدم إخفاء الحقائق واذا علم أن بني هرون، ساعون برد اصحاب الدعاوي بواسطة التهديد والتهويل وبالمداخلة مع الشهود وأصحاب المعلومات لمنعهم عن أداء الشهادة حنق جداً وندم على عدم جعله المحاكمة في نفس ناحية البوجاق لزيادة تأمين الأهالي وعدم ترك مجال لبني هرون لانفاذ مقاصدهم ثم سار إلى البوجاق ومعه علي رضى افندي نائب اللاذقية ومحمود افندي المغربي لتأكيد تحقيق بعض الدعاوي وأقام فيها يومين ثم عاد إلى اللاذقية وسافر منها فوراً لمقابلة الوالي قبل اكمال المحاكمة.

وفي الشهر المذكور أيضاً شوهذ ذات صباح باب كنيسة ماري جاورجيوس ملطوخاً بالغائط وهي المرة الثالثة فأبلغ المطران ملاتيوس الخبر إلى الحكومة فأظهر القائم مقام أسفه وعقد مجلساً للبحث عن مرتكبي هذا الفعل إلا أن المجلس تراخى بعد انفضاض تلك الجلسة، وفي اليوم التالي اصبحت هذه الحادثة عند الحكومة كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً.

وفيه سار جمهور من قرية بابنا مسلحين إلى قرية الحفه وكلتا القريتين من ناحية

صهيون وطفقوا يضربون بخناجرهم رجلاً يُدعى محمد رستم قاصدين قتله فإنه كان قد قتل احد أهالي بابنا وبعد أن سُجن بسبب ذلك في اللاذقية فرَّ مع الهاريين من السجن في السنة الماضية، ثم اجتمع أهالي الحفة ودفعوهم عنه بعد أن أثخنوه بالجراح وتركوه على آخر فسحة وجرحوا امرأته أيضاً إذ قصدت المحاماة عنه واذ بلغ ذلك حكومة اللاذقية طلبت إلى قائم مقامية جبله ارسال عشرة أنفار من الضابطه لقله ضابطيتها ثم أرسلت مع عشرة أنفار آخرين من قائم مقامية اللاذقية مصحوبين باسمعيل افندي صالح أحد أعضاء مجلس الإدارة إلى ناحية صهيون لحسم النزاع. فلما وصل العضو المومى إليه ومعهُ أنفار الضابطه اجتهد باعادة الهدوء على قدر الامكان وكتب سنداتٍ بين الفريقين بكفالات مضمونها التعهد بعدم وقوع أمور مغايرة من أحد الطرفين في الاستقبال.

ويوم الخميس في 5 شباط تُلّي في القشلة العسكرية بحضور جمهور غفير فرمان الإصلاح وهو فرمان صدر مؤخراً بقصد ترضية نصارى الهرسك الثائرين يتضمن تأكيد مساواة المسيحيين بالمسلمين ويحتوي على عدة اصلاحات من جملتها أن جميع الدعاوي التي تتكون بين الطوائف المسلمة وغير المسلمة ينبغي أن تُرى في المجالس النظاميه فقط وهذا أحسن ما في فرمان المذكور لجهة المسيحيين ومنها أن اعضاء المجالس يجب أن يكون انتخابهم من طرف الأهالي من غير أن يكون تحت تأثير نفوذ الحكومة وذلك بأن تنتخب الأهالي بدون مداخله الحكومة مثلي العدد المعين للعضوية وتعلن اسماءهم للحكومة فتختار الحكومة نصفهم وتعينهم اعضاء مع مراعاة المساواة أي أن يكون نصفهم مسلمين والنصف الآخر غير مسلمين، ومنها اعفاء من تجاوز سن الأربعين ومَن لم يبلغ سن العشرين من العمر من المسيحيين وباقي الطوائف غير المسلمة من مال العسكرية إلا أن ذلك مشروط فيه عدم نقص المال المرتب الأصلي أي بأن يتوزع المال جميعه على الأشخاص الذين بين سن العشرين والأربعين فقط فهذه المنحة احزنت المسيحيين إذ اعتبروها مصيبة لا منحه.

وثاني يوم تلاوة فرمان وزعت تعليمات انتخاب الأعضاء على الأهالي لينتخبوا على موجبها.

وفي الشهر المذكور ورد تلغراف من المتصرفية عن أمر الولاية مضمونه أن يصير عزل علي آغا هرون من مجلس الإدارة وابن أخيه محمود آغا هرون من مجلس الدعاوي وكل من في المجالس من اقربائهم والمنسويين إليهم وبموجبه جرى عزل المومى إليهما وعزل صهرهما اسمعيل افندي صالح من مجلس الإدارة والحاج محمد آغا هرون من مجلس المنافع. وفيه عرفت الحكومة المحلية الخواجه جرجي مرقص وكيلاً لقونسلاتو دولة روسيا في اللاذقية عن أمر الصدارة العظمى.

وفي 26 شباط قدم إلى اللاذقية بطريق البر ابراهيم باشا متصرف طرابلس ومعه درويش افندي شنبور احد أعضاء مجلس إدارة اللواء وفي 28 منه عاد ألي الضابطة بطريق البر أيضاً وكان قدوم المتصرف والأميرالي لأجل اكمال تحقيقات دعاوي أهالي البوجاق على بني هارون فتعصب المتصرف لبني هرون بواسطة درويش افندي شنبور ولم يعتمد على تحقيقات الأميرالي ولا أنتظر قدوم أصحاب الدعاوي وقيام المحاكمة بل أجرى مضبطة ببراءة بني هرون وبطلان دعاوي البوجاقيين عليهم وسافر من اللاذقية في 3 اذار راجعاً إلى طرابلس بحراً وتواتر أن بني هرون بذلوا في سبيل الوصول إلى هذه النتيجة اربعمائة ليرة، واللّه سبحانه وتعالى اعلم بالحقيقة. وكذلك في اليوم ذاته، سافر الأميرالي عائداً إلى مركز الولاية مغتاضاً من اجراءات المتصرف.

وفي 7 اذار قدم من الاستانه بحراً أمير الأمراء عبد الحليم باشا متعيناً قائم مقاماً عوضاً عن مصطفى افندي ولبث في المدينة لتعبه من السفر نظراً لشيخوخته فانه كان طاعناً في السن أكثر من سلفه وأرسل ابنه إلى الولاية لأجل تبديل أمر مأموريته كالعادة. وفيها في أواسط شهر اذار اتهم قبريل افندي كركجيان أمين صندوق الرسومات باللاذقية وهو أرمني كاثوليكي بغدادي الأصل بأنه قذف بنبي الإسلام وأنه سمعه من بستان قريب من بيته رجلان من ديدبانية الرسومات. ورجلان آخران جميعهم من المسلمين. وبالنظر إلى بُعد المسافة التي بين المكان الذي كان هؤلاء الرجال جالسين فيه من البستان وبين البيت يتعسر

تصديق هذه التهمة لعدم امكان تمييز صوت المتكلم وكلامه من أحد المكانين إلى الآخر وبناء على ذلك وعلى ما بين قبريل افندي المذكور وبين عبد القادر نجا مدير الرسومات من بغضاء ترجح عند المسيحيين في اللاذقية أن المدير المذكور عمل له هذه المكيدة وعلم الديدبانية ان يتهموه هذه التهمة ثم اشاعها فهاج بسببها المسلمون وعقدوا اجتماعات في بيوت بعض وجوههم وتجمع كثيرون منهم جماهير في السوق قاصدين قتل قبريل افندي وقدم بعضهم عرضاً إلى القائم مقام حليم باشا يطلبون فيه قصاص الرجل وعضد هذا الطلب بعض وجوه المشايخ الذين اجتمعوا بالقائم مقام، وكان القائم مقام رجلاً طاعناً في السن لا يدري كيف يتصرف في هذه المسئلة وصار بعض جهلة المسلمين يمرون جماهير في حارات النصارى ويتهددونهم بمذبحة عمومية فخاف النصارى من اتساع الخرق وخشوا غائلة هذا الهياج واختبأ قبريل افندي في بيته واعتراه خوف شديد طرحه في الفراش فأرسلت الحكومة بطلبه فاعتذر بالمرض خوفاً من أن يُقتل في السوق واستدعى الخواجه ادولف جفروا قونسلوس فرنسا والخواجه نقولا ويتالي قونسلوس انكليترا طالباً حمايتهما ووقايتهم من القتل فذهب إليه وسكناً روعه وأرسل الخواجه جفروا رسلاً إلى الشيخ عبد القادر طويل أكبر مشايخ اللاذقية يطلب إليه اخماد هياج المسلمين المخطر على عموم مسيحيي البلدة وسار الخواجه ويتالي إلى ثابت افندي بكباشي العساكر وأخبره بالخطر الواقع وطلب مداخلته فأجابه إلى ذلك فوراً وسار إلى بيت مصطفى افندي المفتي حيثما كان جمهور من المشايخ مجتمعين يهيج بعضهم بعضاً وحذرهم من الإخلال بالراحة من إلحاق أدنى ضرر بالمسيحيين وأنذرهم بسوء العاقبة وهذّدهم بأنه يؤمر العساكر أن تفتك بهم إذا اضرّوا بالمسيحيين ثم ارسلت الحكومة سليم آغا يوزباشي الضابطة مع عبدالله افندي فهذه عضو الروم في مجلس دعاوي مرافقين ببعض أنفار الضابطة إلى بيت قبريل افندي فأخذوه إلى دار الحكومة فوضع في مكان منفرد تحت الحجز أما القناصل في اللاذقية فلما رأوا ذلك الهياج اجتمعوا جميعاً وبعث كل منهم برسالةٍ تلغرافية إلى قنصله الجنرال في بيروت يخبره بالواقع والجنرال به خبروا الوالي بذلك وجرت المخابره التلغرافية بين الولاية والمتصرفية

والقائم مقاميه بهذا الشأن فقر فيها القرار على ارسال قبريل افندي إلى طرابلس تحت الحفظ بعد أخذ استنطاقه فأخذ استنطاقه ليلاً واستنطاق الشهود الذين وُجِدَتْ في شهادتهم مباينه كافية لظهور بطلان الدعوى، وبعد يومين أرسل بالوابور المسكوبي إلى طرابلس وبعد أن سافر الوابور، وقطع مسافة قصيرة عن مرسى اللاذقية انتهت حيوة قبريل افندي المذكور بالغرق قيل أن احد نفرى الضابطه اللذين كانا يرافقانه دفعه من عن جانب الوابور إلى البحر على حين غفلة منه وقيل لا بل هو طرح نفسه وترجح القول الثاني من أخبار قبطان الوابور وبعض ركابه وفي مساء اليوم الثالث ظهرت جثته على الشاطئ بجانب مصب النهر الكبير فنزع بعض المسلمين الثياب عنها وتركوا الجثة عريانة فأرسلت الحكومة رجالاً من الضابطة وجاءوا بها إلى المدينة وفتيان المسلمين يزفونها بالشتائم واللعنات واهانة النصرانية إلى قرب المدينة ثم ادخل رجال الضابطة الجثة إلى المدينة ودفعوها إلى بادري اللاتين فدفت في مقبرتهم. وبعد ذلك بيومين قدم ابراهيم حقي باشا متصرف اللواء من طرابلس إلى اللاذقية ببارجة عثمانية تُدعى بيروت بناء على طلب القناصل الجنرالية إلى الوالي أن يصلح الحال في اللاذقية ويجري تأديب مسببي هذه الحركة من المسلمين لازالة خوف النصارى من مكاييد كهذه فأقام المتصرف في اللاذقية نحو اسبوعين جمع في أثنائها وجوه المسلمين ثلاث مراتٍ سرّاً قيل وكدرهم وطلب منهم رؤساء المهيجين فأنكروا حصول هياج ثم استدعى وجوه النصارى فذهب إليه منهم جبرائيل افندي عطاالله وعبدالله افندي كومين وميخائيل افندي سعاد، ومؤلف هذا التاريخ وطيب خواطرهم وطلب إليهم بأن يسكنوا روع باقي المسيحيين ويعدوهم من قبله بأنه سيجري في هذه المسئلة ما يتكفل بوقايتهم في المستقبل غير أن اجراءاته انحصرت جميعها بالقول، ولم يبرز شيء منها إلى الفعل وكانت مقرونةً بالتكلف والتظاهر بأنه لم يقع شيء موجب لحدوث ما حدث من الخوف عند المسيحيين واستمر مدة عشرة أيام على هذه الحالة وفي آخر الأمر استحضر الحج ابراهيم الصوفي الذي كان رأس المهيجين واستنطقه واكتفى بانكاره أنه بريء أما والي الولاية حمدي باشا فإذ لم يقف على نتيجة من أعمال المتصرف ارسل إلى اللاذقية أحمد شكري افندي قائم مقام

البقاع مأموراً مخصوماً مصحوباً ببيورلدي منه فوض إليه فيه إجراء كل ما يراه ضرورياً للإصلاح ولما وصل أحمد شكري افندي اجتمع بالمتصرف وقر رأيهما على تبديل مدير الرسومات عبدالقادر افندي نجا وحليم باشا قائم مقام اللاذقية ونقل الشهود الذين شهدوا على قبريل افندي إلى طرابلس وعرضا ذلك للوالي فورد الأمر الجوابي بالايجاب وبتعيين أحمد شكري افندي نفسه قائم مقاماً للاذقية. وفي أثناء ذلك تم انتخاب أعضاء المجالس للاذقية توفيقاً للتعليمات الجديدة فعُين في مجلس الإدارة محمود آغا خزنة دار ومحمود آغا هرون من المسلمين وانطانيوس افندي سعادة كومين من الروم واسكندر افندي شدياق من الموارنة وفي مجلس الدعاوي الشيخ عبدالرحمن افندي طويل من الإسلام ومؤلف هذا التاريخ من الروم ويعقوب افندي ميلكون من الأرمن والشيخ سليمان حاتم من النصيرية وكان من فرقة الحيدرية المعروفة بالشمالية وكانت فرقة الكلازية تطلب تعيين عضوٍ منها في مجلس الإدارة فلم يستحسن المتصرف ذلك لكنه أمر النائب علي رضا افندي فأخبر الشيخ سعيد قسمين المنتخب من الفرقة الكلازية أنه عين عضواً اضافياً في مجلس الدعاوي على أن معاش الشيخ سليمان حاتم يُقسَم بينهما مناصفة لكنه لم يُعطَ بيورلدي من المتصرف بتعيينه كالعادة غير أن النائب اعطاه ورقة بامضائه وختمه بما قاله له عن أمر المتصرف.

وفي 28 نيسان سافر من اللاذقية إلى طرابلس من أعضاء مجلسي الإدارة والدعاوي الشيخ عبدالرحمن الطويل واسكندر افندي شدياق والشيخ سليمان حاتم بالاصالة عن أنفسهم وبالنيابة عن باقي الاعضاء لأجل انتخاب أعضاء مجلس اللواء حسب التعليمات الجديدة وسافر أيضاً مدير المال لأجل المحاسبة السنوية وكان في أوائل شهر نيسان قد سافر المتصرف بحراً في زورق عائداً إلى طرابلس، وأخذ معه مدير الرسومات عبدالقادر افندي نجا والشهود الذين شهدوا على الطرف وفي هذه الاثناء ورد أمر تلغرافي من المتصرف إلى القائم مقام بأن يعترف الشيخ سعيد قسمين عضواً اضافياً في مجلس الدعاوي وأن يخصم معاشه من معاش باقي الأعضاء فاعترض العضوان المسيحيان على ذلك واخبرا القائم مقام بأنه إذا اصر المتصرف على هذا الأمر ترفع الطوائف المسيحية القضية إلى المقامات

الأعلى وتلتمس مراعاة المساواة في عدد الأعضاء أي بأن لا يزيد عدد المسلمين منهم على المسيحيين (فأن النصيرية معتبرون رسمياً من المسلمين) تطبيقاً للتعليمات فاستدعى القائم مقام الياس افندي صوايا إلى مركز التلغراف، وخابره في ذلك وطلب إليه أن يراجع المتصرف ويفهمه تشكي العضوين المسيحيين ففعل فشعر المتصرف بغلظه وعدل عن رأيه بذلك.

وفي يوم الثلاثاء ثامن عشر شهر ايار الساعة من النهار مرَّ أمر تلغرافي من صدره العظمى إلى الولاية الجليلة مضمونه أنه في صباح ذلك اليوم جرى خلع السلطان عبدالعزيز بالاتفاق العمومي وجلس السلطان مراد ابن السلطان عبد المجيد وفي الساعة 10 من النهار المذكور ورد الأمر الرسمي بذلك من الولاية الجليلة إلى حكومة اللاذقية وفي اليوم التالي الساعة 1 من النهار تُليت في القشاله العسكرية صورة الأمر التلغرافي المذكور بحضور أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية وثابت افندي بكباشي العساكر، وكامل افندي بكباشي الرديف وسائر المأمورين والعلماء والرؤساء الروحيين والأعيان وجمهور غفير من الأهليين وبعد تلاوته تُليت خطب وأدعية للسلطان مراد وهتفت العساكر بالدعاء له ثلاثاً حسب العادة واطلق 21 مدفعاً وعند المساء اقيمت زينة في القشلة ودار الحكومة وباقي المدينة واجتمع في القشلة القائم مقام والضباط العسكرية والمأمورون والأعيان وبعض قناصل الدُول وصرفوا فيها السهرة على نغمات الألحان وجرى في أثنائها الشنك (اي اطلاق البارود بهيئة متواصلة) من طرف طابور العساكر الذي كانت بلوكاته مصطفة على سطوح القشله الفسيحه واطلقت السهام والألعاب النارية ثم استمرت الزينة ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ وكانت المدافع تطلق كل يوم في الأوقات الخمسة كل مرة واحداً وعشرين مدفعاً وقد سرَّ هذا التغيير جمهور المأمورين الملكية والضباط العسكرية والأهليين. وفي 8 حزيران سار أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية مصحوباً بنحو اربعمائة عسكري تحت قيادة ثابت افندي البكباشي ومع الياس افندي صوايا مدير المال ومحمود آغا خزندار من أعضاء مجلس الإدارة وحلّوا في قرية حبيت من ناحية بيت الشلف لأجل التحصيلات والإصلاحات نظراً لوقوع الاختلال

في الجبال وانتشار اللصوص ولا سيما الصهاونه واضرارهم بآبناء السبيل وقرى الساحل وتماديهم في السرقة والسلب وأقيم كامل افندي بكباشي الرديف وكيلاً للقائم مقام في المدينة.

وفي أواخر حزيران وردت أوامر الدولة بجمع عساكر الرديف نظراً لهجوم عساكر السرب والجبل الأسود على المملكة فُجِّع من قضاء اللاذقية طابور ومن قضاء جبله طابور وسافر طابور اللاذقية في 25 تموز مع كامل افندي البكباشي ومَن كان معه من الضباط على البارجة المسماة مدار توفيق ذاهبين إلى ساحة القتال وكان فيهم نحو 200 نفساً من نفس اللاذقية عدا الذين دفعوا البدل النقدي وقدره خمسين ليرة عثمانية والذين قدموا بدلاً شخصياً وأما طابور جبله فسافر في 8 آب.

ومن أوائل تموز رقي ثابت افندي بكباشي طابور العساكر إلى رتبة قائم مقام عسكرية وتحول مركزه إلى اليمين وعين مكانه في بكباشية الطابور عثمان افندي وهو من الجركس، وقدم إلى اللاذقية في 7 تموز وسار إلى المعسكر في قرية حبيت. وفي الشهر المذكور قدم إلى اللاذقية بكباشي يدعى أحمد افندي مع ضباط للرديف عوض الضباط الذين كانوا فيها، وذهبوا مع الطابور الذي جُمع منها وفيه انتهت مدة علي رضا افندي نائب اللاذقية وعُيِّن مكانه محمد صلاح افندي من أهالي نابلس فبعث بعباس افندي الحسيني النابلسي وكيلاً عنه فقدم إلى اللاذقية في 20 تموز.

وفي 23 تموز قامت العساكر من قرية حبيت فجاء منهم ثلاثة بلوكات مع البكباشي عثمان افندي إلى اللاذقية وذهب بلوكان إلى جبله وكانت اقامتهم في حبيت مقصورة على شيء زهيد من الأموال الأميرية ولم ينجم عنها شيء من الإصلاح.

وفي 12 آب قدم إلى اللاذقية نائبها محمد صلاح افندي واستلم زمام مأمورية وفي 19 منه ورد إليها الخبر رسمياً بخلع السلطان مراد الخامس بسبب اختلال طراً على عقله وجلس أخيه السلطان عبدالحميد الثاني ابن السلطان عبدالحميد فزينت دار الحكومة والعسكرية ثلاث ليالٍ ومن الغريب أنه لم يكن سرور الناس في جلوسه كسرورهم في جلوس أخيه السلطان مراد مع أنه ليس من سبب ظاهر لذلك.

وفيه سافر أحمد شكري افندي القائم مقام إلى دمشق بالرخصة وأقام وكيلاً عنه بمدة غيابه محمود آغا خزندار وبعد غيابٍ عشرين يوماً عاد إلى اللاذقية. وفي شهر أيلول هجم أهالي قريتي نينه ونيته على ناحية المهالبة ونهبوا منها دواب ومواشي واختلت أحوال الجبال وكثر انتشار اللصوص والسرقات وتخلف سكان الجبال عن أداء الأموال الأميرية مع شدة مضايقة الحكومة واحتياجها للمال فسار طابور العساكر الموجود في اللاذقية وجبله إلى ناحية بني علي وأقام في قرية طبرجه وحضر إليه قائم مقام العساكر من طرابلس وانضم إليه أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية و خليل بك الاسعد قائم مقام جبله فتألف منهم ومن عثمان افندي بكباشي العساكر قومسيون اصلاحات ولما كان اهالي كلماخو قد اعترضوا أهالي نيته ونينة اثناء رجوعهم وأخذوا منهم الدواب والمواشي فأعاد القومسيون تلك المسلوبات إلى أصحابها وكان أهالي القرداحة قد سلبوا بعض مزروعات لأهالي جبله فأعادها إلى اربابها أيضاً ثم انقطع عن الإصلاحات إلى تحصيل الأموال الأميرية على أنه لم يتمكن من تحصيل ما يستحق الذكر لأن أهل الجبال أصبحوا لا يهابون مجرد حلول العساكر في قرية من قراهم ولم تنقطع التعديات والسرقات من النواحي الأخرى، وبعد أن قامت العساكر نحو شهر عادت إلى مراكزها في جبله واللاذقية.

وفي شهر تشرين الأول سافر أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية بالرخصة إلى دمشق قاصداً الذهاب إلى الاستانة فجاء من طرابلس وكيلاً عنه ممتاز أفندي، وهو من حاشية المتصرف شاكر بك واستمر في الوكالة نحو شهر ونصف مهتماً بتحصيل الأموال الأميرية وكان قد ورد أمر بجمع الصنف الثاني والثالث من الرديف فصار الشروع بذلك وتجمع عدد وافر منه في المدينة وجاء من طرابلس نحو مائة نفر من الجندرمه بقصد تهديد الجبال لتكاثر الاختلال فيها وتمنع أهلها عن أداء الأموال وتقديم انفار الرديف فكان اجتماع هذه العساكر القليلة الضبط والانتظام سبباً لتحذر النصارى من وقوع تعديات منها عليهم وخصوصاً نظراً لعدم التفات ممتاز افندي وكيل القائم مقام لأمر المحافظة فكتب بعض القناصل إلى الجنرالات في بيروت، والظاهر أن بعض الجنرالات اخطر ناشد باشا والي الولاية، وكان إذ ذاك في عكا فأصدر أمراً تلغرافياً إلى أحمد شكري افندي، وكان في

بيروت مضمونه أن يصرف النظر عن السفر إلى الاستانة ويعود إلى اللاذقية فعاد إليها واعتنى بحفظ الراحة وفي أثناء ذلك عادت العساكر الجندرمه إلى طرابلس مع أن طلوع معسكر إلى الجبال كان في غاية اللزوم.

وفي هذه الاثناء عُزل خليل بك الأسعد من قائم مقامية جبله وعُين مكانه نجاتي افندي من الأتراك.

أما حال تجارة المدينة في سنة 1876 فكانت في غاية التأخر ولا سيما تجارة التبغ فإن الجانب الأكبر منه أُرسِل إلى ليقربول بانكليتره والجانب الأقل إلى القطر المصري وكلاهما لم يثمر ربحاً وكذلك أرباب الزراعة فيها لم يكونوا أحسن حظاً من أرباب التجارة فإن أسعار المحصولات كانت رخيصة جداً ومع رخصها كان الناس في شدة زائدة وذلك بسبب قلة النقود وعدم وجود أسباب للمعاش وزد على ذلك المضايقة التي أجرتها الحكومة على الأهلين بتحصيل الأموال الأميرية والضرائب غير الاعتيادية التي وضعتها اعانةً للخزينة ولعساكر الرديف بسبب ارتباك الدولة في عصيان البوسنة والهرسك ومحاربة السرب والجبل الاسود وضيقها المالي وغاية ما يقال أن السنة المرقومة كانت سنة شدة على أهل اللاذقية.

ثم دخلت سنة 1877 وكانت أحوال الجبال قد ازدادت اختلالاً وانتشرت اللصوص في كل جهة من الطرق وكثر عوثرهم في قرى الساحل وتعددهم على ابناء السبيل حتى كاد الأمن يفقد تماماً وامتنع أهل الجبال عن أداء الأموال الأميرية والأنفار المطلوبة منهم من عساكر الرديف فسيق في أواخر شهر شباط نحو أربعماية عسكري من طابور الطليعة المقيم في اللاذقية ومايتي نفر من عسكر رديف جبله وانضم إليهم بلوك جندرمه قدم من طرابلس وتوجهوا إلى ناحية بيت الشلف تحت رئاسة أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية وقيادة علي بك قائم مقام العسكرية وقومندان موقع طرابلس وحلوا في قرية ديفه وأقيم محمود آغا خزندار وكيلاً للقائم مقام بمدة غيابه.

وفي مساء 29 أيار قدم من الاستانة الفرقاطه العثمانية خداوندكار لنقل طابور الصنف الثاني من الرديف وسافرت في 30 منه بالطابور المرقوم قاصدةً عكا ويافا لنقل من فيهما من

عساكر الرديف.

وفي هذه الأثناء طُلب نجاتي افندي قائم مقام جبله إلى الشام وقدم إلى جبله مصطفى آغا كركوتلي من أهالي الشام وكيلاً للقائم مقامية بمدة غيابيه وأقام نحو شهر ثم عاد نجاتي افندي ورجع مصطفى آغا إلى طرابلس وفي 13 نيسان ورد الخبر باشهار الحرب من طرف الدولة الروسية على الدولة العثمانية وثاني يوم ورود الخبر قامت العساكر من قرية ديفه وعاد قسم منها إلى اللاذقية وقسم إلى جبله ولم يجرِ بمدة اقامتها في الجبل شيء من الإصلاحات سوى تحصيل مقدار قليل من الأموال الأميرية من قرى ساحل بيت الشلف على أن هذه لا يُعدُّ من الإصلاحات فأخبار الحرب ونزول العساكر من الجبل بدون اجراءات قد زاد غرور أهل الجبال ولم تمض أيام قليلة حتى تضاعف شرهم وفسادهم وصار المسلمون في البر يتعدون على النصارى الذين بينهم فذهبوا في جهة المرقب بعض قرى المسيحيين وقتلوا منهم في قرية الدوير شخصين وجرحوا ثمانية اشخاص فذهب قائم مقام جبله إلى ناحية المرقب مصحوباً بنحو مائة نفر من العساكر وأقام نحو اسبوع فكف المتعدون عن تعديهم فاكتفى القائم مقام بذلك ولم يعتنِ بالبحث عن التحذيات السابقة وبمسك أهلها ومجازاتهم بل تحامل على المسيحيين وعاد إلى جبله بدون أن يجري شيئاً لراحتهم وكانت سياسة الحكومة متجهة إلى أن تنسب هذا التعدي إلى النصيرية لا إلى المسلمين مع أن النصيرية في قضاءي جبله واللاذقية لم يكونوا يتعدون على المسيحيين وكان مسيحيو قرى المزيرعة ودباس وحبيت القاطنون بين النصيريه حاصلين في هذه المدة على تمام الراحة بخلاف مسيحيي المرقب وصهيون وكنسبا في جبل الأكراد القاطنين بين المسلمين فأنهم كانوا في ذلٍ واضطهاد ولم يكونوا آمنين على أموالهم وموجوداتهم، أما في المدينة فابتدأ الخوف بعد إشهار الحرب يلمُ بالمسيحيين من تعصب المسلمين على أنه لم يبدُ من المسلمين تعدّ ظاهر عليهم والحكومة كانت معتنية بحفظ الراحة تبعاً للأوامر التي كانت ترد إليها من الاستانة غير أن الأهليين عموماً في قضاءي اللاذقية وجبله كانوا في ضيق مالي شديد من جراء محل المواسم وانتشار الجراد وأكله أكثر المزروعات الصيفية ثم استفحل امر اشقياء النواصره والقرداحة فصاروا يغيرون جماهير على قرى الساحل ويسلبون ما وقع بيدهم منها

وأغاروا مرةً على قرية ستمرخو التي تبعد نحو ساعتين ونصف عن اللاذقية وسلبوا ماشيتها وأبقارها وأكثر ما في بيوت أهلها فعظم هذا الحال عند أهل اللاذقية وصاروا في خوفٍ على ماشيتهم وأبقارهم التي في قرى الساحل حتى جعل بعضهم يحضر كل ليلةٍ ما له من ذلك في القرى إلى المدينة ويبيتُهُ فيها ثم عرضوا هذه الحالة تلغرافياً إلى المتصرفية في طرابلس كما أن مجلس إدارة اللاذقية عرض لها الأمر بمضبطه تلغرافية فجاء الوعد بسوق العساكر لاصلاح الحال وبأثر ذلك جرى عزل قائم مقام اللاذقية أحمد شكري افندي وعين مكانه مصطفى آغا كركوتلي ثم ورد أمر إلى بكباشي طابور الرديف الثالث في اللاذقية بأن يذهب بما جمع عنده من افراد الطابور إلى طرابلس فسافروا ببخرة فرنسوية وكانوا نحو ثلثمائة نفر حيث لم تتمكن الحكومة من جمع بقية الطابور نظراً لعصيان الجبال وفي 27 أيار وصل مصطفى آغا كركوتلي إلى اللاذقية واستلم إدارة القائم مقامية وقام من طرابلس إلى جبله بلوكان من عساكر الطليعة تمة الطابور الموجود في اللاذقية وجبله فقداً جبله مع نحو خمسين سوارى دراغون بقصد ضرب الجبال لكن لم يكادوا يصلون إلى جبله حتى ورد امر تلغرافي من مشيرية الأوردي في دمشق إلى عثمان افندي بكباشي الطابور المرقوم بأن يتجهز للسفر إلى طرابلس لينتقل إلى الاستانه على البارجه التي ستقدم إليها لنقله فكتبت حكومة اللاذقية إلى المتصرفية تلتمس ابقاء الطابور وإلا فيفسد حال القضاء تماماً فلم يُقبَل هذه الالتماس وانما أعيد إلى اللاذقية وجبله طابور رديف الصنف الثالث ليقوم مقام العساكر الطليعه وسافر طابور الطليعه إلى طرابلس براً في آخر أيار وفي أول حزيران وصل إلى اللاذقية طابور الصنف الثالث من الرديف وشاكر بك متصرف اللواء وقدم من جانب الولايه رفعت بك قائم مقام البقاع مأموراً لتحقيق أحوال جبال النصيريه وهو الذي سبقت له القائم مقاميه في جبله وفي 4 منه سافر شاكر بك ورفعت بك إلى جبله بعد أن أخذ رفعت بك استنطاق أهل ستمرخو واستقصى منهم عن منهوباتهم وفي أثناء ذلك عزل نجاتي افندي من قائم مقامية جبله وعين مكانه رفعت بك المذكور وبعد أن أقام شاكر بك اربعة أيام في جبله جاءته أخبار اختلاف وقع في قضاء صافيتا بتعدي النصيرية فيه على المسيحيين ونهبهم قريتين لهم فعاد إلى اللاذقية وسافر منها راجعاً إلى طرابلس. وفيه وردت أوامر الدولة بطلب

ثلاثين ألف فارس من ولايات آسيا يجهزون على نفقة الأهلين إلى حين وصولهم إلى دار الحرب في أرضروم حيثما يعطون بنادق من طرف الحكومة وأنه خص ولاية سورية من ذلك ثلاثة آلاف فارس وجرى توزيعها على ألوية وأقضية الولاية فخص قضاء اللاذقية مائة وثمانين فارساً وقضاء جبلة أقل من هذا العدد، ومما خص قضاء اللاذقية أصاب نفس المدينة خمسة وأربعون فارساً منها ستة وثلاثون على المسلمين وتسعة على المسيحيين وأن الأهلين مخيرون أما أن يقدموا ذلك اشخاصاً مجهزة بالخيول والعدة ما عدا البنادق أو يدفعوا بدلاً نقدياً عن كل فارس الفين وخمسمائة غرش قوائم نقدية (وهي أوراق طبعتها الدولة في هذه السنة لتتداول بمقام النقود) فكان ما قيمته مائة غرش منها يساوي ما بين الستين والخمسة والسبعين ثم تنازلت أسعارها بعد ذلك إلى قيمة دنيئة جداً حتى كانت قيمة المائة غرشاً منها لا تكاد تساوي اثني عشر غرشاً (من النقود) وكذلك وردت أوراق إعانه حربية الزامية ثلثها بقيمة عشرة غروش الورقة والثلث بقيمة عشرين غرشاً لتؤخذ من كل شخص من ابن خمس عشرة سنة إلى ابن ثمانين، ولما كان العدد الذي أرسل من هذه الأوراق أكثر من عدد النفوس المكلفه لذلك أعلنت الأوامر المرافقة لها أن الزيادة تُطرح على الأغنياء وأصحاب الثروة فثقل ذلك جملاً على أهل اللاذقية بالنظر إلى مضايقتهم المالية واحتياج أكثرهم إلى القوات الضروري.

وفيه أغارت اشقياء القرداحة والنواصرة وفي رأسهم صافي ابراهيم الدين احد مقدمي القرداحة على قريتي ستخريس واليغنصه من الساحل وسلبوا ماشيتهما وامتنعة سكانهما فاتخذ رفعت بك قائم مقام جبلة التدابير السلمية مع المتقدمين وارجع أكثر المسلوبات بالحسنى لعدم وجود قوة عنده ثم أن أهل المهالبة الذين هم شماليه على مذهب نصيرية الساحل تهددوا أهل القرداحة بمعارضتهم إذا عادوا إلى نهب قرى الساحل فعاهدوهم على الانكفاف. وفي شهر تموز قتل مسلمو قرية منجيلا التابعة ناحية صهيون ابن ابراهيم عجيب من نصيرية قرية ديفه التابعة ناحية بيت الشلف بينما كان مع رفقاء له في أراضي تلك القرية قيل لأجل السلب ثم خاف أهل منجيلا العاقبة وهربوا منها بعد أن نقلوا امتعتهم وموجوداتهم فجاءت عشيرة القتييل واحرقوا بعض بيوتها فخاف جميع أهل ناحية صهيون من اغارة

نصيرية بيت الشلف عليهم لأجل دم القتيل فاستنفروا أهل الإسلام من نواحي جبل الأكراد والباطر والبوجاق وقضاء جسر الشغور فنصروهم وتجمع منهم في صهيون جمع غفير وتحزب أيضاً للصهاونه نصيرية المهالبة والعمامرة الذين هم شماليه أصداد أهل بيت الشلف الكلازيه وتحزب لأهل بيت الشلف نصيرية القرداحة والنواصره وبعض نصيرية دريوس الذين هم على مذهبهم وكان كل فريق للآخر بالمرصاد فأرسلت الحكومة فرقة من طابور الرديف ونحو سبعين فارساً من الدراغون وكانوا قد أرسلوا من طرابلس فأقاموا في قرية تفيل بناحية صهيون وسار إليها أيضاً بكباشي طابور الرديف فعثر في طريقه على بعض اشخاص من أهل بيت الشلف فجاء بهم إلى اللاذقية وفي 14 تموز عزل مصطفى آغا كركوتلي من قائم مقامية اللاذقية وأعيد إليها أحمد شكري افندي فسار في 17 منه إلى ناحية صهيون عن أمر الولاية لتسكين الأحوال وسار معه محمود آغا خزندار ومصطفى بك قائم مقام العساكر الذي تعين قومنداناً لموقع طرابلس ولقاهم في جبله رفعت بك قائم مقامها وغب استقرارهم بمركز الأوردي في تفيل استدعوا مقدمي بيت الشلف والقرداحة فلّباهم بعضهم واصلحوا بينهم وبين أهل صهيون بأن ينتخبوا محكمين من الطرفين ليحكموا بدية المقتولين من بيت الشلف على الطريقة العشائرية المألوفة بينهم وان اختلف المحكمون يرفعوا الأمر إلى الحكومة فيرتضوا بحكمها في الخلاف وكتبوا على ذلك تعهدات ختمها الفريقان ثم عاد أحمد شكري افندي إلى اللاذقية بعد أن فرّق عشائر النصيرية والمجتمعين في صهيون على أن يصير فيما بعد اجراء مضمون التعهدات المار ذكرها، وبعد أربعة أيام جاءه الخبر بأن أهل القرداحة ومقدمي المزيرعة تجمعوا باغراء صافي ابراهيم الديب الذي لم يكن حاضراً في جمعية الصلح المار ذكرها وانضم إليهم بنو محمد مقدموا المزيرعة وأغاروا على العمامرة وأحرقوا بعض قراها وقتلوا بعض أشخاص من أهلها، وقيل بل أن أهل العمامرة هم الذين بادأوا أهل المزيرعة بالشر وهجموا على قريتهم وأحرقوا بعض بيوتها فبلغ أهل القرداحة الخبر فتجمعوا وجرى ما جرى وقتل في هذه الواقعة من أهل القرداحة صافي ابراهيم الديب المار ذكره ثم هجم أهل صهيون بمعاونة الدراغون على ناحية بيت الشلف وأحرقوا بعض بيوت قرية جيت وخيف من تعاضم الفتنة فسار القائم مقام أحمد

شكري افندي ثانيةً إلى تفيل مرافقاً ببعض السواريه والضبطية وبوصوله إلى مقر الأوردي في تفيل اصدر أوامر تتضمن التحذيرات إلى مقدمي القرداحة وبيت الشلف فبعثوا إليه بمعاريض تؤذن بالطاعة والانقياد ولكن في صباح اليوم الثاني من ارسالهم المعاريض كبست فيئة منهم المعسكر قاصدين الفتك به فابتدروهم سوارية الدراغون والضبطية وأهل صهيون بالقتال فكسروهم شر كسرة وكان الفضل في ذلك للبنادق العسكرية واكملوا حريق قرية حبيت ما عدا بيوت المسيحيين الذين فيها وذلك بواسطة حماية مسيحيي صهيون الذين كانوا مرافقين لمسلميها في الوقعة فارتد أهل بيت الشلف والقرداحة على أعقابهم إلى قرية كيمين بعد أن قُتل منهم خمسة عشر نفساً وقتل من أهل صهيون نفس واحد وأحرقت عدة قرى من ناحية بيت الشلف وفيما كانوا في هذه الحالة من الفشل كان حلفاؤهم أهل النواصره ودريوس ظافرين في ناحية العمامرة حيثما أحرقوا معظم قراها وبعد هذه المعركة تفرقت العشائر وقدموا معارض إلى قائم مقام اللاذقية بمركز الاوردي يطلبون الأمان، ثم عاد القائم مقام إلى اللاذقية وفي أوائل شهر آب قدم إلى جبله شاكر بك متصرف طرابلس وعاكف باشا أمير اللواء قومندان موقع بيروت ومن أركان معسكر سورية ومعهم نحو مائة نفر من العساكر المفروزة وهي التي تركب البغال وتوجه لملاقاتهما أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية ثم ساروا جميعاً بالعساكر المذكوره واستقروا في قرية مرج معيربات بناحية القرداحة وانضم إليهم العساكر التي كانت في قرية تفيل وجاءهم أيضاً غيرهم من العساكر المشاة والفرسان من بيروت فاجتمع في المعسكر نحو خمسمائة فارس ومثلها مشاة خلا الرديف ثم استدعوا أهل القرداحة وبيت الشلف إلى الطاعة والانقياد والحضور إلى المعسكر وأداء الأموال الأميرية فكانت أجوبتهم تفيد الطاعة إلا أنهم لم يكونوا يؤمنون أن يحضروا إلى المعسكر خشية القبض عليهم وفي أثناء ذلك ورد أمر الدولة بتهئية عساكر رديف اللاذقية وجبله ومتطوعة لواء طرابلس للسفر إلى الاستانة فقدم المتصرف شاكر بك إلى اللاذقية وسافر منها إلى طرابلس لأجل تجهيز الخيالة المتطوعة المجتمعة هناك وفي تلك الأثناء سار أمير اللواء عاكف باشا بالعساكر من مرج معيربات وكبس قرية جبرو بقرب المزيرعة وقبض على الشيخ محمود ابن الشيخ سعيد شيخ الكلازيه وولدين له وثلاثة غيره من المشايخ واثنين من

العامة وذبحت العساكر ولدين صغيرين في فراشهما ثم ضرب قرية دباش والمزيرعة ولاقاهُ إلى دباس حسن ناصر من مقدمي المهالبة والى المزيرعة محمد علي خليل مقدم العمامره برجالهما وعاونوا العساكر بإحراق بيوت النصيرية في القريتين وقصد حسن ناصر ومحمد خليل إحراق بيوت النصارى ونهبها فلم يتمكن حسن ناصر من انفاذ مآربه بنصارى دباش لأن عاكف باشا كان قريباً منها فأمر العساكر بوقاية النصارى غير أنه جرح رجل مسيحي يُدعى ابراهيم عوض بالرصاص على أن جرحه لم يكن ذا خطر وأما محمد خليل فقد فاز بمقصوده إذ اوهم فرقة العساكر التي كانت تضرب المزيرعة أن كل أهلها نصيرية فأطلقوا الرصاص على النصارى وأصابوا رجلاً منهم يُدعى ابراهيم مسيكة فمات متأثراً من ذلك ثم هجم محمد خليل برجاله على بيوت المسيحيين ونهبها ونهب كنيسة القرية أيضاً فعرض مسيحيو المزيرعة إلى السيد ملاتيوس مطران اللاذقية واقعة الحال فخطب المتصرف والقائم مقام فيها فوعدا بإجراء المقتضي وإعادة المنهوبات ثم بعد أن رجع المعسكر إلى مركزه في مرج معيربات جرى قتل الشيخ محمود ابن الشيخ ابراهيم سعيد وولديه ورفقائه باطلاق الرصاص وفي 20 آب قُدُم عاكف باشا وأحمد شكري افندي القائم مقام إلى اللاذقية ومعهما عسكر الرديف لأجل ارساله إلى الاستانة بعد أن صار نقل مركز المعسكر إلى قرية طبرجه في ناحية بني علي وفي 22 آب وعاكف باشا لم يزل في اللاذقية سارت بأمره فرقة من المعسكر تحت قيادة القائم مقام العسكري مصطفى بك واحرقت قرية زاما من ناحية سمت قبله وغنمت مواشيها وقتلت عدة أشخاص أكثرهم نساء وأطفال وفي ظهيرة اليوم نفسه سار عاكف باشا وقائم مقام اللاذقية إلى قرية بابنا بناحية صهيون ولاقاهم إليها فرقة من العساكر وفي 24 منه توجهوا بالعساكر إلى ناحية دريوس واحرقوا منها بعض قرى وغنموا مواشيها وكان مع العساكر جماعة من مسلمي صهيون وجبل الأكراد فتوغلوا في دريوس بينما كانت العساكر متأخرة فلاقاهم بنو بدور مقدمو دريوس وجماعتهم واشتبك القتال بين الفريقين فكانت الدائرة على المسلمين وقُتل منهم سبعة أشخاص ورجعوا منهزمين ثم عادت العساكر وانتقل المعسكر إلى عين الشرقية في سمت قبله وتوجه أيضاً إليها من اللاذقية عاكف باشا وفي أوائل أيلول قدمت بارجة عثمانية تدعى بابل فنقلت الصنف الثالث من رديف اللاذقية

وجبله إلى الاستانة وفي 14 أيلول قدم عاكف باشا إلى اللاذقية وسافر منها إلى بيروت ببخرة الميساجيري الفرنسية بعد أن أظهر بأعماله في جبل النصيرية أهليته للاحراق والتخريب أكثر منها للإصلاح وبقيت العساكر في مركزها تحت قائم مقامها مصطفى بك، أما قائم مقام اللاذقية أحمد شكري افندي فبقي في الجبل لمقصد تحصيل الأموال الأميرية وأمر عبد الله أغا طريفي مدير بيت الشلف والمهالبة بتحصيل مسلوبات مسيحيي المزيرعة وكنيستها من أهل العمامره فاسترد ما وجد منها عيناً وما لم يوجد جرى تقويمه وأخذ بثمانه صك لأجل مسمى وفي أواخر أيلول عاد أحمد شكري افندي إلى اللاذقية فكان ما حصله من الأموال من نواحي صهيون وجبل الأكراد وبيت الشلف والعمامره والمهالبة لا يكاد يبلغ مائة الف غرش وقبل عودته أخذ صكوكاً من أهل بيت الشلف تتضمن التعهد بعدم الاخلال بالراحة وان كانت صكوك كهذه عديمة الفائدة وفي 5 تشرين الأول عاد عاكف باشا من بيروت إلى اللاذقية وسافر منها إلى جبله ثم انتقل إلى المعسكر في عين الشرقية وأقام هناك بقصد تحصيل الأموال وجمع بقايا عساكر الرديف والمستحفظ من الجبل وفي 25 منه قدم الباشا المشار إليه إلى اللاذقية وفي اليوم التالي سافر إلى بيروت ببخرة الميساجيري الفرنسية قاصداً حوران حيثما جرى تعيينه متصرفاً وبقي المعسكر تحت قيادة مصطفى بك قائم مقام المعسكر وسافر أيضاً بالباخرة المذكورة أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية إلى طرابلس للسلام على عزيز باشا الذي قدم متصرفاً للواء مكان شاكر بك وعاد بعد أسبوع إلى اللاذقية وجرى الشروع بجمع ما يمكن جمعه من الرديف من جبل النصيرية وكان ذلك واسطة لظلم كثيرين ووسيلة لانتفاع المديرين وضباط العسكرية الذين كانوا مولجين بذلك فأنهم كانوا يطلبون عدداً معلوماً من مقدمي النواحي فيأتون لهم بأشخاص غير المطلوبين بعد أن يرتشوا من الأشخاص المطلوبين ويشركوا المديرين والضباط بالرشوة لأجل أن يقبلوا الأشخاص المأتي بهم ولا يدققوا في حقيقة الحال وكانت الحكومة تغض الطرف عن ذلك لأنها لم تكن قادرة على اجراء المعاملة الحقة وفي شهر تشرين الثاني قدمت بارجة من الاستانة ونقلت إلى دار الحرب أنفار الرديف التي كانت قد تجمعت في قضاءي اللاذقية وجبله وقدرها نحو خمسمائة نفر وفي أثناء ذلك قدم من الاستانة قائم مقام اللاذقية يدعى احسان

بك لكنه كان قد فقد أمر تعيينه في أزمير حيثما سقطت منه في البحر المحفظة التي كان ضمنها الأمر وأوراق آخر فلبث في اللاذقية ينتظر أمراً آخر بعد أن استدعى به تلغرافياً فشرع أحمد شكري افندي يتخذ الوسائل لبقائه فصدر الأمر له بذلك وبتعيين احسان بك قائم مقاماً لحيفا وفي أواخر كانون الأول صار الشروع باجراء القرعة العسكرية في قضاء اللاذقية وجمع بها نحو ثلثماية نفر من القضا وسبقوا حالاً هم وبقايا الرديف والمستحفظ مع بلوكين من طابور العساكر النظامية المقيم باللاذقية إلى بيروت براً بقصد الارسال إلى الاستانة.

أما حالة اللاذقية المالية في سنة 1877 فكانت في تأخر أكثر من السنة التي قبلها وازدادت فيها التجارة اضمحلالاً وكانت المزروعات في غاية الإحمال حتى أن أكثر أرباب الزراعة لم يستغلوا بذراهم منها فاشتد الغلا وبيعت كيلة الحنطة في شهر كانون الأول سعر 45 غرشاً مع قلة النقود وفقد الأمانة المالية، وبالجملة فأنها كانت أشد واسوأ حالاً من السنة التي قبلها من كل وجه وأما معاملة المسلمين للمسيحيين في اثائها فكانت تختلف باختلاف الوقوعات الحربية فإنه عند ورود اخبار انتصارات للدولة كان المسلمون يظهرون الجفا للمسيحيين وبالعكس عند ورود أخبار انتصارات للروسية فانهم كانوا يظهرون لهم اللين ومع أن المسيحيين كانوا في بدءا الحرب في خوف من حدوث اضطهاد وتعديات عليهم اطمأنوا أخيراً ولم يقع ما يخلُ براحتهم العمومية وخصوصاً أن المسلمين أخيراً لم يعد تأخر الدولة يؤثر بهم ومع أن الروس كانوا في تقدم زائد يزحفون نحو الاستانة في أوروبا ويحاصرون أرزروم بعد فتح القرص في آسيا فالمسلمون باللاذقية لم يبالوا بذلك كراهة في الترك نشأت بينهم حديثاً ليتقيهم كراهة الترك للعرب وإن كانوا مسلمين مثلهم.

ثم دخلت سنة 1878 وفيها في شهر كانون الثاني شُرع باجراء القرعة العسكرية في قضاء اللاذقية عن سنة 1294 مالية وقد ورد الأمر أن يجنّد بها ثلث الأنفار الداخلين في الاسنان العسكرية وفي 17 شباط قدم إلى مينا اللاذقية باخرة نمساوية من سلانيك حاملة جركساً مهاجرين من بلاد البلغار وهؤلاء الجركس كانوا قد هاجروا أولاً من بلادهم لما تم لدولة الروسية التغلب عليها، وأسر اميرهم الشيخ شامل المشهور بأثر حرب القرم ودخلوا المملكة العثمانية فوطّنت الدولة منهم ألوفاً في املاكها بأوروبا ولما ظهرت

الحركة البلغارية كانوا هم القائمين بأكثر الفظائع والتعديات على البلغاريين التي كانت أحد الأسباب التي أعلنت الروسية الحرب لأجلها على الدولة واذا ظفرت أخيراً عساكر الروس بعساكر الدولة ظفراً تاماً ووطئت ولاية الطونه وولاية ادرنه ووصلت إلى أبواب الاستانه لم يسع الجراكسة إلا الهرب من تلك البلاد خوفاً من القصاص والانتقام فأرسلت الدولة الوفاً منهم إلى سورية وكان في جملتهم هؤلاء القادمون إلى اللاذقية فساء أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية قدومهم كما أخاف مسيحيي اللاذقية نظراً لما اشتهر عن هذه الأمة من الجفاء وشراسة الأخلاق فخابر القائم مقام المذكور المتصرفية والولاية في شأنهم تلغرافياً وطلب ارسالهم إلى جهة أخرى حيث لا يوجد في قضاء اللاذقية أماكن معدة لسكنهم فأجيب بأن يُرسلوا بالوابور نفسه إلى جبله فإن رفعت بك قائم مقامها كان قد طلب جانباً منهم إلى قضائه فاجتهد أحمد شكري افندي بارسالهم بالوابور نفسه لكنه لم يتمكن من إقناعهم لأنهم أصرروا على النزول إلى اللاذقية طالين أن يكون سفرهم إلى جبله براً فاضطر إلى اجابتهم إلى ذلك حذراً من فسادهم فأنزلوا في الجوامع والمساجد وقُدمت لهم المأكولات من الأهليين حسب أوامر الحكومة، وكان المسلمون فرحين بهم في أول الأمر لكنهم أخيراً ملؤوا منهم وشعروا بالخوف من عاقبة مجيئهم إلى هذه الديار، واقتصروا عن تقديم المأكولات لهم فعينت لهم الحكومة خبزاً يُعطى لهم يومياً، أما أهل جبله فحذروا أيضاً من اسكانهم في قضائهم فقدموا تلغرافات للولاية التمسوا فيها اعفاء ذلك القضاء منهم فورددت الأوامر بتقسيم الذين قدموا إلى اللاذقية مناصفةً بين اللاذقية وجبله غير أن قائم مقام اللاذقية كان يجتهد في أن لا يبقى أحداً منهم في قضائه احتساباً من العاقبة بخلاف قائم مقام جبله فإنه كان يجتهد بأن ينقل الجميع إلى قضائه ولعل ما حمله على ذلك ظنه أن وجودهم يكبح جماح النصيرية، ولما طالت اقامة الجراكسة المذكورين في اللاذقية ابتدأت أن تقع بينهم وبين مسلمي البلده مشاجرات ومنازعات أوجبت كراهية كل من الفئتين للأخرى وأما بينهم وبين النصارى فلم يحدث شيء من ذلك لأن كلا من الفريقين كان يجتنب الفريق الآخر فالتمس المسلمون ترحيلهم إلى جهة أخرى، وتقدمت مضبطة من الحكومة تتضمن الالتماس المذكور إلى المتصرفيه غير أن حكومة طرابلس لم تجب إلى ذلك وأرسلت مأموراً

لأجل سكانهم في محلات مناسبة لهم في القرى والجبال على أن المأمور بعد تجوله في القضاء اقتنع أنه ليس فيه أراضٍ ومحلات غير مأهولة تناسبهم للسكن فصدق على ما عرضه المجلس فورد الأمر بأن يصير ترحيلهم إلى حلب واذنه وقونيه وعكا على حسب اختيار كل عشيرة منهم بشرط أن الأهليين يدفعون نفقة سفرهم فُشِّرَ في جمع النفقة المرقومة من أهل البلدة والقرى وترحيلهم شيئاً فشيئاً، وفي تلك الاثناء عزل شاكر بك الذي كان قد عاد إلى متصرفية طرابلس خلفاً لعزیز باشا الذي لم تطل مدته وقدم من الاستانة محمد خالص افندي خلفاً له وفي شهر ايار عزل رفعت بك قائم مقام جبله وعين مكانه ناجم افندي الذي كان قائم مقاماً في اللاذقية سنة 1874. وفيه ظهر الجراد وانتشر طياراً في قضاءي اللاذقية وجبله ثم ألقى بزره وفقس وزحف على المزروعات فأتلفها ولم تحصل من طرف الحكومة العناية اللازمة لانتلافه ومنع أضراره وفي شهر حزيران انتهت مدة محمد صلاح افندي نائب اللاذقية وخلفه يحيى رمزي افندي من الأتراك فقدم إلى المدينة في 22 الشهر وكانت قد تقدمت جملة تشكيكات على محمد صلاح افندي من بعض مسلمي البلدة مدعين عليه بديون في الظاهر على أنها في الحقيقة دفعوها له على سبيل الرشوة لقضاء بعض مصالحهم فوردت الأوامر من المشيخة والولاية بتوقيفه عن السفر ومحاكمته مع المدعين فمُنِعَ من السفر مدة خمسة عشر يوماً وجرت محاكمته مع بعض المدعين وثبت عليه بعض تلك الدعاوي غير أنه ترامى وتوسط بعض من يعتمد عليهم عند القائم مقام لأجل غض الطرف عن اتمام محاكمته والرخصة له بالسفر فأجيب إلى ذلك بعد جهد جهيد وذلك لأن القائم مقام واكثر مأموري الحكومة كانوا يكرهونه نظراً لاستبداده وتصلبه وكان أكثر الناس كراهية له أمين الفتوى عبد القادر افندي مفتي الذي كان ينوب عن عمه مصطفى افندي المفتي بسبب مرضه وشيخوخته وأسباب هذه الكراهية أنه لم يكن يعتدُ بفتاويه ولا يستفتي منه عن شيء ولا يعدُّه من العلماء فانقطع بذلك رزقه فحقد عليه واجتهد في تحريك الشكايات والدعاوي عليه وكان النائب المذكور محباً للرشوة يأخذها علناً بدون خجل ويدني نفسه على الشيء القليل ولذلك كان لا يخلو من الضلع مع أحد الخصمين فيما يُقام لديه من الدعاوي وكان على جانب من التظاهر بالتعصب ضد النصارى لكي يستر بذلك مساويه عند المسلمين وفي

شهر تموز وقع خصام في جبله بين أهلها والجركس وآل الأمر بينهما إلى الطراد فاجتمع أهل جبله واخرجوا الجركس بالقوة إلى خارج القصبه واغلاقوا أبوابها فحاصرها الجركس فقدم محمد خالص افندي متصرف طرابلس في 26 تموز بالوابور الفرنسي إلى اللاذقية وفي 27 منه سافر إلى جبله وسكن هياج الطرفين ثم عاد إلى اللاذقية ومنها إلى طرابلس ومنذ شهر آب إلى ختام السنة لم يحدث ما يستحق الذكر سوى فصل محمد خالص افندي المتصرف واعادة شاكر بك خلفاً له وفصل ناجم افندي قائم مقام جبله وتعيين كامل افندي خلفاً له وموت مصطفى افندي مفتي اللاذقية وانتخاب عبدالقادر افندي ابن أخيه خلفاً له وانتخاب المجلس البلدي من طرف الأهليين مع مقتضى التعليمات الجديدة فتعين رئيساً له حسن آغاهاون واعضا الحاج محمد آغاهاون ومحمد افندي رويحه وجرجس افندي الياس وعبدالله افندي فهده وصالح آغا راعي. أما حالة التجارة في هذه السنة فكانت على حالها من التأخر غير أن محصولات الزراعة كانت أجود من العام السابق وخاصة محصول الزيت فإنه كان في اقبال فكانت حالة الناس في هذه السنة ايسر منها التي قبلها.

ثم دخلت سنة 1879 وكان قد تعين والياً على سورية مدحت باشا الذي امتاز بين وزراء الدولة بالحزم والاقدام واشتهر بوضع القانون الأساسي حين كان صدرأ أعظم فوعد باجراء الإصلاحات الفعلية في الولاية وفي شهر شباط قدم إلى طرابلس فصار لمقابلته فيها أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية وكانت الاختلالات قد تفاقمت في جبل النصيرية وكثر التعدي على قرى الساحل والسلب والنهب وقطع الطرق وتشكى أرباب الزراعة في اللاذقية من جراء فقد الأمن بعريضة تلغرافية للوالي المشار إليه فاغتنم بعض أهل اللاذقية الفرصة لتحويل مدينتهم مركز متصرفية بولاية المشار إليه نظراً لما عُلِمَ عنه من حب الإصلاح الحقيقي. وكان حين تقلده الولاية وقدمه إلى دمشق ذهب إليه موسيو شارل بجوزوسكي وكيل قنسلوس دولة اسبانيا في اللاذقية فإنه كان قد اكتسب محبته في ولاية الطونه وولاية بغداد فاجتمع الياس افندي صوايا وابراهيم افندي حكيم ومؤلف هذا التاريخ بموسيو شارل قبل سفره وحرضوه على تبليغ مدحت باشا احوال قضاءي اللاذقية وجبله وايضاح الأسباب الموجبه لجعل اللاذقية متصرفية ففعل ولما قدم المشار إليه إلى طرابلس ووقف على احوال

ذلك اللواء المتسع اقتنع بوجود فصل اللاذقية عنه وتحويلها متصرفية وعلن نيته هذه في طرابلس بحيث لم يدع مجالاً لرجال حكومة طرابلس وأعيانها لأن يجسروا على مضادة أفكاره ثم صمم على القدوم إلى اللاذقية فكتب المؤلف لائحة لتقدم إليه من أهل البلدة بعد قدومه إليها وهذه صورتها.

أن عبيد فخامتكم هؤلاء يهنتون انفسهم وربوعهم إذ قد تشرفت بحلول ركاب ابهتكم العالية معتبرين الأيام البهجة المستنيرة باسراق كوكب ذات فخامتكم السامية السمات في مدينتهم هذه من أعظم الأيام التي تفتخر بها في تاريخها، ولما كانت الآمال متوسطة باجراء الإصلاحات الفعلية بيد خديوانيتكم المقتدرة وكان لهذه المدينة احتياجات مخصوصة فضلاً عن الاحتياجات العامة التي تشترك فيها مع سائر مدن الولاية تتجاسر أن تعرض ذلك لمسامح فخامتكم الشريفة معتقدين أن عناية ابهتكم السامية بتبدرها بالعلاج النافع لنشل أهلها من وهدة التعاسة واضمحلال الحال التي سقطوا فيه للأسباب الآتية وهي:

أولاً: فقد تجارة التبغ بالعوارض التي طرأت عليها كرسوم الدخولية الذي وُضع عليه في القطر المصري بعد أن كانت تلك التجارة زاهرة زاهية ومورداً لثروة أهل اللاذقية وجبال النصرية عموماً.

ثانياً: لما كانت باقي المحصولات في اللاذقية وجبالها قليلة أصبحت الأشغال التجارية عموماً كالعدم فذلك مع محل المواسم منذ بضع سنين قد نشأ عنه فقد ثروة الأهلين ووقوع أكثرهم في الفقر المدقع والضييق الشديد حتى أن كثيرين منهم نزحوا إلى أماكن مختلفة طلباً للمعاش.

ثالثاً: أنه قد كان من الممكن تجديد وسائط للاكتساب وتعويض تجارة التبغ بتجارة الزيت والحرير بواسطة انشاء أغراس من التوت والزيتون في جبال النصرية الصالحة لذلك غير أن هناك مانعاً عظيماً وهو الاختلالات الدائمة الموجودة فيها بسبب خشونة أهلها وتمردهم وعدم وجود نفوذ للحكومة عندهم حتى أنه إذا نشأ احد منهم أغراساً لا يأمن عليها من القطع والاستئصال فضلاً عن ان انشاء الأغراس لا يتم إلا بتشويقات الحكومة واعتنائها نظراً لجهل السكان وعدم تمدنهم.

رابعاً: أنه لم ينحصر فقد الأمن في الجبال فقط بل هو ممتداً إلى قرى الساحل حتى المجاورة منها نفس المدينة أيضاً فأنها في أكثر الأحيان عرضة للنهب والسلب وجميع أنواع التعديات من طرف أشقياء الجبال.

ولا يؤمل ازالة هذه الاختلالات من هذه الجهات ما دامت الإدارة مشكلة بحسب الحالة الراهنة وبيان ذلك.

أولاً أن قضاءي اللادقية وجبله الحاليين الممتدة فيهما سلسلة جبال النصيرية كانا منذ القديم إلى سنة 1281 هجرية لواءً مستقلاً مركزه اللادقية وكان ينقسم إلى أربعة عشر قضاء أو مقاطعة عدا الساحل وعدد قراه نحو ألف قرية ونفوسه تزيد على مئة وعشرين ألف نسمة وكان كل من الأربع عشرة مقاطعة مديرية وفي اللواء نحو خمسمائة خيال للمحافظة فكان للحكومة فيه من النفوذ أضعاف ما لها الآن ومع ذلك لم يكن يخلو من الاختلال فكان من الإيجاب أن تزيد الحكومة نفوذها فيه ولكن لسوء الحظ قد أضعفته عوضاً عن تقويته لا بل استأصلته بواسطة تقسيم ذلك اللواء بتشكيلات سنة 1281 والحاظه بلواء طرابلس.

ثانياً أن هذا التقسيم هو في نفسه مختل النظام وأنه قد ألحقت فيه بعض القرى بقضاء جبله حالة كونها تبعد ساعات كثيرة عن مركز القضاء المذكور مع وقوعها بين قرى اللادقية وقربها كثيراً من المدينة ولأنه قد جعلت فيه مدينة طرابلس مركزاً لهذا اللواء الذي يتألف من لوائين فسيحين حالة تكون المدينة المذكورة متطرفة جداً فأنها في آخر نقطة من هذا اللواء الكبير جنوباً وتبعد عن النقطة الشمالية مسيرة ستة أيام كاملة حالة كون القاعدة لحسن الانتظام أن يكون المركز في نقطة متوسطة.

ثالثاً قد صار بهذا التشكيل تقليل عدد المديريات فجعل لكل مقاطعتين أو ثلاث مقاطعات مدير واحد فصار الأمر فيها في حكم الفوضى إذ لا ريب أن قولنا أن مقاطعتي بيت الشلف والمهالبة اللتين عدد قراهما مائة وستون قرية ونفوسهما نحو اثني عشر ألف نسمة من العتاة المتمردين عليهما مدير واحد تحت أمره خمسة أو ستة خيالة فقط هو بمعنى قولنا أن الأمر فيهما في حكم الفوضى.

رابعاً قد تُركت عدة مقاطعات كالبائر والبوجاق والبهلولية بلا مديرين فأصبح الأمر فيها فوضى فعلاً.

فنتج مما مرَّ بيانه أن ذلك التقسيم كان علة زيادة الاختلالات والتشويش في تلك الجبال وجاء على مراد أهلها إذ جُعِلت فيه مدينة طرابلس البعيدة عنهم حيثما لا تعرف أحوالهم وأعمالهم مركزاً للواء عوضاً عن اللاذقية القريبة منهم التي تعرف فيها أحوال وأطوار كل من العشائر ونسبة كل منها إلى الأخرى فصار نصيرية كل من قضائي اللاذقية وجبله وخاصة نصيرية قضاء جبله الذين يفوقون الآخرين عتواً وتمرداً يتعدون في القضاء الآخر وهم آمنون لعدم تسلط حكومة عليهم فتتعلق المسألة بالمخابرة بين القضاءين حالة كون حكومة اللواء لا تتوصل إلى الاطلاع على الأحوال بالسهولة لبعدها من أن أسباب الاختلال والعشائر حتى الأفراد القائمين به مع أحوال وحركات كل منهم تكون معروفة في اللاذقية حق المعرفة نظراً لتوسطها ولكن لا سلطة لحكومتها على اتخاذ الاحتياطات والاجراءات المقتضية فينقضي وقت طويل حتى تُفهم بعض الحقائق في مركز اللواء حق الفهم فتجرد عليهم العساكر مرة أو مرتين في السنة وتضربهم وتحرق بعض قراهم السهل تجديدها فيستكون ويظهرون الهدوء إلى حين إذا رجعت القوة عنهم رجعوا إلى ما كانوا عليه من التعدي والفساد فإنه قد ضُرب بهم المثل بأن عقولهم في عيونهم فإن رأوا عقلوا واعتبروا ويزول اعتبارهم بحالما تزول المؤثرات من أمام أبصارهم وهكذا سيكون الحال إلى الأبد ما لم تتغير الإدارة.

أولاً: بإعادة لواء اللاذقية إلى أصله.

ثانياً: بتشكيل تلك المقاطعات ثلاث أو أربع قائم مقاميات يجعل لكل منها مركز في موقع مناسب لقيام القوة العدلية والاجرائية والعسكرية في وسط أولئك العتاة.

ثالثاً: بإعادة اللاذقية مركزاً للواء لتوسط موقعها ولكونها ذات أهمية أولى في هذا الخط ووقار عند أهليه بمألوف العادة والقدمية مع الجدارة بالقيام بإدارة ذلك اللواء كما عهد ذلك بها منذ عهد قديم.

وبهذه الوسائط يألف أهل الجبال شيئاً فشيئاً بالاجراءات الدائمة التي تكون في وسطهم الطاعة والانقياد إذ يرون بينهم حكومة تكبح المتمردين القوي وتدرأ عنه العاجز الضعيف والى

جانبهم مركز لواء مقتدر له بأحوالهم الخبرة التامة فلا تخفى عليه أعمالهم ولا يحتجب عن معرفته شقي من اشقيائهم فيتوطد بذلك الأمن والسلام وتتمكن الحكومة من اشغال الأهالي بإنشاء الأغراس والاعتناء بأمر الزراعة عوضاً عن الاشتغال بالنهب والسلب وقطع الطرق فتتجدد موارد الثروة ومواد التجارة وتحسن أحوال الأهاليين ساحلاً وجبلاً ويزداد دخل الحكومة أضعافاً مضاعفة فما تخسرهُ من المصارفات بواسطة تشكيل اللواء على الصورة المذكورة تتعوض أضعافاً من زيادة الوارات بوجود الأمن والدليل الواضح على ذلك أن جبل بيت الشلف لم يتوصّل إلى تلزيم اعشاره بازيد من أربعين ليرة في السنة الماضية مع أن عدد قراه أكثر من خمسن قرية. ثم فضلاً عن جميع ما ذكر أن لواء اللاذقية المُلغى هو من حيث السعة وعدد القرى والنفوس يستدعي أن يتشكل متصرفية بقطع النظر عما لجباله من الأهمية التي تستلزم زيادة القوة والنفوذ فأنهُ اجسم من كثير من اللوية في الممالك المحروسة كلواء أورفا ولواء بيازيد ولواء أرزنجان وغيرها كما أن بعض المديرية المشكلة فيه الآن هي أكبر من قائم مقامية في بعض الولايات فإن مديرية صهيون وجبل الأكراد اجسم من قائم مقامية اركلي من ولاية فونيه ومديرية بيت الشلف والمهالبة اجسم من قائم مقامية أنيوز في لواء اكليبولي.

هذا وقد طالما صار عرض التشكيات وبيان هذه الأحوال إلى حضرات الولاة السالفين فكانوا يقتصرون من التحقيقات على مراجعة مركز متصرفية طرابلس فكان المركز يعاكس هذا الأمر ذلك أمر بدهي لأن المركز لا يرتضي بتضييق دائرة ملحقاته.

وقد ظُنَّ أيضاً أن مجرد انشاء مراكز للعساكر في بعض مواقع الجبال يتكفل بقطع دابر الفساد والاختلال والحال أن ذلك لا يأتي بالمقصود ما لم تنتظم هناك الإدارة الملكية بتشكيل قائم مقاميات واقامة القوة العدلية والاجرائية في وسط أولئك العتاة مع توسط المرجع فتؤثر الإجراءات الدائمة في الجزئيات تأثيراً يقيسون عليه الكليات وإلا فمجرد اقامة العساكر في المواقع لا يجدي نفعاً.

ثم مما يستحق الالتفات العالي والإصلاح المخصوص تعديل الويركو فإن مأموري

المساحة لم يعدلوا في مأموريتهم فأوجبوا على أكثر الأهالي أموالاً تجاوزت حدود احتمالهم. كما أنه من الأمور النافعة جداً فتح طريق من اللاذقية إلى حماه وهذه الطريق كان قد شرع بها دولة المرحوم راشد باشا الوالي السابق فلما خلفه دولة صبحي باشا وكان قد تم نحو ثلثها اصدر امره بإبطال فتحها مع أنها تقصر المسافة بين حماه والبحر مسيرة يوم كامل فيشمل نفعها كلاً من حماه واللاذقية وهي من المشروعات المفيدة للأمن والموافقة لحسن الإدارة لأنها ستمتد في وسط جبال النصيرية فسيكون الوصول بها إلى ملزق حماه ملجأ الأشقياء سهلاً قريب المنال من مراكز الحكومة فتتشر بذلك قوتهم وتنقل إمكاناتهم وتمنعهم وتحصنهم. ومنها أيضاً اصلاح طريق حلب من اللاذقية إلى جسر الشغور.

فهذه هي الاحتياجات المخصوصة التي لا ريب أن أفكار فخامتكم السامية تراها واجبةً للإصلاح الفعلي في هذه الجهات دفعاً للخراب الذي يهدد هذه المدينة وملحقاتها وقد تجاسرنا بعرضها وبيانها للأعتاب العلية معتقدين أن عناية إبهتكم السامية تفضل باجراء جميع الوسائل التي تتكفل بال عمران والراحة والأمن وتوطيدها على أساساتٍ راسخة فتضيفون اثراً جديداً إلى الآثار الجليلة الجمّة التي لأبيادي فخامتكم الغراء في كل قطر وتطوقون عبيدكم أهل هذه الديار بأطواق المنّة التي لا تُمحى فيضجون بالأدعية الخيرية لذات فخامتكم السامية ويضاعفون الابتهالات والتضرعات بتأييد وتأييد ولية نعمتنا الدولة العلية الأبدية الدوام وبكل حال وزمان الأمر والفرمان لحضرة مَنْ لَهُ الأمر والاحسان. (انتهت اللائحة)

غير أن مدحت باشا عدل عن القدوم إلى اللاذقية في ذلك الوقت وسافر إلى بيروت واعدت بالقدوم إلى اللاذقية في وقت آخر وكان الموسيو شارل بجوزوسكي الذي عاد قبل ذلك من الشام عازماً على الذهاب إلى بيروت لمقابلة مدحت باشا فدُفعت اللائحة له ضمن عرضمضمر عمومي مختصر فرفعهما إلى المشار إليه وعُلم بعد ذلك أنه أنهى إلى الباب العالي بوجوب تحويل اللاذقية متصرفية ولما شاع الخبر اجفل منه يسين افندي وطه افندي وغيرهم من بيت علي اديب في جبله لأنه كانوا ينتفعون بالحالة الراهنة إذ كان الجو خالياً

لهم في قضاء جبله وقد جمعوا بذلك ثروة عظيمة فقدموا عرائض تحريرية وتلغرافية إلى الولاية وإلى الصدارة العظمى مضادة لهذا المشروع ولما عُلم ذلك في اللاذقية أرسلت عريضة تلغرافية ممضاة من مفتي اللاذقية ورؤساء باقي الطوائف الروحيين إلى مدحت باشا مضمونها «أن الشكايات المتقدمة من جبله مصدرها ثلاثة أو أربعة أشخاص ليس إلا ينتفعون بالحالة الراهنة ويبعد مركز اللواء عنهم».

وفي أوائل شهر حزيران ورد الأمر السامي من الصدارة العظمى إلى مدحت باشا يعلن صدور الإرادة السنية السلطانية بقبول انهائه بتحويل اللاذقية متصرفية فجاء الخبر إلى اللاذقية وسرَّ أهلوها به جداً وانتظروا بفروغ صبر تعيين متصرف للوائهم الجديد، وكان أحمد شكري افندي قائم مقام اللاذقية يتخذ الأسباب والوسائل ليكون هو المتصرف فاستحصل تلغرافات إلى والي ومصرف المركز من المفتي والرؤساء الروحيين تتضمن التماس تعيينه إلا أن الناس لم تكن في الباطن تريد تعيينه لأنه لم يكن مستقيم الأطوار وقد ملَّ منه السواد الأعظم عل أن والي كان قد أنهى بالمصرفية لأحمد افندي الصلح الصيداوي الأصل فقدم اللاذقية على الوابور الفرنسي ووصل إليها صباح الخميس في 26 تموز فهرع مأمورو الحكومة وأعيان البلدة وفرقة الضبطية والموسيقى العسكرية والناس أفواجاً لاستقباله إلى المينا فصار ال دار الحكومة بموكب حافل وفي مساء ذلك اليوم نورت المدينة احتفالاً بانضمام اللواء واعتاقه من تابعة لواء طرابلس بعد أن استمر متفرقاً ممزقاً نحو خمسة عشر عاماً وجاء مع المتصرف رجل من الترك يُدعى مصطفى بك تعين من جانب الولاية مديراً لتحريرات اللواء وكان المتصرف ينتظر قدوم والي لكي يصير تشكيل القائم مقاميات وتأخذ الأمور مجراها.

وفي صباح الخميس تاسع شهر آب قدم على الوابور الفرنسي مدحت باشا المشار إليه وكان المتصرف ومأمورو الحكومة والأعيان وجم غفير من الأهليين والموسيقى العسكرية مع العساكر النظامية الموجودة قد نزلوا إلى المينا لاستقباله فنزل أكثرهم في الزوارق المزينة بالسناجق العثمانية وخرجت بهم خارج البوغاز فانحدر والي من الوابور في زورقٍ أعدَّ لركوبه وأطلقت من البر المدافع التي كان قد هيأها خارج المينا بكباشي العساكر ثم مرَّ زورق والي في وسط الزوارق الخارجة لاستقباله التي كانت قد اصطفت يميناً وشمالاً

لاقتبال سلامه ثم تبعته الزوارق إلى البر فصعد الوالي إلى محل إدارة الرسومات حيثما استراح قليلاً، ومن ثم سار بموكب حافل إلى البلدة ونزل في دار ميخائيل افندي سعادته فظهرت البلدة بحل الزينة ذلك اليوم نهائياً ولبلاً. وكان بمعية الوالي واصف افندي كاتبه الخصوصي الذي كان قد عينه مديراً للبوليتكه في سورية وأحمد افندي المهدي الايوبي احد الكتبة في قلم مكتوبية الولاية ومراد بك آلاي بك الضابطه ولما استقر في القاعة دخل عليه للسلام المأمورون والأعيان فرأوه مع ماله من الشهرة وسمو القدر لطيفاً أنيساً فسألهم عن الطوائف التي تتألف منها سكان المدينة وعن المدارس والمكاتب وفي اليوم التالي صلى صلاة الجمعة في جامع الشيخ المغربي ونزل من هناك إلى دار الحكومة وجمع إليه مقدمي ورؤساء الجبال نصيرية ومسلمين وكانوا قد وفدوا لمقابلته والقى عليهم النصائح ومما قاله لهم «أن راشد باشا الوالي الأسبق أتى إلى دياركم بشدة وبأس وقد رأيتموه وعلمتموه شديداً فأعلموا أنني أنا أشد منه بأساً وذلك مشهور عني في الآفاق بيد أنني اعتبركم كرجل مريض وقد أعددت لكم الآن دواءً لطيفاً نافعاً فإن استعملتموه استعمالاً حسناً ونجح فيكم سلمتم وحسنت أحوالكم وإلا فإن أسأتم استعماله واستمررتم على ما أنتم عليه نزعتم إلى علاج منه طراز آخر وحينئذ تدمون وتأسفون على ما في أيديكم مما سيكون غنيمَةً باردة لغيركم من الأملاك والأراضي وغابات الزيتون الموجودة في أحراشكم مليوناتٍ قد تركتها لكم اجدادكم فأهملت في أيامكم ثم حضهم على الائتلاف والاتحاد والعيشة في السلم والمواخاة وترك الضغائن وعدم جعل الاختلافات المذهبية علة للتفرق والشقاق. ونهض من هناك وجال في أسواق البلدة وازقتها داخلًا في حارات المسلمين إلى أن انتهى إلى الكنيسة المعلقة متفرجاً على ذلك الأثر القديم وفي مساء ذلك اليوم. وفدت إليه اعيان ووجوه المسلمين للسلام فويخهم على ما رآه في حاراتهم من الأقذار وعدم الانتظام وحثهم على الاقتداء بالنصارى في تحسين الهيئة وفي اليوم التالي يوم السبت صباحاً سار راكباً إلى النهر الكبير للنظر في أمر جلب مائه إلى اللاذقية فذهب إلى أن ماءً غير كافٍ للمشروع ورأى الجسر الذي عليه قد تخلله العطب ولما عاد إلى المدينة جمع مجلس الإدارة واستدعى رئيس المجلس البلدي وحثهم على اصلاح جسر النهر قبل أن يزداد عطبه

فيسقط أو يحتاج إلى نفقة عظيمة ثم تذاكر مع هيئة مجلس الإدارة في كيفية تقسيم اقصية اللواء وفي يوم الأحد جمع رؤساء النصيرية أيضاً وكرر النصيحة لهم ودُعي في مساء ذلك اليوم للعشاء عند السيد ملاتيوس مطران اللاذقية ويوم الاثنين قرر تقسيم الأقصية وخصص المعاشات والمصارفات المقننة لكل قضاء وأعطى الأوامر اللازمة للعمل بموجب ذلك ودُعي من طرف المجلس البلدي للسهرة ليلة الثلاثاء في دار السيد عبدالحميد عجان فأتى إليها نحو الساعة الثالثة من الليل وكانت حارة النصارى التي منها طريقه قد زُيّنت بالأنوار وكذلك كانت الدار متقنة الزينة والترتيب وقد دعيت إليها الموسيقى العسكرية ووجوه البلدة فثُليت فيها الخطب المعلنة بالشكر له والحض على الاتحاد والاتفاق وكانت الموسيقى بين كل خطبة وأخرى تصدح بألحانها المطربة وفي نحو الساعة السادسة دُعي إلى قاعة الطعام التي كانت قد أُعدت فيها أنواع الحلوى المختلفة فاعتذر عن الأكل وخطب في الجمهور يحثهم على الاتحاد في سبيل خدمة الوطن والسعي بتقدمه ونجاحه ثم انصرف من السهرة مسروراً وفي يوم الثلاثاء رابع عشر شهر آب نحو الساعة الثالثة من النهار بارح اللاذقية قاصداً طرابلس على بارجة عثمانية اسمها عسير قدمت لحمل عساكر القرعة التي كانت قد أُجريت في نفس المدينة قبل قدومه وكان عدد الذين أصابتهم ثلاثة وخمسين نفساً وكان في أثناء وجوده قد عيّن محمود آغا خزندار قائم مقاماً لصهيون والياس افندي صوايا محاسبة جي للمتصرفية وابراهيم افندي حكيم معاون مدعي عمومي وأمر المتصرف بتعيين باقي المسؤولين والعرض عنهم ووعد بتعيين قائم مقام للمرقب وآخر لجبله عوض كامل افندي الذي امر بفصله لعدم اقتداره وكفاءته وأما المتصرفية فقد جرى تشكيلها من ثلاثة أقضية أحدها قضاء صهيون وجرى تأليفه من نواحي صهيون وجبل الأكراد وبيت الشلف والمهالبة وجُعل مركزه قرية بابنا والثاني قضاء جبله وجرى تأليفه من نواحي القرداحة وبنى علي وسمت قبله وقرى الأوقاف والشمسيات وساحل جبله وجُعل مركزه نفس قصبه جبله والثالث قضاء المرقب وجرى تأليفه من نواحي المرقب وزمرين وجرى العليقة والقدموس والظهر الغربي والخوابي وجعل مركزه قلعة المرقب على أن القدموس استمرت مديرية تابعة لقضاء المرقب وجُعلت البائر والبوجاق مديرية مرجعها مركز المتصرفية وأما ناحية

البهلولية وقرى الساحل فألحقت بمركز المتصرفية رأساً وفي 20 آب قدم اللاذقية برّاً من طرابلس عزت بك معيّناً من قبل الوالي قائم مقاماً لجبله وهو ابن وامق باشا الذي كان والياً على إيالة صيدا الملغاة وبعد مقابلة المتصرف واستبداله أمر مأموريته ذهب إلى جبله وفي 24 منه قدم على الوابور الفرنسي نعمة افندي من الأكراد المستخدمين من ولاية سورية وقد تعين رئيساً في دائرة الجزاء وذلك أن مجلس الدعاوي والتميز كان قد تبدل اسمها باسم المحاكم الابتدائية على أن هذه المحاكم تُقسم في مراكز المتصرفية إلى دائرتين احدهما لرؤية الدعاوي الحقوقية ورئيسها النائب والثانية لرؤية الدعاوي الجزائية ورئيسها مأمور غير النائب ووضعت نفقات عدلية جديدة للعمل بموجبها فعين نعمة افندي المذكور رئيساً لدائرة الجزاء في اللاذقية وفي 26 آب قام المتصرف أحمد افندي ورفقته الياس افندي صوايا المحاسبة جي متوجهين إلى المرقب لأجل تشكيل قائم مقاميتها وغب وصولهما إلى قلعة المرقب رتبا الأمور مؤقتاً إلى حين تعيين قائم مقام ثم عاد إلى اللاذقية وفي شهر أيلول قسمت المحكمة الابتدائية إلى دائرتين فأختير لدائرة الحقوق من الأعضاء محمد افندي ترك من المسلمين ويعقوب افندي ميلكون من الأرمن ولدائرة الجزاء مؤلف هذا التاريخ من الروم والشيخ سليمان حاتم من النصيرية وعُين قاسم افندي شواف عضواً في مجلس الإدارة مكان محمود آغا خزندار الذي نصب قائم مقاماً لصهيون وفي شهر تشرين الأول عُيّن لطف الله افندي نوفل الطرابلسي من طائفة الروم قائم مقاماً لقضاء المرقب وهو أول قائم مقام مسيحي جرى تعيينه في ولاية سورية فقدم اللاذقية وبعد اخذه البيورلدي توجه إلى مركز قائم مقاميته وجرى تعيين المأمورين اللازمين وتأليف المجلس والمحاكم في القضائين الجديدين وفي شهر تشرين الثاني عُزل عزت بك قائم مقام جبله لأنه سلك مسلك الاستبداد ولم يحسن السيرة مع الأهليين، ولم يكن يمثل أوامر المتصرفيه وعُين مكانه علي بك حمادي من مشايخ جبل لبنان الدروز فقدم اللاذقية في 23 تشرين الثاني وبعد أخذ البيورلدي ذهب إلى مركز قائم مقاميته وفي هذه الأثناء جرت القرعة العسكرية السنوية في اللاذقية وفيها عاد من الاستانه بقايا العسكر الرديف الذين سلموا بعد الحرب من الذين أخذوا من اللاذقية وهم بقايا الصنف المقدم والصنف التالي والصنف الثالث.

أما حالة اللاذقية الزراعية والتجارية في سنة 1879 فكانت جيدة فإن المواسم كانت مقبلة واسعار الغلال مرتفعة والتجارة بها رائجة وصدر من اللاذقية نحو مايتي الف كيله إسلامبوليه من الحنطه والشعير بحراً فيسرت حال الأهلين بالنسبة لما سبق من السنين.

ثم دخلت سنة 1880 وفيها شرع أحمد افندي الصلح متصرف اللاذقية وابناه منح افندي ورضا افندي بتأليف جمعية إسلامية دُعيت الجمعية الخيرية فتألفت من اعضاء من وجوه المسلمين وعُين منح افندي رئيساً لها وصائب افندي شيخ المولوية نائب رئيس فأنشأت مدرسة لصبيان المسلمين فرضت نفقتها على الوجوه وذوي الثروة منهم بواسطة اكتاب كل منهم بقدر معلوم على حسب استطاعته يدفعه شهرياً لصندوق الجمعية ثم سعت الجمعية بتحويل وارادت بعض الأوقاف المضبوطة إلى صندوقها فاسعفتها الحكومة بذلك بعناية مدحت باشا وتألفت جمعية ثانية منهم أيضاً دُعيت الجمعية الأدبية عُين رضا افندي رئيساً لها فكانت غاية الجمعيتين بحسب الظاهر نشر المعارف والتعليم بين أبناء المسلمين إلا أنه كان يلمح أن غايتهما الحقيقية احياء العصابة الجنسية العربية ضد الترك والعصابة الدينية الإسلامية ضد المسيحيين وترشيح تلامذة منهم لمأموريات الحكومة واستقلالهم بها وكان مدحت باشا يسعف هذا المبدأ فانتشر في أيامه هذا الروح في سائر أنحاء سورية وانشئت في أكثر مدنها جمعيات كهاتين الجمعيتين ولهج الخطباء والكتاب المسلمون بالتمدح في الأصل العربي وتحريك الحاسيات الجنسية العربية حتى أوجست الدولة اخيراً أن مدحت باشا عامل على انشاء مملكة وامارة مستقلة عربية فعزلته وحولت الولاية لعهدة أحمد حمدي باشا الصدر الأعظم الأسبق الذي كان والياً على سورية أيضاً سنة 1875.

وفيها (أي في سنة 1880) شرع المتصرف أحمد افندي الصلح بناء على تشويقات مدحت باشا بتأليف جمعية لإصلاح الطريق بين اللاذقية وحلب وتنظيف المرفأ فجمع اعيان ووجوه البلدة من الملل المختلفة ووكلاء القناصل فانتخبوا عشرة أعضاء وهم اسماعيل افندي صالح ومحمد افندي رويحه وعلي افندي شريط من المسلمين ومخائيل افندي سعادته ومؤلف هذا التاريخ من الروم والخواجه بطرس يازجي من الموارنة والخواجه الفونس جفروا قنسلوس روسيا والمجر من الفرنساويين والخواجه باسيلي ویتالي من التبعة

اليونانية من الأجانب والشيخ سليمان حاتم والشيخ سعيد قسمين من النصيريه ليكونوا قومسيوناً تحت رئاسة منح افندي نجل المتصرف مأذوناً من طرف الأهليين بوضع ضرائب ورسوم معتدلة على البضائع الصادرة والواردة وعلى اللحم بتصديق مجلس الإدارة مقابلاً لمصروف اصلاح الطريق والمرفأ وارسل مدحت باشا مهندساً فرنسياً يُدعى كوستو لأجل تخطيط الطريق ورتب القومسيون رسوماً على بعض الأصناف وعين مأمورين لجبايتها على أن الحركة كانت بطيئة والهمة فاترة ولم يكن القومسيون يجتمع إلا نادراً فكان الأمل بالنجاح بعيداً.

وفيها استعفى لطف الله افندي نوفل من قائم مقامية المرقب وخلفه كامل افندي الحمصي أحد تلامذة المدرسة الملكية في الاستانة ولم تطل مدته فنقل إلى صور وخلفه في قائم مقامية المرقب ميشيل افندي أدّي البيروتي الماروني وكان قبل ذلك ترجماناً لولاية سورية وعُزل علي بك حمادي من قائم مقامية جبله وخلفه محمود افندي ابازه الصيداوي. وفيها توفي علي آغا هرون من أعيان إسلام البلده. وفيها جرى انتخاب المجلس فتجدد انتخاب اعضائها الأقدمين إلا الشيخ محمد افندي الترك فإنه استُبدل بعلي افندي مفتي في عضوية المحكمة الابتدائية. وفيها توفي مصطفى افندي مفتي اللاذقية وخلفه ابن اخيه عبد القادر أفندي، وعُزل يحيى رمزي افندي النائب قبل انقضاء مدته بواسطة تشكي مدحت باشا منه وخلفه حلمي افندي من أتراك الأناضول وكان رمزي افندي سيء السيرة دني النفس تجرهُ الرشوة اليسيرة إلى العدول عن محجة العدل وفيها عُزل مصطفى بك من مديرية التحريرات وخلفه طلعت بك من الأتراك وفيها أنشئت مديرية للأعشار في قضاء اللاذقية وعُين مديراً لها محمود افندي ركاب من أهل الشام.

أما حالة الزراعة والتجارة في اللاذقية بهذه السنة فقد كانت في نجاح وإقبال إلا أنها لم تعادل السنة التي سبقتها في النجاح وفي هذه السنة عُرِفَت في اللاذقية التجارة بعرق السوس فصار صنفاً تجارياً من جملة صادرات المدينة.

ثم دخلت سنة 1881 وفيها في شهر شباط سافر نعمت افندي رئيس محكمة الجزاء إلى دمشق بالرخصة ولما عُلِمَ هناك عدم كفاءته للمأمورية أنهى من طرف قومسيون عدلية

الولاية المؤلف من مفتش العدلية والمدعي العمومي ورئيس محكمة الاستئناف إلى نظارة العدلية في الاستانة بعزله وفيها جرى تبديل هيئة المجلس البلدي فصار رئيسه الحاج محمد آغاهاون وأعضاؤه أحمد آغا دنوره ومحمد افندي عبدالرحيم من المسلمين وقسطنطين افندي يوسف من الروم ويوسف افندي بولس من الموارنة وقد جرى ذلك باستحسان منح افندي ورضى افندي ابني المتصرف بدون انتخاب قانوني.

وفيها في شهر تموز قدم إلى اللاذقية أحمد حمدي باشا والي الولاية وأعجبه موقعها الجغرافي ورأى قابليتها لل عمران إذا اسعفت بالوسائل النافعة فاستدعى وجوه الأهليين وخطب فيهم خطبةً أبان فيها الوسائل التي تتكفل بعمران مدينتهم ونجاحها وأن على كل من الحكومة والأهليين واجبات معلومة لا يتم النجاح إلا بالقيام بها من الطرفين فواجبات الحكومة هي اقامة العدل وتعميم الأمن ومساعدة الأهليين في الأمور النافعة وواجبات الأهليين هي الاتحاد والتعااض على انشاء المشروعات المفيدة كاصلاح الطرق والمرافىء وتحسين الزراعة ثم وعد بالقيام بما على الحكومة من الواجبات وحثهم على القيام بواجباتهم بأن يكونوا يداً واحدة لاتمام المشروعات النافعة وبعد أن اقام في اللاذقية ستة أيام عاد إلى مركز الولاية.

وفيها فصل ميشيل افندي اده من قائم مقامية المرقب وخلفه فيها مصطفى افندي التحفجي من أهل دمشق وعُزل ابراهيم افندي حليم من معاونية المدعي العمومي في اللاذقية وخلفه محمد علي افندي الايوبي من أهل دمشق أيضاً.

وفي شهر أيلول عُزل أحمد افندي الصلح من متصرفية اللاذقية وخلفه فيها أحمد افندي ابازه من أهل صيدا وسافر مُنح افندي مع ابيه فخلفه في رياسة قومسيون الطريق محمود آغاهاون.

وقد كان حكام اللاذقية إلى هذه العهد يسكنون مع حريمهم مجاناً في دائرة من دار الحكومة تُدعى دائرة الحريم فلما جاء أحمد افندي ابازه استأجر داراً مستقلةً وترك دائرة الحريم للحكومة فجُعِلت دائرة للعدلية.

مكتبة التاريخ العثماني

المحتويات

7.....	ملاحظات لا بد منها
123.....	مقدمة
125.....	القسم الأول: في جغرافية اللاذقية ووصفها الحالي
127.....	الفصل الأول: في نفس المدينة وعدد سكانها ومنازلها
130.....	الفصل الثاني: في ما يوجد في اللاذقية من الآثار القديمة
132.....	الفصل الثالث: في الهيئة الاجتماعية العمومية في اللاذقية
134.....	الفصل الرابع: في هيئة المسلمين الاجتماعية في اللاذقية وعوائدهم
139.....	الفصل الخامس: في هيئة النصارى الاجتماعية في اللاذقية وعوائدهم
152.....	الفصل السادس: في لواء اللاذقية
158.....	الفصل السابع: في الآثار والمدن الموجودة في لواء اللاذقية
161.....	الفصل الثامن: في صفات أهالي المقاطعات وأحوالهم
173.....	الفصل التاسع: في انهر لواء اللاذقية وحيواناته وحواصله
176.....	الفصل العاشر: في حالة الزراعة في لواء اللاذقية
177.....	الفصل الحادي عشر: في صنائع اللاذقية
178.....	الفصل الثاني عشر: في تجارة اللاذقية
185.....	الفصل الثالث عشر: في دخل الدولة من لواء اللاذقية وخرجها
188.....	الفصل الرابع عشر: في اعتبارات أخرى متعلقة بجغرافية اللاذقية
189.....	القسم الثاني: في تاريخ لاذقية العرب
233.....	الجزء الثاني من كتاب آثار الحقب في لاذقية العرب